غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

المجلد الحادي والأربعون

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

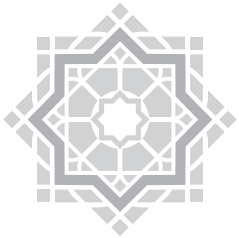

المحور الرابع
الفتاوى

٨٧ فتاوى معاصرة

الجزء الأول

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

المحور الرابع

الفتـاوى

٨٧

فتاوى معاصرة

الجـزء الأول

الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

من الدستور الإلهي للبشرية

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧].

﴿ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾ [النساء: ٨٣].

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «**من سُئل عن علمٍ فكتمه، ألجمه الله يوم القيامة بلجامٍ من نارٍ**». رواه أحمد وأبو داود.

وعنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**من أُفتي بغير علمٍ، كان إثمُه على من أفتاه**». رواه أبو داود وابن ماجه.

وعن جابر قال: خرجنا في سفر، فأصاب رجلًا منَّا حجر، فشجَّه في رأسه، ثمَّ احتلم، فسأل أصحابه فقال: هل تجدون لي رخصةً في التَّيمُّم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء. فاغتسل فمات، فلمَّا قدمنا على النَّبيِّ ﷺ أُخبر بذلك، فقال: «**قتلوه قتلهم الله! ألا سألوا إذ لم يعلموا؟! فإنَّما شفاء العِيِّ السُّؤال، إنَّما كان يكفيه أن يتيمَّم ويعصب على جرحه خِرقة، ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده**». رواه أبو داود والدارقطني.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمَّدًا عبده ورسوله.

﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۞ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ۞ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۞ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴾ [طه: ٢٥ ـ ٢٨].

اللهمَّ يا معلِّم آدم وإبراهيم، علِّمنا ما ينفعُنا، وانفعْنا بما علَّمتنا، وزدْنا علمًا، ﴿سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

اللهمَّ أرِنا الحقَّ حقًّا وارزقْنا اتِّباعَه، وأرنا الباطل باطلًا وارزُقْنا اجتنابه.

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨].

اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من علمٍ لا ينفع، وقلبٍ لا يخشع، ودعاءٍ لا يُسمَع، وعملٍ لا يُرفَع. وصلِّ اللهمَّ وسلم على معلم النَّاس الخير، ورحمتك المهداة للعالَمين، وخاتم أنبيائك، وصفوة خلقك، محمَّد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته إلى يوم الدين.

QaradawiBooks.com

(وبعد)

قد كان ممَّا كتبه الله لي أن أشتغل بإفتاء النَّاس منذ عهد مبكر، فقد كنتُ أَؤُمُّ النَّاسَ وأخطبُهم وأدرِّسُهم، وأنا طالب في القسم الابتدائي (الإعدادي الآن) من الأزهر الشريف، ومن خطب النَّاس أو درَّسهم، فلا بدَّ أن يسألوه، ولا مفرَّ له أن يجيب. وهذا ما دعاني إلى الاهتمام بفقه الشَّريعة، ومشكلات النَّاس من أمدٍ بعيد.

ومع أنِّي تخرَّجت في كلية أصول الدين بالأزهر، الَّتي تُعنى بالعقيدة والفلسفة والتفسير والحديث، لا في كلية الشَّريعة الَّتي تُعنى بالفقه وأصوله، فإنَّ ذلك لم يقطعني عن دوام الاطِّلاع على الفقه وتاريخه، وأصوله وقواعده، وقد زادتني دراستي في كلية أصول الدين ولم تنقصني، وأمدَّتني بزادٍ نافع من الثقافة الفلسفية والتاريخية، بجانب الثقافة الإسلامية المتنوِّعة.

وكان من نعمة الله عليَّ أن تحرَّرتُ منذ وقت مبكِّر أيضًا، من رِبْقة التمذهب والتقليد والتعصُّب لقول عالمٍ بعينه، وإن كانت دراستي الرسمية للفقه على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه.

ويرجع الفضل في ذلك لعدَّة عوامل، منها: بيئة الحركة الإسلامية الَّتي كنتُ أعيش في رحابها، ودعوة مُؤَسِّسها الشهيد حسن البنا رحمه الله في رسالته المركَّزة المسماة «رسالة التعاليم» إلى التحرُّر من العصبيَّة، ووزن أقوال المتقدِّمين بميزان الكتاب والسُّنَّة، فما وافقهما من أقوال السَّلف قبلناه، وإلا فكتاب ربِّنا، وسُنَّة نبيِّنا، أولى بالاتِّباع[1].

(١) رسالة التعاليم صـ ٣٥٥، ضمن مجموعة رسائل الإمام حسن البنا، نشر المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر، بيروت، ط ٣، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

QaradawiBooks.com

وكان لكتاب أخينا الشيخ سيد سابق «فقه السُّنَّة» ـ وكان قد صدر الجزء الأول منه في فقه الطهارة والصلاة ـ تأثيرٌ طيِّب في تفكيري، وتوجيهي إلى الأدلَّة من القرآن والسُّنَّة، أستقي منهما بدل الرجوع إلى كتب الفقه المذهبي وحدها.

وقد تبيَّن لي بطول الدراسة والممارسة أنَّ الرجوع المباشر إلى الكتاب والسُّنَّة يقترن دائمًا بالتخفيف والتَّيسير، والبعد عن الحرج والتعسير، على خلاف الرجوع إلى الفقه المذهبي الَّذي حمل على طول العصور كثيرًا من التشدُّدات، نتيجة الاتجاه إلى الأخذ بالأحوط غالبًا. وإذا صار الدين مجموع «أحوطيَّات» فَقَدَ رُوح اليُسر، وحمل طابع الحرج والمشقَّة، مع أنَّ الله تعالى نفى الحرج عنه نفيًا باتًّا حين قال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

ومن الأحداث الَّتي تستحق التسجيل، ما وقع لي وأنا طالب بالقسم الثانوي، حين خالفت نهج علماء قريتنا، وهم مجموعة من الأفاضل، إلَّا أنَّهم التزموا تدريس الفقه على مذهب الشافعي رضي الله عنه، حتَّى الحنفية منهم التزموا ذلك ولم يحيدوا عنه؛ بناء على أنَّ مذهب الشافعي هو مذهب عوامِّ البلد، هذا مع تقرير المحقِّقين أنَّ العاميَّ لا مذهب له، وأنَّ مذهبه هو مذهب من يفتيه ويُعلِّمه.

ومن المعلوم لدى الدارسين أنَّ مذهب الشافعي من أشدِّ المذاهب ـ أو لعلَّه أشدُّها ـ في مسائل النَّجاسة والطَّهارة وما إليها، حتَّى قال الإمام الغزالي في كتاب الطهارة من «الإحياء» معلِّقًا على مذهب إمامه الشافعي في مسألة المياه: «وكنتُ أودُّ أن يكون مذهبه في المياه كمذهب مالك». وسرد سبعةَ أوجُه يؤيِّد بها رأي مالك رضي الله عنه[1].

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (١٢٩/١)، نشر دار المعرفة، بيروت.

QaradawiBooks.com

المهم أنِّي شرعت أدرِّس الفقه من غير كتاب أبي شُجاع[١]، بل على طريقة الشيخ سيد سابق في «فقه السُّنَّة»، مستعينًا بما تيسَّر لي من المراجع في ذلك الوقت، وقد أحدث ذلك في أوَّل الأمر ضجَّة بين الناس: كيف يُخالف هذا الشابُّ كبار الشيوخ؟ وكيف يُفَقِّه النَّاس من غير «المتون المعتَمدة»؟ وكيف يأتي بأقوالٍ لم نسمع بها من قبل؟

ولكنِّي قابلتُ هذه الضجَّة بالثَّبات والتحدِّي، وقلتُ للمجادلين: بيني وبينكم القرآن والسُّنَّة، فلنحتكمْ إليهما، فلما حاججتهم بالآيات والأحاديث ـ وبضاعتهم قليلة منها ـ كانوا هم المحجوجين والمغلوبين.

والعجب أنَّ العوامَّ الَّذين اعتبرهم العلماء في البلدة شافعيَّة، قد استراحوا جدًّا لهذا النهج الجديد، ورحَّبوا به، لما فيه من تيسيرٍ عظيم عليهم، ورفع للحَرَج عنهم!

وما كان أعظم فرحتهم حين قلتُ لهم: إن كلَّ ما يؤكلُ لحمُه، فبوله ورَوْثُه طاهر، وأيَّدت ذلك بالأدلَّة من السُّنة.

وحين قلتُ: إنَّ الماء طَهور لا يُنجِّسه شيء، إلَّا ما غيَّر طعمه أو لونه أو ريحه، مستدلًّا على ذلك بصحيح الحديث.

وحين قلتُ لهم: إنَّ لمس المرأة لا ينقض الوضوء، مستشهدًا على ذلك بالقرآن والسُّنَّة.

ومعروف أنَّ مذهب الشافعي يقول بأنَّ اللمس ناقضٌ للوضوء، بشهوة أو بغير شهوة، وكان يَحدُث كثيرًا أن تُناول المرأة زوجها شيئًا، فتلمسه أو يلمسها خطأ، فينتقض وضوؤه، وكان هذا في فصل الشتاء

(١) متن أبي شجاع من أشهر متون الفقه الشافعي.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

كثيرًا ما يُحدِث شجارًا بين الزَّوجين؛ لما يترَّتب عليه من تجديد الوضوء في البرد الشَّديد.

وحدث مرَّة أن لمست إحدى الزوجات زوجها خطأ، فغضب زوجها وهَمَّ بإيذائها، فقالت له: لا تغضب، صلِّ، ووضوؤك صحيح على مذهب الشيخ يوسف!

وهكذا جعلوني صاحب مذهب!

والواقع أنَّ القول بعدم النقض باللمس مطلقًا هو مذهب «أبي حنيفة» وأصحابه، ومن قبله حبر الأُمَّة «عبد الله بن عبَّاس».

وإذا كان اللمس بغير شهوة، فلا ينقض أيضًا عند مالك وابن حنبل وأصحابِهما.

وفي الخمسينيَّات كُلِّفت بالخطابة في جامع الزمالك بالقاهرة، فكان من خطَّتي عقد ندوة أسبوعيَّة عقب صلاة الجمعة، يتقدَّم فيها المصلُّون بأسئلتهم مكتوبة، وأقوم بالردِّ عليها شفهيًّا.

وفي هذه المرحلة بدأتُ أكتب بعض الفتاوى في بعض المجلات الإسلامية مثل مجلة «منبر الإسلام» الَّتي تصدرها وزارة الأوقاف المصرية، ومجلة «نور الإسلام» الَّتي يُصدرها علماء الوعظ والإرشاد بالأزهر.

ولم أزل أسير في هذا الطريق، متوسِّعًا ومتعمِّقًا، فلمَّا اتَّسعت المعرفة، ونضج الفكر، وزادت الخبرة، بالاطِّلاع على كتب الحديث والآثار، وكتب الفقه المقارن، كان من نتاج ذلك كتاب «الحلال والحرام في الإسلام»، ثم كتاب «فقه الزكاة» من بعد، ثم بقية كتب الفقه.

QaradawiBooks.com

ومنذ أُنشـئت إذاعة دولة قطر المسـموعة، ثم المرئية (التلفزيون)؛ كُلِّفت أن أتولَّى الردَّ على أسئلة المواطنين ورسائلهم الَّتي تتعلَّق بالإسلام والحياة، وخُصِّص لذلك برنامج أسـبوعيٌّ لمدَّة نصف ساعة في الإذاعة بعنوان: «نور وهداية»، ومثله في التليفزيون بعنوان: «هدي الإسلام».

وإنِّي لأحمد الله تعالى حمدًا كثيرًا طيِّبًـا، كما ينبغي لجلال وجهه، وسـابغ نعمه: أن فتح القلـوب والعقول لهذين البرنامجيـن، ولقيا من القبول في قطر ومنطقة الخليج كلها، وكل مكان يصل إليه صوت الإذاعة القطرية من جزيرة العرب؛ ما يشرح صدور المؤمنين، ويغيظ الَّذين في قلوبهم مرض. هداهم الله وأصلحهم!

وكان هذا من فضل ربِّي ليبلوني: أأشـكر أم أكفر؛ وأسأله تعالى أن يجعلني من الشاكرين، وأن يعينني على ذكره وشكره وحسن عبادته.

ولا غرو أنْ اقترح الكثيرون من المستمعين والمشاهدين للبرنامجين، أن أجمع هذه الفتاوى والردود وأنشـرها، حتَّى اقترح بعض الإخوة في إمارة رأس الخيمة أن أجعلها حوليَّات، كلّ سنة تجمع في مجلد وتصدر تباعًا، وبخاصَّة أنَّ بعض الردود والأجوبة تتناول قضايا مهمة بالشـرح والتحليل؛ مؤيدة بالأدلَّة من نصوص الشـرع وقواعده، وموصولة بروح الإسلام وفلسفته العامَّة للإنسان والكون والحياة.

ولكن كانت هناك حوائل شتَّى، تقف دون تحقيق هذه الرغبة الخيِّرة، منها مشقَّة نقل هذه الأجوبة من الأشرطة المسجَّلة إلى الورق المكتوب.

ومنها أنَّ طبيعة اللغة المرتجلة الَّتي ألقي بها هذه الفتاوى، غير اللغة المكتوبة، فالعبارة المرتجلة تحتاج إلى شـيء من التهذيب والصياغة، حتَّى تتهيَّأ للطباعة والنَّشر، وذلك يحتاج إلى وقت وجهد.

QaradawiBooks.com

ومنها أنَّ بعض الأسئلة تتكرَّر فتتكرَّر أجوبتها، ومضمونها في الغالب واحد؛ وإن اختلف العرض، أو اختلفت الصياغة والأسلوب.

ولهذا رأيتُ أنَّ الأَوْلى هو الانتقاء من هذه الأجوبة ما هو أدقُّ وأوفى وأبعد عن الفضول والتكرار، مع تهذيب بعض العبارات، وإضافة ما تحسن إضافته، وحذف ما ينبغي حذفه.

ثم أضفت إلى هذه الفتاوى المنتقاة من حلقات الإذاعة والتليفزيون، ما وجدته عندي من فتاوى مكتوبة نشرت من قبل أو لم تنشر. وكان منها هذا الكتاب الَّذي اخترت له اسم: «هدي الإسلام» وهو اسم البرنامج التليفزيوني الَّذي سبق الحديث عنه، والَّذي حبَّبه الله إلى قلوب النَّاس فضلًا منه ونعمة.

فأصبحتْ مجموعة كبيرة ومتنوِّعة من الفتاوى في موضوعات شتَّى، ومجالات مختلفة، تعالج الواقع المعاصر للمسلمين؛ تشمل شؤون الفرد والأسرة، والمجتمع والدولة والأمة. بعضها في المصادر من القرآن والحديث، وبعضها في العقائد والعبادات، وقضايا المرأة والأسرة، وقضايا المعاملات المالية والمدنية، وقضايا الدولة والسياسة والاقتصاد، وقضايا الأُمَّة وعلاقاتها المختلفة. وقد قمت بجمعها تعميمًا للفائدة، لتكون مرجعًا لطلبة العلم الشرعي، وملاذًا للمسلمين الَّذين يريدون أن يتفقَّهوا في الدِّين.

وقد صدر من هذه الفتاوى أربعة أجزاء من قبل، وضممتُ إليها في طبعتنا هذه الجزء الخامس والسادس، وقمتُ بترتيب الأجزاء السِّتَّة معا ترتيبًا موحَّدًا، الفتاوى المتعلقة بالقرآن، ثم السنة، ثم العقيدة، وهكذا.

وجمعت محتوى مقدمات الأجزاء جميعها في هذه المقدِّمة.

QaradawiBooks.com

نهجي في الإفتاء:

وكان المنهج الَّــذي اتبعته في هذه الفتاوى يقــوم على عدَّة قواعد، أهمها:

أولًا: لا عصبيَّة ولا تقليد:

التحرُّر من العصبيَّة المذهبيَّــة، والتقليد الأعمى لزيدٍ أو لعمرو، من المتقدِّميــن أو المتأخِّرين. فقد قيل: لا يقلِّد إلَّا عصبــيٌّ أو غبيٌّ[1]. وأنا لا أرضى لنفسي واحدًا من الوصفين.

هذا مع التوقير الكامل لأئمَّتنا وفقهائنا، فعدم تقليدهم ليس حطًّا من شأنهم، بل ســيرًا على نهجهم، وتنفيذًا لوصاياهم بألَّا نقلِّدهم ولا نقلِّد غيرهم، ونأخذ من حيث أخذوا.

وهذا الموقف لا يتطلَّب من العالم المســلم المستقلِّ في فهمه: أن يكون قد بلغ درجة الاجتهاد المطلق كالأئمَّة الأولين، وإن كان هذا غير ممنوع شرعًا ولا قدرًا.

ولكن حسْب العالم المستقلِّ في هذا الموقف أمور:

١ ـ ألَّا يلتــزم رأيًا في قضية بــدون دليلٍ قويٍّ، ســالم من معارض معتبر، ولا يكون كبعض النَّاس الَّذين ينصرون رأيًا معينًا لأنَّه قول فلان، أو مذهب فلان، دون نظرٍ إلى دليلٍ أو برهان، مــع أنَّ الله تعالى يقول: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، ولا يســمَّى

(١) نقله ابن عابدين في رسم المفتي عن أبي جعفر الطحاوي (٣٢/١)، ضمن رسائل ابن عابدين، نشر عالم الكتب، بيروت.

QaradawiBooks.com

العلم علمًا إذا كان ناشـئًا من غيـر دليل. ولقد قـال الإمام عليٌّ رضي الله عنه: «لا تعرف الحقَّ بالرجال، بل اعرف الحقَّ تعرف أهله»[١].

٢ ـ أن يكـون قـادرًا على الترجيـح بين الأقـوال المختلفـة، والآراء المتعارضة، بالموازنـة بين أدلتها، والنظر في مسـتنداتها من النقل والعقل، ليختار منها ما كان أسعد بنصوص الشرع، وأقرب إلى مقاصده، وأولى بإقامة مصالح الخلق الَّتي نزلت لتحقيقها شـريعة الخالق. وهذا أمر ليس بالعسير على من ملك وسـائله؛ من دراسـة العربية وعلومها، وفهم المقاصد الكلية للشريعة، بجانب الاطلاع على كتب التفسير والحديث والفقه المقارن.

٣ ـ أن يكون أهلًا للاجتهاد الجزئي: أي الاجتهاد في مسـألة معيَّنة من المسـائل، وإن لم يكن فيها حكم للمتقدِّمين؛ بحيث يسـتطيع أن يعطيها حكمها بإدخالها تحت عموم نصٍّ ثابت، أو بقياسها على مسألة مشـابِهة منصوصٍ علـى حكمهـا، أو بإدراجها تحت الاستحسـان أو المصالح المرسَلة، أو غير ذلك من الاعتبارات والمآخذ الشرعيَّة.

والقول بتجزئة الاجتهاد هو الصحيح الَّذي اتَّفق عليه المحقِّقون.

ومن أبين العبارات فـي ذلك ما قاله ابن القيِّـم: «الاجتهاد حالةٌ تقبلُ التجزُّؤَ والانقسـام، فيكون الرجل مجتهدًا فـي نوع من العلم، مقلِّدًا في غيره»[٢].

---

(١) ذكره البلاذري في أنساب الأشراف (٢٧٤/٢)، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، نشر دار الفكـر، بيـروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م، واليعقوبي في سـيرة أمير المؤمنيـن من تاريخه (١٩٩/٢)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) إعلام الموقِّعين لابن القيم (١٦٦/٤)، تحقيق محمد عبد السـلام إبراهيم، نشـر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

QaradawiBooks.com

ثانيًا: يسِّروا ولا تُعسِّروا:

تغليب رُوح التَّيسير والتخفيف، على التشديد والتعسير، وذلك لأمرين:

الأمر الأول: أنَّ الشَّريعة مبنيَّة على التَّيسير ورفع الحرج عن العباد، وهذا ما نطق به القرآن، وصرَّحت به السُّنَّة في مناسبات عديدة.

ففي ختام آية الطهارة من سورة المائدة، وما ذكر فيها من تشريع التيمُّم، يقول تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

وفي ختام آية الصيام من سورة البقرة، وما ذكر فيها من التَّرخيص للمريض والمسافر بالإفطار، يقول سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وفي ختام آيات المحرَّمات في الزواج، وما رخَّص الله فيه من نكاح الإماء المؤمنات لمن عجز عن زواج الحرائر، يقول جل شأنه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ [النساء: ٢٨]، وفي ختام سورة الحجِّ، وما ذكر فيها من أحكام وأوامر، يقول ﷻ: ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ [الحج: ٧٨]. هذا إلى الآيات الأخرى الَّتي حرَّمت الغلوَّ في الدِّين، وأنكرت على من حرَّموا الطيبات، وهي كثيرة.

والنبيُّ ﷺ يقول: «**يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا**»[(١)].

ويقول: «**إنما بُعثتم ميسِّرين، ولم تبعثوا معسِّرين**»[(٢)].

---

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في العلم (٦٩)، ومسلم في الجهاد والسِّيَر (١٧٣٤)، عن أنس.

(٢) رواه البخاري في الوضوء (٢٢٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ويقول: «**إنما بُعثْتُ بحنيفيَّة سَمْحة**»[١].

وينكر على المتطرِّفين والمغالين في العبادة أو في تحريم الطَّيِّبات، ويعلن أن من فعل ذلك فقد رغب عن سنته: «**ومن رغب عن سُنَّتي فليس منِّي**»[٢].

ويوجِّه أصحاب هذه النزعة إلى التوسُّط والاعتدال، حتَّى لا يطغى حقٌّ على حقٍّ. ولهذا قال لبعضهم: «**إنَّ لبدنكَ عليكَ حقًّا، ولأهلكَ عليكَ حقًّا، ولزوجِكَ عليك حقًّا، فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه**»[٣].

والأمر الثاني: طبيعة عصرنا الَّذي نعيش فيه، وكيف طغت فيه الماديَّة على الروحيَّة، والأنانيَّة على الغيريَّة، والنفعيَّة على الأخلاق، وكيف كثرت فيه المغريات بالشرِّ، والمعوِّقات عن الخير، وأصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر، حيث تواجهه التيارات الكافرة عن يمينه وشماله، ومن بين يديه ومن خلفه، تريد أن تقتلعه من جذوره، وتأخذه إلى حيث لا يعود.

وهي تيارات تحرِّكها وتغذِّيها قوًى ضخمة، تمدُّها بالتمويل والتخطيط والتوجيه، وتسهِّل لمن اتَّبعها طريق الشهوات، وربَّما طريق الوصول إلى المناصب والدرجات.

والفرد المسلم في هذه المجتمعات يعيش في محنةٍ قاسية، بل في معركةٍ دائمة، فقلَّما يجد من يُعينه، وإنَّما يجدُ من يعوقه!

---

(١) رواه أحمد (٢٤٨٥٥)، وقال مخرِّجوه: حديث قوي. وحسَّن إسناده الحافظ ابن حجر في تغليق التعليق (٤٣/٢)، عن عائشة.

(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، كلاهما في النكاح، عن أنس.

(٣) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩)، كلاهما في الصيام، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

ولهذا ينبغي لأهل الفتوى أن ييسِّروا عليه ما استطاعوا، وأن يعرضوا عليه جانب الرخصة أكثر من جانب العزيمة؛ ترغيبًا في الدِّين، وتثبيتًا لأقدامه على طريقه القويم. وقد نقل الإمام النووي في مقدِّمات «المجموع» كلمةً حكيمة للإمام الكبير، إمام الفقه والحديث والورع سفيان الثَّوْري قال فيها: إنَّما العلمُ الرخصةُ من ثقة، أمَّا التشديد فيُحسِنه كلُّ أحد[١]!

فالعالم حقًّا ـ في نظر الثَّوريِّ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ من يراعي الرُّخَص والتَّيسير على عباد الله، شرط أن يكون ثقةً في علمه ودينه.

وكان منهج الصحابة ومن تخرَّج على أيديهم هو التَّيسير والرفق بالنَّاس، ثم بدأ التَّشديد يدخل على العلماء شيئًا فشيئًا، وعصرًا بعد عصر، حتَّى أصبح هو طابع المتأخِّرين.

روى الحافظ أبو الفضل بن طاهر في كتاب «السماع» بسنده، عن عمر بن إسحاق من التَّابعين قال: كان من أدركتُ من أصحاب محمَّد ﷺ أكثر من مائتين، لم أرَ قومًا أهدى سيرة، ولا أقلَّ تشديدًا منهم[٢].

وهكذا كان علماء السَّلف: إذا شدَّدوا فعلى أنفسهم، أما على النَّاس فييسِّرون ويخفِّفون.

ولقد وصفوا الإمام المُزَنِيَّ صاحب الشافعي في معرض الثَّناء عليه، بأنَّه كان أشد النَّاس تضييقًا على نفسه في الورع، وأوسعه في ذلك على النَّاس[٣].

---

(١) المجموع شرح المهذب للنووي (٤٦/١)، نشر دار الفكر.

(٢) رواه ابن طاهر في السماع صـ ٩٠، تحقيق أبو الوفا المراغي، نشر مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة.

(٣) المصدر السابق صـ ٩٠، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤٩٤/١٢)، تحقيق مجموعة بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

QaradawiBooks.com

وكذلك وصفوا الإمام التابعي الجليل محمَّد بن سِيرين، قال تلميذه عَوْن: كان محمدٌ أرجى النَّاس لهذه الأُمَّة، وأشدَّه أَزْرًا على نفسه[١].

هذا وزمنهم زمــنُ الإقبال على الدِّيــن، فكيف بزماننــا والنَّاس مُدْبِرون عنه؟

إنَّنا أحــوج ما نكون إلى التوســعة على النَّاس. وهــذا ما اخترته لنفسي أنْ أيسِّر الفروع، على حين أشدِّد في الأصول. وليس معنى هذا أن أعرض عن النُّصوص لأرجح رأيًا ميسرًا على غيره، أو ألوي أعناق النُّصوص رغمًا عنها، لأســتخرج منها ـ كرهًا ـ معاني وأحكامًا تيسر على الناس.

كلَّا، فالتَّيسير الَّذي أعنيه، هو الَّذي لا يُصادم نصًّا ثابتًا محكمًا، ولا قاعدة شــرعيَّة قاطعة، بل يســير في ضوء النُّصوص والقواعد، والرُّوح العامَّة للإسلام.

فمنهجي أبدًا هــو اتِّباع الدليل حيــث كان، وردُّ المتشــابِهات إلى المحكَمــات، والظنيَّــات إلــى القطعيَّــات، والفــروع إلــى الأصول، وبالاســتقراء أجد مع الأدلَّة الراجحة التَّيســير المطلوب، الَّذي يتضمَّن المصلحة الحقيقيَّة للنَّاس، لا المصالح الموهومة.

ولهذا لم أتساهل قطُّ في تحريم الفوائد الربوية من البنوك وغيرها؛ لأنِّي أجد النُّصوص في ذلك صريحة محكَمة، تتحدَّى أيَّ متهاونٍ في شأنها.

ولم أتســاهلْ في أمر التَّدخين ـ رغم عموم البلــوى به ـ لأنِّي أجدُ قواعد الشرع تمنعه وتأباه.

---

(١) رواه ابن طاهر في السماع صـ ٩٠.

QaradawiBooks.com

وتساهلتُ في موضوعات أخرى لأنِّي لم أجد من النُّصوص الملزِمة ما يدلُّ على التَّحريم.

وتبنَّيت رأيَ شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه في أمر الطَّلاق؛ لأنِّي وجدتُه يعبِّر عن رُوح الإسلام، ومقاصد الشَّريعة، ويتمشَّى مع نصوص القرآن والسُّنَّة عند التَّحْقيق.

وعلى العموم: إذا كان هناك رأيان متكافئان: أحدهما أحوط، والثاني أيسر، فإنِّي أوثر الإفتاء بالأيسر، اقتداءً بالنَّبيِّ ﷺ، الَّذي ما خُيِّر بين أمرين إلَّا اختار أيسرَهما؛ ما لم يكنْ إثمًا.

أمَّا الأحوطُ، فيمكن أن يأخذ به المفتي في خاصَّة نفسه، أو يفتي به أهل العزائم والحريصين على الاحتياط، ما لم يخشَ عليهم الجُنوح إلى الغلوِّ.

ثالثًا: مخاطبة النَّاس بلغة العصر:

ومن القواعد الَّتي التزمتها: أن أخاطب النَّاس بلغة عصرهم الَّتي يفهمون، متجنِّبًا وعُورة المصطلحات الصعبة، وخشونة الألفاظ الغريبة، متوخِّيًا السُّهولةَ والدِّقَّة.

وقد جاء عن الإمام عليٍّ: حدِّثوا النَّاس بما يعرفون، أتحبُّون أن يُكذَّب الله ورسوله[1]؟!

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾ [إبراهيم: ٤]، ولكلِّ عصر لسانٌ أو لغة، تميِّزه وتعبِّر عن وجهته. فلا بدَّ لمن يريد التحدُّث إلى النَّاس في عصرنا أن يفهم لغتهم ويحدِّثهم بها.

(١) رواه البخاري في العلم (١٢٧).

QaradawiBooks.com

ولا أعني باللغة مجرَّد ألفـاظ يعبِّر بها قومٌ عن أغراضهم، بل ما هو أعمقُ من ذلك، ممَّا يتَّصل بخصائص التفكير، وطرائق الفهم والإفهام.

ولغة عصرنا تتطلَّب عدَّة أشياء، يجب على المفتي أن يراعيها:

١ ـ **أنْ يعتمد على مخاطبة العقول بالمنطق**، لا على إثارة العواطف بالمبالغات. فمعجزة الإسـلام الكبرى معجزة عقليَّـة هي القرآن، الَّذي تحدَّى الله به ولم يتحـدَّ بالخوارق مع وقوعها للنَّبـيِّ ﷺ، ولم تعرف البشرية دينًا يحترم العقل والعلم كما يحترمه الإسلام.

٢ ـ **أن يدع التكلُّف والتقعُّر في اسـتخدام العبارات والأساليب**، ولهذا كنتُ أستخدم اللغة السَّهلة القريبة المأنوسة، وربما استخدمت بعض الألفاظ أو الأمثـال العاميَّة لتوضيح ما أريـد؛ إيمانًا منِّي بأنَّ جمهور المشاهدين والمسـتمعين ليسوا في مستوًى واحد من الثقافة والفكر، فمنهم الأستاذ الكبير، ومنهم الطالب الصغير، ومنهم التاجر، ومنهم العامـل، وكلُّهم يجـب أن يفهم ويعي، وإفهام المسـتويات المتفاوتة أمرٌ صعب، ولكنِّي حرصتُ عليه قدر استطاعتي، وأنا مؤمن بالوسطيَّة والاعتدال في كلِّ الأمور، ولهذا كنت بينَ بينَ، لا أعلو كلَّ العلوِّ إلى مسـتوى الخواصِّ فأفقد العوامَّ، ولا أنزل كلَّ النزول إلى العوامِّ فأفقد الخواصَّ، بل جعلت هدفـي أن أُرضي الخاصَّة وأفهم العامَّة معًا. وهذا نهجي طَوال حياتي، وأرجو أن أكون قد وُفقت إليه أو قاربت.

٣ ـ **أن يذكر الحكـم مقرونًا بحكمته وعلته**، مربوطًا بالفلسـفة العامَّة للإسـلام. وهذا ما التزمته في فتـاواي وكتاباتي بصفة عامَّة، وذلك لأمرين:

QaradawiBooks.com

الأمر الأول: أنَّ هذه هي طريقة القرآن والسُّـنَّة. فالقرآن حين يفتي في المحيض ـ وقد سألوا عنه ـ يقول: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. فأمر النَّبيُّ ﷺ أن يبيِّـن لهم أن علَّة الحكم ـ وهـو الأذى ـ مقدِّمة للحكم نفسه، وهو الاعتزال.

وفي تقسـيم الفـيء بيَّن الفئـات المسـتحقَّة له، ومنهـم اليتامى والمساكين وابن السَّبيل، يذكر الله تعالى الحكمة في ذلك فيقول: ﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ [الحشـر: ٧]، أي حتَّى لا يكون المال متداولًا بين طبقة الأغنيـاء وحدهم، ويحرم منه سـائر الطبقـات. فهذا مصدر الشرور، وهو أبرز خصائص الرأسماليَّة الطاغية!

حتى العبادات الشعائرية، يأمر بها القرآن مقرونة بعلل وأحكام تقبلها الفطر السَّليمة، والعقول الرشيدة.

ففي الصلاة يقول: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وفي الصِّيام يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وفي الزَّكاة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

وفي الحجِّ: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الحج: ٢٨].

وأمَّا في السُّـنة، فإنَّ من تأمَّل فتاوى النَّبيِّ ﷺ رآها مشـتملة على: حكمة الحكم، ونظيره، ووجه مشروعيته.

QaradawiBooks.com

من هذا قوله لعمر حين جاءه منزعجًا؛ إذ قبَّل امرأته وهو صائم، فقال له: «**أرأيتَ لو تمضمضتَ ثم مَجَجْتَه، أكان يضر شيئًا؟**». قال: لا[١]. فنبَّه على أنَّ مقدِّمة المحظور لا يلزم أن تكون دائمًا محظورة. فإنَّ غاية القُبلة أن تكون مقدِّمة الجماع، فلا يلزم من تحريمه تحريم مقدِّمته، كما أن وضع الماء في الفم مقدِّمة شربه، وليست المقدِّمة محرَّمة.

ومن هذا فقد نهى رسول الله ﷺ أن تُزوَّج المرأة على العمَّة والخالة قال: «**إنكنَّ إذا فعلتُنَّ ذلك قطعتُنَّ أرحامَكنَّ**»[٢] فذكر لهم الحُكْم، ونبَّههم على حكمة التحريم، وهو ما يترتَّب عليه من قطع ما أمر الله به أن يوصل؛ نتيجة الاحتكاك الضروري بين الضرائر.

ومثل ذلك قوله لبَشِير بن سعد، وقد خصَّ بعض أولاده بعطيَّةٍ دون الآخرين: «**أيسرُّك أن يكونوا لك في البرِّ سواءً؟**». قال: نعم. قال: «**فاتَّقوا اللهَ واعدلوا بينَ أولادِكم**»[٣].

وهذا في القرآن والسُّنَّة كثير جدًّا مع أنَّ قول الله ورسوله حُجَّة بنفسه، وإن لم تُعرف له علَّة معينة، وحسْبُنا أنه لا يأمر إلَّا بخير.

الأمر الثاني: أنَّ الشَّاكِّين والمشكِّكين في عصرنا كثيرون، ولم يعدْ

---

(١) رواه أحمد (١٣٨)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود (٢٣٨٥)، والنسائي في الكبرى (٣٠٣٦)، وقال عقبه: وهذا حديث منكر، وبكير مأمون، وعبد الملك بن سعيد رواه عنه غير واحد، ولا ندري ممن هذا. وابن خزيمة (١٩٩٩)، وابن حبان (٣٥٤٤)، جميعهم في الصيام، ونقل الشيخ أحمد شاكر كلام الإمام النسائي في تعليقه على المسند وتعقبه بقوله: وصحَّحه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم، وما أدري ما وجه النكارة فيه؟

(٢) رواه ابن حبان في النكاح (٤١١٦)، وقال الأرناؤوط: حسن. والطبراني (٣٣٧/١١)، عن ابن عباس.

(٣) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري (٢٥٨٧)، ومسلم (١٦٢٣)، كلاهما في الهبة، عن النعمان بن بشير.

QaradawiBooks.com

أغلب النَّاس يقبلون الحكم دون أن يعرفوا مأخذه ومغزاه، ويعُوا حكمته وهدفه، وخاصَّة فيما لم يكن من التعبُّدات المحضة.

ولا بدَّ أن نعرف طبيعة عصرنا، وطبيعة النَّاس فيه، ونزيل الحرج من صدورهم، ببيان حكمة الله فيما شرع، وبذلك يتقبَّلون الحكم راضِينَ منشرحين، فمن كان مرتابًا ذهب ريبه، ومن كان مؤمنًا ازداد إيمانًا.

ومع هذا لا بدَّ أن نؤكِّد للنَّاس، أنَّ من حقِّ الله تعالى، أن يُكلِّف عباده ما شاء، بحكم ربوبيته لهم، وعبوديتهم له، فهو وحده له الأمر، كما له الخلق. ولهذا لا بدَّ أن يطيعوه فيما أمر، ويُصدِّقوه فيما أخبر، وإن لم يدركوا علَّة أمره، أو كنه خبره، وعليهم أن يقولوا في الأول: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وفي الثاني: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

إنَّ الله لا يأمر بشيء، ولا ينهى عن شيء إلَّا لحكمة.

هذه قضية ثابتة جازمة، ولكن لسنا دائمًا قادرين على أن نتبيَّن حكمة الله بالتفصيل. وهذا مقتضى الابتلاء الَّذي قام عليه أمر التكليف، بل أمر الإنسان: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢].

رابعًا: الإعراض عمَّا لا ينفع الناس:

ومن القواعد الَّتي التزمتها: ألَّا أشغل نفسي ولا جمهوري إلَّا بما ينفع النَّاس، ويحتاجون إليه في واقع حياتهم.

أمَّا الأسئلة الَّتي يريد بها أصحابها المراء والجدل، أو التعالُم والتفاصح، أو امتحان المفتي وتعجيزه، أو الخوض فيما لا يحسنونه، وإثارة الأحقاد والفتن بين النَّاس، أو نحو ذلك، فكنتُ أضرب عنها

QaradawiBooks.com

صفحًا، ولا ألقي لها بالًا، لأنَّها تضرُّ ولا تنفع، وتهدم ولا تبني، وتُفرِّق ولا تُجمِّع.

كان بعض النَّاس يبعثون بأسئلة تتضمن ألغازًا شرعيَّة يريدون حلَّها من مثل: «نوى ولا صلَّى، وصلَّى ولا نوى» و«قوم كذبوا ودخلوا الجنَّة، وقوم صدقوا ودخلوا النَّار» وأشباه ذلك، فكان ردِّي عليها الإلقاء في سلَّة المهملات؛ لأن الاشتغال بمثل هذه المسائل من عمل الفارغين.

ومثل ذلك الأسئلة الَّتي تتعلق بالأمور الغيبية، ممَّا لم يجئ بتحديده نصٌّ معصوم. ومثل ذلك غوامض المسائل الدينية والعقائدية الَّتي لا تحتملها الطاقة العقليَّة المعتادة لجمهور النَّاس، ويخشى من الخوض فيها ـ سؤالًا وجوابًا ـ التشويش على الكثيرين.

فهذا أيضًا ممَّا لا أعتني بالإجابة عنه إلَّا إزالة لشبهة، أو ردًّا لفرية، أو تنبيهًا على قاعدة، أو تصحيحًا لفهم، أو نحو ذلك.

ومما قاله في ذلك الإمام شهاب الدين القرافي: «ينبغي للمفتي إذا جاءته فُتيا في شأن رسول الله ﷺ، أو فيما يتعلَّق بالربوبيَّة، يُسأل فيها عن أمورٍ لا تصلح لذلك السَّائل لكونه من العوامِّ الجُلف، أو يسأل عن المعضِلات ودقائق الديانات ومتشابه الآيات، والأمور الَّتي لا يخوضُ فيها إلَّا كبارُ العلماء، ويعلم أنَّ الباعث له على ذلك إنَّما هو الفراغ والفضول، والتصدِّي لما لا يصلح له، فلا يُجِيبه أصلًا. ويظهر له الإنكار على مثل هذا، ويقول له: اشتغل بما يُعنيك من السُّؤال عن صلاتك وأمور معاملاتك، ولا تخُض فيما عساه يُهلكُك، لعدم استعدادك له.

وإن كان الباعث له شُبهة عرضت له: فينبغي أن يُقبل عليه، ويتلطَّف به في إزالتها عنه بما يصل إليه عقله، فهداية الخلق فرضٌ على من سُئل.

QaradawiBooks.com

قال: والأحسن أن يكون البيان له باللفظ دون الكتابة، فإنَّ اللسان يُفهِم ما لا يُفهِم القلم؛ لأنَّه حيٌّ، والقلم مَوَاتٌ. فإنَّ الخلقَ عباد الله، وأقربهم إليه أنفعهم لعباده، ولا سيَّما في أمر الدِّين وما يرجع إلى العقائد»[١].

وكثيرًا ما كنتُ أطلب من صاحب السُّؤال إذا أحسستُ جدِّيَّته، وخشيتُ على جمهور المستمعين أو المشاهدين التشويش: أن يلقاني على انفراد، لأستطيع أن آخذ معه وأعطي، بلا حرجٍ ولا خشية.

ومن الأسئلة الَّتي لم أكنْ أعبأ بها: ما يتعلَّق بالمفاضلة بين آل البيت والصحابة رضي الله عنهم، وما شجر بينهم من خلاف، ونحو ذلك؛ ممَّا لا طائل تحته. وقد أفضى الجميع إلى ربِّهم، وقضى الله ما كان.

سُئل الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز عن قتال أهل صِفِّين، فقال: تلك دماءٌ كفَّ اللهُ عنها يدي، فلا أحبُّ أن يُلطِّخ بها لساني[٢].

ومن الأسئلة الَّتي يحرص بعض النَّاس على إثارتها، وتلقيتُ في شأنها أكثر من رسالة: أيُّهما أفضل عند الله: أبو بكر أم عليٌّ؟ وأيُّهما كان أحقَّ بالخلافة بعد رسول الله ﷺ؟ وأيُّهما أفضل: فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ أمْ عائشة أمُّ المؤمنين زوج رسول الله ﷺ؟

ومثل ذلك: المفاضلة بين الأنبياء، مثل إسماعيل وإسحاق، أو موسى وعيسى!

---

(١) الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام للقرافي صـ ٢٨٦، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدَّة، نشر دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ٢، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١١٤/٩)، نشر دار السعادة، القاهرة، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أســئلة لا يترتَّب على العلم بها قوَّة في ديــن، ولا نهضة في دنيا، ومَن جهــل الجواب عنها فلا إثم عليــه، ومن كوَّن فــي كلٍّ منها رأيًا فهيهات أن يتنازل عنه!

ولقد قلتُ فــي بعض إجاباتي عن مثلها: إنَّها أشــبه بموضوعات الإنشاء الَّتي كان معلمونا ـ ونحن تلاميذ صغار ـ يكلِّفوننا الكتابة فيها تدريبًا للقلم، وشــحذًا للملكات، مثل: المفاضلة بين الليل والنهار، وبين الصيف والشتاء، وبين الأرض والسماء، وبين القطار والسفينة، وغير ذلك ممَّا لا معنى للمفاضلة بين بعضها وبعض، عند أهل البصر والبصيرة.

إنَّ الله تعالــى ورســوله عابا علــى بني إســرائيل كثرة أســئلتهم، واختلافهم على أنبيائهم، وسؤالهم فيما لا ضرورة إليه، ولا فائدة منه إلَّا إعنات أنفســهم. وفي هذا ذكر الله تعالــى لنا قصَّة ذبــح البقرة، وكثرة أســئلتهم فيها دون حاجة، ولو أخذوا أيَّ بقرة فذبحوها لكانوا ممتثِّلين للأمر، ولكنْ شــدَّدوا، فشــدَّد الله عليهم. وما ذكر الله لنا هذه القصة إلَّا لتكون لنا عظة وعبرة.

ومن الأسئلة الَّتي أعرضت عنها: ما يتعلَّق بتفسير الرؤى والأحلام.

وقد أعلنــتُ غير مرة: أن مهمَّتي بيان الأحكام، لا تفســير الأحلام. وذلك أنَّ الأحكام لها أصــول يحتكم إليها، ومصادر يرجــع إليها. أمَّا الأحلام فلا ضابط لها ولا قاعدة، ويختلف تأويلها باختلاف الأشخاص والأحوال والأزمان.

وعلى العموم هي تخمين وظنٌّ، إلَّا من وهبه الله الفراســة في ذلك، وعلَّمه تأويل الأحاديث: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ [يوسف: ٤٤].

QaradawiBooks.com

وطالما قلتُ للسائلين في ذلك: أنا لستُ يوسف الصديق، وإنَّما أنا يوسف القرضاوي! ويوسف الصديق خصَّه الله بذلك، وعلَّمه ما لم يُعَلِّمه غيره.

والحقيقة أنِّي لا أحسن ذلك، ولست حريصًا على أن أحسنه، فإن ذلك ـ لو كان ـ جدير أن يلتهم وقتي كله، لأن أحلام النَّاس لا تنتهي، واهتمامهم بتفسيرها لا يتوقف، وبخاصَّة النساء اللاتي تشغل الأحلام والرؤى من حياتهن وتفكيرهن حيزًا غير ضئيل.

خامسًا: الاعتدال بين المتحلِّلين والمتزمِّتين:

ومن خصائص المنهج الَّذي سرت عليه: التزام رُوح التوسُّط دائمًا، والاعتدال بين التَّفريط والإفراط، بين الَّذين يريدون أن يتحلَّلوا من عُرى الأحكام الثابتة؛ بدعوى مسايرة التطوُّر من المتعبِّدين بكلِّ جديد، والذين يريدون أن يظلَّ كلُّ ما كان على ما كان، من الفتاوى والأقاويل والاعتبارات، تقديسًا منهم لكلِّ قديم.

عبيد التطوُّر:

أمَّا الأوَّلون فهم لا يريدون أن يبقى شيءٌ على حاله، ولا يستمرَّ وضعٌ كما كان وأن يغيِّروا كلَّ شيء، بحُجَّة أنَّ العالم يتطوَّر، والحياة تتغيَّر، وهم الَّذين سخر منهم بعض الأدباء بأنَّهم يريدون أن يغيروا الدِّين واللُّغة والشَّمس والقَمَر[1]!

الرِّبَا كان حرامًا في الزمن الماضي؛ لأنَّ آخِذ الرِّبا ـ المُرابي ـ كان هو القويَّ الغنيَّ، ومعطي الرِّبا كان هو الضعيفَ المحتاج.

(١) هو مصطفى صادق الرافعي على غلاف كتابه: تحت راية القرآن.

QaradawiBooks.com

أمَّا الآن، فآخذ الرِّبا هو العامل أو الموظف الضعيف الَّذي يدخر من دخله دراهم معدودة يودعها في البنك، ليأخذ عليها فائدة محدَّدة، والبنك الَّذي يعطيه الفائـــدة هو الغنيُّ القويُّ، الَّـــذي يربح من وراء إيداعه الكثير!

وإذن يقضـــي التطوُّر بتبديل الحكـــم في الرِّبا الَّـــذي اعتبره القرآن والسُّنَّة من أكبر الكبائر، وأعظم الموبقات، وآذن القرآنُ فاعلَه بحربٍ من الله ورسوله!

وهذا أمر لا يسيغه عقل، ولا يســـمح به نقل: أن ينتقل فعلٌ تكليفيٌّ ما من دائـــرة المحرمات المنصوصـــة، بل الكبائر المعلومـــة، إلى دائرة المباحات المشروعة.

أما المقدِّمات الَّتي اســـتند إليهـــا هؤلاء التطوُّريون فغير مُسَـــلَّمة، وقائمة على المغالطات فمن أيـــن لهم أنَّ علَّة تحريم الرِّبا تنحصر فيما ذكروه وصوَّروه؟

إنَّ تحريم الرِّبا له أكثر من وجه، وأكثر مـــن علَّة، بعضُها اقتصاديٌّ، وبعضها اجتماعيٌّ، وبعضها سياســـيٌّ، وبعضها أخلاقيٌّ، وقد شرح ذلك أهل الاختصاص في كتبٍ ورســـائلَ وبحوثٍ شـــتَّى، ينبغي لكلِّ معنيٍّ بالموضوع الرجوع إليها.

وتصوير آخذ الرِّبا من البنك بأنَّه الضعيف المســـتفيد، ليس تصويرًا صحيحًا على إطلاقه.

فكم من أصحاب ملايين، يُودعون في البنوك أموالهم لعدَّة ســـنين، فيأخذون فوائد أكبر؛ لأنَّ المبالغ كلَّما كَبُرت، ومدة الإيداع كلَّما طالت، كانت الفائدة أكثر.

QaradawiBooks.com

أمَّا الضعيفُ المحتاج، فلا يُودع ـ إنْ أودع ـ إلَّا مبالغَ تافهة، وفائدته عليها أقلُّ، واستفادة البنك منه أكبر. وهو لا يأخذ من البنك المستغِلِّ إلَّا الفتات من الرِّبْح العريض.

فتصوير هذا بأنَّه هو المستفيد تصويرٌ غيرُ عادل!

ومن العجيب أنَّ من المشتغِلِين بالفتوى، من يتولَّى تبريرَ الفوائد باسم الفقه، في حين يردُّ عليهم فتاويهم أساتذة «مدنيُّون» باسم علم الاقتصاد الحديث، ومنطقه ذاته[1].

لقد ذكرت هذا المثال نموذجًا لما يُفتي به المتعبِّدون لصنم التطوُّر، والذين يزعمون لأنفسهم الاجتهاد ليغيِّروا أحكامَ الله القطعيَّة.

ومن المقرَّر المعلوم أنَّ القطعيَّات لا يحلُّ الاجتهاد فيها، وإنَّما الاجتهاد في الظنيَّات.

ومما يحسن تسجيله هنا من مظاهر العبودية لما يسمُّونه «التطوُّر» ما ذكره رئيس عربي، في خطاب عامٍّ له، عن المساواة بين الرجل والمرأة قال فيه:

«أريد أن ألفت نظركم إلى نقصٍ سأبذل كلَّ ما في وُسعي لتداركه، قبل أن تصل مهمَّتي إلى نهايتها. وأريد أن أُشير بهذا إلى موضوع المساواة بين الرجل والمرأة، وهي مساواة متوفِّرة في المدرسة، وفي العمل، وفي النَّشاط الفلاحي، وحتَّى في الشُّرطة ولكنَّها لم تتوفَّر في الإرث، حيث بقي للذكر مثل حظِّ الأُنثيَيْن.

(١) انظر: وضع الربا في البناء الاقتصادي للدكتور عيسى عبده صـ ١٠٢ وما بعدها، نشر دار الاعتصام، القاهرة، ط ٢، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إنَّ هذا المبدأ يجد ما يبرِّره عندما يكون الرجـل قوَّامًا على المرأة. وقد كانت المرأة بالفعل في مستوًى اجتماعيٍّ لا يسمح بإقرار المساواة بينها وبين الرجل.

فقد كانت البنتُ تُدفَنُ حيَّـة، وتُعامل باحتقار، وها هي اليوم تقتحم ميدان العمل، وقد تضطلع بشؤون أشقائها الأصغر منها سنًّا. فهلَّا يكون من المنطق أن نتوخَّى طريق الاجتهاد في تحليلنا لهذه المسألة، وأن ننظر في إمكان تطوير الأحكام الشرعيَّة بحسَب ما يقتضيه تطوُّر المجتمع؟

وقد سـبق لنا أنْ حَجَرْنا تعدُّد الزوجات بالاجتهاد في مفهوم الآية الكريمة، وباعتبار أنَّ الإسـلام يجيز للإمام تعطيـل العمل المباح إذا دعت إلى ذلـك مصلحة الأمـة. ومن حـق الحكام بوصفهـم أمراء المؤمنين: أن يطوروا الأحكام بحسَـب تطوُّر الشـعب، وتطوُّر مفهوم العدل ونمط الحياة»[1]!

المتزمِّتون في الفتوى:

وفي مقابـل هؤلاء «العصريِّيـن» أو «التقدميِّين» الَّذيـن يريدون أن يحلِّلوا كلَّ شـيءٍ بحُجَّة «التطوُّر» وتغيُّر الزَّمان، ومرونة الشَّريعة إلخ.. نجد آخرين يريدون أن يحرموا على النَّاس كلّ شـيء؛ فأقرب شيء إلى ألسـنتهم وأقلامهم إطلاق كلمة «حرام» دونَ مراعـاة لخطورة الكلمة، ودون تقديم الأدلَّة الشافية من نصوص الشرع وقواعده سندًا للتحريم.

(١) الحبيب بورقيبة في خطاب ألقاه في ١٨ مارس ١٩٧٤م، في دار الثقافة ابن خلدون بالعاصمة، في افتتاح الملتقى الدولي للثقافة الذاتية والوعي القومي. وقد نشـر تحت عنوان: الإسلام دين عمل واجتهاد. وقـد رددنا على هذا القول الأعوج المتهافت فـي كتابنا: الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، نشر دار القلم، ط ٣، ١٩٩٩م، فليرجع إليه.

QaradawiBooks.com

فعمل المرأة حرام، والغناء حرام، والموسيقا حرام، والتمثيل حرام، والتليفزيون حرام، والسينما حرام، والتصوير كلُّه حرام، والشركات المساهمة حرام، والجمعيات التعاونية حرام، والحياة كلها اليوم حرام في حرام!

هذا مع تحذير القرآن والسُّنَّة والسَّلف الصالح من إطلاق كلمة «الحرام» إلَّا ما عُلم تحريمه جزمًا من كتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ.

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩].

ويقول: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

قال الإمام ابن القيِّم: «لا يجوز للمفتي أن يشهد على الله ورسوله بأنَّه أحلَّ كذا أو حرمه، أو أوجبه أو كرهه، إلَّا ممَّا يعلم أن الأمر فيه كذلك، ممَّا نصَّ الله ورسوله على إباحته أو تحريمه، أو إيجابه أو كراهته.

وأمَّا ما وجده في كتابه الَّذي تلقَّاه عمَّن قلَّده دينَه، فليس له أن يشهد على الله ورسوله به، ويقرُّ النَّاس بذلك، ولا علم له بحكم الله ورسوله.

قال غير واحد من السَّلف: ليحذرْ أحدكم أن يقول: أحلَّ اللهُ كذا، أو حرَّم الله كذا، فيقول الله له: كذبتَ، لم أحلَّ كذا، ولم أحرِّمْه.

وثبت في صحيح مسلم من حديث بُرَيْدة بن الحَصِيب: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**وإذا حاصرت حصنًا، فسألوك أن تُنزلهم على حُكم الله ورسوله، فلا تُنزلهم على حُكم الله ورسوله، فإنَّك لا تدري أتصيبُ حكمَ الله فيهم أم لا؟ ولكنْ أنزلْهم على حكمِك وحكمِ أصحابك**»[(١)(٢)].

(١) رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٣١)، وأحمد (٢٣٠٣٠).

(٢) إعلام الموقِّعين (١٣٤/٤).

QaradawiBooks.com

وقال الإمـــام مالك: «لم يكن من أمر النَّاس، ولا من مضى من ســـلفنا الَّذيـــن يُقتدى بهم، ويعوِّل الإســـلام عليهم؛ أن يقولوا: هـــذا حلالٌ، وهذا حرام. ولكن يقول: أنا أكره كذا، وأحبُّ كذا. وأمَّا حلالٌ وحرامٌ فهذا الافتراء على الله، أَمَا سمعت قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩]؟! لأن الحلال ما أحلَّه اللهُ ورسوله، والحرامُ ما حرَّمه الله ورسوله»[1].

نهْجي الوسطيَّة في الإفتاء:

وأؤكد أنِّي مســـتمرٌّ في منهجي الَّذي آمنت به، وارتضيتُه لنفسي في الدعوة والتثقيف والتربية والإفتاء، وهو منهج «الوسطيَّة» الَّتي ميَّز الله بها هذه الأمة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. فلا أجنح إلى الغلوِّ والتنطُّع، فقد هلـــك المتنطِّعون، ولا أميل إلى التفريط والتســـيُّب، فإنَّ الدِّين بين الغالي فيه والجافي عنه المفرِّط فيه.

والخير كلُّ الخير في التوازن والاعتدال الَّذي دعا إليه القرآن: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٨، ٩]. الوسطيَّة بين الطغيان والإخسار في الميزان.

وقد قـــرأت كلماتٍ نيِّرة للإمام أبي إســـحاق الشَّـــاطبيِّ في هذا المعنى زادتني يقينًـــا بالمنهج الَّـــذي اخترته، واستمســـاكًا بعُروته الوُثقى، والَّذي أعتبر الاهتداء إليه فضـــلًا من الله تعالى عليَّ، وكان فضلـــه علينا عظيمًـــا، ونعمه لا تعـــدُّ ولا تحصى، جعلنـــا الله أهلًا لشكرها، وزادنا منها.

(١) ترتيب المدارك للقاضي عياض (١٨١/١)، تحقيق ابن تاويت الطنجي وآخرين، نشـــر مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، ط١.

QaradawiBooks.com

يقول الشَّـاطبيُّ: «المفتي البالغُ ذروةَ الدرجةِ هو الَّذي يحمل النَّاس على المعهود الوسط فيما يليق بالجمهور، فلا يذهب بهم مذهب الشدَّة، ولا يميل بهم إلى طرف الانحلال»[١].

والدليل على صحَّـة هذا أنَّه الصِّراط المسـتقيم، الَّـذي جاءت به الشَّريعة، فإنَّه قد مرَّ أنَّ مقصد الشارع من المكلَّف الحمل على التوسُّط، من غير إفراطٍ ولا تفريط، فإذا خرج عن ذلك في المسـتفتِين خرج عن قصد الشـارع، ولذلك كان ما خرج عن المذهب الوسـط مذمومًا عند العلماء الرَّاسخين.

وأيضًـا[٢] فإنَّ هـذا المذهـب كان المفهوم من شـأن رسـول الله ﷺ وأصحابـه الأكرمين، وقد ردَّ عليه الصلاة والسلام التبتُّل[٣]، وقال لمعاذ لما أطال بالنَّاس في الصَّلاة: «**أفَتَّانٌ أنت يا معاذ**»[٤]. وقال: «**إنَّ منكم منفِّرين**»[٥]. وقال: «**سدِّدوا، وقاربوا، واغْدوا ورُوحوا، وشـيء من الدُّلْجة، والقصـدَ القصدَ تبلغوا**»[٦]. وقال: «**عليكـم من العمـل ما تُطيقون، فـإنَّ اللهَ لا يملُّ حتَّـى تملُّوا**»[٧].

---

(١) انظر: الموافقات للشاطبي (٢٥٨/٤)، تحقيق عبد الله دراز، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٢) دليل ثانٍ غير اسـتدلاله بالقاعدة الأصولية التي تقدمت له في: كتاب المقاصد في المسألة الثانية عشرة من النوع الثاني. انظر: تعليق د. دراز.

(٣) أيْ: على جماعة من أصحابه طلبوا منه ذلك، كما في حديث سعد بن أبي وقاص، يقول: ردَّ رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أذن له لاختصينا. متَّفقٌ عليه: رواه البخاري (٥٠٧٣)، ومسلم (١٤٠٢)، كلاهما في النكاح.

(٤) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الأذان (٧٠٥)، ومسلم في الصلاة (٤٦٥)، عن جابر بن عبد الله.

(٥) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الأذان (٧٠٢)، ومسلم في الصلاة (٤٦٦)، عن أبي مسعود.

(٦) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٦٣)، ومسـلم في صفـات المنافقين (٢٨١٦)، عن أبي هريرة.

(٧) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري (١٩٧٠)، ومسلم (٧٨٢)، كلاهما في الصيام، عن عائشة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقال: «**أحبُّ العملِ إلى الله ما داوم عليه صاحبُه وإن قلَّ**»[١].. وردَّ عليهم الوصال[٢]. وكثير من هذا.

وأيضًا فإنَّ الخروج إلى الأطراف خارج من العدل، ولا تقوم به مصلحة الخلق: أمَّا في طرَفِ التَّشديد فإنَّه مَهْلكة، وأمَّا في طَرَف الانحلال فكذلك أيضًا، لأنَّ المستفتي إذا ذُهب به مذهب العنت والحَرج بُغِّض إليه الدِّين، وأدَّى إلى الانقطاع عن سلوك طريق الآخرة، وهو مشاهد، وأمَّا إذا ذُهِب به مذهب الانحلال كان مظنَّة للمشي مع الهوى والشَّهوة، والشرع إنَّما جاء بالنهي عن الهوى، واتباع الهوى مهلك والأدلَّة كثيرة[٣].

فعلى هذا يكون الميل إلى الرخص في الفُتْيا بإطلاق مضادًّا للمشي على التوسُّط، كما أن الميل إلى التشديد مضادٌّ له أيضًا.

وربَّما فهم بعض النَّاس أن ترك الترخُّص تشديد، فلا يجعل بينهما وسطًا وهذا غلط، والوسط هو معظم الشَّريعة وأم الكتاب. ومن تأمَّل موارد الأحكام بالاستقراء التامِّ عرف ذلك. وأكثر من هذا شأنه من أهل الانتماء إلى العلم يتعلَّق بالخلاف الوارد في المسائل العلميَّة، بحيث يتحرَّى الفتوى بالقول الَّذي يوافق هوى المستفتي، بناء منه على أنَّ الفتوى بالقول المخالف لهواه تشديدٌ عليه، وحرج في حقِّه، وأنَّ الخلاف إنَّما كان رحمة لهذا المعنى، وليس بين التشديد والتخفيف واسطة. وهذا قلب للمعنى المقصود في الشَّريعة. وقد تقدَّم أنَّ اتِّباع الهوى ليس من المشقات الَّتي

(١) جزء من الحديث السابق.
(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري (١٩٦٦)، ومسلم (١١٠٣)، كلاهما في الصوم، عن أبي هريرة.
(٣) انظر: الموافقات (٢٥٨/٤، ٢٥٩).

QaradawiBooks.com

يترخص بسببها، وأنَّ الخلاف إنَّما هو رحمة من جهة أخرى، وأن الشَّريعة حمل على التوسُّط: لا على مطلق التخفيف، وإلا لزم ارتفاع مطلق التكليف من حيث هو حـرج ومخالف للهـوى، ولا على مطلق التشـديد. فليأخذ الموفق في هذا الموضوع حذره، فإنَّه مَزِلَّةُ قَدَمٍ على وضوح الأمر فيه[١].

سادسًا: إعطاء الفتوى حقها من الشرح والإيضاح:

إنَّني لا أرضى أبـدًا طريقة بعض العلماء قديمًـا وحديثًا في جواب السَّائلين: بأنَّ هذا يجوز وهذا لا يجوز، وهذا حلال وهذا حرام، أو حقٌّ وباطـل، طلبًا للاختصـار، وعدولًا عـن الإطالـة، ليفرق بيـن الفُتْيا والتَّصنيف. وإلا لصار المفتي مدرسًا.

حتى ذكر ابن حمدان في كتابه «صفة الفتوى والمفتي والمسـتفتي» أنَّ بعض الفقهاء قيل له: أيجوز كذا؟ فكتب: لا[٢]!

وهذا إنْ جاز مع بعض الأشخاص، وفي بعض الأحوال، لا يجوز أن يكون قاعدة فيما يُذاع علـى جمهور النَّاس، أو يكتـب في صحيفة أو مجلة أو كتاب، يقرؤه الخاصَّـة والعامَّة. والحق أنِّي أعتبر نفسـي عند إجابة السّائلين: مفتيًا، ومعلِّمًا، ومصلِحًا، وطبيبًا، ومرشدًا.

وهذا يقتضي أنَّ أبسُـط بعض الإجابات وأوسـعها شرحًا وتحليلًا، حتَّى يتعلَّم الجاهل، ويتنبَّه الغافل، ويقتنع المتشـكِّك، ويثبُت المتردِّد، وينهزم المكابِر، ويزداد العالم علمًا، والمؤمن إيمانًا.

---

(١) الموافقات (٤/٢٥٨ ـ ٢٦٠).

(٢) صفة الفتوى والمفتي والمستفتي لابن حمدان صـ ٦١، تحقيق الشيخ الألباني، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٣٩٧هـ.

QaradawiBooks.com

ولا بأس أن أسجِّل أهمَّ الخطوات الَّتي كنتُ أتَّبِعُها في الشرح والبيان. وقد أشرت إلى بعضها فيما سبق.

١ ـ أنَّ الفتوى لا معنى لها إذا لم يُذكر معها دليلها، بل جمال الفتوى ورُوحها الدليل، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية[١]. وقد يحتاج الأمر إلى مناقشة أدلَّة المخالفين عند اللزوم في المسائل الهامَّة؛ ليسلمَ ذهن السَّائل من تشويش المعارضات.

٢ ـ ثم إنَّ ذكر الحكمة والعلة أمر لا يُستغنى عنه، وخصوصًا في عصرنا، كما بيَّنَّا ذلك من قبل. وإلقاء الفتوى ساذجة مجرّدة من حكمة التشريع، وسرِّ التحليل والتحريم يجعلها جافَّة، غير مستساغة لدى كثير من العقول، بخلاف ما إذا عُرف سرُّها وعلَّة حُكمها، وقد قيل: إذا عُرف السّبب بطل العجب!

٣ ـ ومما أجده نافعًا في أحوال كثيرة: المقارنة أو الموازنة بين موقف الإسلام في القضية المسؤول عنها، وموقف غيره من الأديان أو المذاهب والفلسفات، فقديمًا قال الشاعر:

والضدُّ يُظهر حسنَه الضدُّ[٢]

وقال آخر:

وبضدِّها تتميَّزُ الأشياءُ[٣]

---

(١) أشار لذلك ابن القيم في كتابه إعلام الموقِّعين (٢٠٠/٤).

(٢) من شعر المنبجي، كما في شرح ديوان المتنبي للعكبري (٢٢/١)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٣) شطر بيت للمتنبي، انظر: شرح ديوان المتنبي للعكبري (٨١/١)، غير أن فيه: (تتبين) بدل (تتميز).

QaradawiBooks.com

والَّذي أؤكده وأنا منشــرِحُ الصَّدر، مطمئنُّ القلب: أن الَّذي يدرس الإسلام دراســةً عميقة، ثم يدرس غيرَه من الأديان السَّماوية المنسوخة، والفلســفات الأرضية الممسوخة، يتبيَّن له أنَّ الإســلام لا يمكن إلَّا أن يكون منهج الله الخالــد، ونظامه الكامل، فلا وجــه للمقارنة بينه وبين مناهج البشر وأنظمتهم، الَّتي ينضح عليها قصورهم وأهواؤهم ونزعاتهم ونقصهم الذاتي.

وأين ما يصنع الإنسان ممَّا يخلق الله؟

ألم تــر أنَّ السَّــيفَ ينقُصُ قدرُه إذا قيل هذا السّيفُ أمضى من العَصا[1]

ومن خطَّتي كذلــك: التمهيد للحكم المســتغرَب بما يجعله مقبولًا لدى السَّــائلين، وقد ذكــر ابن القيِّــم أنَّ الحكم إذا كان ممَّــا لم تألفه النفوس، وإنَّما ألفت خلافه، فينبغي للمفتي أن يوطئ قبله ما يكون مؤذنًا به، كالدليل عليه، والمقدمة بين يديه[2].

وهذه هي سُــنَّة الله تعالى في كتابه العزيز. ولهذا نقرأ فيه قصَّة مريم في ســورة آل عمران، وكيف كان رزقها يأتيها في غير وقته، وغير إبانه. حتَّى عجب زكريا وقــال: ﴿يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [آل عمــران: ٣٧]. وكان هذا تمهيــدًا لقصَّةِ زكريا وزوجه، وكيف رزقهما الله يحيى، وهو شيخٌ كبير وامرأته عاقر.

كان رزق مريم الَّذي جاء في غير إبَّانه محرِّكًا لنفس زكريا، ليدعو الله بطلب الولد، وإن كان في غير إبَّانه.

---

(١) من شعر الكُمَيت بن زيد. انظر: الدر الفريد وبيت القصيد لابن أيدمر المستعصمي (١٥٧/٤)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م.

(٢) انظر: إعلام الموقِّعين (١٢٥/٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وكانت قصَّة زكريا أيضًا مقدِّمة بين يدي قصَّة المسيح وولادته من غير أب، فإنَّ النفوس لما أنست بولدٍ من شيخين كبيرين لا يولد لمثلهما عادة، سهل عليها التصديق بولادة ولد من غير أبٍ.

هذا مع أنَّ لله تعالى أن يخلق ما يشاء، ويفعل ما يشاء، ولكنَّه تعالى رحيم ودود، يأخذ عباده بالرفق، ويهديهم للتي هي أقوم، بالتي هي أحسن.

٤ ـ ومن الفتاوى ما يحرِّم على المستفتي أمرًا كان يظنُّ إباحته، أو يريده ويتمنَّاه لحاجة إليه، أو تعلُّقه به، فينبغي هنا أن يدلَّ على البديل الحلال، ما دُمْنا قد سَدَدْنا في وجهه طريق الحرام. وما من شيءٍ حرَّمه الله إلَّا وفيما أحلَّه ما يغني عنه[1].

فمن سألنا عن إيداع المال في المصارف (البنوك) بالفوائد الربوية منعناه منها، حتَّى لا يأذن بحرب من الله ورسوله، ودللناه على المضاربة المشروعة، وهي أن يشترك اثنان أو جماعة في تجارة أو صناعة، بعضهم بالمال، وبعضهم بالخبرة والجهد، ويتقاسمون الربح أو الخسارة على حسَب ما يتَّفقون.

ومن سأل عن الاستخارة بفتح الكتاب، أو الخطِّ على الرمل، أو نحو ذلك، بيَّنا له حرمته، ودللناه على الاستخارة الشرعيَّة، وهي صلاة ركعتين، يعقبها بالدعاء المأثور المعروف.

ومن سأل عن صيام يوم الجمعة بيَّنَّا له كراهة إفراده، ودللناه على استحباب صوم يومي الاثنين والخميس، أو الثلاثة الأيام البيض من كلِّ شهر.

(١) انظر كتابنا: الحلال والحرام في الإسلام صـ ٣٦، الباب الأول، تحت عنوان: في الحلال ما يغني عن الحرام، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

ومن سأل عن صرْف الزكاة في بناء مسجد في بلاد عامرة بالمساجد، بيّنا له الحكم، ودللناه على مصارف أهم منه للأُمَّة مثل: نشر الدعوة الإسلامية والوعي الإسلامي، ومقاومة المخطَّطات الصليبيَّة واليهوديَّة والشيوعيَّة لطرد الإسلام من الحياة. فهذا هو مصرِف «في سبيل الله» في عصرنا كما بيَّنت ذلك في كتابي «فقه الزكاة».

وهكذا حين نُحَرِّم شيئًا أو نمنع من شيء، ندلُّ على بديلٍ مثلِه أو خيرٍ منه.

وما حرم الله شيئًا يضطر النَّاس إليه، أو يحتاجون إليه حاجة حقيقية، بل لو اضطروا إلى الحرام لعاد حلالًا، فإنَّما أحلَّ الله الطيبات، وحرم الخبائث. ولهذا لا يوجد حرام ممنوع، إلَّا وله في الواقع بديلٌ مباحٌ بيقين!

وهذا ما ينبغي للمفتي أن يرشد إليه، ويدلَّ عليه، فذلك من فقهه ونصحه. قال العلَّامة ابن القيِّم: «وهذا لا يأتي إلَّا من عالمٍ ناصح مُشْفِق، قد تاجر اللهَ، وعامله بعلمه، فمثاله في العلماء مثال الطبيب العالم الناصح في الأطباء، يحمي العليل عمَّا يضرُّه، ويصف له ما ينفعه. فهذا شأن أطباء الأديان والأبدان»[(١)].

وفي الصحيح، عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**ما بعث الله من نبي إلَّا كان حقًّا عليه أن يدلَّ أُمَّته على خير ما يَعْلَمه لهم، وينهاهم عن شرِّ ما يَعْلَمه لهم**»[(٢)].

وهذا شأن خلفاء الرسل وورثتهم من بعدهم. وكان شيخ الإسلام يتحرَّى ذلك في فتاويه مهما أمكنه، ومن تأمَّل فتاويه وجد ذلك ظاهرًا فيها.

---

(١) إعلام الموقِّعين (١٢٢/٤).

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٨٤٤)، وأحمد (٦٧٩٣)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

وقد منع النَّبيُّ ﷺ بلالًا أن يشتري صاعًا من التمر الجيد بصاعَيْن من الرديء؛ سدًّا للذريعة إلى الربا، في أيِّ صورة من صوره، ثم أمره أن يبيع الرديء الَّذي عنده بالدراهم، ثم يشتري بالدراهم الجيِّد الَّذي يريده. فمنعه من المحظور، وأرشده إلى المباح.

٥ ـ وممَّا يحتاج إليه المفتي كثيرًا: ربط الحُكم المسؤول عنه بغيره من أحكام الإسلام، حتَّى تتَّضح عدالته، وتتبيَّن رَوْعته، فإن أَخْذ الحكم منفصلًا عن غيره، قد لا يعطي الصورة المضيئة لعدل الإسلام، ومحاسن شرعه.

أذكر من أمثلة ذلك: إعطاء البنتِ نصفَ نصيبِ أخيها الذَّكَر من ميراث أبيها.. فمن أخذ هذا الحكم وحده، ربَّما ظنَّ في ذلك إجحافًا بالبنت لأول وهلة. ولكن إذا نظر نظرة شاملة للأعباء العائلية، والالتزامات المالية المنوطة بكلّ من الابن والبنت، رأى في هذا التشريع العدل كلّ العدل، لأنَّ العدل ليس هو المساواة دائمًا، بل هو التكافؤ بين الحقوق والواجبات.

إنَّ على الابن إذا أراد أن يتزوَّج، أن يدفع مهرًا لمن يتزوجها، وعليه أن يقوم بنفقتها كلها، وإن كانت ذات مال وثروة!

أمَّا البنت فحين تتزوَّج تأخذ ولا تدفع، وتعيش في كفاية تامَّة من مال زوجها.

وبهذا نجد ميراث الابن يتناقص بحكم أعبائه، وميراث البنت يبقى سالمًا، إن لم يزد. بكلمة أخصر: الابن مطلوب منه أن ينفق على امرأة معه، فضلًا عن الأولاد، أمَّا البنت فليس مطلوبًا منها أن تنفق على أحد، ولو افترضنا أن لا عائل لها، فهي تنفق على نفسها فقط.

QaradawiBooks.com

وبهذا لا يكون صِنْفُ النِّساء مظلومًا؛ لأنَّ النسبة الَّتي نقصت من حظِّ الأنثى، أُنفِقت على أنثى مثلِها، هي امرأة أخيها. وهذا هو عدل الله.

ومثل ذلك: قطع يد السَّارق؛ فربَّما نظر ناظر إلى هذه العقوبة مجرَّدة، فاعتبرها جدَّ قاسيةٍ؛ ولكنْ إذا علم أنَّ الإسلام يضمن لأبنائه العيش الكريم، والكفاية التامَّة أولًا، لهذا فرض التكافل الاجتماعيَّ من الزكاة وغيرها من موارد بيت المال.. وعلم أنَّ العِلْم في الإسلام فريضة، وحُسن التربية واجب، وأن السَّارق لا تُقطع يده إلَّا بشروط وقيود كثيرة؛ منها: أن تنتفي كلَّ شُبهة في ثبوت الجريمة، وإلا فإنَّ الحدود تُدرأ بالشبهات. ومن الشُّبهات أن يسرق في أيام المجاعة، أو يسرق بدافع الحاجة، أو يسرق من مالٍ له فيه شُبهة مِلْك، أو غير ذلك ممَّا يدرأ عنه العقوبة.

على أنَّ الشَّفاعة في الحدود ممكنة ما لم تصل إلى القضاء، ودرؤها ممكن ولو بعد الوصول إلى القضاء، إذا بدت على السَّارق دلائل التَّوبة.

ومهما يكن في هذه العقوبة من شدَّة، فإنَّ أشد منها ترويع السَّارقِ لأمن المجتمع كلِّه، وقسوته على ضحاياه إلى حدِّ قتل البرآء في عُقْر دارهم.

من نظر هذه النظرة الشاملة، آمن بأن شرع الله هو الدواء الناجع، والعقاب العادل، ﴿نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

٦ ـ وقد يحتاج المفتي في بعض الأحيان إلى ترك الإجابة عن سؤال السّائل، لعدم أهميته.. مثل سؤال بعضهم عن القرآن: أهو مخلوق أم غير مخلوق؟

فهذا سؤالٌ لا وزن له في هذا العصر، ولا حاجة إلى إثارته، وقد مضى زمنٌ أصاب المسلمين من ورائه شرٌّ مستطير، ومحنة عظيمة أوذي فيها علماء المسلمين وخيارهم، وعلى رأسهم إمام أهل السُّنَّة: أحمد بن حنبل رضي الله عنه.

QaradawiBooks.com

فإحياء هذه المشكلة التاريخية لا معنى له، ولا جدوى منه، إلَّا إهدار الطاقات الفكرية للأُمَّة في جدل بيزنطيٍّ كما يقولون!

فكان الأولى بالسَّائل عن هذا أن يسأل عن وجه إعجاز القرآن ـ مثلًا ـ ليقنع غير المسلمين بأنَّه من عند الله، وأنَّه تنزيل من حكيم حميد.

أو يسأل عن بعض قصص القرآن، ليأخذ منها العظة، ويلتمس العبرة والذكرى له، ولكل من كان له قلب، أو ألقى السّمع وهو شهيد.

أو يسأل عن شيء من أحكام القرآن وتشريعه، ليرى فيه عدل الله بين عباده، ورحمته، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

ومثل ذلك من يسأل عن آيات الصفات مثل: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. وأحاديث الصفات «**ينزل ربُّنا كلَّ ليلة...**»[1]. ويريد أن يُسعِّر حربًا بين دعاة السَّلفية، وأتباع الأشاعرة والماتريدية.

فمع أنِّي أُومِنُ بمذهب السَّلف، وأراه أسلمَ وأعلم وأحكم، لا أحبُّ أن أفتِّت الجبهة الإسلامية الداخلية حول خلافات جزئية، وهي تحارب أعداءً كُثُرًا مدجَّجين بكلّ سلاح، من يهود ماكرين، وصليبيين حاقدين، وشيوعيِّين ملحدين، ومستعمرين طامعين، ومرتدِّين مارقين.

فالواجب أن نقف ـ نحن المسلمين كافَّة ـ صفًّا واحدًا، في مواجهة هؤلاء، الَّذين يختلفون في أمور كثيرة، ويتَّفقون علينا نحن أُمَّة الإسلام.

وليس من الدين، ولا من السِّياسة، ولا من العقل، أن ننقل المعركة من ميدانها الحقيقيِّ في مواجهة هؤلاء الأقوياء الشرسين؛ ليواجه بعضنا بعضًا.

---

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في التهجد (١١٤٥)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٥٨)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

إنَّ كلَّ المعارك الجانبية، والخلافات الجزئية، والصراعات الداخلية، يجب أن تنتهي اليوم إن كنَّا نعقل أمر ديننا، وندرك مصلحة دنيانا. وأن نكون كالبنيان المرصوص يشدُّ بعضُه بعضًا.

ومهما يكن بيننا من نقاطِ خلاف، فعندنا أكثر منها نقاط التقاء واتِّفاق. ويمكننا كما قال العلَّامة المجدِّد السَّيد رشيد رضا في قاعدته الذهبية: أن نتعاون فيما اتَّفقنا عليه، ويعذر بعضُنا بعضًا فيما اختلفنا فيه.

وهذا لا يمنع من البحث النزيه، والتحقيق العلمي الأصيل في مواطن الخلاف، ولكن ليس مجال ذلك برامج إذاعية أو تلفزيونية، الشأن فيها أن نخاطب جمهور النَّاس، إنَّما مجال ذلك الكتب المتعمِّقة، والمجلات المتخصِّصة وأمثالها، مع التزام النهج العلمي الموضوعي، ورعاية أدب الحوار، أو أدب البحث والمناظرة، كما يعبر علماؤنا القدامى.

ومما يقتضيه البيان أحيانًا: الاستطراد إلى أشياء تكمل موضوع السّؤال، أو ترتبط به ارتباط تشابه أو تضاد، أو غير ذلك ممَّا يمكن أن يحتاج إليه السّائل، وإن لم يسأل عنه.

فقد يسأل سائلٌ عن الصلوات المُحْدَثة في ليلة النِّصف من شعبان، فيُجاب عنها، ثم ينتقل الحديث إلى صلاة مُحدَثة أخرى هي «صلاة الرغائب» في أوَّل رجب، فإنَّ الشيءَ بالشيءِ يُذْكَر.

وقد يسأل آخر عن سُنَّة الصبح القَبليَّة، فأجيبه ببيان السُّنن الراتبة مع الصَّلوات الخمس جميعًا، تتميمًا للفائدة، وقد يتطرَّق الأمر إلى الوتر، وهكذا.

وقد يستفتي ثالث في صلاة الركعتين قبل الجمعة وما تكييفهما؟ فقد أبيِّن له: أنَّهما ليستا سُنَّة قبلية، وإنَّما هما تحيَّة للمسجد، يصليها

QaradawiBooks.com

الداخل، ولو كان الخطيب علـى المنبر، كما ثبت في الصحيح في قصَّة سُلَيْكٍ الغَطَفاني[١]. وقد أسـتطرد من هذا إلى سُنَّة الجمعة البعديَّة، وقد ثبتت بالحديثِ الصحيح.

وربَّما أدَّى هذا إلى نُقْلةٍ أخرى هي التحذير ممَّا يفعله بعض النَّاس، من التزام صـلاة الظهر بعد كلِّ جُمعة، بناء على الشَّـكِّ في عدم صحَّة الجمعة.

وهذا كلُّه يقتضيه المقـام، وذكره ممَّا يفيـد، وإن عاب ذلك بعض النَّاس، قال ابن القيِّم: «من عاب ذلك فلقلَّة علمه، وضيق عَطَنِه، وضعف نُصْحه»[٢].

وقد سُـئل النَّبيُّ ﷺ عن الوضوء بماء البحر، فقال لهم: «**هو الطَّهُور ماؤه، الحِلُّ مَيْتته**»[٣].

فأجابهم عمَّا سـألوه عنه، ببيان طهارة ماء البحر، ثـم زادهم فائدة أخرى لم يسألوا عنها، وهي حلُّ مَيْتته، نصحًا لهم، وبرًّا بهم.

والحمد لله، لقد جاءت فتاوانا هذه على هذا النهج، تُيَسِّر ولا تُعسِّر، وتبنـي ولا تهدم، وتجيـب عن كلِّ سـؤال من داخل الشَّـريعة لا من خارجها، بما يحقِّق مقاصد الشرع، ويحفظ مصالح الخلق، ويدرأ عنهم الشُّرور والمفاسد.

---

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري (٩٣٠)، ومسلم (٨٧٥)، كلاهما في الجمعة.

(٢) إعلام الموقِّعين (١٢١/٤).

(٣) رواه أحمد (٧٢٣٣)، وقال مخرجوه: صحيح. وأبو داود (٨٣)، والترمذي (٦٩)، وقال: حسن صحيح. والنسائي (٥٩)، وابن ماجه (٣٨٦)، أربعتهم في الطهارة، وجود إسناده الألباني في صحيح أبي داود (٧٦)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

منزلة الإفتاء:

إنَّ منزلة الإفتاء منزلة عظيمة، ولهـذا جعلها الإمام ابن القيِّم بمثابة «التوقيع عـن ربِّ العالمين» كمـا ينبئ عن ذلك عنوان كتابه الشـهير: «إعلام الموقِّعين». والمفتي قائم مقام النَّبيِّ ﷺ في بيان الحلال والحرام من التصرُّفات، والصحيح والفاسد من المعاملات، والمقبول والمردود من العبادات، والحق والباطل من الاعتقادات.

وهذا ما جعل بعض علماء السَّلف الصالح يتهيَّبون الفتوى، ويفرُّون منها ما اسـتطاعوا، ويُحيل بعضهم على بعض في ذلك، واشتهر بينهم ذلك الأثر: «**أجرؤكم على الفُتْيا أجرؤكم على النار**»[(١)]. وذلك لشعورهم بثِقَل التَّبِعة، وضخامة المسـؤولية أمام الله تبارك وتعالى، حتَّى قال عبد الله بن عمـر رضي الله عنهما معتذرًا عـن تخوُّفه مـن الفتوى في بعض المسـائل: «يريدون أن يتَّخذوا ظهورنا جسورًا إلى جهنم»[(٢)].

وإنَّ من أعظم الجرائم في الإسـلام: جريمة الَّذيـن يقولون على الله ما لا يعلمون، فيُحلُّون الحرام، أو يحرِّمون الحلال، بغير إذن من الله جل جلاله؛ كما قال تعالى منذرًا ومحـذرًا: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩].

وقد علَّق العلَّامة الزَّمخشـري على هذه الآية بقوله: «وكفى بهذه الآيةِ زجـرًا بليغًا عن التجوُّز فيما يُسـأل من الأحـكام، وباعثة على وجوب الاحتياط فيها، وألَّا يقولَ أحدٌ في شيءٍ: جائزٌ أو غير جائز، إلَّا

(١) رواه الدارمي في المقدمة (١٥٩)، وقال صاحب كشف الخفاء (١١٣): رواه ابن عدي عن عبد الله بن جعفر مرسلًا. وذكره ابن بطة في رسالته في الخلع صـ ٣٠ موقوفًا على عمر، وضعفه الألباني في الضعيفة (١٨١٤). والأولى أنه ليس بحديث مرفوع، ولذا قلنا: في الأثر.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق (٥٢).

QaradawiBooks.com

بعدَ إيقــانٍ وإتقان، ومن لم يوقن فليتَّــقِ الله وليصمتْ، وإلا فهو مفترٍ على الله تعالى»[١].

وقال ابن المُنْكَدِر: المفتي يدخلُ بيــن اللهِ وبين خلقه، فلينظرْ كيف يفعلُ[٢]!

وإنَّ ممَّا يُعجِّل بفناء العالم: أن يتَّخذ النَّاس رؤوسًــا جهَّالًا، فإذا سُــئلوا أفتوا بغير علم، فضلُّوا وأضلُّوا، كما حدَّثنا عبدُ الله بن عمرو، عن النبيِّ ﷺ[٣].

وإنَّ المرء لتذهب نفسُــه حَسَــراتٍ، وينقطع قلبُه زفرات، حين يرى الفتوى اليوم وقد هــان أمرُها، حتَّى اجترأ عليها مــن ليس له في الفقه نصيب، وادَّعى الاجتهــاد من لا يعرف مجرَّد تعديد شــروط الاجتهاد، وأفتى في المعضلات الَّتي تقضي المجامع العلميَّة فيها دورات ودورات ولا تنتهي منها، وربَّما خالف إجمــاع الأوَّلين والآخِرين، وهو لا يبالي بأولئك ولا هؤلاء، وصدق رسول الله ﷺ: «**إنَّ ممَّا أدرك النَّاس من كلام النُّبوَّة الأولى: إذا لم تستحِ فاصنعْ ما شئتَ**»[٤].

بل إنَّ بعض الشــباب ليجترئ علــى اقتحام حِمى الفتــوى في أعوص القضايا العقدية والعلمية، والفردية والجماعية، فيحلِّل ويحرِّم، ويكفِّر ويؤثم، ويخطِّئ السَّــابقين، ويضلِّــل اللاحقين، ويرمــي بنِبَالــه ذات اليمين وذات الشمال، وهو رخْوُ العُود، لم يكتمل تكوينه بعدُ، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله!

---

(١) تفسير الزمخشري (٣٥٤/٢)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

(٢) رواه الخطيب في الفقيه والمتفقِّه (٣٥٤/٢)، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ط٢، ١٤٢١هـ.

(٣) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣)، كلاهما في العلم، بلفظ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من صدور الناس، ولكن يقبض العلم يقبض العلماء، حتَّى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسئلوا فـأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا».

(٤) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٨٤)، وأحمد (١٧٠٩٠)، عن أبي مسعود.

غير مراجعة للطباعة

الفتوى لونٌ من الدعوة:

وبعبارة أخرى أرى الفتوى عندي لونًا من الدعوة، فهي تتضمن إلى بيان الحكم الشرعي، من الوجوب، أو الاستحباب، أو الكراهية، أو الحرمة، أو الإباحة: ما لا بدَّ منه من تصحيح المفاهيم، وبيان الحقائق، ورد الأباطيل، ودفع الشبهات، وتوضيح الحِكَم والأسرار، حرصًا على إضاءة العقول، وإحياء القلوب، وترشيد المسيرة، وإنصاف الإسلام المظلوم، والمُفترَى عليه، والمضيَّع بين غباء أبنائه، ومكر أعدائه، وحمق أصدقائه، وعجز علمائه، وفساد أمرائه.

وفي رأيي أن عصرنا أحوج ما يكون إلى المزج بين الفقه والدعوة، بحيث يكون الداعية فقيهًا، والفقيه داعية. فلن يجدِّد الدينَ في عقول الأُمَّة وضمائرها إلَّا الدَّاعية الَّذي يحمل عقل الفقيه، والفقيه الَّذي يحمل رُوح الدَّاعية.

وهذا ما ينبغي أن نعمل له، ونُعدَّ له العُدَّة، حتَّى تبرز هذه الفئة المرجوَّة إلى حيز الوجود، وتنطلق في الآفاق، تفتي عن بيِّنة، وتدعو على بصيرة، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

ملاحظات هامَّة:

وقد تبيَّن لي جملة ملاحظات من خلال ممارستي للفتوى في الإذاعة والتليفزيون سنين عديدة، تلقيت فيها ألوفًا من الرسائل، من بلاد شتَّى، ومن أصناف شتَّى، شباب وشيوخ، ورجال ونساء، وخاصَّة وعامة.

QaradawiBooks.com

دور الدين في الحياة:

أولى هذه الملاحظات: أنَّ الدين في مجتمعاتنا لا يزال له دَور الصَّدارة في التَّوجيه والتَّأثير، وأنَّ كلمته لا تعدلها كلمة في قوتها، وأنَّه ليس شيئًا ثانويًا أو على هامش حياة الناس، بل هو المحور الأساسي، والمقوم الأول لحياتهم.

يدلُّ لذلك هذا السَّيل المتدفِّق من الرسائل، الَّتي تستفسر عن أمور شتَّى، في كلّ جوانب الحياة.

يسألون عن العقائد والغيبيَّات، عن العبادات والقُرُبات، عن المعاملات والعلاقات، عن الأمور الشخصيَّة، والشؤون الأسرية، والصلات الاجتماعيَّة، والعلاقات الدوليَّة.

أسئلة شتَّى من هنا وهناك، يريد أصحابها أن يطمئنُّوا على سلوكهم، ويجتنبوا سخط ربهم.

ولو كان الدِّين دَبْر آذانهم، أو بعيدًا عن اهتمامهم، ما بلغت الرسائل هذا الحدَّ من الكثرة والتنوُّع، فضلًا عن الاتصالات الهاتفية، والمقابلات الشخصية.

وهذا يضع أيدينا على جملة حقائق:

الحقيقة الأولى: أنَّ العلمانيين الَّذين يريدون أن يفرغوا مجتمعاتنا من الدِّين، أو يحكموا الأمة بغير شريعة الله ـ من الحكام وأعوانهم، ورجال الأحزاب اللادينيَّة ـ إنَّما يَثنون عِنان شعوبهم قسرًا، ويحكمونها كرهًا وقهرًا، ويقودونها رغم أنوفها إلى ما لا تريد ولا تحبُّ. وهذا ليس في صالح هذه الشعوب الَّتي تشعر بالتناقض بين عقيدتها ونظامها، وبين ضميرها وواقعها.

QaradawiBooks.com

الحقيقة الثانية: أنَّ الدُّعاة إلى تطبيق الإسلام، عقيدة وشريعة، وعبادة وقيادة، وبعث أمة لتقوم بدورها التاريخي في هداية البشـــرية، لا ينبغي لهم أن يجزعوا من يومهم، أو يَيْأَسُـــوا من غدهـــم، ويفقدوا الأمل في شعوبهم، فإنَّ «أرضية» هذه الشعوب هي الإسلام، و«خامة» أفرادها هي الإيمان.. ومهما تراكـــم على هذه الخامة الأصيلة مـــن صدأ الغفلة، أو غبار التقليد، فنحن نســـتطيع بحكها وصقلهـــا أن نجلوها، ونردُّها إلى أصالتها صافية مشرقة.

ولا شكَّ أنَّ ذلك يحتاج إلى جهد وجهاد.

الثالثـــة: إنَّ الاتجاه المتطرِّف، الَّـــذي تبنَّاه نفرٌ من غـــلاة المتدينين المتحمسين ـ وجمهرتهم من الشباب المخلص حقًّا ـ وأعني به الاتجاه إلى تكفير جماهير النَّاس، واعتبارهم مارقين من الدين، مرتدين عنه، أو لم يدخلوا فيه أصـــلًا: هذا الاتجـــاه خاطئ جزمًا؛ لأنَّ هـــذه الجماهير لا زالت مؤمنة بربها وقرآنها ورسولها، ولا زالت تسأل عن أمور دينها، محاولة أن تستغني بالحلال عن الحرام، وبالطاعة عن المعصية.

وما شـــاب عقيدتها ومفاهيمها وســـلوكها من شـــوائب ـ نتيجة الجهل والتجهيل، والغزو الثقافي ـ لا يخرجها عن الملة، ولا يبعدها عن أهل القبلة.

لا ريب أنَّ فيها العاصيَ الظالمَ لنفسه، ولكنَّ فيها المقتصد والسابق بالخيرات بإذن الله.

المرأة والدين:

والملاحظة الثانية: أنَّ المرأة ـ في الجملـــة ـ أكثر اهتمامًا بدينها من الرجل.. ويبدو أنَّ ما حباها الله وخصها به من مشـــاعر الحنان والرحمة والرقة، جعلها أقرب إلى الفطرة الدينيَّة من الرجل.

QaradawiBooks.com

ولا عجب أن كانت رسائل السّيدات والفتيات أكثر وأغزر من رسائل الرجال والفتيان، وحرصهن على التديُّن أكبر، وخوفهنَّ من سوء الحساب أقوى.

وهذا ما يجعلنا نؤمن بأنَّ الغزو الحضاريَّ الغربيَّ الفكريَّ والاجتماعيَّ، الَّذي استطاع أن يهزم المرأة المسلمة في عُقر دارها، ويجعلها تتحلَّل من لباسها الشرعي، وتقاليدها الموروثة، لم ينتصر نصرًا نهائيًّا، ولم يُفْقِد المرأة المسلمة عاطفتها الدينية، ولا عقيدتها الإسلامية.

ولا زال في مقدرة الإسلام أن يكسب المعركة في النهاية، ببعض الجهد والتخطيط، والتَّعاون من دعاته والغيورين عليه.

ولا زلنا نرى كثيرًا من المتبرَّجات يعدن باختيارهنَّ إلى حظيرة الاحتشام والالتزام بآداب الإسلام، برغم الجهود الجبَّارة المبذولة من كلِّ القُوى المعادية للإسلام في الداخل والخارج. حتَّى طالبات الجامعات ـ في بلاد كالقاهرة والإسكندرية ودمشق وحلب ـ ترى منهنَّ العشرات والمئات، قد رجعن إلى دينهن، وتمرَّدن على الأفكار والتقاليد الدخيلة.

وأصبح لبس الخمار والثياب السَّابغة: أمرًا مألوفًا مأنوسًا، في قاعات الكليَّات الجامعية وساحاتها، بعد أن مرت أيام كان فيها مثل هذا المنظر هو الشذوذ كلُّ الشذوذ.

وليس هذا بغريبٍ، فكثيرٌ من السَّيِّدات والآنسات ـ اللَّائي يلبسْن الملابس الغربية العصريَّة بما فيها من خروج على آداب الشَّرع ـ جدّ حريصات على الصلاة والصيام، والحج والعمرة، والقيام بسائر أركان الإسلام.

QaradawiBooks.com

ومعنى هذا أنَّ بذور الدِّين في صدورهن لم تمت، وأنَّ شيئًا من التعهُّد والرعاية لها خليق بأن يجعلها تنبت وتترعرع، ثم تزهر وتثمر، وتؤتي أُكُلها عن قريبٍ بإذن ربِّها. وتتحرَّر من «الفِصَام» المشؤوم في حياتها.

عالم الدين وجمهور الشعب:

والملاحظة الأخيرة: أنَّ المفتي ـ أو العالم الديني ـ باستطاعته أن ينجح نجاحًا بالغًا، إذا أحسن فهم الإسلام، وأحسن عرضه وإفهامه للجمهور، وعامل النَّاس بروح الأبوة والأخوة والمحبة، لا بروح الاستعلاء والاتهام.

يجب أن يشعر الجمهور تجاه العالم أنَّه أبٌ لصغيرهم، وأخٌ لكبيرهم، وصديق لجميعهم، وأنَّه ليس «شُرَطِيًّا» يريد أن يضبطهم متلبِّسين، ولا «ممثِّلَ اتهامٍ» يطلب لهم أقصى العقوبة، بل هو محامٍ يدافع عنهم، وإن كان في بعض الأحيان قاضيًا يحكم بالعدل لهم أو عليهم.

يجب أن يكون الفقيه المفتي مع سائليه كالطَّبيب النَّفسي مع مرضاه.. لا بدَّ أن يثقوا به، ويستريحوا إليه، ويفضوا إليه بذات أنفسهم، ومكنون ما في صدورهم.

وأحمد الله أن كانت هذه الرُّوح هي جوهر الصلة بيني وبين جمهوري، من المستمعين والمشاهدين.

لقد فتحتُ لهم قلبي وأذني، ومكتبي وبيتي: أُصغي إليهم، وأستمع إلى مشكلاتهم وآهاتِهم لمدد قد تطول، برغم أنَّ واجباتي أكثر من أوقاتي.

ولكنَّني كنتُ أشعر أنَّ بعض النَّاس يريد أن يتحدَّث وينفِّس عمَّا في صدره، فيستريح من عبء ثقيل يحمله وحده؛ فأدع له الفرصة ليُريح

QaradawiBooks.com

نفســه، وإن كان ذلك يزيد من همومي وآلامي، كلَّما تعرفت على آلام الناس.. وما أكثرها!

ولقد كاشفني الكثيرون والكثيرات في رسائلهم إليَّ أو في اتصالاتهم الهاتفيَّة بي، أو في زياراتهم لي، بأخصِّ أســرارهم الشخصيَّة والعائليَّة، وأْتمنوني على أغلى ما يحتفظون به لأنفسهم.. وهذه ثقة لا تُقدر بثمن، ونعمة لا تقابل إلَّا بالشُّكر!

كما أنَّ هذا أطلعنــي على كثير من المآســي الَّتــي لا تتحدث بها الألسن، وكثير من المفاســد الَّتي لا تراها الأعين، وإن كانت تنخر في عظام المجتمع، وكيانه المعنوي.

وكانــت كلمة الدين هي البلســم الشــافي، أو على الأقــل المرهم الملطف لجراح الكثيرين من هؤلاء.

الحملة الضارية ضدي:

وقد أظهر هــذا المنهج الَّذي اتبعته في الفتوى حملة ضارية شــنتها على صاحب هذه الفتاوى جماعات أعماها التعصُّب الأعمى، والحســد القاتل، والأفــق المحدود، والنظــرة الضيِّقة، مع فقــدان أدب العلماء، وسماحة الفضلاء، وخلق المؤمنين، وعلم الفقهاء.

ومن عجب أن يتولَّى كبر هذه الحملة الغشــوم جماعتان متناقضتان فكريًّا، متعاديتان عمليًّا، ولكنَّهما اشــتركتا في نشر الأكاذيب، وتحريف الكلم عن مواضعه، وإشاعة الشــبهات ضِدِّي، والتشويش عليَّ بالباطل، وكأنَّ كلَّ واحدة منهما ترد على الأخرى.

QaradawiBooks.com

إحدى هاتين الجماعتَين وهي الَّتي تعرف باسم «الأحباش» تتَّهمني بأنَّني «وهَّابي متعصِّب»، ولا أكاد أذكر في كتبي أو أحاديثي بالقنوات الفضائية وغيرها، إلَّا أئمَّة الوهَّابيـــة قديمًا وحديثًا، من أمثال الإمامين: ابن تيمية وابن القيِّـــم، وكذلك ابن عبد الوهَّـــاب، وابن باز، وهؤلاء جميعًا ـ عندهم ـ ضالُّون مضلُّون، بل كفَّار مارقون، والعياذ بالله، لأنَّهم خرقوا الإجماع في كذا وكذا مسألة. وأنِّي متعصِّب لرأيهم في العقيدة، وفي الفقه، فلا بدَّ أن ينالني ما نالهم من التكفير والتبديع والتأثيم.

والجماعة الأخرى على عكس هؤلاء تمامًا، فهي تنسب نفسها إلى السَّلفية (أي الوهَّابية بلغة الأحباش) وهي تتَّهمني بتهمٍ شتَّى، منها: أنِّي «أشـــعريٌّ» أتعصَّب لمذهـــب «الأشـــعريَّة» وأحمل على السَّـــلفية أو «الوهَّابية» كمـــا يقول الأحبـــاش، وأجيز التأويل في آيـــات وأحاديث الصفات، أو ـ على الأقل ـ أرجِّح «التفويض» في معنى هذه النُّصوص لا «الإثبات» الَّذي يؤمنـــون به، ويرفضون ما ســـواه، وأنِّي أمالئ أهل البدع كالروافض والصُّوفيَّة، وأقول بموالاة الكفَّار من اليهود والنَّصارى، وأنِّي متساهِلٌ في الفتاوى، يعنون أنِّي أخالفهم في تزمُّتهم وتشدُّدهم، وأتَّبع نهج التَّيســـير في الفتوى، والتبشـــير في الدَّعوة، عملًا بالتوجيه النبوي الكريم: «**يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا**»[1].

وقد ألَّف واحد من هؤلاء كتابًا في التشنيع عليَّ، ولخَّصه بعضهم في منشور وزَّعوه في مساجد جُدَّة والرياض، يحذِّرون النَّاس من فتاوى القرضاوي.

(١) سبق تخريجه صـ ١٦.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

تصدَّقت بعِرْضي على كلِّ مسلم يؤذيني ما لم يكنْ عميلًا:

وأودُّ أن أقول لقرَّائي الكرام: إنِّي والله لست منزعجًا من هؤلاء المجادلين بلا علم، أو المتطاولين بلا أدب، بل أجد في ذلك منحة في طيِّ محنة، وخيرًا في صورة شرٍّ، ورُبَّ ضارَّة نافعة.. وقد كنتُ أخشى من طول ما سمعتُ من ثناء النَّاس على شخصي الضعيف، في أنحاءٍ شتَّى من العالم، وقول النَّاس في كلِّ مكانٍ بلا رياءٍ ولا طمعٍ في دنيا: نحبُّك في الله؛ أن يكون ذلك قاصمًا لظهري. وأنا أدرى النَّاس بضعفي وسوء حالي مع ربِّي سبحانه.

هذا وقد هيَّأ الله لي من الأسباب ما لم أكن أحلم به، أو يخطر لي ببال، من القنوات الفضائية في قطر، وفي أبي ظبي، ومن شبكة «الإنترنت» ما أوصل صوتي إلى مشارق الأرض ومغاربها، في شمال أفريقيا وفي أوربا، وفي أمريكا وفي غيرها، حتَّى قال أحد الإخوة المرموقين في بلد كبير مجاور، للشيخ منصور المنهالي، الَّذي يحاورني في قناة أبي ظبي الفضائية: إنَّ برامج الشيخ القرضاوي أحدثت عندنا ثورة ثقافية!

كان هذا الصدى الواسع، وهذا التجاوب الكبير، وهذا التأثير العميق، يقلقني ويخيفني على نفسي، كنت ـ وأنا أصدقكم القول ـ أخشى أن يضيع ذلك من أجري عند الله جل شأنه، فوالله ما أراني أهلًا لهذا الحب كله، وهذا الثناء كله. فلما برزت هذه العداوات الَّتي ليس لي نصيب في تحريكها، حمدت الله تعالى، عسى أن يكتب لي بعض الأجر بما يصيبني من ألسنة هؤلاء وأقلامهم؛ فإنَّ المؤمن يثاب رغم أنفه على ما يصيبه من هم وغم وأذى، حتَّى الشوكة يشاكها، يكفر الله بها من خطاياه، وما أكثر خطاياي الَّتي تحتاج إلى تكفير. ولا سيَّما أنِّي متصدق

QaradawiBooks.com

بعرضي على كلّ مسلم يؤذيني، إذا لم يكن خائنًا لله ورسوله، عميلًا لأعداء الأمة، وأعداء الإسلام.

وأنا هنا أتمثل بما قاله القائل:

عدَاتِي لَهُمْ فَضْلٌ عَلَيَّ وَمِنَّةٌ فَلا أَذْهَبَ الرَّحْمَنُ عَنِّي الأعَادِيَا!
فهم بَحَثُوا عَنْ زَلَّتِي فَاجْتَنَبْتُهَا وَهمْ نَافَسُونِي فَاكتَسَبْتُ الْمَعَالِيَا[1]!

أسوتي في علماء الأُمَّة وأئمَّتها:

ولي سلف وأسوة من علماء الأمة الربانيِّين، ممَّن لا أطمع أن أكون تلميذًا لهم، من ابتُلي بأكثر ممَّا ابتليتُ به، وشكا من جور أهل زمانه عليه، خصوصًا ممَّن ينسبون إلى علم الدِّين.

أذكر منهم أحد الأعلام الراسخين المجدِّدين، الَّذين تركوا وراءهم من الآثار العلمية ما ينبئ عن عظيم مكانتهم، ورفيع منزلتهم، وأثرهم في إفادة الأمة وتنويرها، وهدايتها الصراط المستقيم. هذا العَلَم هو الإمام أبو إسحاق الشَّاطبيّ (ت: ٧٩٠هـ) صاحب «الموافقات» و«الاعتصام» رضي الله عنه. فقد شكا في مقدّمة «الاعتصام» من غربة الدِّين في عصره، وما يلقاه دعاة الحقِّ من علماء السُّنَّة من أهل زمانهم، لكثرة ما تناوشهم الفرق الضالَّة، وتناصبهم العداوة والبغضاء، تريد أن تحملهم على موافقتهم على آرائهم، وهم يرفضون، ولا يزالون معهم في جهاد ونزاع، ومدافعة وقراع، آناء الليل والنهار، وبذلك يضاعف الله لهم الأجر الجزيل، ويثيبهم الثواب العظيم.

---

(١) ينسب إلى مُحَمَّد بن يُوسُف بن حَيَّان الغرناطي، انظر: الدرر الكامنة (٦١/٦)، تحقيق محمد عبد المعيد خان، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الهند، ط٢، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م، ونفح الطيب (٢٣٦/٢)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

QaradawiBooks.com

عبارة الشَّاطبيِّ في موقفه من أهل زمانه وموقفهم منه:

وأنا أنقل ما ذكره هنا على طوله لما في عبارته من العِبْرة، وقد كتبها عالمٌ أديبٌ متأسٍّ برسول الله ﷺ. قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فقد تلخَّص ممَّا تقدَّم أنَّ مطالبة المخالف بالموافقة جارٍ مع الأزمان لا يختصُّ بزمانٍ دونَ زمان، فمن وافق فهو عند المطالب المصيب على أيِّ حالٍ كان، ومن خالف فهو المخطئ المصاب، ومن وافق فهو المحمود السَّعيد، ومن خالف فهو المذموم المطرود، ومن وافق فقد سلك سبيل الهداية، ومن خالف فقد تاه في طرق الضلالة والغواية.

وإنَّما قدَّمت هذه المقدِّمة لمعنى أذكره، وذلك أنِّي ـ ولله الحمد ـ لم أزلْ منذ فتق للفهم عقلي، ووجه شطر العلم طلبي، أنظر في عقلياته وشرعياته، وأصوله وفروعه، لم أقتصر منه على علم دون علم؛ ولا أفردتُ عن أنواعه نوعًا دون آخر، حسَبما اقتضاه الزمان والإمكان، وأعطته المنَّة المخلوقة في أصل فطرتي، بل خضتُ في لُجَجِه خوض المحسن للسباحة، وأقدمت في ميادينه إقدام الجريء، حتَّى كدت أتلف في بعض أعماقه، أو أنقطع في رفقتي، الَّتي بالأنس بها تجاسرت على ما قدر لي، غائبًا عن مقال القائل وعذل العاذل، ومعرضًا عن صد الصاد ولوم اللائم؛ إلى أن مَنَّ عليَّ الربُّ الكريم، الرؤوف الرحيم، فشرح لي من معاني الشَّريعة ما لم يكن في حسابي، وألقى في نفسي القاصرة أن كتاب الله وسنة نبيه لم يتركا في سبيل الهداية لقائل ما يقول، ولا أبقيا لغيرهما مجالًا يعتد فيه. وأنَّ الدين قد كمل، والسعادة الكبرى فيما وضع، والطِّلبة (أي المطلب) فيما شرع، وما سوى ذلك فضلالٌ وبهتان، وإفكٌ وخسران، وأنَّ العاقد عليهما بكلتا يديه مستمسِكٌ بالعروة الوثقى، محصِّل لكلمتي الخير دنيا وأخرى، وما سواهما فأحلام، وخيالات

QaradawiBooks.com

وأوهام، وقام لي على صحَّة ذلك البرهان، الَّذي لا شبهة تطرق حول حماه، ولا ترتمي نحو مرماه، ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٨].

والحمد لله والشكر كثيرًا كما هو أهله، فمن هنالك قويت نفسي على المشي في طريقه بمقدار ما يسَّر الله فيه، فابتدأت بأصول الدين عملًا واعتقادًا، ثم بفروعه المبنية على تلك الأصول؛ وفي خلال ذلك أبيِّن ما هو من السّنن أو من البدع، كما أبين ما هو من الجائز وما هو من الممتنع، وأعرض ذلك على علم الأصول الدينية والفقهية، ثم أطالب نفسي بالمشي مع الجماعة، الَّتي سمَّاها رسول الله ﷺ بـ «السواد الأعظم»، في الوصف الَّذي كان عليه هو وأصحابه، وترك البدع الَّتي نصّ عليها العلماء أنَّها بدع وأعمال مختلفة».

غربة الشَّاطبيّ في زمنه:

قال: «وكنتُ في أثناء ذلك قد دخلت في بعض خطط الجمهور، من الخطابة والإمامة ونحوها، فلما أردت الاستقامة على الطريق، وجدت نفسي غريبًا في جمهور أهل الوقت، لكون خِطَطهم قد غلبت عليها العوائد، ودخلت على سُنَنها الأصليَّة شوائبُ من المحدَثات الزوائد، ولم يكن ذلك بدعًا في الأزمنة المتقدِّمة، فكيف في زماننا هذا؟ فقد رُوِيَ عن السَّلف الصالح من التنبيه على ذلك كثير، كما روي عن أبي الدَّرداء أنه قال: لو خرج رسول الله ﷺ عليكم ما عرف شيئًا ممَّا كان عليه هو وأصحابه إلَّا الصلاة[1].

(١) رواه ابن وضَّاح في البدع (١٥٧).

QaradawiBooks.com

قال الأوزاعي: فكيف لو كان اليوم؟ قال عيسى بن يونس: فكيف لو أدرك الأوزاعي هذا الزمان[١]؟

وعن أمِّ الدَّرْداء قالت: دخل أبو الدَّرْداء وهو غضبانُ، فقلتُ: ما أغضبَك؟ فقال: والله ما أعرف فيهم شيئًا من أمر محمَّد إلَّا أنَّهم يصلُّون جميعًا[٢].

وعن ميمونِ بن مهران قال: لو أنَّ رجلًا أُنشر فيكم من السَّلف ما عرف فيكم غير هذه القبلة[٣].

وعن سهل بن مالك عن أبيه قال: ما أعرف شيئًا ممَّا أدركت عليه النَّاس إلَّا النداء بالصلاة[٤]. إلى ما أشبه هذا من الآثار، الدالة على أن المحدثات تدخل في المشروعات، وأن ذلك قد كان قبل زماننا، وإنَّما تتكاثر على توالي الدهور إلى الآن.

فتردَّد النظر بين أن أتَّبع السُّنَّة على شرط مخالفة ما اعتاد النَّاس، فلا بدَّ من حصول نحو ممَّا حصل لمخالفي العوائد، لا سيَّما إذا ادَّعى أهلها أن ما هم عليه هو السُّنَّة لا سواها، إلَّا أنَّ في ذلك العبء الثقيل ـ على ما فيه من الأجر الجزيل ـ وبين أن أتبعهم على شرط مخالفة السُّنَّة والسَّلف الصالح، فأدخل تحت ترجمة الضلال.. عائذًا بالله من ذلك، إلَّا أنِّي أوافق المعتاد، وأُعَدُّ من المؤالفين، لا من المخالفين.

---

(١) قلت: فكيف لو أدرك عيسى بن يونس، وأدرك بعده الشاطبي هذا الزمان؟!

(٢) رواه البخاري في الأذان (٦٥٠)، وأحمد (٢١٧٠٠).

(٣) رواه ابن وضَّاح في البدع (١٧٩).

(٤) رواه مالك في الصلاة (٢٣٣) تحقيق الأعظمي.

QaradawiBooks.com

فرأيت أنَّ الهلاك في اتِّباع السُّنَّة هو النَّجاة، وأنَّ النَّاس لن يغنوا عنِّي من الله شـيئًا، فأخذت في ذلك على حكم التدريـج في بعض الأمور، فقامت عليَّ القيامة، وتواترت عليَّ الملامة، وفوَّق إليَّ العتابُ سـهامَه، ونُسـبت إلى البدعة والضلالة، وأنـزلت منـزلة أهـل الغباوة والجهالة، وأنِّي لو التمست لتلك المحدثات مخرجًا لوجدت؛ غير أنَّ ضيق العَطَن، والبعد عن أهل الفِطَن، رقى بي مرتقًى صعبًا، وضيَّق عليَّ مجالًا رحبًا، وهو كلام يشير بظاهره إلى أن اتِّباع المتشـابهات، لموافقات العادات، أولى من اتِّباع الواضحات، وإن خالفتَ السَّلفَ الأوَّل».

تشنيعات المخالفين على الإمام الشَّاطبي:

«وربَّما ألـمُّوا فـي تقبيح ما وجهـت إليه وجهتي بما تشـمئز منه القلوب، أو خرجوا بالنسبة ـ أي: بنسبتي ـ إلى بعض الفرق الخارجة عن السُّنَّة، شهادة ستكتب ويسألون عنها يوم القيامة، فتارة نُسبتُ إلى القول بأن الدعاء لا ينفع ولا فائدة فيه، كما يعزى إلى بعض النَّاس، بسبب أنِّي لم ألتـزم الدعاء بهيئة الاجتماع في أدبار الصلاة حالة الإمامة. وسـيأتي ما في ذلك من المخالفة للسنة وللسلف الصالح والعلماء.

وتارة نُسبت إلى الرفض وبُغض الصحابة ﷺ، بسبب أنِّي لم ألتـزم ذكر الخلفاء الراشدين منهم في الخطبة على الخصوص، إذ لم يكن ذلك مِنْ شـأن السَّـلف في خُطَبِهم، ولا ذكره أحد من العلماء المعتبرين في أجزاء الخطب.

وقد سُـئل «أصبغُ» عن دعاء الخطيب للخلفاء المتقدِّمين فقال: هو بدعة، ولا ينبغي العمل به، وأحسـنه أن يدعو للمسلمين عامَّة. قيل له: فدعاؤه للغُزاة والمرابطين؟ قال: ما أرى به بأسًـا عند الحاجة إليه، وأمَّا

QaradawiBooks.com

أن يكون شيئًا يصمُدُ له في خطبته دائمًا فإنِّي أكره ذلك. ونصَّ أيضًا عزُّ الدِّين بن عبد السَّلام: على أنَّ الدعاء للخلفاء بدعة غير محبوبة[١].

وتارة أُضيفَ إليَّ القول بجواز القيام على الأئمَّة (الخروج المسلَّح على الأمراء)، وما أضافوه إلَّا من عدم ذكري لهم في الخطبة، وذكرهم فيها محدث لم يكن عليه من تقدم.

وتارة أحمل على التزام الحرج والتنطُّع في الدِّين، وإنَّما حملهم على ذلك أنِّي التزمت في التكليف والفتيا: الحمل على مشهور المذهب الملتزم، لا أتعداه، وهم يتعدونه ويفتون بما يسهل على السَّائل ويوافق هواه، وإن كان شاذًّا في المذهب الملتزَم أو في غيره.

وأئمَّة أهل العلم على خلاف ذلك وللمسألة بسط في كتاب «الموافقات».

وتارة نُسِبْتُ إلى معاداة أولياء الله، وسبب ذلك أنِّي عاديتُ بعض الفقراء المبتدعين المخالفين للسُّنَّة، المنتصبِين ـ بزعمهم ـ لهداية الخلق، وتكلَّمت للجمهور على جملة من أحوال هؤلاء، الَّذين نسبوا أنفسهم إلى الصُّوفيَّة ولم يتشبَّهوا بهم.

وتارة نُسبت إلى مخالفة السُّنة والجماعة، بناء منهم على أنَّ الجماعة الَّتي أُمر باتِّباعها ـ وهي النَّاجية ـ ما عليه العموم، ولم يعلموا أن الجماعة ما كان عليه النَّبيُّ ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان.

وكذبوا عليَّ في جميع ذلك، أو وهموا، والحمد لله على كلّ حال».

---

(١) الاعتصام للشاطبي (٣٦/١)، تحقيق سليم بن عيد الهلالي، نشر دار ابن عفان، السعودية، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، وانظر: المعيار المعرب للونشريسي (٣٨٦/٦)، تحقيق محمد حجي وآخرين، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨١م.

QaradawiBooks.com

الإمام ابن بُطَّة وموقف أهل زمانه منه:

«فكنتُ على حالةٍ تُشْبِهُ حالة الإمام الشهير عبد الرحمن بن بُطَّة الحافظ مع أهل زمانه، إذ حكى عن نفسه، فقال: عجبتُ من حالي في سفري وحضري مع الأقربين منِّي والأبعدين، والعارفين والمنكرين، فإنِّي وجدت بمكَّة وخراسان وغيرهما من الأماكن أكثر من لقيت بها موافقًا أو مخالفًا، دعاني إلى متابعته على ما يقوله، وتصديق قوله والشهادة له!

فإن كنتُ صدَّقته فيما يقول وأجزتُ له ذلك ـ كما يفعله أهل هذا الزمان ـ سمَّاني موافقًا، وإن وقفت في حرف من قوله أو في شيء من فعله سمَّاني مخالفًا، وإن ذكرت في واحد منها أنَّ الكتاب والسُّنَّة بخلاف ذلك وارد، سمَّاني خارجيًّا، وإن قرأت عليه حديثًا في التوحيد سمَّاني مشبهًا، وإن كان في الرؤية سمَّاني سالميًّا، وإن كان في الإيمان سمَّاني مرجئيًّا، وإن كان في الأعمال سمَّاني قدريًّا، وإن كان في المعرفة سمَّاني كرَّاميًّا، وإن كان في فضائل أبي بكر وعمر، سمَّاني ناصبيًّا، وإن كان في فضائل أهل البيت، سمَّاني رافضيًّا، وإن سكتُّ عن تفسير آية أو حديث فلم أجب فيهما إلَّا بهما، سمَّاني ظاهريًّا، وإن أجبتُ بغيرهما، سمَّاني باطنيًّا. وإن أجبتُ بتأويل، سمَّاني أشعريًّا، وإن جحدتُهما، سمَّاني معتزليًّا، وإن كان في السُّنن مثل القراءة، سمَّاني شفعويًّا، وإن كان في القنوت[1]، سمَّاني حنفيًّا، وإن كان في القرآن، سمَّاني حنبليًّا، وإن ذكرت رجحان ما ذهب كلُّ واحد إليه من الأخبار ـ إذ ليس في الحكم والحديث محاباة ـ قالوا: طعن في تزكيتهم.

(١) يريد القنوت في الوتر دائمًا، أما القنوت في صلاة الصبح، فالشافعية هم الذين يلتزمونه.

QaradawiBooks.com

ثمَّ أعجبُ من ذلك أنَّهم يسـمُّونني فيما يقرؤون عليَّ من أحاديث رسول الله ﷺ ما يشتهون من هذه الأسامي، ومهما وافقتُ بعضَهم عاداني غيره، وإن داهنتُ جماعتَهم أسخطتُ الله تبارك وتعالى، ولن يُغْنُوا عنِّي من الله شيئًا. وإنِّي مستمسـكٌ بالكتاب والسُّنَّة، وأستغفرُ اللهَ الَّذي لا إله إلَّا هو، وهو الغفور الرحيم.

هذا تمام الحكاية، فكأنَّه رَحِمَهُ اللَّهُ تكلَّم على لسان الجميع؛ فقلَّما تجد عالمًا مشـهورًا، أو فاضلًا مذكورًا، إلَّا وقد نُبذ بهذه الأمور أو بعضها، لأنَّ الهوى قد يداخل المخالِف، بل سبب الخروج عن السُّنَّة الجهل بها، والهوى المتَّبع الغالب على أهل الخلاف، فـإذا كان كذلك حُمِلَ على صاحب السُّـنَّة أنَّه غير صاحبها، ورُجِعَ بالتشـنيع عليه والتقبيح لقوله وفعله، حتَّى ينسب هذه المناسب.

وقد نُقِلَ عن سيد العُبَّاد بعد الصحابة «أُوَيْس القَرَني» أنَّه قال: إنَّ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لم يدعا للمؤمن صديقًا، نأمرهم بالمعـروف، فيَشـتُمون أعراضنا، ويجـدون على ذلـك أعوانًا من الفاسـقين، حتَّى والله لقد رموني بالعظائم، وايم الله، لا أدع أن أقوم فيهم بحقه.

فمن هذا الباب يرجع الإسـلام غريبًا كما بدأ، لأن المؤلف فيه على وصفه الأول قليل، فصار المخالف هو الكثير، فاندرسـت رسوم السُّنَّة حتَّى مدَّت البدعُ أعناقَها، فأشـكل مرماها على الجمهور، فظهر مصداق الحديث الصحيح»[1] انتهى.

(١) الاعتصام للشاطبي (١/٣٧، ٣٨).

QaradawiBooks.com

فكيف بزماننا وأهله؟!

فإذا كانت هذه شكوى أئمَّة ربانيين كبار، هم ـ جزما ـ أفضل وأكرم عند الله تعالى منـــا، في أزمنة هي قطعًا خير وأفضـــل من زماننا، فكيف نستكثر أن ينالنا بعض ما شكا منه هؤلاء الأكابر؟

وهذه سُـــنَّة الله مع الأئمَّة الكبراء، بل مع الرسل والأنبياء، بل إنَّ الله جلَّ جلاله لم يَسلم من ألسنة خلقه، كما قال تعالى في الحديث القدسي: «**شتمني ابنُ آدم، وما ينبغي له أن يشتمني... أمَّا شتْمُه إيَّاي فقوله: إنَّ لي ولدًا. وأنا الأحدُ الصمد، لم ألدْ ولم أولدْ، ولم يكنْ لي كفوًا أحدٌ**»[(١)].

وكيف يُتوقَّع من المرء ـ ولا ســيَّما إذا كان لـــه رأي وموقف ـ ألَّا يكونَ له مخالف، وأن يُرضي جميع النَّاس، فرضا النَّاس غاية لا تُدرك. وقد قال الشاعر:

ومَنْ في النَّاس يُرضي كلَّ نفْسٍ وبينَ هوى النُّفوسِ مدًى بعيدُ[(٢)]؟

وقال الآخر:

إذا رضيتْ عني كِرامُ عشـــيرتي فـــلا زال غَضبَانًا علـــيَّ لئامُها[(٣)]

بحسْـــب المرء أن يَجهد جهدَه لإرضاء مولاه تبارك شـــأنه، وتعالى جدُّه، فإذا ظفر برضا الله، فلا يبالي بســـخط الناس. وخصوصًا إذا كانوا من الصنف الَّذي قال فيه الشاعر قديمًا:

---

(١) رواه البخاري في التفسير (٤٩٧٤)، عن أبي هريرة.

(٢) من شعر: ناصيف اليازجي.

(٣) من شعر أبي العيناء محمد بن القاسم قاله للمتوكل العباســي، كما في محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (١٧٧/١)، نشر دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

QaradawiBooks.com

لقد زادني حبًّا لنفسي أنَّني بغيضٌ إلى كلِّ امرئٍ غيرِ طائلِ
وأنِّي شقيٌّ باللئامِ، ولا تَرى شقيًّا بهم إلَّا كريمَ الشمائلِ[1]

على أهل العلم بيان أمور الدين:

ومع هذا لا بدَّ على المجتهدين من أهل العلم: أن يبيِّنوا للناس أمور دينهم، وأن يصحِّحوا لهم المفاهيم، ويبيِّنوا الحقائق، ويردُّوا الأباطيل، ويدفعوا الشبهات، ويوضحوا الحِكَم والأسرار، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا، امتثالًا للميثاق الَّذي أخذه الله تعالى على علماء هذه الأمة، وعلماء الأمم الَّذين من قبلهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

وفي الحديث: «**من سُئل عن علم، فكتمه، أُلجم بلجامٍ من نارٍ يوم القيامة**»[2].

واللهَ أسأل أن يشرح صدورنا، وأن ييسِّر أمورنا، وأن يجري الحقّ على ألسنتنا وأقلامنا، وأن يعلِّمَنا ما ينفعنا، وينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا علمًا، وألَّا يزيغ قلوبنا بعد أن هدانا، وأن يهبنا من لدنه رحمة إنَّه هو الرحيم الوهَّاب.

﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

---

(١) من شعر الطرماح بن حكيم الطائي، انظر: ديوانه صـ ٢٠٦، تحقيق د. عزة حسن، نشر دار الشرق العربي، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

(٢) رواه أحمد (٧٥٧١)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٣٦٥٨)، والترمذي (٢٦٤٩)، وحسنه، كلاهما في العلم، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۞ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ۞ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۞ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴾ [طه: ٢٥ ـ ٢٨].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخميس الرابع عشر من ذي الحجة ١٤٤٠هـ.

الموافق الخامس عشر من أغسطس ٢٠١٦م.

الفقير إليه تعالى

يوسف القرضاوي

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

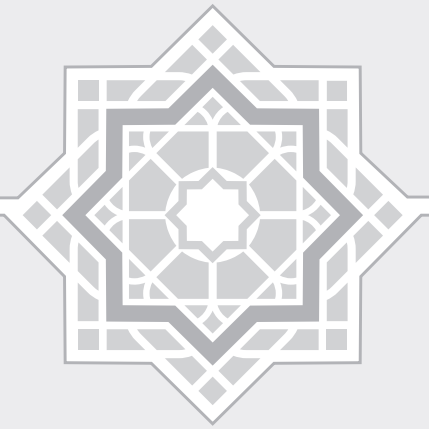

في القرآن الكريم وعلومه

تفسير القرآن

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

تفسير قوله تعالى:
﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ ﴾

س: أريد من فضيلتكم توضيحًا للآية الكريمة من سورة التَّوبة، والَّتي يقول الله تعالى فيها: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣]، مع ذكر سبب نزولها.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

سبب نزول هذه الآية ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما، أنَّ أبا طالب لما حضرته الوفاة، دخل عليه النَّبيّ ﷺ وعنده أبو جهل، فقال: «**أيْ عمّ، قل: لا إله إلَّا الله. كلمة أحاجُّ لك بها عند الله**». فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أُمَيَّة: يا أبا طالب، ترغب عن ملَّة عبد المطلب. فلم يزالا يكلِّمانه، حتَّى قال آخر شيء كلَّمهم به: على ملَّة عبد المطلب. فقال النَّبيّ ﷺ: «**لأستغفرنَّ لك، ما لم أُنْهَ عنه**». فنزلت: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣]. ونزلت:

QaradawiBooks.com

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦][١]. وفي بعض الروايات في صحيح مسلم: أنَّ أبا طالب قال: لولا أن تعيِّرني قريش! يقولون: إنَّما حمله على ذلك الجزع لأقررتُ بها عينَك[٢]!

ورُوِيَ عن ابن عبَّاس في هذه الآية: كانوا يستغفرون لهم حتَّى نزلت هذه الآية، فلما أُنزِلت أمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم، ولم ينهوا أن يستغفروا للأحياء حتَّى يموتوا[٣].

والآية تنهى المؤمن عن الاستغفار لمن مات على الشرك والكفر، ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ﴾، وإن كانوا أقرباءهم وأرحامهم وأقرب النَّاس إليهم، بل لو كانوا آباءهم أو أمهاتهم أو إخوانهم، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ من بعد أن عرف أنَّهم من أهل النار، بأن مات مشركًا بعد أن بلغته الدعوة، وردها.

أمَّا قول سيدنا إبراهيم عليه السلام في دعائه الَّذي ذكره القرآن: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٨٦]، وقوله: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ۝ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤٠، ٤١]. فإنَّما كان ذلك؛ لأنَّه وعد أباه أن يستغفر له، كما قال تعالى على لسانه: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ۝ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤٧، ٤٨]. وقد بيَّن القرآن العلة الَّتي من أجلها

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٨٨٤)، ومسلم في الإيمان (٢٤)، عن المسيب بن حزن.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٢٥)، وأحمد (٩٦١٠)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه الطحاوي في مشكل الآثار (٢٤٨٣).

QaradawiBooks.com

استغفر لأبيه في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]. فاستغفار إبراهيم لأبيه كان للوعد الَّذي كان وعده إياه، وهذا يدلُّ على أنَّ الوفاء بالوعد واجب، وليس ـ كما يقول بعض الفقهاء ـ مستحبًّا، ولما عرف أنَّه عدو لله تبرأ منه، وامتنع عن الاستغفار له.

ولذلك قال القرآن في سورة الممتحنة: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [الممتحنة: ٤]. لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين آمنوا معه إلَّا في هذه المسألة، مسألة الاستغفار؛ لأنَّه كان معذورًا في هذه الحالة، حينما وعد أباه أن يستغفر له، ثم لمَّا تبيَّن له أنه عدو لله تبرَّأ منه.

فهذا هو المقصود بهذه الآية الكريمة، وهذه الآية دليل على أنَّ الرابطة الدينية فوق كلِّ الروابط، فإبراهيم تبرَّأ من أبيه، لما علم أنه عدو لله ﷻ، ونوح عليه السلام قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٥ ـ ٤٦].

على حين قال الله: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ [الصافات: ٨٣]، أي: إن إبراهيم من شيعة نوح، وبين نوح وإبراهيم ما شاء الله من السّنين، بينما ابنه الَّذي من صلبه يقول الله عنه: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾، فقد فرَّق بينهما الدين، فالرابطة الدينية فوق كلِّ الروابط.

وبالله التوفيق.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الأيام السِّتَّة الَّتي خلق الله فيها الأرض

س: قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [هود: ٧]، فما المقصود بالأيام السِّتَّة؟ هل هي أيام كأيامنا هذه بتوقيتنا أم أيام مختلفة عن هذه الأيام؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

ذكر الله تعالى خلق السّماوات والأرض في ستَّة أيام، في غير آية من كتابه، منها: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [هود: ٧]، ويقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨].

ولا شكّ أنَّها أيام غير أيامنا الأرضية هذه، لأنَّ اليوم الأرضي هو مقدار دورة الأرض حول نفسها في مواجهة الشمس، فدورة الأرض هو اليوم، أربعة وعشرون ساعة، والأيام السّت قبل أن تُخلق الأرض، وقبل أن تخلق الشمس، فهذه الأيام قطعًا غير أيامنا.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

هي: ستَّة أطوار بعضها وراء بعض، الله أعلم هذا الطور كم هو من الزمن، قد يكون آلاف السّنين، أو ملايين السّنين، الله أعلم، وممكن أن يكون أقلّ، فالله على كلّ شيء قدير، وهو يقول للشيء كن فيكون، ولكن جرت سنته ﷻ أن يخلق الأشياء بتدرج.

الله تعالى يبيّن هذا في سورة فصلت فقال: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۞ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۞ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۞ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩ ـ ١٢].

فالسماوات السّبع هذه لم يكن ابتداء خلقها بصورتها الحالية؛ لأنَّه قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾، يعني كانت موجودة لكن في شكلٍ دخان، ولذلك تم الخلق في أطوار، كما قال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ۞ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ۞ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۞ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧ ـ ٣٠]، دحا الأرض بعد خلق السَّماء ورفع سمكها، إلخ. ودحاها أي: بسطها، فالأرض كانت غير مدحوَّة، ثم دحاها بعد ذلك.

فهذه الأيام السِّتَّة هي أطوار للخلق، وليست مثل أيامنا هذه، والله أعلم بمقدار مدتها.

مراحل خلق الكون:

وقد حاول بعض العلماء الطبيعيين تفسير هذه الأيام السِّتَّة، منهم د. زغلول النجار، حيث يقول: «يرى أهل العلوم المكتسبة مراحل خلق الكون على النحو التالي:

QaradawiBooks.com

مرحلة الجِرْم الابتدائي الأوليِّ، الَّذي بدأ منه الخلق (**مرحلة الرَتْق**).

مرحلة انفجار الجِرْمُ الابتدائي الأولي (**مرحلة الفَتْق**) وبدء توسُّع الكون.

مرحلة السَّماء الدخانية، وفيها تخلَّقت العناصر المختلفة، عبر تخلق المادة والمادة المضادة، وتكون نُوَيَّات الأيدروجين والهيليوم وبعض الليثيوم.

مرحلة انفصال دوامات من الغُلَالة الدُّخانية وتكثُّفها على ذاتها بفعل الجاذبية، لتكوين كلٍّ من الأرض وباقي أجرام السَّماء.

مرحلة دَحْو الأرض، وتكوين أغلفتها الغازية والمائية والصخرية، وبدء تحرك ألواح الغلاف الصخري للأرض، وتكوُّن كلٌّ من المحيطات والقارات والجبال، وتكوُّن التربة وبدء دورة الماء حول الأرض، وتسوية سطحها، وخزن الماء (مرحلة تكون الجبال).

مرحلة خلق الحياة من أبسط صورها إلى مختلف مستوياتها (مراحل المباركة وتقدير الأقوات)، والله تعالى أعلم بما قد خلق.

ويقدِّر علماء كلٌّ من الفلك والفيزياء الفلكية عمر الكون بحوالي١٠ ـ ١٥ بليون سنة، بينما يقدر علماء الأرض عمر ذلك الكوكب بحوالي٤ ـ ٦ بليون سنة، وهو نفس العمر الَّذي توصل إليه العلماء بتحليل تراب سطح القمر، وعمر النيازك العديدة الَّتي نزلت إلى الأرض.

ويبدو أنَّ الفارق الكبير بين العمرين المقدَّرين لكلّ من الأرض والكون سببه أن العمر المقدَّر للأرض هو عمر تيبُّس قشرتها الخارجية، وأن هذا العمر لا يشمل أيًّا من مراحل الأرض الابتدائية، ولا مراحل تخلُّق العناصر الَّتي كوَّنت تلك الأرض الابتدائية.

QaradawiBooks.com

وتشـــير الآيات القرآنية في كلّ من ســـورة البقرة (٢٩)، وفصلت (٩ ـ ١٢) إلى سبق خلق الأرض لعملية تسوية السَّماء الدخانية الأولية إلى سبع ســـماوات، ويبدو أنَّ المقصود هنا هو خلق عناصر الأرض، ثم تلي المرحلة خلق الأرض نفســـها على هيئـــة الكوكب الابتدائي، الَّذي تمَّ دحوُه وتشـــكيله إلـــى صورتـــه الراهنة؛ وذلـــك لأنَّ خلق السّـــماوات والأرض عمليتـــان متلازمتان، ولا يمكـــن لإحداهما أن تنفصل عن الأخرى.

فسبحان الَّذي أنزل من فوق سبع سماوات، وقبل ألف وأربعمائة من السّـــنين قوله الحق، في صيغة استفهام اســـتنكاري تقريعي للمشركين والكافرين: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۝ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۝ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩ ـ ١٢].

وقولـــه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]»[1].

الخوض في أمور الغيب:

والَّـــذي نراه أنَّهـــا أيـــامٌ، الله أعلم بمقدارهـــا وبكنهها، ومـــا يقوله البيولوجيُّون والجيولوجيُّون عن الخلق وبدئه وتطوُّره، إذا لم يوجد في ديننا ما ينقضه، نأخذه على أنه نظريات ممكنة الوقوع، نستأنس بها حتَّى

(١) موســـوعة الإعجاز العلمي في القرآن للدكتـــور زغلول النجار (١٦٥/٤ ـ ١٦٦)، نشـــر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

يظهر غيرها، فقد تظهر نظرية في تفسير نشأة الكون غير هذه النظرية فتبطلها، كما عرفنا في نظريات علمية كثيرة.

ومثل هذه الأمور الغيبية لا ينبغي الخوض فيها؛ لأنَّنا ليس لدينا وسائل لإدراكها، ولا معرفتها، وكل ما يقال في ذلك من نظريات علمية إنَّما هي نظريات لم تصل إلى مرحلة اليقين بل تتغير يومًا بعد يوم، فهذه الأيام السِّتَّة من عالم الغيب، ونقول فيها كما قال الله تعالى على لسان سيدنا موسى حينما سأله فرعون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥١ ـ ٥٢]. وسأله عن الله: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ فأجابه: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٤٩ ـ ٥٠]، حدثه عن الله ﷻ دون أن يدخل في كنه الذات الإلهية، وكنه الصفات الإلهية، فهذه لا تعرف، إنَّما يعرف الله بآثاره وأفعاله، ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾.

وهذا منهج قرآني يعلمنا إياه في أكثر من آية، في الأمور الغيبية نكل علمها لله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

والله الهادي إلى سواء السبيل.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾

س: أرجو أن توضِّحوا لنا معنى هذه الآيــة الكريمة: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤].

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

بعض النَّاس يفهمون هذه الآية خطأ. فهم يفهمون منها أنَّ أي ملك يدخل بلدًا حتَّى ولو من مملكته يفسدها، ويجعل أعزة أهلها أذلة، وهذا خطأ، وليس هو المراد.

هذه الآية جاءت في قصَّة بلقيس ملكة ســبأ، الَّتي ذكرها القرآن في سورة النمل، وهذه الملكة، حينما جاء الهدهد، وأخبر سليمان عن أمرها: ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣]. فأرســل إليها ســيدنا سليمان رســالة بدأها بقوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمــل: ٣٠، ٣١]. وجمعــت هذه الملكة قومها لتشــاورهم وقالت لهم: ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ۞

QaradawiBooks.com

﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ۝ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٢ ـ ٣٤].

فهذه الكلمة حكاها القرآن على لسان ملكة سبأ، تحكي لقومها عن أثر دخول الملوك الأجانب الفاتحين المتغلبين في بلد ما، حيث تكون النتيجة أنَّهم يفسدونها ويذلون أهلها.

وفي الواقع، هذا تلخيص لما يفعله أي استعمار في أي بلد: إفساد البلاد، وإذلال العباد، وذلك شأنهم باستمرار، ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤].

وليس معنى هذا أنَّ أي ملك يدخل بلدًا يفسدها، فإنَّ بلقيس نفسها ملكة، وإنَّما المقصود كما بينا، إذا دخلوها للدنيا متغلبين مستعمرين.

والمُلك قد يكون خيرًا وقد يكون شرًّا، فإذا كان بيد الأخيار والمصلحين كان أداة خير وإصلاح، وإذا كان في يد الأشرار والمفسدين كان أداة شرّ وإفساد، والقرآن ذكر لنا بعض الملوك الصالحين، وذكر لنا في مقابلهم المفسدين الظالمين.

ذكر لنا طالوت: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

وذكر لنا ملك داود: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

QaradawiBooks.com

وذكر لنا ملك سليمان، الَّذي قال في دعائه لله: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓ﴾ [ص: ٣٥].

وذكر لنا يوسف الَّذي قال: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ١٠١].

وذكر لنا ذا القرنين في سورة الكهف: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ۝ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤، ٨٥]، وهذا الملك الَّذي فتح الفتوح في المغرب والمشرق وبنى السّد وقال: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ [الكهف: ٩٥]. فلما أنجز بناءه قال: ﴿هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ [الكهف: ٩٨].

فقد يكون الملك أو رئيس الدولة صالحًا، فيكون من أفضل النَّاس فقد جاء في الحديث: «**ليومٌ من إمامٍ عادلٍ خيرٌ من عبادةِ ستِّين سنة**»[(١)]؛ فإنَّه يقضي من المصالح ويفرِّج من الكربات ويزيل من المظالم ما لا يفعله في عبادة ستِّين سنة.

يقابل هذا في القرآن ذكر ملوك ظالمين، كالنمروذ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

(١) رواه الطبراني (٣٣٧/١١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٩٩٥)، وحسن إسناده العراقي في تخريج الإحياء صـ ٢٠٥، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

ومثله فرعون الَّذي طغى وبغى، ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۞ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٣، ٢٤]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، وسبب هذا الطغيان غروره بالملك، قال: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١].

ومثله ذلك الملك الَّذي ذكره القرآن الكريم في سورة الكهف، وقد كان يغتصب أموال النَّاس بغير حق، ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]. فهؤلاء هم المذمومون.

أمَّا الملك في ذاته والحكم في ذاته، فليس شرًّا، إنَّما قد يكون صالحًا للرجل الصالح كما قال النَّبيّ ﷺ في المال: «**نِعْمَ المالُ الصالحُ للمرءِ الصالحِ**»[(١)].

كذلك نعم الحُكْم الصالح للرجل الصالح.

وهو شرٌّ في يد الرجل الفاسد؛ لأنَّه سيكون في يده أداة شرّ وفساد في الحياة كلها.

هذا ما تيسر بيانه في تفسير الآية الكريمة الَّتي وردت في السّؤال.

والله أعلم.

(١) رواه أحمد (١٧٧٦٣)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والحاكم في البيوع (٢/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٥٤)، عن عمرو بن العاص.

QaradawiBooks.com

تفسير قوله تعالى:
﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾

س: نرجو من فضيلتكم إلقاء بعض الضوء على تفسير الآيات الَّتي وردت في أوائل سورة الإسراء عن بني إسرائيل، وإفسادهم في الأرض مرَّتين، وعقاب الله تعالى لهم على كلّ مرَّة بتسليط من شاء من عباده عليهم.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

المقصود بالآيات الكريمة من سورة الإسراء، هي قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۞ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۞ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۞ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ۞ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٤ ـ ٨].

QaradawiBooks.com

وقد اختلف علماء العصر في بيان معاني هذه الآيات والمقصود منها.

فمنهم من قال: إنَّ مرَّتي الإفساد قد وقعتا، قبل الإسلام، وعوقب بنو إسرائيل أو اليهود عليهما من الله ﷻ.

وإن اختلفوا في نوع الإفساد الَّذي وقع منهم وفي زمنه. والغالب أنَّه: استحلالهم المحرمات، ونقضهم العهود، وانتهاكهم للحرمات بين بعضهم وبعض، وإيمانهم ببعض الكتاب وكفرهم ببعض، وتمردهم على أنبيائهم، إلى حد القتل، كما قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]. وقد قتلوا زكريا ويحيى، وتآمروا على المسيح، عليهم السلام.

إلى آخر ما سجله القرآن عليهم من تجاوزات وانحرافات خطيره في سورة البقرة وغيرها من سور القرآن.

كما اختلف المفسرون في حقيقة العقوبة الَّتي نزلت عليهم، ومن هم الَّذين سلطوا عليهم. جزاء ما صنعت أيديهم؟

وأكثر الأقوال: أنَّ أولى العقوبتين كانت تسليط البابليين عليهم، فهزموهم شرَّ هزيمة، وأزالوا دولتهم، وخربوا ديارهم، وحرفوا توراتهم، وأخذوهم أسرى إلى بابل، فعاشوا في النفي المذل، والغربة الأليمة سبعين عامًا.

وأمَّا العقوبة الثانية، فكانت ضربة الرومان لهم، الَّتي أنهت الوجود الإسرائيلي أو اليهودي من فلسطين، وفرقتهم في أنحاء الأرض، فلم تقم لهم قائمة بعدها، حتَّى جاءت الصهيونية الحديثة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومنهم من قال: إنَّما وقعت مـرَّة واحدة من المرَّتيـن، عندما بُعث النَّبـيّ ﷺ، وعاهد بني إسـرائيل في المدينـة، ثم غدروا بـه وعادوه وحاربوه، فكانت هذه هي مرَّة الإفسـاد الأولى، وقـد عاقبهم الله عليها بتسـليط عباد له أولي بأس شـديد عليهم، وهم الرسول ﷺ والصحابة معه، فحاربوهم وانتصروا عليهم.

والمرة الثانية هي ما وقع من اليهود اليوم في فلسـطين من تشـريد أهل فلسطين وتذبيحهم، وتقتيلهم، وهتك حرماتهم، وتخريب ديارهم، الَّتي أخرجوا منها بغير حق، وفرض وجودهم العدواني الدخيل بالحديد والدم والرصاص.

وننتظر اليوم عقوبة الله تعالى لهم، بتسـليط المسـلمين مرَّة أخرى عليهم، كما سلط عليهم الصحابة أوَّل مرة.

وهذا ما ذهب إليه بعض علماء العصر مثل الشيخ الشعراوي والشيخ عبد المعز عبد السّـتار وغيرهما، مبينين أنَّ المرة الأولى في إفساد بني إسـرائيل كانت في عصر النبوة بعد البعثة المحمدية، وهي ما قام به بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، وأهل خيبر، من كيد وبغي على الرسول وأصحابه، وقد نصرهم الله عليهم.

وكان العباد المسلطون عليهم هم النَّبيّ والصحابة؛ بدليل مدح هؤلاء بإضافتهم إلى الله بقوله: ﴿عِبَادًا لَّنَآ﴾.

أمَّا إفسـادتهم الثانية فهي ما يقومون به اليوم من علو كبير وطغيان عظيم، وانتهـاك للحرمات، وإهدار للحقوق، وسـفك للدماء، وغيرها، حتَّى أصبحوا أكثر أهل الأرض نفيرًا، بما يملكون من وسـائل الإعلام والتأثير في العالم.

QaradawiBooks.com

وسيتحقق وعد الله تعالى بتأديبهم وعقوبتهم وتسليط المسلمين عليهم كما سلطوا من قبل.

تفنيدنا لهذا الرأي وأدلَّة ذلك:

ورأيي أن هذا التفسير ضعيف لعدة أوجه:

أولًا: أنَّ قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي أنهينا إليهم وأعلمناهم في الكتاب، والمراد به: التوراة، كما قال قبلها: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ وما جاء في الكتاب: أي أسفار التوراة، يدلُّ على أن هاتين المرَّتين قد وقعتا، كما في سفر تثنية الاشتراع.

ثانيًا: أنَّ قبائل بني قينقاع والنضير وقريظة لا تمثل بني إسرائيل في قوتهم وملكهم، إنَّما هم شرائح صغيرة من بني إسرائيل بعد أن قُطِّعوا في الأرض أمما.

ثالثًا: أنَّ الرسول والصحابة لم يجوسوا خلال ديار بني إسرائيل ـ كما أشارت الآية الكريمة ـ إذ لم تكن لهم ديار، وإنَّما هي ديار العرب في أرض العرب.

رابعًا: أنَّ قوله تعالى: ﴿عِبَادًا لَّنَآ﴾ لا يعني أنَّهم من عباده الصالحين، فقد أضاف الله تعالى الكفَّار العصاة إلى ذاته المقدسة، كما في قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الفرقان: ١٧].

وقوله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

خامسًا: أنَّ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: ٦].

نسخة مجانية
غير مصرح للطباعة
QaradawiBooks.com

يتضمن امتنان الله تعالى عليهم بذلك، والله تعالى لا يمتن على بني إسرائيل المفسدين بإعطائهم الكرة على المسلمين.

سادسًا: أنَّ الله تعالى إنَّما ردَّ الكرة لبني إسرائيل على أعدائهم بعد أن عاقبهم في المرة الأولى، لأنَّهم أحسنوا وأصلحوا، كما قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧]، واليهود ـ كما عرفناهم وشاهدناهم ـ لم يحسنوا ولم يصلحوا قط، ولذا سلط الله عليهم هتلر وغيره. كما يبتلي ظالما بظالم. وهم منذ نحو مائة سنة يمكرون بنا ويتآمرون علينا، ليسرقوا أرضنا، فمتى أحسنوا حتَّى يرد الله لهم الكرة علينا؟

سابعًا: أنَّ الله تعالى قال في المرة الآخرة: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧].

والمسلمون لم يدخلوا مسجدهم قبل ذلك بالسيف والقهر، ولم يتبروا ما علوا تتبيرًا، بل لم يكن شأن المسلمين أبدًا التتبير والتدمير في حروبهم وفتوحهم. إنَّما هو شأن البابليين والرومان الَّذين سلطوا على الإسرائيليين.

ثامنًا: أنَّ ما أجمع عليه المفسرون القدامى أن مرَّتي الإفساد قد وقعتا[1]، وأن الله تعالى عاقبهم على كلِّ واحدة منهما، وليس هناك عقوبة أشد وأنكى عليهم من الهزيمة والأسر، والهوان والتدمير على أيدي البابليين، الَّذين محوا دولتهم من الوجود، وأحرقوا كتابهم المقدس، ودمروا هيكلهم تدميرًا، وكذلك ضربة الرومان القاصمة الَّتي قضت على

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٥٥/١٧) وما بعدها، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

QaradawiBooks.com

وجودهم في فلسطين قضاءً مبرمًا، وشردتهم في الأرض شذر مذر، كما قال تعالى: ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

والواضح أنَّهم اليوم يقعون تحت القانـــون الإلهي المتمثل في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: ٨]، وها هم قد عادوا إلى الإفساد والعلو والطغيان، وسنة الله تعالى أن يعود عليهم بالعقوبة الَّتي تردعهم وتؤدبهم، وتعرفهم قدر أنفسهم، كما قال الشاعر:

إنْ عـــادَتِ العَقْـــرَبُ عُدْنَـــا لَهَا بالنَّعْـــلِ، والنَّعْلُ لهـــا حَاضِرَةْ[1]!

يؤكِّد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

والحمد لله رب العالمين.

(١) البيت للفضل بن العبـــاس، كما في الحيوان للجاحظ (٣٦٦/٤)، نشـــر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾

س: أرجو تفسير الآيات الكريمة من سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦ ـ ٣٧].

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

هاتان الآيتان الكريمتان ذكرهما الله تعالى في الوصايا الحكيمة الَّتي وصّى بها عباده في سورة الإسراء:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۞ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾. [الإسراء: ٣٦، ٣٧].

في الآية الأولى، يعمل القرآن على تربية العقليَّة العلمية في المسلم. فهناك نوعان من العقليات:

١ ـ عقليَّة خرافية، تصدق الأوهام، وتجري وراء الأباطيل، وتسمع كلّ ما يقال لها، وتتبع كلّ ناعق. وهذه عقليَّة يرفضها الإسلام.

QaradawiBooks.com

٢ ـ والعقليَّة الأخرى وهي الَّتي يريدها الإسلام: العقليَّة الَّتي تتبع الدليل، وتخضع للمنطق في العقليات، وتمشي وراء الملاحظة والتجربة في الماديات، وتستعمل الأدوات الَّتي وهبها الله إياها: السّمع والبصر والفؤاد.. فهذه أدوات المعرفة كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

فمن هنا يجب أن يستعمل الإنسان سمعه، فبه تنتقل المعلومات من النَّاس بعضهم إلى بعض بطريق الرواية. والبصر، وبه تكون الملاحظة والتجربة، وعليهما قام صرح العلوم الكونية.

والفؤاد ـ أي العقل ـ به يستعمل الإنسان المنطق، ويستنتج النتائج من المقدمات.

وهذه الأدوات هي النوافذ الَّتي يطل منها الإنسان على أمور هذه الحياة والكون والشرع، وعلى خلق الله تعالى، وعلى نهيه وأمره.

فلا يجوز إذن أن يعطلها ويهملها، ويتبع الظنون والأوهام أو يتبع الإشاعات والأباطيل. ولهذا جاء في آيات كثيرة من القرآن مثل هذا التذييل والتعقيب: ﴿أَفَلَا تَسۡمَعُونَ﴾، ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾، ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾.

وفرق ما بين المؤمنين المهتدين، وبين الكافرين الضالين، أن الآخرين عطلوا أدوات المعرفة والهداية الَّتي منحوها، فلم تعد تقوم بوظيفتها، ﴿لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

لهذا حذرت الآية من إهمال هذه القوى، فقال تعالى مخاطبًا الإنسان: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ﴾. أي لا تتبع ما ليس لك به علم، فتجري

QaradawiBooks.com

وراء الظنون، أو وراء الأوهام والخرافات.. استعمل سمعك وبصرك وفؤادك. فإن الله سائلك عن هذه الأدوات: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾.

هذا معنى الآية الأولى بإجمال.

أمَّا الآية الثانية، وهي: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ فمعناها: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي مشية الاختيال والتبختر.. مشية العجب والاستكبار.. فإن هذا لا ينبغي للمؤمن، وهو ليس مشي عباد الرحمن، فالله قد وصف عباد الرحمن بأنَّهم: ﴿يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]. لماذا تمشي متبخترًا؟ هل تستطيع أن تخرق الأرض؟

مهما دببت برجلك فلن تستطيع ذلك، ومهما تطاولت وتمطيت بعنقك، فلن تبلغ الجبال طولًا. فأولى بك أن تمشي مشية التواضع والهون، والسكينة واللين.

ولا تمشِ فوقَ الأرضِ إلَّا تواضعًا فكم تحتَها قومٌ هُمُو منك أرفَعُ!
وإن كنتَ في عزٍّ وجاهٍ ومنعةٍ فكم ماتَ من قومٍ همُو منك أمنعُ[1]!

فالمطلوب من الإنسان أن يمشي على الأرض متواضعًا، سواء كان يمشي على قدميه، أم في سيارة.

هناك أناس يودون أن ينهبوا الأرض نهبًا بسياراتهم مختالين، لأن أحدهم يركب سيارة ضخمة فخمة، فلا يحترم آداب المرور، ولا قواعد

(١) البيتان لصالح بن جناح اللخمي، ذكرهما في الأدب والمروءة صـ ٣٤، نشر دار الصحابة للتراث، مصر، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

QaradawiBooks.com

السَّير، وكأنَّه يريد أن يحطم ما يواجهه في الطريق، أو يطير عن الأرض بلا جناحين.

من فعل ذلك فهو ممَّن يمشون في الأرض مرحًا، ولا يمشون هونًا. ومعظم الحوادث الَّتي تحدث في الطرقات ـ للأسف ـ من أولئك الَّذين يمشون في الأرض مرحًا.

فعلى المسلم الَّذي يتأدَّب بأدب القرآن أن يراعي هذا، وأن يمشي في الأرض هونًا، ولا يمشي فيها اختيالًا ولا تبخترًا، فإنَّ النَّبيَّ ﷺ يقول: «**من تعظَّم في نفسه، واختال في مشيته؛ لقي الله وهو عليه غضبانُ**»[1]. هذه الآية جاءت هنا، ووردت في وصايا لقمان لابنه في قوله: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٨].

وبالله التوفيق.

(١) رواه أحمد (٥٩٩٥)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح. والبخاري في الأدب المفرد (٥٤٩)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٥٤٣)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

تفسير قوله تعالى: ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾

س: يقول الله سبحان وتعالى في وصف ذي القرنين: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا﴾ [الكهف: ٨٦].

س: ما هي العين الحمئة الَّتي تغرب فيها الشمس؟ ومن هم هؤلاء القوم الَّذين وجدهم ذو القرنين عندها؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

جاءت قصَّة ذي القرنين في سورة الكهف من القرآن الكريم، ولم يحدِّثنا القرآن الكريم عن ذي القرنين من هو، ولا عن تفاصيل قصته: أين ذهب بالضبط، مَغْرِبًا ومَشْرِقًا، ومن هم الأقوام الَّذين ذهب إليهم.

لم يحدِّثنا القرآن عن ذلك، كما أنَّ أكثر ما ورد في سورة الكهف، ورد أيضًا بدون تحديد أسماء ولا تفاصيل، وذلك لحكمة يعلمها الله ﷻ.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إنَّ القصد من القصص القرآني، سواء في سورة الكهف أم في غيرها، ليس إعطاء تاريخ وحوادث تاريخية، وإنَّما القصد هو العبرة، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

هنا ذو القرنين، قصته فيها عبرة: ملك صالح، مكَّنه الله في الأرض، وآتاه من كلّ شيء سببًا، ومع هذا لم يطغه الملك. بلغ المغرب، وبلغ المشرق، وفتح الفتوح، ودان له النَّاس، ودانت له البلاد والعباد، ومع هذا لم ينحرف عن العدل، بل ظلّ مقيمًا لحدود الله، كما قال لهؤلاء القوم: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ۞ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ﴾ [الكهف: ٨٧، ٨٨].

أمَّا من هم هؤلاء القوم، فالقرآن لم يعرفنا عنهم شيئًا، ولو كان في معرفتهم فائدة دينية أو دنيوية، لعرفنا ولهدانا إلى ذلك.

كذلك، أين غربت الشمس؟ لم يعرفنا القرآن، وكل ما نعلمه أن ذا القرنين اتجه إلى جهة الغرب، حتَّى وصل إلى أقصى مكان في الغرب، وهناك وجد الشمس في رأي العين كأنَّما تغرب في عين حَمِئة. والحمأ هو الطين المتغير. فكأنما وجد الشمس تسقط في تلك العين الحمئة. ولو وقف أحدنا عند الغروب على شاطئ البحر، لوجد الشمس كأنَّما تسقط في البحر أو تغرب فيه، مع أنَّ الحقيقة غير ذلك. فهي تغرب عن قومٍ لتشرق عند آخرين.

فالمقصود إذن في الآية: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾، أي فيما يرى الرائي، وينظر الناظر.

ولعلَّ ذا القرنين وصل إلى مكانٍ يتَّصل فيه النهر بالبحر عند الفيضان كالنِّيل مثلًا حيث يكون ماؤه معكَّرًا يحمل الطين، فإذا غربت

QaradawiBooks.com

الشـــمس تبدو للناظر كأنَّها تغرب في عينٍ حمئـــة، أو لعلَّها بِرْكة فيها طين. لم يحدِّدها القـــرآن بالضبط، وإنَّما المقصود أنه ذهب إلى أقصى المغـــرب، كما ذهب إلـــى أقصى المشـــرق، وذهب إلى قـــوم يأجوج ومأجوج، ومع كلِّ هـــذا ظلَّ على عدله، وعلى إيمانـــه بربه، واعترافه بفضل الله عليه، في كلِّ ما يفعله، وأقام السَّـــدَّ العظيم من زُبُر الحديد، وغيره، ثم قال: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨].

هذا هو المقصـــود، وتلك هي العِبرة: ملك صالـــح، مكَّن الله له في الأرض، ومع هذا لم يطغَ، ولم يتجبَّر، ولم ينحرف.

أمَّا التفصيلات، فلم يُعنَ القرآن بها، كما أن السُّـــنَّة لم تبين لنا شيئًا من تلك التفصيلات كالزمان، والمكان، والأقوام. وليس في ذلك فائدة مطلوبة، ولو كان فيها هذه الفائدة لذكرها القرآن الكريم.

وإنَّه لجدير بنا أن نقف عنـــد الَّذي جاء به القـــرآن، والَّذي جاء به رسول الله ﷺ.

والله أعلم.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾

س: يقول الله ﷻ في سورة مريم: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾ [مريم: ٢٨]. من المقصود بهارون في الآية الكريمة؟ أهو هارون أخو موسى وكيف كانت أخته وبينهما مئات السِّنين؟ أم هو هارون آخر؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

إنَّ المقصود بهارون في الآية الكريمة: إمَّا هارون أخو موسى، والأخوَّة المذكورة ليست أخوَّة حقيقية؛ لأنَّ بين هارون ومريم مئات السِّنين بالفعل، وإنَّما هي أخوَّة مجازية، فمعنى أنَّها أخت هارون أنَّها من نسله وذرِّيَّته، كما يقال للتَّمِيمي: يا أخا تميم! وللقرشي: يا أخا قريش! فمعنى قولهم: يا أخت هارون، أي يا من أنت من ذريَّة ذلك النَّبيِّ الصالح، كيف فعلتِ هذه الفعلة؟ وحتَّى لو لم تكن من نسله وذريَّته، فإنَّها تنتسب إليه بخدمتها للهيكل وانقطاعها للعبادة فيه. فقد كانت خدمة الهيكل موقوفة على ذرية هارون. فمعنى: يا أختَ هارون! يا من تنتسبين إلى هذا النَّبيّ الصالح بالخدمة والعبادة والانقطاع للهيكل.

QaradawiBooks.com

ويجوز أن يكون المراد بهـــارون في الآية رجلًا صالحًا من قومها في ذلك الحين، كانت تتأسَّى به مريم، وتتشبَّه به في الزُّهد والطَّاعة والعبادة، فنُسبت إليه، فقالوا لها: يا من تتشـــبَّهين وتقتدين بذلك الرجلِ الصالح، ما كان أبوك بالفاجر، ولا أمُّك بالبغيِّ، فمن أين لك هذا الولد؟

وقد روى أحمد ومسلم والتِّرْمِذيّ والنَّسائي وغيرهم، عن المغيرة بن شُعبة رضي الله عنه قال: بعثني رســـولُ الله ﷺ إلى أهلِ نَجْرَانَ ـ وكانوا نصارى ـ فقالوا: أرأيتَ ما تقرؤون: يا أختَ هارون! وموســـى قبل عيســـى بكذا وكذا؟ يعترضون على المغيرة! قال: فرجعتُ فذكرتُ ذلك لرسولِ الله ﷺ فقال النَّبـــيُّ ﷺ: «**ألا أخبرتهم أنَّهم كانوا يســـمُّون بالأنبياء والصالحين قبلهم؟**»[1]. وهذا التفسير النبويُّ يبيِّن أنَّ هارون المذكور في الآية ليس من اللازم أن يكون هارون المذكور هو أخا موسى كما فهم أهل نجران، وإنَّما هو هارون معاصر لمريم. فقد كان قومها يســـمُّون بأسماء الأنبياء والصالحين منهم.

والله تعالى أعلم.

(١) رواه مســـلم في الآداب (٢١٣٥)، وأحمد (١٨٢٠١)، والترمذي (٣١٥٥)، والنسائي في الكبرى (١١٢٥٣)، كلاهما في التفسير.

QaradawiBooks.com

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ ﴾

س: أريد تفسير الآية الشريفة: ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٥]. من هم أصحاب هذه القرية؟ ولماذا أهلكوا؟ وأين موطنهم؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

إنَّ القرية المذكورة في الآية الكريمة ليس مقصودًا بها قرية معينة معرفة، وإنَّما المقصود بها أيُّ قرية. «حرام على قرية» ـ أي قرية أهلكها الله ـ ألَّا ترجع، أي أنَّ رجوعها للحساب بعد أن ترجع إلى الآخرة، فتوفى حسابها، وتوفى جزاءها، ومعنى هذا أن عذاب الدُّنْيا لا يغني عن عذاب الآخرة. ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۞ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۞ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ [الطلاق: ٨ ـ ١٠].

فهي تعذب في الدُّنْيا وهذا لا يغنيها عن حساب الآخرة. فهذا سر التأكيد بعد أن ذكر الله عن الأمم السّابقة ما ذكر أنه لا بدَّ من الرجوع.

QaradawiBooks.com

فمعنى قوله تعالى: ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٥]. أي أنَّ رجوعها لا بدَّ منه، رجوعها إلى الله للحساب والجزاء.

وليس مقصودًا بها قرية معينة، كما فهم الأخ السائل.

والله أعلم.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

موقف القرآن من الشعر والشعراء

س: يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۞ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ [الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٧].

ماذا قصد الله بالشعراء؟ وهل مصيرهم إلى النار؟ ولماذا يتبعهم الغاوون؟ وماذا قصدت الآية بـ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾؟

(ع.ع)
من الدوحة

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

هذه الآيات جاءت في ختام سورة الشعراء، وجاءت للرد على من يتهمون النَّبيَّ ﷺ بأنَّه شاعر، فكما نعرف: القرآن الكريم حينما دمغ المشركين بحججه البينة، وآياته الدالَّة، ولم يستطيعوا أمام منطق الوحي، وأمام منطق القرآن أن يصنعوا شيئًا، أو يقولوا شيئًا، ظلُّوا

نسخة أصلية

يتَّهمون النَّبيَّ ﷺ باتهامات شتَّى، كما قال القرآن: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥].

وكل هذا دليل على التخبُّط، وأنَّهم عاجزون أمام المنطق القويِّ، وأمام حُجج القرآن، فكان ممَّا قالوه أنه شاعر، وأنَّه كاهن، فالسورة نفت الأمرين معًا، نفت أنه كاهن، وقالت: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠ ـ ٢١٢]، وقالت: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٣]. فردت عليهم قولهم: إنَّ محمدًا كاهن من الكهَّان الَّذين تتنزَّل عليهم الجنُّ أو يتَّصلون بالجنِّ! ثم نفت تهمة أخرى، وهي أنَّ محمدًا شاعر، وأنَّ ما جاء به شعر، فقال لهم: انظروا إلى شخصية محمدٍ وإلى شخصية الشُّعَراء، الشُّعَراء يعيشون في أحلامٍ وأوهامٍ وخيالات، عوالم خيالية يصنعونها هم لأنفسهم، ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٦]. بينما محمَّد جاء بالحقائق الواضحة الصارمة، جاء بمنهج واقعي يواجه الحياة كما هي، فليس مهوِّمًا ولا محلِّقًا في الأحلام، انظروا إلى هذا وانظروا إلى ذاك، كما جاء في سورة يس: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يس: ٦٩ ـ ٧٠]. فالآية بيَّنت أن الشُّعراء يتَّبعهم الغاوون، وذلك أنَّ الشِّعْر هو عبارة عن تصوير لانفعالات معينة، ولحظات معيَّنة يعيش فيها الإنسان، لحظات وقتيَّة يعيش فيها الإنسان، فهو يصوِّر هذه الانفعالات وهذه اللحظات النفسية والعاطفية، ويستدل القرآن على ذلك فيقول:

QaradawiBooks.com

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۞ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾، الشعراء عادة يهيمون في كلِّ وادٍ من أودية القول، أو أودية التصور، أو أودية الشعور، لا يحجزهم شيء، ولذلك أيضًا يقولون ما لا يفعلون، لا يلتزم أحدهم بأن يقول ما يفعله، حتَّى صار مشهورًا أنَّ أعذبَ الشِّعرِ أكذبُه.

من شعراء الرسول الله ﷺ:

وليس معنى هذا أنَّ الشِّعْر كلَّه هكذا، إنَّما هذه هي الصورة المعروفة، ولذلك استثنى القرآن من ذلك الشعراء الصالحين، فقال: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ﴾، فهؤلاء يلتزمون الصدق، ويلتزمون الواقع، ولا يعيشون وراء الأحلام، ولا وراء الكذب، هؤلاء مستثنَوْن قطعًا.

وكان لرسول الله ﷺ شعراء، منهم كعب بن مالك، ولما أنزل الله تبارك وتعالى في الشعر ما أنزل، أتى كعبٌ النبيَّ ﷺ فقال: إن الله تبارك وتعالى قد أنزل في الشِّعْرِ ما قد علمتَ، وكيف ترى فيه؟ فقال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ المؤمنَ يجاهدُ بسيفِه ولسانِه، والَّذي نفسي بيَدِه، لكأنَّ ما ترمونهم به نَضْحُ النَّبْل**»[1].

ومنهم عبد الله بن رَوَاحة، فعن أنس قال: دخل النَّبيُّ ﷺ مكَّة في عمْرة القضاء، وابن رَواحة بين يديه يقول:

خلُّوا بني الكفَّارِ عن سبيلِهِ ... اليومَ نضربُكم على تأويلِهِ
ضربًا يُزيل الهامَ عن مقيلِهِ ... ويُذهلُ الخليلَ عن خليلِهِ

(١) رواه أحمد (٢٧١٧٤)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وابن حبان في السير (٤٧٠٧)، والطبراني (٧٥/١٩)، عن كعب بن مالك.

QaradawiBooks.com

قال عمر: يا ابنَ رَوَاحة، في حرم الله، وبين يدَيْ رسول الله ﷺ تقول هذا الشِّــعْرَ! فقال النَّبيُّ ﷺ: «**خلِّ عنه، فوالَّذي نفسي بيده، لكلامُه أشدُّ عليهم من وقْعِ النَّبْلِ**»(١).

ومنهم حسَّــانُ بن ثابت، وهو أشهر شعراء الرســول، الَّذي قال له رسول الله: «**اهجُهم ـ** أو هاجِهم **ـ وجبريلُ معك**»(٢).

فلا مانع أبدًا من قول الشعر في الإســلام، إنَّما الَّذي يعيبه الإسلام على الشعر، هو بعده عن الواقعية.

والإسلام يحرِّم الشــعر الَّذي يهيج الشهوات ويثير الغرائز، كما رأينا في عصور شتَّى، وكما نرى في عصرنا الشعر الَّذي يصور المرأة وكأنها عارية.

مجالات الشعر المباحة:

ولكنَّه يبيح مجالات كثيرة للشِّعْر من غير شك، ويدعو إلى مجالات أخرى للشــعر، فهناك المجال الروحي، والنواحي الدينية، والدفاع عن الإسلام، والترحيب بمعاني البطولة، وحتَّى في النواحي العاطفية، هناك عاطفة الأمومة، والعلاقات الإنسانية، وعلاقة الزوج بزوجته، والأب بابنه وبنته، والأخ بأخيه وأخته، المجالات كثيرة للشِّعْر، فليس الشِّعْر المباح ما يكون في المجال الدِّيني فقط.

---

(١) رواه النســائي (٢٨٩٣)، وابن خزيمة (٢٦٨٠)، كلاهما في المناسك، وابن حبان في الشعر (٥٧٨٨)، وقال الأرناؤوط: حديث صحيح. وصحَّحه الألباني في مختصر الشــمائل (٢١٠)، عن أنس.

(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢١٣)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٨٦)، عن البراء بن عازب.

QaradawiBooks.com

المهمُّ أن ينطلق الشِّعر من رؤية إسلامية واضحة، حتَّى يكون كلُّ الشِّعْر وكل الأدب إسلاميًّا، إذا نشأ عن تصوُّر إسلامي للكون وللحياة وللإنسان.

فليس مصير الشعراء كلِّهم إلى النَّار كما يقول الأخ، لا أبدًا، وإلا كان حسَّان وابن رواحة وكعب وغيرهم مصيرهم إلى النَّار، وقد رأينا في العصر الحديث من الشعراء من كان شعره دفاعًا عن الإسلام ودعوة إلى مبادئه وأفكاره، مثل محمَّد إقبال، الملقَّب بشاعر الإسلام، وله أشعار في منتهى القوَّة، أشعار ينقض فيها الحضارة الماديَّة، وأشعار يذكر فيها توحيد الله، وأشعار يمدح فيها رسول الله ﷺ، وأشعار يتحدَّث فيها عن الإيمان.

ورأينا كذلك أحمد شوقي، وله أشعار جيدة، بعضها مدائح للنَّبيِّ ﷺ، وبعضها تمجيد لمآثر الإسلام والمسلمين والمفاخر الإسلامية، وبعضها في مدح الأخلاق، وكذلك حافظ إبراهيم من أعظم قصائده العمرية، وهي قصيدة طويلة في مدائح عمر ومواقفه. وكثير من الشعراء في عصرنا نرى لهم أشياء جيدة جدًّا، فلا نستطيع أن نقول: إنَّ الشعراء مصيرهم إلى النار. فالأمر كما قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ حينما سئل عن الشعر فقال: الشِّعرُ كلامٌ، فحسنُه حسنٌ، وقبيحُه قبيح[1]. ففي الشِّعْر ما هو حسن، وفيه ما هو قبيح، وأحيانًا كثيرة يغلب القبيح الحسن، ولغلبة القبيح جاء القرآن وقال في الشِّعْر ما قال، وقد جاء في الحديث الصحيح: «**إنَّ من البيان سِحْرًا، وإنَّ من الشِّعْرِ حُكْمًا**»[2]: أي

(١) الأم للشافعي (٦/٢٢٤)، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

(٢) رواه أحمد (٢٧٦١)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود (٥٠١١)، والترمذي (٢٨٤٥)، وحسنه، وابن ماجه (٣٧٥٦)، ثلاثتهم في الأدب. والترمذي وابن ماجه الشطر الثاني منه، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٧٣١)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

حكمة. وجاء في الحديث الصحيح أيضًا: «**أصدقُ كلمة قالها شاعرٌ، كلمةُ لبيد: ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلُ. وكاد أُميَّة بن أبي الصَّلْتِ أن يُسْلِم**»[١]. فالشِّعْر أحيانًا قد يكون حكمة، وقد يقول الشاعر الحقَّ، وهناك من الشعراء من مجَّد هذا، فقد رأينا طَرَفَة بن العبد يقول:

وإنَّ أحْسَنَ بيتٍ أنت قائلُه بيتٌ يقال إذا ما قُلْتَه صَدَقَا[٢]

هذا لم يأتِ بناءَ على أنَّ أعذب الشِّعر أكذبُه، لا، بل على أنَّ الصدق مطلوب، لذلك الشِّعْر يشتمل على كثير من الحِكَم، فليس كلُّ الشعراء مصيرهم إلى النَّار.

والنبيُّ ﷺ استمع إلى شعر الخنساء، وقالوا: إنَّه استزادها، وقال لها: «**هِيهِ يا خُنَيْس**»[٣]. فلا مانع أبدًا من قول الشعر، ومن سماع الشِّعْر، ومن نشر الشِّعر إذا كان يلتزم المنهج الإسلامي، وهو منهج الصِّدْق والواقعية، والبعد عن الإسفاف، وهذا منهج الإسلام في الأدب بصفة عامَّة.

والله الموفق.

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٨٤١)، ومسلم في الشعر (٢٢٥٦)، عن أبي هريرة.

(٢) انظر: ديوان طرفة بن العبد صـ ٥٧، تحقيق مهدي محمد ناصر الدين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

(٣) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (١٨٢٧/٤) ترجمة (٣٣١٧)، تحقيق علي محمد البجاوي، نشر دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾

س: أرجو تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٥، ١٦].

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

جاءت هذه الآية في سورة الجن، حينما استمعوا إلى القرآن الكريم من النَّبيِّ ﷺ، فعادوا إلى قومهم يقولون: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١، ٢]. وكان من قولهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ۝ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٤، ١٥].

والقاسط: هو الجائر، الظَّالم، أيْ مَنْ عدل عن القِسْط، وانحرف عن العدل، فالقاسط غير المُقسِط. والمُقسِط: هو العادل.

والله تعالى يحبُّ المقسطين، ولكنَّه يبغض القاسطين.

نسخة مجانية

وكلمة مُقسِط من فعل أَقْسَطَ، وكلمة قاسط من فعل قَسَطَ[١].

فالهمزة جعلت بين الفعلين فرقًا كبيرًا في المعنى، فرق تضادٍّ؛ فأقسط معناها عدل، وقَسَط معناها ظَلَم.

والمقصود بكلمة «قاسطون» هنا إذن: الظالمون الَّذين ظلموا أنفسهم، فلم يؤمنوا بالله ولم يُسلموا، فأولئك كانوا لجهنم حطبًا. ولو أسلموا وآمنوا واتقوا ربهم، واستقاموا على منهج الله ومنهج الإسلام، ليسرنا لهم أمور حياتهم ومعيشتهم، وتنزلت عليهم بركات السَّماء والأرض. وذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾.

وفي نفس المعنى يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

فالاستقامة والتقوى سبيل الرزق والرَّغد، وسبيل الخير كلِّه في الدُّنْيا وفي الآخرة: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، ﴿أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٦].

فالاستقامة والإيمان، والوقوف عند منهج الله وحدوده سببٌ لكلِّ خير في الدُّنْيا والآخرة.

وبالله التوفيق.

---

(١) لسان العرب مادة (ق. س. ط).

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

تفسير قوله تعالى: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾

س: ما معنى قول الله تعالى: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٩]؟ وهل هي المرأة الَّتي ترقص في الطبول والأفراح، كما يفهمه بعض الناس؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

ليس ما نقلته عن بعض النَّاس من أنَّ معنى: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾، هي المرأة الَّتي ترقص في الأفراح صحيحًا، فالآية تصف جهنم، تصف سقر، وهو اسم من أسماء جهنم، والَّذي يقرأ سياق الآية يدرك ذلك، يقول تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۝ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٦ ـ ٣١].

نسخة سحابية

وهذا جاء في وعيد الله ﷻ للوليد بن المغيرة، الَّذي قال الله فيه: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۞ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۞ وَبَنِينَ شُهُودًا ۞ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ۞ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۞ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا ۞ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ۞ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۞ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۞ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۞ ثُمَّ نَظَرَ ۞ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۞ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۞ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۞ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۞ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۞ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۞ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۞ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ١١ ـ ٣٠].

فهذا وصف لجهنم، والتسعة عشر هم خزنة النار، فالكلام عن النَّار.

ومعنى: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾، أي مُغَيِّرة، من لاحه: إذا غيَّره. وهي نعت لـ «سَقَرَ» في قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾.

والعرب تقول: لاحه البَرْد والحرُّ والسُّقم والحُزْن: إذا غيَّره؛ ومنه قول الشاعر:

تَقولُ ما لَاحَكَ يا مُسافِرُ ... يَا ابْنَةَ عَمِّي لاحَنِي الْهَواجِرُ[1]

وقال آخرُ:

وتَعْجَبُ هِنْدٌ أَنْ رَأَتْنِي شاحِبًا ... تقول لِشَيْءٍ لَوَّحَتْه السَّمائمُ

وقيل: إنَّ اللَّوْحَ شدةُ العطَش؛ يقال: لاحه العطشُ ولوَّحه: أي غيَّره. والمعنى أنَّها مُعَطِّشة للبشر، أي: لأهلها؛ قاله الأخفش، وأنشد:

سَقْتنِي على لَوْحٍ منَ الماء شَرْبَةً ... سقاها بها اللهُ الرِّهامَ الغَواديا[2]

---

(١) الشعر لأبي عبيدة. انظر: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري صـ ٥٤٢، تحقيق عبد السلام محمد هارون، نشر دار المعارف، ط ٥.

(٢) البيت لسحيمٍ عبدِ بني الحسحاس، كما في أمالي المرزوقي صـ ٣٩١، تحقيق يحيى وهيب الجبوري، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

يعني باللَّوْح: شدَّةَ العطش. والْتَاحَ: أي عَطِش. والرِّهام: جمع رِهْمة، بالكسر وهي: الأمطار الضعيفة، وأرْهَمَت السَّحابةُ: أتَتْ بالرِّهام.

وقال ابن عبَّاس: ﴿لَوَّاحَةٌ﴾ أي تلوح للبشر من مسيرة خمسمائة عام.

وقال الحسن وابن كَيْسان: تلوح لهم جهنمُ حتَّى يَرَوْها عِيانًا. نظيره: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء: ٩١].

وفي (البَشَر) وجهان:

أحدهما: أنَّه الإنس من أهل النار؛ قاله الأخفش والأكثرون.

الثَّاني: أنَّه جمع بَشَـرة، وهي جِلْدة الإنسـان الظاهرة؛ قاله مجاهد وقتادة.

وجمع البَشَر أبشار، وهذا على التفسير الأوَّل، وأما على تفسير ابن عبَّاس فلا يستقيم فيه إلَّا الناسُ لا الجلود؛ لأنَّه من لاح الشيءُ يَلُوح: إذا لمع[1].

والله تعالى أعلم.

(١) انظر: الجامع لأحـكام القرآن (٧٨/١٩) بتصرف يسـير، تحقيق أحمـد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

QaradawiBooks.com

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾

س: ما معنى قول الله تعالى في سورة القيامة: ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ [القيامة: ٢٩]؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

هذه الآية من سورة القيامة، هي وصف الإنسان في حالة الاحتضار، الَّتي وصف الله تعالى حال الإنسان فيها وخروج روحه من جسده، فقال عَزَّ مِن قائل: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۞ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ۞ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ۞ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۞ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ۞ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۞ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۞ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ۞ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ۞ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ﴾ [القيامة: ٢٦ ـ ٣٥].

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾: يخبر تعالى عن حالة الاحتضار وما فيها من الأهوال ـ ثبَّتَنا الله هنالك بالقول الثابت ـ فيقول: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾، إن جعلنا ﴿كَلَّآ﴾ رادعة، فمعناها: لست يا ابن آدم تُكَذِّب هناك بما أُخْبِرْتَ به، بل صار ذلك عندك عِيَانًا. وإن جعلناها بمعنى «حَقًّا» فظاهر، أي: حَقًّا ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾، أي انتُزِعت رُوحك من جسدك، وبلغت تراقِيَك.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والتراقي: جمع تَرْقُوة، وهي العظام الَّتي بين ثُغْرة النحر والعَاتِق، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۞ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۞ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۞ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۞ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الواقعة: ٨٣ ـ ٨٧]. فالتراقي قريبة من الحلقوم.

﴿وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ﴾ قال: عكرمة، عن ابن عبَّاس: أي مَنْ راقٍ يرقي؟ وكذا قال أبو قلابة: ﴿وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ﴾ أي: من طبيب شاف. وكذا قال قتادة والضحَّاك وابن زيد.

وعن ابن عبَّاس: ﴿وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ﴾ قال: قيل: مَن يَرْقَى برُوحه (مشتقة من الرُّقِيِّ) ملائكةُ الرحمةِ أم ملائكة العذاب؟ فعلى هذا يكون من كلام الملائكة[1].

وقال الفخر الرازي في تفسيره لهذه الآية: «﴿وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ﴾ في «راق» وجهان:

الأول: أن يكون من الرُّقْيَة. يقال: رقَاه يَرْقِيه رُقْيَة، إذا عوَّذه بما يشفيه، كما يقال: باسم الله أَرقيك.

وقائل هذا القول على هذا الوجه، هم الَّذين يكونون حول الإنسان المُشرِف على الموت، ثم هذا الاستفهام، يحتمل أن يكون بمعنى الطلب، كأنَّهم طلبوا له طبيبًا يشفيه، وراقيًا يَرقيه، ويحتمل أن يكون استفهامًا بمعنى الإنكار، كما يقول القائل عند اليأس: من الَّذي يقدر أن يرقي هذا الإنسان المشرف على الموت؟

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٨٢/٨)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، نشر دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

الوجه الثاني: أن يكـــون قوله: ﴿مَنْۜ رَاقٍ﴾ من رَقِـــيَ يَرْقَى رُقِيًّا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإســراء: ٩٣]. وعلى هذا الوجه يكون قائل هذا القول هم الملائكة.

قال ابن عبَّاس: إنَّ الملائكة يكرهون القُرْبَ من الكافر، فيقول مَلَك الموت: من يَرْقَى بهذا الكافر؟»[١].

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾:

«قال المفسِّـــرون: المراد أنَّه أيقن بمفارقته الدنيا، ولعله إنَّما عبَّر عن اليقين هاهنا بالظن؛ لأن الإنســـان ما دام يبقى روحه متعلِّقًا ببدنه، فإنَّه يطمع في الحياة لشدة حبه لهذه الحياة العاجلة على ما قال: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ [القيامة: ٢٠]. ولا ينقطع رجـــاؤه عنها، فلا يحصل له يقين الموت، بل الظن الغالب مع رجاء الحياة.

أو لعلَّه سمَّاه بالظنِّ على سبيل التهكُّم».

قال الرازي: «واعلمْ أنَّ الآية دالَّة على أنَّ الرُّوح جَوْهرٌ قائم بنفسه، باقٍ بعد موت البدن؛ لأنَّه تعالى سمَّى الموت فِرَاقًا، والفراق إنَّما يكون لو كانت الروح باقية، فإنَّ الفراق والوصال صفة، والصفة تستدعي وجود الموصوف.

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾:

الالتفاف هو الاجتماع، كقوله تعالى: ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: ١٠٤].

وفي السّاق قولان:

القول الأول: أنه الأمر الشـــديد. قال أهل المعاني: لأن الإنســـان إذا

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٧٣٤/٣٠)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.

QaradawiBooks.com

دهمته شدة شمَّر لها عن ساقه، فقيل للأمر الشديد: ساق. وتقول العرب: قامت الحرب على ساق. أي اشتدت. قال الجعدي[١]:

أخو الحَرْبِ إن عضَّت به الحربُ عضَّها وإن شمَّرت عن ساقها الحَرْبُ شمَّرَا

والمراد بقوله: ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ أي: التفت شدةُ مفارقة الدُّنْيا ولذاتها وشدةُ الذَّهاب، أو التفت شدةُ ترك الأهل، وترك الولد، وترك المال، وترك الجاه، وشدةُ شماتة الأعداء، وغمِّ الأولياء، وبالجملة فالشدائد هناك كثيرة، كشدة الذهاب إلى الآخرة والقدوم على الله.

أو التفَّت شدةُ ترك الأحباب والأولياء، وشدةُ الذهاب إلى دار الغربة.

والقول الثاني: أنَّ المراد من السّاق هذا العضو المخصوص. ثم ذكروا على هذا القول وجوهًا:

أحدها: قال الشَّعبي وقتادة: هما ساقاه عند الموت، أما رأيته في النزْع كيف يضربُ بإحدى رجليه على الأخرى؟

والثاني: قال الحسن وسعيد بن المسيب: هما ساقاه إذا التفَّتا في الكفن.

والثالث: أنَّه إذا مات يبست ساقاه، والتصقت إحداهما بالأخرى»[٢].

وقال ابن كثير: «وعن ابن عبَّاس في قوله: ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ قال: التفَّت عليه الدُّنْيا والآخرة.

---

(١) كذا قال الرازي، وهو ليس في ديوان الجعدي، وإنما في ديوان حاتم الطائي صـ٢٢، شرح أحمد رشاد، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٢م.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي (٣٠/٧٣٥).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وكذا قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاس: ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ يقول: آخر يوم في الدنيا، وأول يوم من أيام الآخرة، فتلتقي الشِّدَّة بالشِّدَّة إلَّا من رحم الله.

وقال عكرمة: ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾: الأمر العظيم بالأمر العظيم. وقال مجاهد: بلاء ببلاء. وقال الحسن البصري في قوله: ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ هما ساقاك إذا التفَّتَا.

وفي رواية عنه: ماتت رِجلاه فلم تحمِلَاه، وقد كان عليهما جوَّالًا.

وفي رواية عن الحسن: هو لفُّهما في الكَفَن.

وقال الضحَّاك: ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ اجتمع عليه أمران: النَّاس يُجَهِّزون جسده، والملائكة يُجَهِّزون رُوحَه»[1].

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ﴾، المساق والمرجع والمسار إلى الله ﷻ، انتهت الحياة بكلِّ ما فيها من خير وشر، وحلو ومر، وعسر ويسر، وأصبح الإنسان مواجَها بعمله، طيبًا كان أو خبيثًا.

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٤/٧٧).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

سورة الكافرون براءة من الشرك

س: في سورة الكافرون تكرَّر قول الله ﷻ: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣]، فما الحكمة من تكرار هذه الآية الكريمة؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

هذه السُّورة الكريمة من قصار المفصل، من السُّور المكية، ونعني بالسور المكية: السُّور الَّتي نزلت قبل هجرة النَّبيِّ ﷺ إلى المدينة، فهناك مرحلتان متميزتان في عهد البعثة المحمدية: مرحلة ما قبل الهجرة، ومرحلة ما بعد الهجرة، مرحلة تربية الفرد في مكة، ومرحلة إقامة المجتمع في المدينة.

وسورة «الكافرون» سورة مكية، والسور المكية تُعْنَى بإرساء العقائد والأسس الأخلاقية. والسور المدنية تعنى بالتشريع والتنظيم للحياة الجديدة، فهذه السّورة من السّور المكية الَّتي تعنى بالعقيدة، وأساس العقائد الإسلامية كلها: التوحيد، والبراءة من الشرك والكفر، بكلِّ ألوانه ومظاهره. وهذه السُّورة هي سورة البراءة من الشرك، كما

سـمَّاها النَّبيُّ ﷺ، فقـد روى أبو داود، عـن نوفلٍ الأشـجعيِّ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال له: «**اقرأْ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ثم نمْ على خاتمتها؛ فإنَّها براءةٌ من الشِّرْك**»(١).

فسورة الكافرون الَّتي ختمت بقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ فيها البراءة من الشـرك والكفر بكلِّ أنواعه، وبكل ألوانه ومظاهره، وفي كلِّ أحواله وزمانه، ولا نستطيع أن نفهم هذه السّورة جيدًا، إلَّا إذا عرفنا الجو والملابسة الَّتي نزلت فيها هذه السّورة، فالسورة نزلت في العهد المكي، وفي إبان الصراع بين النَّبيّ ﷺ، وزعماء مكَّة ومشركي قريش.

حينما قام النَّبـيُّ ﷺ بدعوته، يدعـو النَّاس إلى التوحيـد، وإلى ترك الأصنام والآلهة المزعومة والمعبودة من دون الله، أو مع الله، وأن لا يعبدوا إلَّا الله وحده، وأن لا يعفِّروا جباههم ساجدين لغير الله، ولا يحنوا ظهورهم راكعين إلَّا لله. كانت «لا إله إلَّا الله» هي عنوان الدعوة، وكانت إيذانا بحياة جديدة، ومجتمع جديد، ومنهج جديد للبشـرية، هنالـك جُنَّ جنون القوم الَّذين عاشوا للأصنام، وعاشوا غارقين في بحار الوثنية، حتَّى إن كلَّ بيت من البيوت كان فيه أكثر من صنم، وكان الرجل منهم إذا ذهب في سفر أخذ معه إلهًا أو أكثر، وأحيانًا يكون إلهًا من العجوة، فإذا جاع أكله، وكان الرجل منهم إذا سـافر، فنزل منزلًا، أخذ أربعة أحجارٍ، فنظر إلى أحسنها، فاتخذه ربًّا، وجعل الثلاثة أثافيَّ لقِـدْره (الأحجار الَّتي يوضـع عليها القدر حتَّى لا يميل)، وإذا ارتحل تركه. فإذا نزل منزلا آخر فعل مثل ذلك، وأحيانًا يأتي بحثيات من تراب، ويحلُب عليها شاته، ويصنع شيئًا ويجعله إلهًا ويعبده.

---

(١) رواه أحمد (٢٣٨٠٧)، وقال مخرجوه: حديث حسن. وأبو داود في الأدب (٥٠٥٥)، والترمذي في الدعوات (٣٤٠٣) مرسـلًا وموصولًا، ورجَّح الموصول، وحسنه الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (٦١/٣).

QaradawiBooks.com

حتى الكعبة نفسها ـ وهي بيت التوحيد الَّذي بناه إبراهيم لعبادة الله وحده في الأرض ـ كان حولها وفيها ثلاثمائة وستون صنمًا، فالوثنية كانت على أشدها.

ولذلك حينما دعا النَّبيّ ﷺ إلى التوحيد: وقف القوم في وجهه، وحاولوا الضغط عليه بكلِّ ما يستطيعون، أحيانًا بالإيذاء في نفسه وفي أصحابه، وأحيانًا بالمقاطعة الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، فقد حاصروا النَّبيّ والمؤمنين به ومعهم بنو هاشم ثلاث سنين في شِعْب أبي طالب، لا يبايعون أحدًا من بني هاشم، ولا يناكحونهم، ولا يعاملونهم، حتّى يدفعوا إليهم محمَّدًا فيقتلوه. حتَّى اضطر النَّبيُّ ﷺ وأصحابه إلى أن يأكلوا ورق الشجر، حتَّى دميت أشداقهم وأفواههم. وأحيانًا بالضغط العائلي، حينما ذهبوا إلى أبي طالب مرَّة بعد مرَّة، ليضغط على النَّبيِّ ﷺ، وفي بعض المرَّات قال أبو طالب للنَّبيِّ ﷺ: يا ابنَ أخي، لا تُحمِّلني من الأمر ما لا أطيق. فقال له النَّبيُّ ﷺ كلمته المشهورة: «**يا عمّ، واللهِ لو وضعوا الشمسَ في يميني، والقمرَ في يساري، على أن أترك هذا الأمر، ما تركته حتَّى يُظهره اللهُ، أو أهلِكَ دونَه**»[1].

سبب نزول سورة «الكافرون»:

وكان سبب نزول سورة «الكافرون»، مساومة من تلك المساومات، فعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أن قريشًا وَعَدُوا رسولَ الله ﷺ أن يعطوه مالًا، فيكون أغنى رجلٍ بمكَّة، ويزوِّجوه ما أراد من النساء، ويطؤوا عقبه، فقالوا له: هذا لك عندنا يا محمد، وكُفَّ عن شتم آلهتنا، فلا تذكرها بسوء، فإن لم

(١) رواه الطبري في تاريخه (٣٢٦/٢)، نشر دار التراث، بيروت، ط ٣، ١٣٨٧هـ. وضعفه الألباني في الضعيفة (٩٠٩)، عن يعقوب بن عتبة بن الأخنس، مع شهرته عند الناس.

QaradawiBooks.com

تفعل، فإنا نعرض عليك خصلةً واحـدة فهي لك، ولنا فيها صلاح. قال: «**ما هي؟**» قالوا: تعبد آلهتنا سنة، اللات والعزى، ونعبد إلهك سنة. قال: «**حتى أنْظُرَ ما يأتي من عِنْدِ ربِّي**». فجاء الوحي من اللوح المحفوظ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ السّورة، وأنزل الله: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ۞ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۞ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٤ ـ ٦٦][1].

نوعٌ جديد من المساومة، أن يدخل في شيء من دينهم، ويدخلون في شـيءٍ من دينه، أن يلتقوا في وسـط الطريق، باعتبار ذلك حلًّا وسـطًا. لا نقول لك: اتركْ دينك بالكليَّة، ولا تطلب منَّـا أن نترك ديننا بالكليَّة، تعبد آلهتنا عامًـا، ونحن نعبد إلهك عامًا، تتنازل عن شـيءٍ ممَّا عندك، ونحن نتنازل عن شيء ممَّا عندنا، لا تقف هذا الموقف الشديد من آلهتنا، ولا تطالبنا أن نخلع الأصنـام والآلهة ونلقيها وراءنـا، ونطرحها خلفنا ظِهريًّا، ونجعلها نسيًا منسيًّا، ونحن وآباؤنا وأجدادنا عشنا على عبادتها.

جاؤوا يقولون له هذا القول، ويعرضون عليه هذا العرض، فكان أن نزلت هذه السُّورة، حسمًا لهذا الأمر، وقطعًا لأطماعهم في أن يغير شيئًا من دينـه أو يداهن فيه أو يهـادن، نزلت لتخبرهم أن مسـاومتهم تلك مرفوضة رفضًا قاطعًا، لا مراء فيه، ولا رجعة عنه.

العقيدة غير قابلة للمساومة، هناك أشياء أخرى ممكن أن يكون فيها نوع من المرونة، وهي ما يتعلق بالوسائل والكيفيات، في صلح الحديبية قال النَّبـيُّ ﷺ لعلـيٍّ رضي الله عنه: «**اكتب، بسـم الله الرحمن الرحيـم**». قال سُهَيْل بن عمرو: أَمَّا «باسم الله»، فما ندري ما بسم الله الرحمن الرحيم،

(١) رواه الطبراني في الصغير (٧٥١)، وحسَّنه الألباني في صحيح السيرة صـ ٢٠٥ ـ ٢٠٧.

QaradawiBooks.com

ولكن اكتب ما نعرف: باسمك اللهم. فقال: «**اكتب من محمَّد رسول الله**». قالوا: لو علمنا أنَّك رسول الله لاتبعناك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك. فقال النَّبيّ ﷺ: «**اكتبْ: من محمَّد بن عبد الله**»(١).

فالمرونة في مثل هذا جائزة، أمَّا المرونة بالتنازل عن عقيدة التوحيد، الَّتي هي جوهر الإسلام، وأساس بنيانه كله، فهذا لا يمكن، من هنا جاءت السُّورة حاسمة جازمة قاطعة مانعة، سدت الطريق بالكلية، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾.

أكبر دليل على أن القرآن ليس من عند محمَّد:

و﴿قُلْ﴾، أمر للنَّبيِّ ﷺ، وهذا يدلُّ على أن محمدًا ﷺ بالنسبة لهذا القرآن لم يكن أكثر من متلقٍّ يتلقى، هناك من يأمره، هناك سلطة أعلى منه، تأمره أحيانًا، وتنهاه أحيانًا، وتحذِّره أحيانًا، وتلومه أحيانًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧]. وقوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ [عبس: ١ ـ ٢]. وقوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣].

ولذلك نقول: إنَّ القرآن هو أكبر دليل على أنَّ محمدًا ليس صاحب هذا القرآن، ولا صانعه، ولذلك هنا أُمِر: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، خاطب الكافرين أيًّا كانوا، وأيًّا كان كفرهم، سواء كان كفر وثنية، أو كفر إلحاد، أو كفر يهودية، أو كفر نصرانية، كلُّ أنواع الكفر تدخل في هذا، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السَّبب، كما يقول علماء الأصول، فهي تشمل كلّ كافر في أيام النَّبيِّ ﷺ، وفي أيامنا هذه، وإلى أن تقوم السَّاعة، لأننا نحن المسلمين نقرؤها، ونقول هذا لمن يساومنا على

(١) رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٨٤)، وأحمد (١٣٨٢٧)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

عقيدتنا، أو يريد منَّا أن نتنازل عن ديننا، أو أي جزء فيه، نقول له: لا نقبل أبدًا مساومة، ولا أنصاف حلول.

وليس في القرآن نداء للكافرين بوصف الكفر إلَّا هذه الآية، وآية أخرى في سورة التحريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [التحريم: ٧]. وهو نداء لهم يوم القيامة؛ لأنَّهم يوم القيامة يحاولون أن ينتحلوا الأعذار، ويتخذوا تَعِلَّات، فيقول الله لهم: ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾، أما نداء سورة «الكافرون» فهو لهم في الدنيا.

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾: لا تطمعوا أن أعبد ما تعبدون من دون الله، من أصنام وآلهة، لأنِّي أخلصتُ وجهي لله ﷻ، كما أمرني ربي، ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣].

﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ [الكافرون: ٢ ـ ٣]. أمر الله نبيه ﷺ أن يخاطبهم بذلك، ما دمتم كفارًا فأنا ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾.

وهنا لفتة، الفعل المضارع يدلُّ على الحال أو الاستقبال، إذا لم يدخل عليه شيء يرجح أنه للحالية، أو للمستقبلية، كأن يدخل عليه «لن»، أو «السين» أو «سوف»، فيدل على الاستقبال، فهنا الفعل المنفيُّ (أعبد) صالحٌ للحال وللاستقبال، فهو يقول: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ أي لا في الحال، ولا في المستقبل.

﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ وما دمتم كفَّارًا، وما دمتم مشركين، وما دمتم مُصِرِّين على موقفكم، فلا يمكن أن تعبدوا ما أعبد.

ربما يقولون: نحن نعبد الله أيضًا مع ما نعبد من آلهة أخرى؛ لأنَّهم لم

QaradawiBooks.com

يكونوا ينكرون وجود الله، كما قال القرآن الكريم عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦٣]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ويقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، ويقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

ولكن حتَّى عبادتهم هذه ليست هي عبادة النَّبيّ ﷺ؛ لأنَّها عبادة محفوفة بالشرك، وعبادة النَّبيِّ ﷺ غير هذه العبادة، فهم يعبدون إلهًا له شريك، أمَّا النَّبيُّ ﷺ فيعبد إلهًا لا شريك له، فعبادتهم غير عبادته، ووجهتهم غير وجهة النَّبيِّ ﷺ.

ثم غيَّر القرآن الصيغة، فقال: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ [الكافرون: ٤]. الصيغة الأولى: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾، وهنا: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾، وهذه تدلُّ على المستقبل، لأن الأولى تحتمل الحال، وتحتمل الاستقبال، أما هنا ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾، لنفي المستقبل، من ناحية، ومن ناحية أخرى فيها مبالغة في تأكيد النفي، ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾، كما تقول لمن يقول لك ـ متهما إياك بشيء ـ: هل تفعل كذا؟ فتقول: ما أفعله، وما أنا بفاعله. أي لا يليق بمثلي أن يفعل هذا. والنفي بالجملة الاسمية يدلُّ على نفي الفعل، ونفي تصوُّر حدوثه من مثله، هذا معنى: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾.

فجملة: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ ليست تأكيدًا فقط لجملة: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾، بل تأكيد وتدل على معنى جديد أيضًا، هو نفي تصور إمكان أن يحدث هذا من النَّبيِّ ﷺ، فهو تيئيس وحسم للأطماع، كأنَّه يقول لهم: لا تحاولوا، ولا تطمعوا في هذا.

QaradawiBooks.com

ثم إنَّه هنا أضاف شيئًا جديدًا قال: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾. فلربما تصوروا أنه لا يعبد ما عبدوا في وقت ما بقوله: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾، فدلت هذه الآية على قطع كلّ رجاء في أن يعبد كلّ ما عبدوه في ماضي الزمن وحاضره ومستقبله.

لأن الكفَّار لهم في كلِّ وقت معبود، يعبدون في وقت كوكبًا من الكواكب، وفي وقت آخر الشمس، أو كوكبا آخر، وممكن أن يصنع للشمس أو للكوكب وثنًا في الأرض، وممكن أن يغير الوثن بوثن مثله، وهكذا، فهو يقول لهم: إن ما عبدتموه في زمن من الأزمان أيها الكفَّار أيًّا كنتم، وأيًّا كان كفركم، أنا ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ الآن، ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾، في وقت من الأوقات.

ثم قال مرَّة أخرى: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ [الكافرون: ٥]، هذا تأكيد من ناحية، ومن ناحية أخرى ليفيد معنى جديدًا، من ناحية الزمن، إذا كانت الجملة الأولى تفيد النفي حاليًّا، فهذه أيضًا تفيده مستقبليًّا، ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ في أي وقت من الأوقات، لا يمكن، لا يتصور اللقاء، لا في الحال، ولا في الاستقبال، ما دام كلٌّ منَّا على موقفه، يجب أن نلحظ هذا المعنى.

إن السُّورة تخاطب الكفَّار بوصفهم كفارًا، لا تخاطب فلانًا من النَّاس، لأن فلانًا الكافر يمكن أن يُسلم، إنَّما هي تتكلم عن الكافر بوصفه كافرًا، فبوصف الكفَّار كفارًا، لا يمكن اللقاء، لأن كلًّا منهم له طريق غير طريق الآخر، خطان متوازيان لا يلتقيان أبدًا، ولهذا قال الله تعالى في ختام السُّورة: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، كلٌّ واحد له دين غير دين الآخر، ومهما تغيرتم فلن نلتقي أبدًا.

QaradawiBooks.com

فهذه السُّورة رفض قاطع للمساومات، ورفض للمفاوضات الَّتي من هذا النوع، وبراءة من الشرك.

لا بدَّ مع الإيمان البراءة من الشرك:

وأحب هنا أن أنبه إلى أن الإسلام لا يكتفي من الإنسان أن يؤمن بالله وحده فقط، ولكن يضم إلى هذا الإيمان البراءة من الكفر والشرك، ومن هنا جاء قول الله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦]. والبراءة من الشرك أمر أكد عليه القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ۞ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۞ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٤ ـ ٦٦]. والتقديم في قوله: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ﴾ يفيد الحصر والقصر: أي لا تعبد إلَّا الله، فلا عبادة إلَّا لله.

والبراءة من الشرك والمشركين ملَّة إبراهيم عليه السلام، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۞ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦ ـ ٢٨]، أي جعل توحيد الله والبراءة من عبادة غيره باقية في عقبه.

وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]. وحينما عرف إبراهيم ربه، وعرف تزييف الآلهة المعبودة، من الكواكب والقمر والشمس قال: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۞ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٨ ـ ٧٩]. فهذه هي البراءة

QaradawiBooks.com

الَّتي يريدها الإسلام، براءة من كلِّ أنواع الشرك والكفر، ولا يتم الإيمان إلَّا بها، يعبد الله وحده لا شـريك له، ويبرأ من كلّ الآلهة المزعومة من دون الله؛ كُفر بالطاغوت، وإيمان بالله وحده.

قراءة سورة «الكافرون» قبل النوم:

ومن هنا جاء الأمر من النَّبيِّ بقراءة سـورة «الكافرون» قبل أن ينام الإنسان، وأن تكون آخر ما يقرأ؛ لكي ينام الإنسان على التوحيد، فينام المسلم على التوحيد، ويستيقظ على التوحيد، كما يولد على التوحيد، ويموت على التوحيد، لأن من السُّنَّة أن يقول المسلم إذا أمسى: «**أمسينا وأمسـى الملك لله، والحمد لله، لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له**». وإذا أصبح قال: «**أصبحنا وأصبح الملك لله، والحمد لله، لا إله إلَّا الله، وحده لا شـريك له**»[(١)]. وجاء أن الجنين حينما يُولد يستحب أن يؤذن في أذنه اليمنى[(٢)]، لنُسمعه كلمة التوحيد: أشهد أن لا إله إلَّا الله. وعندما يحتضر ويودع الحياة يلقن كلمة التوحيد، لا إله إلَّا الله، كما قال رسول الله ﷺ: «**لقِّنوا موتاكـم لا إله إلَّا الله**»[(٣)]. فيسـتقبل الحيـاة بالتوحيد، ويودعها بالتوحيد، فتكون «لا إله إلَّا الله» أوَّل ما يسمع، وتكون آخر ما يسمع.

---

(١) رواه مسـلم في الذكر (٢٧٢٣)، وأبو داود في أبواب النوم (٥٠٧١)، والترمذي في الدعوات (٣٣٩٠)، عن عبد الله بن مسعود.

(٢) إشارة إلى الحديث: أذن في أذنَي الحسن حين ولدته فاطمة بالصلاة. رواه أحمد (٢٣٨٦٩)، وقال مخرجوه: إسـناده ضعيف. وأبو داود فـي الأدب (٥١٠٥)، والترمـذي في الأضاحي (١٥١٤)، وقال: حسن صحيح. وحسنه الألباني في إرواء الغليل (١١٧٣)، عن أبي رافع.

(٣) رواه مسلم في الجنائز (٩١٦)، وأحمد (١٠٩٩٣)، وأبو داود في الجنائز (٣١١٧)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

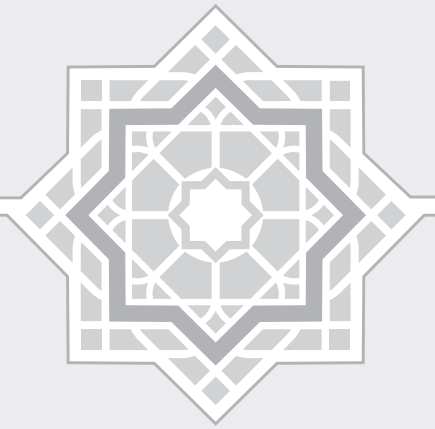

آيـات أسـيء فهمهـا

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

آيات التعامل مع أهل الكتاب

س: لا يخفى عليكم آثار الصحوة الإسلامية الَّتي عمت بشائرها كلّ مكان، ولكن هذه الصحوة المباركة يشوبها بين الفينة والأخرى ما يعكر صفوها ويعطل مسيرتها، وأكثر ما تؤتى منه الصحوة هو: سوء الفهم، وقد رأينا بعض شباب الصحوة يعلن العداء لغير المسلمين من اليهود والنَّصارى، يعلن عليهم العداء المطلق، طالما أنَّهم غير مسلمين، ويرى هؤلاء الشباب أن معاداة هؤلاء واجبة، وأن بغضهم فريضة، وأن مجرَّد حسن المعاملة معهم ميوعة في التدين، وتسيب من الشرع، وإتيان لما لم يأذن به الله، ويعتمد هؤلاء على عدد من الآيات مثل: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾. ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾. ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾.

فنرجو من سيادتكم توضيح المعنى المقصود من هذه الآيات في ضوء ما علمناه عن فضيلتكم من سعة في العلم، ودقة في الفهم، وتبصر بالواقع. (أ. م. ج)

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(وبعد)

لا حجَّة لهؤلاء المتشدِّدين فيما اعتمدوا عليه من نصوص؛ لمعاداة غير المسلمين، مثل مَن اتخذ من قوله تعالى في سورة المجادلة: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، فقد اتخذوا منها دليلًا على أن الإسلام ينهى عن مودة المسلم لغير المسلم بصفة مطلقة، ويؤكِّدون ذلك بقوله تعالى في أوَّل سورة الممتحنة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ﴾ [الممتحنة: ١].

وأودُّ أن أبيِّن هنا: أن آية المجادلة لا تنهى عن مودة من كان غير مسلم، ولو كان مسالمًا للمسلمين، بل تنهى عن موادة ﴿مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، أي حارب الله ورسوله، وشاقَّ الله ورسوله، فهذا شخص معادٍ للإسلام وأهله، فكيف يُطلَب من المسلم أن يُظهِر له الود والمحبَّة؟

ولو كانت مودَّة غير المسلم ممنوعة في الإسلام بصفة مطلقة: ما أجاز الشرع الإسلامي للمسلم أن يتزوَّج الكتابية، والزوجية في نظر الإسلام تقوم على أسس وأركان، منها: المودَّة والرحمة، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

ولذا قال ابن عبَّاس: لا يجوز زواج الكتابية إذا كانت من قوم معادين للمسلمين، واستدلَّ العلماء لقوله بهذه الآية: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

QaradawiBooks.com

والمفروض في الحياة الزوجية ما أثبتته الآية الأخرى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

فآية: ﴿مَنْ حَادَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، تعني: الأعداء المحاربين للمسلمين.

يؤكِّد هذا آية الممتحنة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]. فالآية قد عبَّرت عنهم بأنَّهم أعداء الله، وأعداء المسلمين: ﴿عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ﴾، وليس مقبولًا أن يعادوا الله ورسوله والمؤمنين، ويقابل المسلمون معاداتهم بالولاء لهم، وإلقاء المودَّة إليهم.

وليس هذا لمجرَّد كفرهم بالإسلام، بل ضمُّوا إليه إيذاء المسلمين وحصارهم، وتعذيبهم وفتنتهم في دينهم، حتَّى أخرجوهم من ديارهم بغير حقٍّ إلَّا أن يقولوا: ربنا الله. ولذا قالت الآية: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ [الممتحنة: ١].

وقد ذكرت السُّورة قاعدة من أعظم قواعد السُّلوك والتعامل مع المخالفين، ولو كانوا أعداء، وهي: أن العداوة ليست أمرًا دائمًا وأبديًّا بالضرورة، فقد تستحيل العداوة إلى مودَّة، ودوام الحال من المحال، وهذا ما قرَّرته السّورة بصيغة الرجاء، حيث قال تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ٧]. أي والله قدير على تحويل القلوب من كراهية إلى مودَّة، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، يعفو عمَّا سلف، ويسامح عباده فيما مضى.

كما قرَّرت سورة الممتحنة «**دستورًا**» في التعامل مع غير المسلمين، المسالمين منهم والمحاربين، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝

QaradawiBooks.com

﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩]، فالمسالمون لهم من المسلمين البرُّ والقسط الَّذي يحبُّه الله، والمحاربون يحرم موالاتهم.

وقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥١]. يجب أن يُفهم في ضوء السِّياق وأسباب النُّزول للآيات، فالآية الَّتي تليها تشير إلى أن اليهود والنَّصارى كانوا معادين للمسلمين، وكانوا في حالة من القوة والمنعة، بحيث أصبح كثيرٌ من المنافقين ومرضى القلوب يحاولون التقرُّب إليهم، والموالاة لهم، على حساب دينهم وأمتهم وجماعتهم. وهذا لا ينازع منصف في أنَّه خطر على سيادة الأُمَّة ووحدتها وتماسكها، ولا سيَّما في مرحلة تكوينها، وتأسيس بنيانها.

تقول الآية الكريمة التالية للآية المذكورة: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ۝ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٢، ٥٣].

فالواضح من هذه الآية الأخيرة: أنَّنا أمام جماعة من المنافقين الانتهازيين المخادعين، الَّذين يخونون جماعتهم، ويوالون أعداءها، ويحلفون لهم كاذبين: إنهم لمعكم! ولذا يقول القرآن: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾.

ولا غرو أن مَن يوالي الأعداء وينضم إليهم، ويلقي إليهم بالمودة على حساب أمته: لا يشك أحد في أن عمله أمر مجرَّم ومحرم وطنيًّا ودينيًّا، ولا سيَّما في أوقات الصراع والحروب، فهو في نظر الوطنية:

QaradawiBooks.com

خيانة، وهو في نظر الديـــن: ردة، وهي معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

ومن هنا جاءت الآية التالية تقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

كأن الآية تقول: إن هؤلاء الَّذين خانوا قومهم وانضمُّوا إلى أعدائهم، وارتدُّوا عن دينهم، سيعوِّض الله الأمة خيرًا منهم، بجيل جديد، أو أجيال جديدة على نقيض هؤلاء.

فهذه الآيات ليســت فــي مطلق يهــود ونصارى عاديين مســالمين للمســلمين، بل في يهود ونصــارى معادين لهم، محاربيــن لدعوتهم، كاليهود الَّذين نقضوا عهد رســول الله، وانضمُّوا إلى أعدائه من الوثنيين المشــركين، الَّذين أغاروا على المدينة، وأرادوا القضاء على الرســول وأصحابه، واستئصال شأفة المسلمين، واقتلاع الإسلام من جذوره.

والآيات التالية في ســياق النهي عن الولاء لليهود والنَّصارى تؤكِّد ذلك. يقول تعالــى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٧، ٥٨].

فهؤلاء قوم أعلنوا الحرب على الإســلام وأهله، وهــزؤوا بعقيدته، وسخروا من شعائره، وأعظمها الصلاة، واتخذوها هزوًا ولعبًا.

أمــا اليهــود والنَّصــارى العاديون المســالمون، فهــم في نظر المسلمين: أهل كتاب، أجاز القرآن مؤاكلتهم كما أجاز مصاهرتهم:

QaradawiBooks.com

﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [المائدة: ٥].

وإذا كان أهل الكتاب لهم مكانة خاصة، ومعاملة خاصَّة لدى المسلمين، فإن النَّصارى منهم يعتبرهم القرآن أقرب مودَّة للمسلمين من اليهود الَّذين بارزوه بالعداوة، برغم مبادرة الرسول ﷺ بعقد الاتفاقية معهم بُعَيد هجرته إلى المدينة، وقد جعلهم فئة من أهل الدار، يتناصرون في السِّلم والحرب، ويتواسون في السَّراء والضَّراء: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢]، ولا غرو أن وجدنا الرسول الكريم ـ منذ العهد المكي ـ يأمر أصحابه الَّذين اضطهدهم المشركون: أن يهاجروا إلى الحبشة، الَّتي كان ملكها ملكًا نصرانيًّا، لشعوره بقربه من الإسلام، وقد كان عند حسن الظنِّ به، وأبى أن يفرِّط في المسلمين، أو أن يستجيب لطلب قريش: إعادتهم إلى موطنهم الَّذي فرُّوا منه.

ولعلَّ الآيات الَّتي صُدِّرت بها سورة الروم تدلُّنا بجلاء على قرب النَّصارى من المسلمين، فقد قامت حرب بين الدولتين العظيمتين في ذلك الزمن: الفرس في الشرق، والروم في الغرب، وانتصر الفرس على الروم في أوَّل الأمر، فحزن لذلك المسلمون، وفرح المشركون، لأن الفرس مجوس يعبدون النار، ويعبدون إلهين: للخير والشر، أو للنور والظلمة، فهم أقرب إلى مشركي العرب عبدة الأوثان، والروم كانوا نصارى أهل كتاب، فكانوا أقرب إلى المسلمين.

وتجادل الفريقان وتراهنوا حول مستقبل الأمتين، ولمَن تكون الغلبة

QaradawiBooks.com

بعد؟ وكان المسلمون بطبيعة الحال مع الروم، والمشركون مع الفرس، فنزل قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ﴾ [الروم: ١ ـ ٥].

فانظر كيف بشَّر القرآن المسلمين بنصر الروم، وكيف عبَّر عن مشاعر المسلمين بقوله: ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ بِنَصۡرِ ٱللَّهِ﴾.

فهذا هو موقف الإسلام المبدئي من أهل الكتاب عامَّة، ومن النَّصارى خاصة.

وهذا لا يمنع أن تأتي آيات من القرآن تنقد اليهود أو النَّصارى أو أهل الكتاب عامَّة، فيما حرَّفوا من كتبهم، وما بدَّلوا من عقائد موسى وعيسى، ومن مِلَّة إبراهيم، وما غيَّروا من شرائع أنبيائهم، فالقرآن قد جاء مصدِّقًا ومتمِّمًا للتوراة والإنجيل، كما أعلن ذلك في آيات كثيرة، كما جاء أيضًا «مصحِّحًا» لها، أو بتعبير آخر: ﴿وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

كما ينقد القرآن مواقف أهل الكتاب ـ وخصوصًا اليهود ـ من دعوة الإسلام، ورسول الإسلام، وأمة الإسلام، ومع هذا يأمر الرسول والمسلمين بالعفو والصفح، كما في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة: ١٠٩].

ومعنى: ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾، أي حتَّى يشرح الله صدورهم للإسلام، ويدخلوا فيه اختيارا، أو يروا انتصار الإسلام وعلو كلمته أمام أعينهم.

QaradawiBooks.com

وقد أكَّدت سورة المائدة ـ وهي من أواخر ما نزل من القرآن ـ ذلك في قوله تعالى في شأن بني إسرائيل، وقد نقضوا ما أخذ الله عليهم من ميثاق: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

فرغم ظهور الخيانة من أكثرهم أُمر الرسول أن يعفو عنهم ويصفح، فهذا من الإحسان الَّذي يحبُّه الله تعالى. وهذا في نفس السّورة الَّتي نهت عن اتخاذ اليهود والنَّصارى أولياء.

ونلاحظ أن القرآن حين دان بني إسرائيل قال: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾، وذلك ليؤسس منهج العدل مع الخصوم في الرضا والغضب، ولذلك استثنى فقال: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾.

وهذا هو نهج القرآن معهم، ففي سورة آل عمران بعد أن تحدَّث عن بعض مساوئهم التاريخية، وقتلهم الأنبياء بغير حقٍّ قال: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۞ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣ ـ ١١٥].

ويقرِّر القرآن: أن مَن أقام منهم الأركان الأساسية للدين، وهي: الإيمان بالله تعالى، والإيمان بالخلود والجزاء في الآخرة، والعمل الصالح، فإن الله لن يضيع أجره، ولن يخيِّب سعيه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

QaradawiBooks.com

وقد كرَّر القرآن هذا المعنى وأكَّده في آية أخرى من سورة المائدة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩].

وهذا ما لم تبلغه رسالة محمَّد بلوغًا صحيحًا، فيُعرض عنها، ويشاقها، مؤثرًا الدُّنْيا على الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

ومن الآيات الَّتي تذكر كثيرًا، ويُساء فهمها في العلاقة بين المسلمين من ناحية واليهود والنَّصارى من ناحية أخرى: قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

أرى كثيرًا من المتدينين المسلمين الَّذين لا يتدبَّرون الآيات، ولا يتأمَّلون النُّصوص بعمق وتأمُّل: يجدون في هذه الآية حائلًا دون التفاهم والتعايش والتصالح مع اليهود والنَّصارى.

وهذا ليس بصحيح، ولا ينبثق هذا التفكير عن فَهم سليم للآية الكريمة لعدَّة أمور:

أولًا: لأنَّ الآية خطاب خاصٌّ للرسول ﷺ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ﴾، ولم تجئ بلفظ عام من ألفاظ العموم المعروفة.

وثانيًا: لو سلَّمنا بأنَّها خطاب للجميع، فإنَّها لا تدلُّ على أكثر من عدم رضاهم عنَّا ـ الرضا الكامل، أو الرضا المطلق ـ حتَّى نتَّبع مِلَّتهم. وهذا شأن كلِّ ذي مِلَّة متمسِّك بمِلَّته، حريص عليها. ونحن كذلك لا نرضى عنهم تمام الرضا حتَّى يتَّبعوا مِلَّتنا. فهو موقف طبيعي ومتبادل

غير مرخصة للطباعة

بين أهل المِلل أو أهل الأديان جميعًا. وقد قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ١٤٥].

وثالثًا: إنَّ هدفنا ليس إرضاء اليهود والنَّصارى، حتَّى يكون عدم رضاهم حجر عثرة في طريقنا، أو عائقًا دون تفاهمنا وتعايشنا، بل هدفنا هو إرضاء الله تبارك وتعالى قبل كلِّ شيء ـ وسواء رضي النَّاس عنَّا أم سخطوا ـ ولن نبيع رضوان الله تعالى برضا أيِّ مخلوق كان، ولا بأي ثمن مادي أو أدبي، ولو وضعوا الشمس في أيماننا، والقمر في شمائلنا، ما فرَّطنا مثقال ذرَّة في ابتغاء مرضاة ربنا.

ورابعًا: أنَّ الإسلام ـ برغم وجود هذه الآية ـ لم يمنع المسلم أن يؤاكل اليهودي أو النصراني، وأن يصاهره، فيتزوَّج ابنته أو أخته أو قريبته، وينجب منها أولادًا، يبرُّون أمهاتهم وجداتهم وأخوالهم وخالاتهم، ويعاملونهم بما يجب لذوي الأرحام وأولي القربى من الحقوق والحرمات. كما قال تعالى: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦]، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١].

والحمد لله أولًا وآخرًا.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

هل تدخل السّيدة عائشة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ ؟

س: ساقتني الأقدار إلى التقاء جماعة من المعارف والأصدقاء في بيروت، وتناقشنا في أمور كثيرة: دينية، وثقافية، وسياسية، واحتد النقاش أحيانًا، وممَّا أثير في هذه الجلسة: كلام عن الآية الكريمة الَّتي في سورة الأحزاب، وهي قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]: هل تدخل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ضمن أهل البيت أو لا؟

وكان من المشاركين معنا بعض الشيعة، فنفوا أن تكون أمنا عائشة رضي الله عنها أو غيرها من زوجات النَّبيِّ داخلة في الآية، مستدلين بحديث «الكساء» الَّذي رواه مسلم: أنَّ النَّبيَّ ﷺ ضمَّ إليه فاطمة وعليًّا، وحسنًا وحسينًا تحت كسائه، وقال: «**هؤلاء أهل بيتي**».

واستغربتُ واستغرب معي كثيرون؛ أن يكون أزواج النَّبيِّ ـ وخصوصًا عائشة أحبُّ أزواجه إليه ـ غير داخلات في أهل بيته! مع أنَّ أقرب النَّاس إلى الإنسان زوجه وأهله، اللائي قال عنهم القرآن: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

فرأينا أن نلجأ إليك لتسعفنا في هذه القضية، بما يشفي الغَليل،

QaradawiBooks.com

ويُزيح الشـــبهة، ويزيل الالتباس؛ عن المقصود بالخطاب من آية سورة الأحزاب، بعيدًا عن التعصُّب المذهبي الَّذي يعمي عن الحقيقة، ويضل عن سواء السَّبيل.

مع الدعاء لكم بدوام التوفيق.

(أ. ع)

صحفي من الدوحة

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فإنَّ ممَّا يعجب له الإنسان: أن يختلف النَّاس في البيِّنات الواضحات، وهي أظهر من الشـــمس في الضحى. وقد قيل: توضيح الواضحات من المشكلات.

ذلك أنَّ من يقرأ الآية المذكورة من سورة الأحزاب في سياقها، ويقرأ ما قبلها وما بعدها؛ يستيقن بما لا يدع مجالًا للشك: أن المخاطب بهذه الآية الكريمة وما قبلها وما بعدها: هنَّ أمهات المؤمنين، وعائشـــة منهنَّ يقينًا، وهو صريح الآيات الَّتي لا تخفى على قارئ للقرآن يفهم العربية.

ولنفتح المصحف الشـــريف على سورة الأحزاب ولنقرأ هذه الآيات في سياقها البيِّن الواضح الجليِّ، يقول تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ۝ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ

QaradawiBooks.com

فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۞ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۞ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ۞ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۞ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۞ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢٨ ـ ٣٤].

أيُّ بيانٍ أجلى من هذا البيان القرآني؟

إنَّ الخطاب القرآني يبدأ بهذا النداء، ويذكره مرَّتين: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ﴾، بصريح العبارة؛ وليس بعد التصريح التباس. وفي هذا السِّياق جاء قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ وبعدها تأتي هذه الآية الأخيرة: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾.

فكيف يقول تعالى في كتابه بلسانٍ عربيٍّ مبين: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ﴾ ويكرِّرها في السِّياق مرَّتين، ويأتي الخطاب بنون النسوة، وضمير النسوة: ﴿كُنتُنَّ﴾ ﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾ ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾ ﴿تُرِدْنَ﴾ ﴿لَسْتُنَّ﴾ ﴿ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ ﴿تَخْضَعْنَ﴾ ﴿وَقُلْنَ﴾ ﴿وَقَرْنَ﴾ ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ ﴿وَأَقِمْنَ﴾ ﴿وَءَاتِينَ﴾ ﴿وَأَطِعْنَ﴾. ثم يقال: إن نساء النَّبيِّ لا يدخلن في هذا الخطاب؟

QaradawiBooks.com

لقد ذكر ذلك مفسِّرو القرآن من السَّلف بوضوح.

نقل الحافظ السُّيوطي في «الدر المنثور» قال: أخرج ابن أبي حاتم وابن عساكر من طريق عكرمة عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ نزلت في نساء النَّبيِّ خاصَّة. وقال عكرمة: من شاء باهلته[١]، إنَّما نزلت في أزواج النَّبيّ ﷺ[٢]. وأنَّ ابن مردويه أخرج في تفسيره، من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس قال: نزلت في نساء النَّبيِّ ﷺ[٣].

كما نقل عن ابنِ سعدٍ، أنَّه أخرج عن عروة: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾. قال: يعني أزواج النَّبيِّ ﷺ، نزلت في بيت عائشة[٤].

وقال: وأخرج ابن جرير وابن مردويه، عن عكرمة مولى ابن عبَّاس في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾. قال: ليس بالذي تذهبون إليه، وإنَّما هو نساء النَّبيّ ﷺ[٥].

وكأنَّه يرد على القائلين بأنَّ الآية في أصحاب الكساء الخمسة!

وقد رأيناه يتحدَّى من يخالفه، ويقول: من شاء باهلته!

---

(١) باهلته: من المباهلة، وهي الملاعنة، وهي: أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء، فيقولوا: لعنة الله على الظالم منا. كما في النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير مادة (ب. هـ. ل).

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (٣١٣٢/٩) رقم (١٧٦٧٥).

(٣) الدر المنثور للسيوطي (٣٦/١٢)، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، نشر دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد (١٩٩/٨)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢٦٧/٢٠).

QaradawiBooks.com

إلى هذا الحدِّ كان الرجل موقنًا بمن تصدُق عليه الآية، إلى حدِّ المباهلة، الَّتي دعا إليها الرسول ﷺ نصارى نجران، كما في سورة آل عمران. ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

وقد حاول بعضهم إثارة شبهة في الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]. ظنَّها تقلِّل أو تنال من وضوحها، وأنها خطاب لنساء النبي، وذلك حين قال: إن القرآن غيَّر أسلوبه من خطاب الإناث (منكن، لستُن، إلخ)، إلى خطاب الذكور، إذ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فقال: ﴿عَنكُمُ﴾ ولم يقل: (عنكن) كأنَّه يشير إلى أنَّ المقصود هنا ليس نساء النبي، بل آخرون.

ونسي هذا القائل أنَّ العرب في هذا المقام تخاطب النساء بخطاب الذكور، بل تخاطب المرأة الواحدة بخطاب جمع المذكر، والرجل منَّا حين يدخل على امرأته يقول: السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ولا يقول: السّلام عليكِ، أو السّلام عليكن.

وفي القرآن الكريم دلالة جلية على ذلك، في قصَّة إبراهيم حين بشرت الملائكة امرأته سارة بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ۝ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٢، ٧٣]. فخوطبت زوجة إبراهيم بهذا القول: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ وهي امرأة واحدة، بدليل

QaradawiBooks.com

﴿أَتَعْجَبِينَ﴾، ولكنَّها خوطبت بجمع المذكر، ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾. فما أشبه قوله تعالى لنساء النَّبيّ ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]. بقوله لسارة: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾.

بل نرى موسى يخاطب امرأته (أهله) بخطاب جمع المذكر، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص: ٢٩].

فنجد موسى استخدم خطاب جمع المذكر في خطاب أهله، أي امرأته: ﴿ٱمْكُثُوٓا۟﴾، ﴿ءَاتِيكُم﴾، ﴿تَصْطَلُونَ﴾.

وبهذا سقطت هذه الشبهة، وبقي الخطاب كلُّه موجَّهًا إلى نساء النَّبيِّ ﷺ.

بقي هنا ممَّا يشغب به من يريد إخراج نساء النَّبيِّ من الآية الَّتي نزلت في شأنهنَّ، وهي تخاطبهنَّ مباشرة باللفظ الصَّريح: ما رواه أحمد ومسلم وغيرهما، عن عائشة قالت: خرج النَّبيُّ ﷺ غداةً، وعليه مِرْطٌ مرحَّل ـ فيه صور الرحال ـ من شعر أسود، فجاء الحسن والحسين فأدخلهما معه، ثم جاءت فاطمة، فأدخلها معه، ثم جاء عليٌّ فأدخله معهم، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [1]. فهذا الحديث وما ماثله يضيف إلى الآية الكريمة آخرين، لم يكونوا في الأصل مخاطبين بها، ولكنَّ النَّبيَّ ألحقهم بهم، لما لهم من فضل ومنزلة عند الله.

(١) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٢٤)، وأحمد (٢٥٢٩٥)، عن عائشة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد روى الحديثَ التِّرْمِذيُّ في سُـــننه، عن أمِّ ســـلمةَ قالت: في بيتي نزلت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وفي البيت فاطمة وعلي، والحسن والحسين، فجللهم رسول الله بكساء كان عليه ثم قال: «**هؤلاء أهل بيتي، فأذهبْ عنهم الرجْسَ وطهِّرْهم تطهيرًا**»(١).

فهؤلاء أدخلهم النَّبيُّ الكريم فـــي مضمون الآية بالإلحاق والقياس، على معنى أنَّ نســـاء النَّبيّ قد أذهب عنهم الله الرجـــس وطهَّرهم تطهيرًا بنصِّ القرآن. وهؤلاء الأربعة أهل بيته أيضًـــا، فهو يدعو الله ويرجوه أن تشملهم هذه الآية الكريمة. وإن كان في بعض رواية هذا الحديث، سألت أم سلمة أن تكون منهم، فقال الرسول لها: «**لا، وأنتِ على خير!**» وهذا عجيب؛ لأنَّها بنـــصِّ الآية هي من أهل البيت. وهذا يشـــكك في صحَّة الأحاديث الَّتي ذكرت ذلـــك. إلَّا أن يكون قصده: أنت لســـت من هذه المجموعة الخاصة، وليس المراد أنَّها ليســـت من أهل البيت؛ لأنَّ هذا يعارض نصَّ القرآن.

ولا ريب أن المتأمِّل في ســـياق الآيات الكريمـــة، يجد فيها تكريمًا وتمييزًا لنســـاء النَّبيِّ من عدَّة أوجـــه؛ لأنَّهنَّ خُيِّرْنَ، فاختـــرْنَ جميعًا اللهَ ورسولَه والدارَ الآخرة، وأعرضْن عن الحياة الدُّنْيا وزينتها:

١. فميَّزهن بأنَّ من تفعل فاحشة منهنَّ يُضاعَف لها العذاب ضعفين.

٢. وأنَّ من تعمل صالحًا تُؤتَى أجرها مرَّتين.

٣. وأنَّ الله يريد ليُذهبَ عنهم الرِّجْسَ أهلَ البَيْتِ ويطهِّرهم تطهيرًا.

---

(١) رواه الترمذي في المناقب (٣٨٧١)، وقال: حديث حســـن صحيـــح. وصحَّحه الألباني في صحيح الترمذي (٣٠٣٨).

QaradawiBooks.com

٤. وفي نفس السُّورة أخبر اللهُ تعالى أنَّ نساءَ النَّبيِّ أمَّهاتٌ للمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

٥. وفي نفس السُّـــورة حرَّم الله على النَّبيِّ أن يُبَدِّل أيَّ واحدة منهنَّ بأخرى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ [الأحزاب: ٥٢].

وكلُّ هذه فضائل وكرامات لهؤلاء النِّسوة الطاهرات المفضَّلات. رَضِيَ الله عنهنَّ جميعًا، وعن أصحاب رسول الله ﷺ وآلِ بيته.

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحكمة من ذكر النساء بعد ذكر الغائط

س: ما الحكمة من ذكر النساء بعد ذكر كلمة: ﴿ٱلْغَآئِطِ﴾ في قول الله تعالى في سورة النساء في آية الغسل: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣]. وفي المائدة في آية الوضوء: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ ؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

كأن السَّائل يفهم أن كلمة: ﴿ٱلْغَآئِطِ﴾، يعني البَرَاز، كما هو شائع عند النَّاس، فيقولون: فلان يتبول أو يتغوط. وكأنها فهمت أيضًا أن ذكر النساء بعد «الغائط» فيه تحقير للمرأة، لكنَّ الغائطَ ليس معناه البَراز، بل هو المكان المنخفض من الأرض، وكان كثيرٌ من العرب ليست في بيوتهم مراحيض، ما كانوا يعرفون هذا، فكانوا يذهبون إلى الفضاء والصحراء يقضون فيها حاجتهم، خصوصًا البراز، فقول الله: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾، هذا كناية عن الحدث الأصغر. ﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾

QaradawiBooks.com

هذا كناية عن الحدث الأكبر، وكما يقول ابن عبَّاس: اللمس والمسُّ والملامسة في القرآن كناية عن الجماع، ولكنَّ اللهَ حييٌّ كريم، يَكْنِي عمَّا شاء بما شاء[١].

فالقول الصحيح هنا في قوله: ﴿لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ وهو رأي ابن عبَّاس، ورأي الأحناف وغيرهم: أنَّ المرادَ بالملامسة الجماع.

فالآيتان ذكرتا الحدث الأصغر وهو «إتيان الغائط»، وذكرتا الجنابة أو الحدث الأكبر وهو ملامسة النساء، فالمعنى إذا أحدث أحدكم حدثًا أصغر بأن قضى حاجته، وأراد الوضوء، أو أحدث حدثًا أكبر بأن جامع امرأته وأراد الغسل من الجنابة، ولم يجد ماء للوضوء أو للاغتسال فليتيمم، وكذا من كان به مرض يمنعه من الوضوء أو الغسل، وليس في الآية ـ كما ظنَّ السّائلُ ـ انتقاصٌ من المرأة.

غير مرخصة للطباعة

(١) رواه عبد الرزاق في النكاح (١٠٨٢٦)، وسعيد بن منصور في تفسيره (٣٣٨)، تحقيق سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، نشر دار الصميعي، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

علوم القرآن وأحكامه

نسخة مجانية

المُحكَم والمتشابِه في القرآن

س: القرآن الكريم هو كتاب الله الخالد الَّذي ختم به الكتب، وقد شاء الله سبحانه أن يتكفل هو بحفظ كتابه، ولم يكِل ذلك لأحد من خلقه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، والقارئ لكتاب الله يجد أن القرآن نفسه يقرر أن منه المحكم ومنه المتشابه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

سماحة الشيخ: ما المقصود بالمحكَم والمتشابِه؟ وما الحكمة من وجود هذا التنوُّع؟

ولماذا لم يكن القرآن كله محكَمًا؛ حتَّى لا تزيغ الأهواء، وتتعدَّد الأفهام، ويضلَّ النَّاس؟ نرجو من فضيلتكم توضيح هذه المفاهيم.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

ممَّا لا ريب فيه أنَّ في القرآن محكمًا ومتشابهًا، وفقا لما صرح به القرآن نفسه في الآية السَّابعة من سورة آل عمران: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

هذا، مع أنَّ في آية أخرى أثبت القرآن أنَّ آياته كلها محكمة، كما قال تعالى في مطلع سورة هود: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

ومعنى «إحكامها»: إتقانها وإحسانها بحيث لا يتطرق إليها أيُّ لون من ألوان الاختلال في اللفظ أو المعنى، في المفردات أو الجمل، في الأخبار أو الأحكام. كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗا﴾ [الأنعام: ١١٥]، صدقا في الأخبار، وعدلا في الأحكام.

كما وصف القرآن في آية أخرى بأنَّه كله متشابه، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣].

ومعنى تشابهه: أنه يشبه بعضه في بلاغته وإعجازه، وروعة تأثيره، وفي صدق أخباره، وعدالة أحكامه، وكذلك في تناسقه وتناغمه بحيث يصدق بعضه بعضًا، ولا يتناقض بعضه مع بعض: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢].

فآية سورة آل عمران قد بيَّنت أن في القرآن آيات محكمات وأخر متشابهات، فما معنى الإحكام والتشابه، وبالتالي: ما معنى المحكم والمتشابه في القرآن؟

نقل الشيخ مرعي في كتابه «أقاويل الثقات» جملة أقوال للعلماء في بيان ذلك:

فقيل: المحكَم: ما وضح معناه، والمتشابِه: نقيضه.

وقيل: المحكَم: ما لا يحتمل من التأويل إلَّا وجهًا واحدًا، والمتشابه: ما احتمل أوجُهًا.

QaradawiBooks.com

وقيل: المُحكَم: ما تأويله تنزيله، والمتشابِه: ما لا يُدرى إلَّا بالتأويل.

وقيل: المُحكَم: ما لم تتكرَّر ألفاظه، والمتشابِه: القصص والأمثال.

وقيل: المُحكَم: ما يعرفه الراسخون في العلم، والمتشابِه: ما ينفرد الله بعلمه.

وقيل: المتشابِه: الحروف المقطعة في أوائل السّور، وما سوى ذلك مُحكَم. وقيل غير ذلك.

وقال جماعة من الأصوليِّين: المُحكَم: ما عُرف المراد منه، قيل: ولو بالتأويل، والمتشابه: ما استأثر الله بعلمه، كالحروف المقطعة، وهو معنى قول بعضهم: إنَّ المحكم: هو المكشوف المعنى الَّذي لا يتطرق إليه إشكال واحتمال، والمتشابه: ما يتعارض فيه الاحتمال، ويجوز أن يعبر به عن الأسماء المشتركة: كالقَرْء[١]، وكاللمس[٢] المتردد بين المس والوطء، وقد يطلق على ما ورد في صفات الله تعالى ممَّا يُوهم ظاهره الجهة والتشبيه، ويحتاج إلى تأويله. وأنا أميل إلى هذا القول.

سرُّ وجود المتشابِه في القرآن:

ونبدأ بالإجابة على هذا السّؤال: لماذا وجد في القرآن «آيات متشابهات» ولم يكن القرآن كله محكمًا؟

(١) وهو متردد بين الحيض والطهر. انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١٢/٣)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢٥٩/١)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ. والصحيح أنه الحيض كما حقَّقه ابن القيم في زاد المعاد (٦٠٠/٥ ـ ٦١٥)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢٧، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢٣/٥)، وزاد المسير (٩٢/٣).

QaradawiBooks.com

فقد قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧].

لماذا أنزل الله هذه الآيات الَّتي يركض وراءها الزائغون؟ يعتمدون عليها، ويتركون المحكمات ـ وهي أم الكتاب ومعظمه ـ ابتغاء الفتنة للعقول، وابتغاء التأويل فيما لا يعلمون تأويله، وليس من اختصاصهم تأويله، إنَّما يريدون تأويله تأويلا يخدم أهواءهم؟

وقد بينا الحكمة من ذلك في كتابنا «كيف نتعامل مع القرآن العظيم»:

«والحق: أنَّ من عرف طبيعة اللغات ـ وبخاصَّة العربية ـ وما فيها من اختلاف الدلالات للألفاظ والجمل، وتنوُّع الخطاب حسب مقتضى الحال، ما بين الحذف والذِّكر، والتقديم والتأخير، والإيجاز والإطناب، وما بين الحقيقة والمجاز، والصريح والكناية، والعموم والخصوص، إلخ.

وعرف طبيعة الإنسان باعتباره مخلوقًا مختارًا عاقلًا مُبتلًى بالتكليف، وليس كالحيوانات العجماوات، أو الجمادات المسخَّرات، ولا كالملائكة المفطورين على الطاعات دون اختيار منهم، وأنَّ من شأنه أن يُعمِل قُواه وملكاته العقليَّة.

وعرف طبيعة الدين، وطبيعة التكليف فيه، وهو إلزام ما فيه كلفة ومعاناة، لما فيه من صقل الإنسان في الدنيا، وإعداده بهذا للخلود في الآخرة، وترتيب الجزاء والثواب على هذه المعاناة.

QaradawiBooks.com

وعرف طبيعة الإسلام الَّذي يخاطب أولي الألباب، ويريد تحريك العقول لتبحث وتجتهد، وتدرس وتستنبط، ولا تركن إلى الدعة والكسل العقلي.

وعرف طبيعة البشر، وتنوُّع أصنافهم، ففيهم الظاهريُّ الَّذي يقف عند حرفيَّة النَّصِّ، وفيهم الَّذي يهتم برُوح النَّصِّ، ولا يكتفي بظاهره.. فيهم من يسلِّم، وفيهم من يؤوِّل.. فيهم العقلانيُّ، وفيهم الوجدانيُّ... وكان الخطاب القرآني للناس جميعًا. فاقتضت حكمة الله أن يسعهم خطابه، وأن يودعه من البينات والدلائل ما يرشدهم إلى الصواب، ولكن بعد بحث وجهد، حتَّى يرتقوا في الدنيا، ويثابوا في الآخرة، والله أعلم»[1].

غير مرخصة للطباعة

(١) انظر كتابنا: كيف نتعامل مع القرآن صـ ٢٧٠، ٢٧١، نشر دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

النَّسْخ في القرآن وآية السَّيف

س: ممَّا قرأناه وسمعناه ولا زلنا نقرؤه، كما لا زلنا نسمعه في الفضائيات، وفي خطب الخطباء، ومحاضرات الدعاة الإسلاميين: أنَّ هناك آية في القرآن الكريم تُسمَّى «آية السّيف» نسخت مائة وأربعين آيةً من كتاب الله، مثل قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]، ومثل قوله: ﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ [المعارج: ٥]، ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل: ١٢٧]، ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠]، ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال: ٦١].

وقد قالوا: إنَّ هذه الآية هي قول الله تعالى في سورة التَّوبة: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٥].

نرجو من سماحتكم بيانًا شافيًا حول هذا الموضوع الَّذي التبس أمره على الكثيرين، وأصبح من أبنائنا من يعتقد أن الإسلام جاء ليشهر السّيف على العالم أجمع، كما ترى في الجماعات المعاصرة: (الجهاد، السَّلفية الجهادية، تنظيم القاعدة) وغيرها. ونرى آخرين صدَّقوا ذلك،

QaradawiBooks.com

واتَّهموا الإسلام بتبنِّي العنف في معاملة خصومه. وهذا ما يتبنَّاه الغرب عامَّة، وأمريكا خاصَّة، ويعتبرون الإرهاب العالميَّ إسلاميًّا.

وفَّقكم الله، وسدَّد قلمكم، وأيَّدكم بتوفيقه، لتنوير الأمة.

د. منير إبراهيم

من سوريا

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فشكر الله للأخ الكريم سؤاله المهم، ورغبته في معرفة الحقِّ من الأباطيل، ووعيه بما يجري في الأمة من تيارات تضربها أمواجًا من يمين وشمال.

وأبادر فأقول: إنَّ هذه القضية جزء من أمر كبير وخطير، أفردتُ له كتابًا خاصًّا، كبيرًا في حجمه، خطيرًا في موضوعه، سمَّيته «فقه الجهاد»، يقع في جزأين كبيرين. حاولت فيه أن أصحِّح المفاهيم، وأردَّ على الشبهات، وأناقش الأقوال والآراء من مختلف الاتجاهات، وأردَّ الأمور إلى جذورها من الكتاب والسُّنَّة.

وموضوع هذا السُّؤال هو أحد موضوعات الكتاب، ولذا سأجتهد أن أجيب عن السُّؤال ممَّا تضمَّنه الكتاب من بحوث، وخصوصًا ما قيل حول آية السَّيف وما نَسَخَت من آيات، بلغت في رأي بعضهم مائةً وأربعين آية، وفي رأي آخرين نحو مائتي آية.

QaradawiBooks.com

وقد ناقشتُ قضية النَّسخ وما قيل فيه، ورجحَّتُ أنَّ النَّسخ واقع بين الشـرائع بعضها وبعض، وواقع فـي داخل الشَّـريعة الواحدة في نطاق محدود، مثل الأحكام الَّتي تتعلَّق بتطوُّر التشريع، كما في إمساك النساء في البيوت حتَّى يتوفاهنَّ الموت، إذا ارتكبن الفاحشـة، وشـهد عليهن شهودٌ أربعة، إلى أن يثبت الحدُّ.

ومثل الرخصة في الإفطار في أوَّل تشريع فرض الصيام، ويفدي عن إفطاره بإطعام مسـكين، كما قال تعالـى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤].

وما عـدا ذلك فكلُّ آية في كتـاب الله يجب العمل بهـا، ولا يُلغى مفعولها بدعوى النسخ، فإن النسخ ـ حتَّى عند مَن قالوا به ـ له شروط:

• أن تعارضها الآية أو النصُّ الآخـر، فلا يمكن الجمع بينهما، وإلا فإن الجمع مقدَّم.

• أن يُعرف تاريخ كلٍّ من النصَّين، وأن الناسخ متأخِّر عن المنسوخ.

وقد قال الإمـام أبو محمَّد بن حزم في كتابـه (الإحكام في أصول الأحكام): «لا يحلُّ لمسـلمٍ يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يقول في شيءٍ من القرآن والسُّنَّة: هذا منسوخٌ إلَّا بيقين؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النسـاء: ٦٤]، وقـال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣]، فكلُّ ما أنزل الله تعالى في القرآن أو على لسـان نبيه: ففرض اتِّباعه، فمَن قال في شيء من ذلك: إنَّه منسوخ، فقد أوجب ألَّا يُطاع ذلك الأمر، وأسقط لزوم اتِّباعه. وهذه معصية لله تعالى مجرَّدة، وخلاف مكشوف، إلَّا أن يقوم برهان على صحَّة قوله، وإلا فهو

QaradawiBooks.com

مفترٍ مبطل. ومن استجاز خلاف ما قلنا: فقوله يؤول إلى إبطال الشَّريعة كلِّها؛ لأنَّه لا فرْق بين دعواه النسخ في آية ما أو حديث ما، وبين دعوى غيره النسخ في آية أخرى وحديث آخر، فعلى هذا لا يصحُّ شيء من القرآن والسُّنَّة، وهذا خروج عن الإسلام. وكل ما ثبت بيقين، فلا يبطل بالظنون، ولا يجوز لنا أن نُسقط طاعة أمر أمرنا به الله تعالى ورسوله، إلَّا بيقينِ نسخٍ لا شكَّ فيه»[1].

وبعد الإمام ابن حزم، نجد الإمام أبا إسحاق إبراهيم بن موسى الشَّاطبيّ يؤكِّد ما قاله ابن حزم برغم تفاوت ما بينهما في الاتجاه، فابن حزم «ظاهري» والشاطبي «مقاصدي». يقول الشَّاطبيّ في «موافقاته»: «إن الأحكام ـ إذا ثبتت على المكلَّف ـ فادِّعاء النسخ فيها لا يكون إلَّا بأمر محقَّق؛ لأن ثبوتها على المكلَّف أولًا محقَّق، فرفعها بعد العلم بثبوتها لا يكون إلَّا بمعلوم محقَّق. ولذلك أجمع المحقِّقون على أن خبر الواحد: لا ينسخ القرآن ولا الخبرَ المتواتر؛ لأنَّه رفع للمقطوع به بالمظنون. فاقتضى هذا أن ما كان من الأحكام المكية يُدَّعى نسخه: لا ينبغي قَبول تلك الدعوى فيه إلَّا مع قاطع بالنسخ، بحيث لا يمكن الجمع بين الدليلين، ولا دعوى الإحكام فيهما. وهكذا يقال في سائر الأحكام، مكيَّة كانت أو مدنيَّة».

وبعد أن يقرِّر أنَّ «غالب ما ادُّعي فيه النسخ إذا تُؤمل وُجد متنازَعًا فيه، ومحتمِلًا، وقريبًا من التأويل بالجمع بين الدليلَيْن، على وجه من كون الثاني تفصيلًا لمُجمَل، أو تخصيصًا لعموم»، إلخ.

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٨٤/٤، ٨٣)، تحقيق أحمد محمد شاكر، نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت.

QaradawiBooks.com

وبعد أن يذكر أنَّ ابن العربي قد أسـقط من الناسخ والمنسوخ كثيرًا بهذه الطريقة ـ نراه ينقل عن الطبري حكاية الإجماع عن أهل العلم على أنَّ زكاة الفطر فُرضت، ثم اختلافهم في نسخها، ليقول عقب هذا: «قال النحَّاس: فلما ثبتت بالإجماع، وبالأحاديث الصحاح عن النبيِّ ﷺ؛ لم يَجُز أن تزال إلَّا بالإجماع، أو حديث يُزيلها ويبيِّن نسخها. ولم يأت من ذلك شيء»[1].

هذا فيما ثبت بالسُّنَّة، فكيف بما ثبت بصريح القرآن؟

التضييق في دعاوى النَّسخ:

على أن الَّذي يُهمُّنا هنا أن نقرِّره ونبيِّنه ونثبِّته، هو: التضييق الشديد في دعاوى النسخ في كتاب الله، فإن الله تعالى لم يُنزل كتابه إلَّا ليُهتدى بهداه، ويُؤتمر بما أمر، ويُنتهى عمَّا نهى، ويُعمل بأحكامه، وكل دعوى لنسـخ آية أو بعض آية منه، فهـي على خلاف الأصـل، وما جاء على خلاف الأصل لا يُقبل إلَّا ببرهان يقطع الشكَّ باليقين.

ولو طبَّقنا ما وضعه علماء أصول الدين، وعلماء أصول الفقه، وعلماء أصول التفسير، وعلماء أصول الحديث، من قواعد وضوابط وشروط، فإنَّنا لا نكاد نجد ـ بل لا نجد ـ آية في القرآن الكريم مقطوعًا بنسخها، وما لم يُقطع بنسـخه فيجب أن يبقى حكمه ثابتًا مُلزِمًا كما أنزله الله تعالى، ولا ننسخه ونبطل حكمه بمحض الظنِّ، فإن الظنَّ لا يُغني من الحقِّ شيئًا.

(١) الموافقات (١٠٥/٣، ١٠٦). وقد أشار إلى كلام أبي جعفر النحاس صاحب الناسخ والمنسوخ، وما أشار إليه من كتابه مذكور في صـ ٧٦٣، تحقيق د. محمد عبد السلام محمد، نشر مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، ١٤٠٨هـ.

QaradawiBooks.com

من شروط قبول النسخ:

ومن شروط قَبول النسخ عند مَن سلَّم به: أن يكون هناك تعارض حقيقي بين النصِّ الناسخ، والنصِّ المنسوخ، بحيث لا يمكن الجمع بينهما بحال من الأحوال، أما إذا أمكن الجمع ولو في حال من الأحوال، فلا يثبت النسخ، لأنَّه خلاف الأصل.

ولهذا رأينا شيخ المفسرين ابن جَرير الطبري في تفسيره «جامع البيان» يرفض كثيرًا من دعاوى النسخ المرويَّة عن بعض المفسرين؛ إذ لم يجد تنافيًا كاملًا بين الناسخ والمنسوخ.

انظر قوله فيما رُوي عن قتادة في الآية الكريمة من سورة الأنفال: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١]، فقد ذهب قتادة إلى أن هذه الآية كانت قبل نزول سورة «براءة»، فلمَّا نزلت نسخت ذلك، بمثل قوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وقوله: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]، فأمرت بقتالهم على كلِّ حال حتَّى يقولوا: لا إله إلَّا الله.

وورد عن عكرمة والحسن البصري ما يوافق قول قتادة، وإن جعلا الآية النَّاسخة من براءة: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

قال الطَّبري رَحِمَهُ اللَّهُ يردُّ هذه الدعوى: «فأمَّا ما قاله قتادة ومَن قال مثل قوله ـ من أنَّ هذه الآية منسوخة ـ فقولٌ لا دلالة عليه من كتاب، ولا سُنَّة، ولا فطرةِ عقلٍ، وقد دلَّلنا ـ في غير موضع من كتابنا هذا وغيره ـ

QaradawiBooks.com

على أنَّ النَّاسخ لا يكون إلَّا ما نفى حكم المنسوخ من كلِّ وجه، فأمَّا ما كان بخلاف ذلك، فغَيْرُ كائنٍ ناسخًا»[١].

كيف يعرف النسخ؟

بقي هنا سؤال مهمٌّ للقائلين بالنَّسخ، وهو: كيف يُعرف النَّسْخ؟

نقل السُّيوطي في «إتقانه» في بيان كيف يُعرف النَّسْخ؟ عن العلَّامة ابن الحَصَّار قوله:

«إنَّما يُرجَع في النسخ إلى نقل صريح عن رسول الله ﷺ، أو عن صحابي يقول: آية كذا نسخت آية كذا.

قال: وقد نحكم به عند التعارض المقطوع به، مع علم التاريخ، لنعرف المتقدِم والمتأخِّر. قال: ولا يُعتمد في النسخ قول عوامِّ المفسرين، بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح، ولا معارضة بيِّنة، لأن النسخ يتضمَّن رفع حكم، وإثبات حكم تقرَّر في عهد الرسول ﷺ. والمعتمد فيه: النقل والتاريخ، دون الرأي والاجتهاد.

قال: والنَّاس في هذا بين طرفي نقيض، فمن قائل: لا يُقبل في النَّسخ أخبار الآحاد العدول، ومن متساهلٍ يكتفي فيه بقول مفسِّر أو مجتهد، والصواب خلاف قولهما»[٢] انتهى.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/٤٠ ـ ٤٢)، والنسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد (٢/٥٦٤، ٥٦٥)، نشر دار الفكر العربي، ط١، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م.

(٢) انظر: الإتقان للسيوطي (٣/٨١)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وأودُّ أن أقول هنا: إنِّي لا أعرف نقلًا صريحًا عن رسول الله ﷺ يقول: آية كذا نسخت آية كذا. ومن عرَف ذلك فليدلَّني عليه.

وأما قول الصحابي: آية كذا نسخت آية كذا، فلا بدَّ لقَبوله من ثلاثة شروط:

الأول: أن يصحَّ سنده عن الصَّحابي.

الثَّاني: ألَّا يكون ما قاله باجتهادٍ منه، ظنًّا منه أنَّ الآية معارِضة للآية الأخرى، وقد لا يسلَّم له بذلك، فيكون رأيًا منه يُعارَض برأي غيره.

الثَّالث: ألا تكون كلمة النسخ جارية على مفهوم المتقدِّمين، وهو ما يشمل: تخصيص العام، وتقييد المُطلق، وتفصيل المجمل، والاستثناء والغاية وغيرها.

ويندر ـ وربما يتعذَّر ـ أن توجد لدينا آية تتحقَّق فيها هذه الشروط.

ومن المهمِّ هنا أن ننتبه إلى أهمية الشرط الثالث هنا، فكثير من المتقدِّمين يقولون: آية كذا نسخت آية كذا، ولا يقصد بذلك ما يقصده المتأخرون بكلمة النسخ، فلم يكن هذا الاصطلاح قد استقرَّ عندهم، كما استقر عند مَن بعدهم، وهو: رفع حكم شرعي بدليل متأخر. وهذا ما نصَّ عليه المحقِّقون من أمثال ابن القيِّم والشاطبي رحمهما الله. وقد سبق نقل قولهما.

بحث في تعيين آية السَّيف:

قلنا: إنَّ المفسرين، ومعهم الفقهاء: اختلفوا في تحديد «آية السَّيف» الَّتي زعموا أنَّها نسخت ما نسخت من الآيات. وقد ذكروا آيات أربعًا كلها من سورة التَّوبة. قيل عن كلٍّ منها: إنَّها آية السّيف.

QaradawiBooks.com

آية: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾:

ولعلَّ أشهر الأقوال، هو: أنَّ آية السَّيف هي قوله تعالى في سورة التَّوبة: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥].

وهي ـ كما هو واضح ـ تأمر بقتل المشركين حيث وُجدوا، وبأسر مَن لم يُقتل منهم، وبحصارهم وتضييق الخناق عليهم. لكنْ: مَن هم المشركون المقصودون في الآية؟ ومتى يقتلون؟

إنَّ الآيات الَّتي قبل هذه الآية توضِّح ذلك حين تقول:

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١ ـ ٤].

وانظر: كيف احترم عهد هؤلاء المشركين، الَّذين عاهدهم الرسول والمسلمون، فوفَّوا بعهدهم معهم، ولم ينقصوهم شيئًا، ممَّا فرضته المعاهدة ولم يُظاهروا عليهم عدوا، فأمر الله تعالى أن يُتمَّ إليهم عهدهم إلى مدَّتهم، فهذا من التقوى الَّتي يحبها الله ويحب أهلها. لأن من دعائم التقوى الوفاء بالعهد[1].

(١) يدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ =

QaradawiBooks.com

وبعد هذه الآية الَّتي سمَّوها آية السّيف مباشرة، نجد الآية التالية تقول: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦].

فهي تأمر بإجارة المستجير المشرك، وإتاحة الفرصة له حتَّى يسمع كلام الله، كما تأمر بأن يبلَّغ الموضع الَّذي يأمن فيه.

يقول الإمام ابن جَرير الطبري في تفسير الآية: «القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦]. يقول تعالى ذكره لنبيه: وإن استأمنك يا محمَّد من المشركين ـ الَّذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم ـ أحد ليسمع كلام الله منك، وهو القرآن الَّذي أنزله الله عليه ﴿فَأَجِرْهُ﴾، يقول: فأمِّنه، حَتَّى ﴿يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، وتتلوه عليه، ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾. يقول: ثم رُدَّه بعد سماعه كلام الله، إن هو أبى أن يُسلم ولم يتَّعظ لما تلوته عليه من كلام الله فيؤمن، إلى مأمنه، يقول: إلى حيث يأمن منك وممَّن في طاعتك، حتَّى يلحق بداره وقومه من المشركين. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾، يقول: تفعل ذلك بهم من إعطائك إياهم الأمان، ليسمعوا القرآن، وردِّك إياهم إذا أبَوا الإسلام إلى مأمنهم، من أجل أنَّهم قوم جهلة لا يفقهون عن الله حُجَّة، ولا يعلمون ما لهم بالإيمان بالله لو آمنوا، وما عليهم من الوزر والإثم بتركهم الإيمان بالله. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

= بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟...﴾ [البقرة: ١٧٧].

QaradawiBooks.com

ثم ذكر من طريق ابن وهب قال: قال ابـــن زيد في قوله: ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾: إن لم يوافقه ما تقـــول عليه وتحدثه، فأبلغـــه. قال: وليس هذا بمنسوخ.

واختلف في حكم هذه الآية: وهل هو منســـوخ أو هو غير منسوخ؟ فقال بعضهم: هو غير منســـوخ. وقـــد ذكرنا قول مَن قـــال ذلك. وقال آخرون: هو منسوخ.

وذكر عن الضحَّـــاك: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، نسختها: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤].

وقال آخرون: بل نَسَخ قولُه: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ قولَه: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ﴾.

عـــن قتـــادة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ﴾ [محمد: ٤]، نســـخها قوله: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥][(١)]».

ثم قال أبو جعفر الطبري: «والصواب من القول في ذلك عندي قول مَن قال: ليس ذلك بمنســـوخٍ، وقد دلَّلنا على أنَّ معنى النَّسْـــخ هو نفيُ

(١) مِن هذا الذي نراه من اختلاف بين مفســـري الســـلف المعروفين، في القول بنسخ الآيات بعضها لبعض، بحيث نرى القول وضده: نعرف أنه لا نقـــل عندهم فيما قالوه، وإنما قالوه برأيهم واجتهادهم، وهو رأي عالم غير معصوم، يؤخذ منه ويرد عليه، وفق الأصول العلمية المقررة. وقد ذكر ابن تيمية قول مَن قال: المن والفداء منســـوخ. قيـــل: هذا ممنوع، فأين الناسخ؟ انظر: قاعدة مختصرة في قتال الكفار ومهادنتهم وتحريم قتلهم لمجرد كفرهم لابن تيمية صـ ١٩٨، ١٩٩، تحقيق د. عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، نشر المحقق نفسه، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.
كما قال شيخ الإســـلام أيضًا: فإن قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾، ليس بمنسوخ. انظر: منهاج السنة لابن تيمية (٤٢٢/٤)، تحقيق د. محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

حُكْمٍ قد كان ثبت بحكمٍ آخر غيره. ولم تصحَّ حُجَّة بوجوب حكم الله في المشركين بالقتل بكلِّ حال، ثم نسخه بترك قتلهم على أخذ الفداء، ولا على وجه المنِّ عليهم. فإذا كان ذلك كذلك فكان الفداء والمنُّ والقتل لم يزل من حكم رسول الله ﷺ فيهم، من أوَّل حرب حاربهم، وذلك من يوم بدر: كان معلومًا أن معنى الآية: فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم، وخذوهم للقتل أو المنِّ أو الفداء واحصروهم، وإذا كان ذلك معناه صحَّ ما قلنا في ذلك دون غيره»[1].

ثم تليها آيات أخر تعلِّل للأمر بقتلهم، وأنَّه لم يأتِ من فراغ ولا تعنُّت ولا اعتداء، فهم يصدُّون عن سبيل الله، ولا يرقُبون في مؤمن إلًّا ولا ذمَّة، ثم إنهم نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم، وطعنوا في دين الله، وهمُّوا بإخراج الرسول، وبدؤوا المؤمنين بالقتال أوَّل مرة!

يقول أ. د. مصطفى زيد في كتابه القيِّم عن «النسخ في القرآن»: «فالمشركون الَّذين تتحدث عنهم آية السّيف، هم إذن فريق خاص من المشركين: كان بين رسول الله ﷺ وبينهم عهد، فنقضوه، وظاهروا عليه أعداءه. وقد برئ الله ورسوله منهم، وآذنهم بالحرب إن لم يتوبوا عن كفرهم، ويؤمنوا بالله ربًّا واحدًا، وبمحمد نبيًّا ورسولًا.

وهؤلاء المشركون أعداء الإسلام ونبيه ليسوا هم كلَّ المشركين، بدليل قوله جلَّ ثناؤه قبل آية السّيف: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]، وبدليل الأخبار الَّتي تظاهرت عن

(١) تفسير الطبري (١٣٨/١٤، ١٣٩).

QaradawiBooks.com

رسول الله ﷺ: أنه حين بعث عليًّا رحمة الله عليه[١] ـ ببراءة إلى أهل العهود بينه وبينهم ـ أمره فيما أمره أن ينادي فيهم: «ومَن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد: فعهده إلى مدته»[٢]، ثم بدليل قوله تعالى بعد آية السّيف: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧].

وإنَّما هم قوم من المشركين، كان بين رسول الله ﷺ وبينهم عهد إلى أجل، فنقضوه قبل أن تنتهي مدته... وقوم آخرون كان بينهم وبين الرسول ﷺ عهد غير محدود الأجل. فهؤلاء وأولئك هم الَّذين أعلن الله ﷻ، براءته هو ورسوله منهم، وأمهلهم أربعة أشهر من يوم الحج الأكبر (والمراد به يوم عيد النحر، وهو اليوم الَّذي نبذ إليهم فيه العهد على سواء)؛ ليسيحوا في الأرض خلالها حيث شاؤوا، ثم ليحدِّدوا فيها موقفهم من الدعوة إلى الإيمان بالله ربًّا واحدًا: فإما تابوا فكان في استجابتهم لداعي الله خيرهم، وإلا فهي الحرب، وما تستتبعه من قتل وأسر وحصار وترقب[٣]!

وإن الله جلَّ ثناؤه، ليبيِّن لهم سبب حكمه هذا عليهم، في آيات تلي آية السّيف...

أليسوا هم أئمَّة الكفر، يطعنون في دين الله، ويصدُّون النَّاس عن سبيله، ينقضون عهدهم مع رسول الله، ويُظاهرون عليه أعداءه، يُنافقون

(١) المعتاد في مثل هذا أن يقال: رضي الله عنه!

(٢) رواه أحمد (٥٩٤)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. والترمذي في الحج (٨٧١)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في المغازي والسير (٥٤/٣)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٩٥/١٤ ـ ١٣٧)، الآيات (١ ـ ٥) من سورة التوبة.

QaradawiBooks.com

الرسول والمؤمنين، فيُرضونهم بأفواههم، وتأبى قلوبهم أن تعتقد ما يقولون، ينكثون أيمانهم، فيهمُّون بإخراج الرسول، ويبدؤون المؤمنين بالقتال في بدر، يتربَّصون بالمؤمنين، ويترقَّبون فرصة للانقضاض عليهم، دون رعاية لعهد ولا ذمَّة؟!

بلى، فليقاتلهم المؤمنون إذن؛ ليعذِّبهم الله بأيدي مَن يريدون هم أن يعذِّبوهم، وليخزيهم ويذلَّهم، ولينصر المؤمنين عليهم، فيشفي صدور قوم مؤمنين، ويذهب غيظ قلوبهم! ثم ليتوب على مَن أراد له التَّوبة والسعادة في الدُّنْيا والآخرة[1] انتهى.

ليست الغاية إذن من قتالهم هي إكراههم على الدخول في الإسلام بقوة السِّلاح، وما كانت «الغاية» قطُّ هذا الإكراه.

ولا أدلَّ على هذا من قول الله ﷻ لنبيه، في الآية الَّتي تلي آية السَّيف دون فاصل: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦]؛ فإن في هذه الآية أمرًا من الله ﷻ لرسوله بأن يُجير مَن يستجير به من المشركين، ثم يدعوه إلى الإيمان بالله، ويبيِّن له ما في هذا الإيمان من خير له، فإن هو ـ بعد هذا ـ أصرَّ على ضلاله، واستمرأ البقاء على كفره بالله، وطلب من رسول الله ﷺ أن يبلِّغه المكان الَّذي يأمن فيه، فعلى الرسول أن يجيبه إلى طلبه، وأن يؤمِّنه حتَّى يصل إلى ذلك المكان.

هذا إضافة إلى تلك الآية الَّتي تنفي جنس الإكراه في الدين نفيًا صريحًا قاطعًا، وتعلِّل لهذا النفي حيث تقول: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ

(١) انظر: تفسير الطبري (١٣٨/١٤ ـ ١٦٢)، الآيات (٦ ـ ١٥) من سورة التوبة.

QaradawiBooks.com

﴿ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، والآية الأخرى الَّتي تستبعد أن يستطيع الرسول ﷺ إكراه النَّاس على الإيمان، حتَّى لتحكم باستحالة هذا الإكراه إذ تقول: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

وإنما شرع القتال في الإسلام لتأمين الدعاة إليه، ولضمان الحرية الَّتي تكفُل لهم إبلاغ دعوته، ودرء الشبه عن عقيدته، بالمنطق السّليم، والحُجَّة المُقنِعة.

ومن أجل هذا خصَّ أئمَّة الكفر بالأمر بقتالهم؛ لأنَّهم يحولون بالقوة بين الدعاة والشعوب الَّتي يجب أن تُدعى. ومن أجله علَّل الأمر بالقتال ـ ضمن ما علَّل به ـ بصدِّ المشركين للناس عن سبيل الله، وقتالهم المؤمنين به. ومن أجله كذلك كان السّبب في نبذ عهد فريق من المشركين إليهم: أنَّهم نقضوه، فأعلنوا الحرب على الدعوة، وظاهروا أعداءها عليها!

فإذا ما هُيئت للدعاة وسائل الدعوة في أمن وحرية، فلا حرب ولا قتال؛ لأنَّ دين الله حينئذ سيهدي بنوره كلَّ ضالٍّ، ولأنَّ بطلان الشِّرك بالله سيتَّضح يومئذ لكلِّ مشرك، فلن يصرَّ عليه إلَّا جاحدٌ معانِدٌ مكابِرٌ في الحقِّ، وهؤلاء قِلَّة لا يُؤبه لها، ولا بدَّ منها في كلّ مجتمع؛ لتتحقَّق كلمة الله جلَّ ثناؤه: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩]»[1] انتهى.

وممَّا نؤكِّده هنا، ما نبَّهنا عليه من قريبٍ، وهو: أنَّ هناك من مفسِّري السَّلف مَن قال: إنَّ آية السَّيف هذه منسوخة: نسختها آية أخرى في سورة

(١) انظر: النسخ في القرآن الكريم لمصطفى زيد (٥٠٤/٢ ـ ٥٠٧).

QaradawiBooks.com

محمَّد، وهي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤].

روى أبو جعفر النحَّاس هذا عن الحسن، وعن عطاء، وعن الضَّحَّاك، والسُّدِّي، فهم لا يُجيزون قتلَ الأسير، لقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤].

وروى نحو ذلك ابن جَرير الطبري.

وروى الطبري عن الضَّحَّاك والسُّدِّي عكس ذلك، كما روي عن قتادة ومجاهد، بل ورد عن ابن عبَّاس أيضًا: أن آية: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، نسخت آية: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤].

وهناك قولٌ ثالث رُوي عن ابن زيد: أن الآيتين جميعًا مُحكمتان، وهو ما اختاره الطبري، حيث ردَّ دعوى النسخ، لإمكان الجمع بين الآيتين، ولا يُصار إلى النسخ إلَّا عند تعذُّر الجمع بينهما بوجه من الوجوه.

وكذلك قال النحَّاس في قول ابن زيد: وهو صحيح جيِّد بيِّن، لأنَّ إحدى الآيتين لا تنفي الأخرى[1].

وهو ما أيَّده الإمام ابن عطية في تفسيره، معلِّقًا على قول ابن زيد: إنَّ الآيتين مُحكمتان، قال: «وقوله هو الصواب. والآيتان لا يشبه معنى واحدة معنى الأخرى.

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/١٤٠)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (٤٩٤ ـ ٤٩٦).

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

ذلك بـأنَّ هـذه الآيـة: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥]: أفعال، إنَّما تتمثل مع المحارب المرسل المناضل، وليس للأسـير فيها ذِكر ولا حكـم، وإذا أُخذ الكافر (أُسِـرَ) خرج عن درجات هذه الآية، وانتقل إلى حكم الآية الأخرى، وتلك الآية لا مدخل فيها لغير الأسير، فقول ابن زيد هو الصواب»[1] انتهى.

والحمد لله رب العالمين.

(١) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٤١٢/٦)، نشـر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط٢، ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

ترك البسملة في سورة التَّوبة

س: لماذا نزلت سورة التَّوبة بدون بسملة؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

للعلماء في تعليل ذلك أقوال، أرجحها عندي ما رُوي عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: بسم الله الرحمن الرحيم أمان، وسورة براءة نزلت برفع الأمان[1] فهذه السُّورة في الواقع تعلن إعلانًا عامًّا بقطع المواثيق، ونبذ العهود الَّتي بين المسلمين وبين المشركين، إلَّا ما كان منها إلى أمد موقوت. ولم ينقضه أصحابه، ولم يظاهروا على المسلمين أحدًا. فطالما فعلت الوثنية الأفاعيل مع المسلمين، وطالما صبت عليهم سياط العذاب، وطالما تعاونت مع اليهودية الفاجرة، وطالما غدرت بالمسلمين، فلم يكن لها عهد ولا ذمام، ولم يكن لها قانون ولا نظام، ولم يكن لها رادع خلقي يردعها، فكان لا بدَّ أن يصفي الإسلام حسابه معها، فنزلت

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير في علم التفسير (٢٣١/٢).

QaradawiBooks.com

سورة التَّوبة تعلن البراءة من الله والرسول إلى هؤلاء النَّاس: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١]. وكأنَّ وجود البسملة مقرونًا بالرحمة موصوفًا بالرحمن الرحيم يوجب نوعًا من الأمان لهؤلاء الناس. والسورة ليس فيها أمان، بل فيها: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: ٥]، ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]. فلا مجال لهؤلاء إلَّا السّيف، وإلا القتال ولا مجال لرحمةٍ ولا أمان. والله أعلم.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مصاحف الصحابة

س: قرأت في كتاب: «الصِّدِّيق أبو بكر» صـ ٣١٦ بشأن الآية: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر» فقيل: إن هذه وردت في مصحف عائشة وحفصة وأم سلمة. فما رأي فضيلتكم في هذا؟ علمًا بأنَّنا نقرأ في القرآن الَّذي بين أيدينا والَّذي لا يأتيه الباطل، قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

كان بعض الصحابة لهم مصاحف خاصَّة بهم، يجعلون في هذه المصاحف شيئًا من التفسيرات أو التعليقات، أو نحو ذلك من الإضافات التوضيحية التفسيرية. فالذي قرأه الأخ زيادة على ما في المصحف الَّذي بين أيدينا، والَّذي قيل إنَّه ورد في مصحفِ عائشة وحفصة وأمِّ سلمة، هو بمثابة التفسير لا غير، وقد جاءت أحاديث عن النبيِّ ﷺ، تبيَّن أنَّ الصلاة الوسطى هي صلاة العصر. وهذا أصحُّ ما ورد بصدد تلك الآية.

نسخة تجريبية

لقد اختلف العلماء والأئمَّة منذ عهد الصحابة فيما هي الصلاة الوسطى؟ هل هي الصبح، أم هي الظهر، أم هي العصر؟ إلى آخر ما قالوا. والصحيح الَّذي وردت به الأحاديث أنَّها صلاة العصر[١].

ويبدو أنَّ عائشة رضي الله عنها وضعت في مصحفها: «وصلاة العصر»، وفي تلك الأيام لم تكن هناك طريقة معروفة في الكتابة لفصل الأصل عن التفسير، فليست هناك أقواس معروفة مثلًا يوضع الكلام التفسيري بينها، أو حبر مغاير في اللون يكتب به ما يضاف إلى الأصل. وقد وردت بعض الروايات بدون «واو» (والصلاة الوسطى صلاة العصر) وبعض الروايات وردت «بالواو» (وصلاة العصر)، وقالوا: هذه من عطف الأوصاف، لا من عطف الموصوفات.

فالإضافة ـ إذن ـ نوع من التَّفسير، وليست من كلام الله عزَّ وجلَّ، ولهذا لم يوضع في مصحف عثمان، المصحف الإمام، حيث لم يكتب فيه إلَّا الكلام الَّذي عرضه جبريل على سيدنا محمَّد ﷺ في العرضة الأخيرة، وإلا ما كان متواترًا عند الصحابة. أما التفسيرات والكتابات الجانبية فقد حذفها عثمان من المصاحف تمامًا، واستقر على ذلك رأي الصحابة والتابعين ومن تبعهم من المسلمين، وأجمعوا على هذا طوال العصور.

ولهذا لم يقرأ أحد من الأئمَّة القراء، لا من الصحابة ولا من التابعين، ولا من بعدهم، ولا من القرَّاء السَّبعة، ولا من القرَّاء العشرة، بهذا الَّذي جاء في مصحف عائشة وغيرها.

---

(١) منها: قول رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا، شغلونا عن الصلاة الوسطى حتَّى غابت الشمس». متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٣١)، ومسلم في المساجد (٦٢٧)، عن علي بن أبي طالب.

QaradawiBooks.com

فالحُجَّة عندنا هو المصحف الإمام: مصحف عثمان، الَّذي أجمعت عليه الأُمَّة الإسلاميَّة في سائر الأجيال، وتناقلته القرون، وتلقاه الخلف عن السَّلف، وأصبح معلومًا من الدِّين بالضرورة.

وأمَّا ما زاد على ذلك، فلا يعدو كونه من التفسير، كقراءة ابن مسعود في مصحفه: «فصيامُ ثلاثةِ أيَّامٍ متتابعات» وقد اعتبر العلماء كلمة «متتابعات»[1] نوعًا من التفسير، فإنَّ ابن مسعود أضاف تلك الكلمة بعد أن سمعها من النَّبيِّ ﷺ في بيان حكم الصوم في كفارة اليمين: أن يكون ثلاثة أيام متتابعات. ولو كان ابن مسعود في عصرنا هذا لكتبها بين قوسين، أو بحبر مغاير، أو كتبها على الهامش.

ولكنْ في ذلك العصر لم يكن شيء من ذلك معروفًا، كما أنَّهم كانوا يعرفون ما هو الأصل وما هو التفسير. ولهذا لم تعتبر الأُمَّة الإسلامية ذلك التفسير من أصل كتاب ربِّها، وإنَّما الأصل هو هذا المصحف الَّذي بين أيدينا والَّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والَّذي قد أجمعت الأُمَّة على كلِّ شيء فيه: على سوره وآياته وحروفه، وعلى أحكام تجويده وتلاوته.

ليس هناك كتاب في الدُّنْيا خُدم كما خُدم القرآن الكريم، وليس هناك كتاب تولى الله حفظه بنفسه إلَّا القرآن الكريم. ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

(١) رواه عبد الرزاق في الأيمان والنذور (١٦١٠٢)، عن عطاء بلاغًا، عن ابن مسعود.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

العلاج بالقرآن

س: شاعت في هذا العصر ظاهرة لم تُعرف بهذا الوضوح والانتشار في عصر من عصور الإسلام التاريخية، وهي ظاهرة المتخصصين في العلاج بالقرآن، الَّذين يزعمون أنَّهم يستطيعون أن يعالجوا أي مريض يأتيهم عن طريق قراءة آي معينة من القرآن عليه، وقد يستجيب بعض النَّاس فيشفَى، بينما آخرون لا يؤثر فيهم هذا العلاج، فما حقيقة هذا الأمر؟ وما وجهة نظركم فيه من الناحية الشرعيَّة؟ نرجو بيان الرأي الصحيح بالأدلَّة الموثقة، نفع الله بكم وجزاكم خيرًا.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

لا شكَّ أن هذه ظاهرة قد شاعت في كثير من البلدان، وتحدث عنها الخطباء في خطبهم، والكتَّاب في مقالاتهم، وعرضت لها الإذاعات والتليفزيونات، بل عرضت لها القنوات الفضائية في بعض البرامج. هذه الظاهرة هي ظاهرة العلاج بالقرآن.

QaradawiBooks.com

فهناك أُناس زعموا أنَّهم متخصصـــون في العلاج بالقرآن، بل فتحوا عيادات علنية للعلاج بالقرآن، يذهب النَّاس إليهم في هذه العيادات كي يعالجوهم بالقرآن الكريم.

ونحن نؤمن بأنَّ القرآن هدى وشفاء كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤]، وقـال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

ولكن، ما معنى الشفاء هنا؟ هل هو الشفاء العضوي، على معنى أن الإنسان إذا أوجعه بطنه، أو أوجعته عينه، أو أحس بألم في جسده، فماذا عليه أن يفعـل؟ هل يذهب إلى عيـادة القرآن، أم يذهـب إلى الطبيب المختص الخبير في شأن هذا النوع من المرض؟

الذي رأيناه من سيرة النَّبيّ ﷺ وهديه، أنَّه شرع الطب والدواء[١]، كما قال ﷺ: «**إنَّما الشـفاء في ثلاث: في شربة عسـل، أو شرطة محجم، أو لذعة بنار**»[٢]. فذكر الأنواع الثلاثة للـدواء: الَّذي يتناول عن طريق الفم، والجراحة، وهي شـرطة المحجم أو المشرط، والكي، وذلك هو العلاج الطبيعي، والنبي ﷺ تداوى وأمر أصحابـه بالتداوي، وكان يقول لبعض أصحابه رضـوان الله عليهـم أجمعين: «**اذهبـوا إلى الحارث بـن كِلْدَةَ الثَّقَفي**»[٣]، وهو طبيب مشهور منذ الجاهلية عرفه العرب، فكان النَّبيّ ﷺ

(١) للتوسع في ذلك انظر: زاد المعاد (١٢/٤)، وإعلام الموقِّعين (٢٩٩/٤).

(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٠٢)، ومسلم في السلام (٢٢٠٥)، عن جابر.

(٣) رواه أبو داود في الطـب (٣٨٧٥)، وضعفـه الألباني في ضعيف أبـي داود (٨٣٤)، وقال الأرناؤوط في تخريج سنن أبي داود: رجاله ثقات لكنه مرسل. عن سعد بن أبي وقاص.

QaradawiBooks.com

ينصحهم بالذهاب إليه، بل جاءه رجلان يعرفان الطب من بني أنمار فقال لهما: «**أيُّكما أطبُّ؟**»[١]، يعني أيكما أحذق وأمهر في صنعة الطب؟ فأشاروا إلى أحدهما، فأمره أن يتولى هو علاج المريض، يعني أن المسلم ينبغي أن يبحث عن أمهر الأطباء وأفضلهم ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

وقال أيضًا ﷺ: «**ما أنزل الله داء إلَّا أنزل له شفاء، علمه من علمه وجهله من جهله**»[٢]. وهذا أعطى كلّ مريض أملًا في أن يجد لدائه علاجًا، وأعطى الأطباء أنفسهم أملًا في أن يجدوا لكلّ داء دواء. فليس هناك داء عضال بمعنى أنه لا علاج له، لا في الحال ولا في الاستقبال، بل كلّ مريض له علاج موجود، ولكن لم نعثر عليه بعد، فإذا أصاب دواء الداء برأ بإذن الله.

ولما سُئل ﷺ: يا رسول الله، أرأيت أدوية نتداوى بها وتُقاة نتقيها؟ هل ترد من قدر الله شيئًا؟ قال: «**هي من قدر الله**»[٣]. يعني أن الأمراض من قدر الله، والأدوية من قدر الله. لماذا إذن نعتبر المرض من قدر الله، ولا نعتبر الدواء من قدر الله؟ هذا من قدر الله، وهذا من قدر الله، فنحن ندفع قدرًا بقدر، ونرد قدرًا بقدر. هذه سنة الله، أن تدفع الأقدار بعضها البعض.. ندفع قدر الجوع بقدر الغذاء، وقدر العطش بقدر الشرب، وقدر الداء بقدر الدواء.

---

(١) رواه مالك في العين (٣٤٧٤) تحقيق الأعظمي، وقال الحافظ في فتح الباري (١٣٤/١٠): مرسل.

(٢) رواه أحمد (٣٥٧٨)، وقال مخرجوه: صحيح لغيره. والحاكم في الطب (٣٩٩/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٥١)، عن ابن مسعود.

(٣) رواه أحمد (١٥٤٧٢)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف على خطأ فيه. والترمذي (٢٠٦٥)، وقال: حسن. وابن ماجه (٣٤٣٧)، كلاهما في الطب، وحسنه الألباني في تخريج مشكلة الفقر (١١)، عن أبي خزامة.

QaradawiBooks.com

هذه هي السُّنَّة الإسلامية، ومن أجل هذا شاع الطب بين المسلمين، وتقدم الطب تقدمًا هائلًا في الحضارة الإسلامية، وكان المسلمون أئمَّة العالم وأساتذته في الطب، وعُرف منهم أسماء لامعة على مستوى العالم، مثل أبي بكر الرازي، وابن سينا، وابن رشد، والزهراوي، وغيرهم من المسلمين، وانتشرت كُتب هؤلاء في العالم مثل «الحاوي» للرازي، و«القانون» لابن سينا، و«الكليات» لابن رشد، و«التصريف لمن عجز عن التأليف» للزهراوي، بل وجدنا من علماء المسلمين الفقهاء مَن يجيد الطب، فابن رشد نفسه كان فقيهًا، ألَّف كتابه «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» في الفقه المقارن، وفخر الدين الرازي صاحب الكتب الشهيرة في التفسير والأصول وعلم الكلام وغيرها. قالوا: كانت شهرته في علم الطب لا تقل عن شهرته في علوم الدين، وابن النفيس مكتشف الدورة الدموية الصغرى، يُعدُّ من فقهاء الشافعية، وترجم له تاج الدين السُّبكي في كتاب «طبقات الشافعية» على أنَّه أحد فقهاء هذا المذهب.

ولأنَّ المسلمين اعتمدوا سُنَّة الله في الكون، فقد اعتمدوا الطب، ولم يعتمدوا على الشعوذات الَّتي انتشرت بين الأمم من قبلهم، ولم يعتمدوا على الأحجبة والتمائم وغيرها، الَّتي اعتبرها النَّبيّ ﷺ ضربًا من الشرك.

صحيح أنَّ الإسلام شرع لنا الأدوية الروحيَّة، مثل الاستعاذة بالله والرُّقى والدعاء، فالإنسان يرقي نفسه أو يرقي مريضه بقول: «**اللهمَّ رب النَّاس أذهب البأس، اشف أنتَ الشافي، لا شفاء إلَّا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا**»[(١)]. أو «**باسم الله أرقيك، والله يشفيك**»[(٢)]، أو كما كان عليه الصلاة والسلام

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في المرضى (٥٦٧٥)، ومسلم في السلام (٢١٩١)، عن عائشة.

(٢) رواه مسلم في السلام (٢١٨٦)، وأحمد (١١٥٥٧)، والترمذي في الجنائز (٩٧٢)، عن أبي سعيد.

QaradawiBooks.com

يرقي الأطفال الصغار مثل الحسن والحسين: «**أعيذُك بكلماتِ الله التامَّة، من كلِّ شيطانٍ وهَامَّة، ومن كلِّ عينٍ لامَّة**»[١]. فالرُّقى والتعاويذ والأذكار والأدعية مشروعة، ولكنْ بجوار الأسباب الماديَّة الَّتي تكملها وتقويها الأسباب الرُّوحية.

ولكنْ، لا يكفي المسلم أن يذهب إلى شخص يقول له: أقرأُ عليك القرآن، أو المعوِّذات، أو آية الكرسي، ويكتفي بهذا. كيف ذلك إذا كان يعاني من مرض عضوي؟ فلا بدَّ من علاج هذا المرض العضوي، وإذا كان مصابًا بفيروس، لا بدَّ من علاج هذا الفيروس، فهذا هو الَّذي شرعه الإسلام وعاشه المسلمون، فنحن لم نرَ في الصحابة مَن فتح بيته، وقال: أنا متخصِّصٌ في العلاج بالقرآن، حتَّى النَّبيُّ ﷺ لم يفعل هذا، وإنَّما شرع الطب وشرع التداوي بما يعهده الناس.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أنَّ بعض الأغذية فيها شفاء ودواء، مثل عسل النحل، بقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٩]. أمَّا هؤلاء الَّذين فتحوا عيادات، كما سمعنا في القاهرة مثلًا، أنَّ فلان الفلاني يعالج بالقرآن، ويذهب المغفَّلون والذين يصدِّقون كلَّ ما يُقال، ولا يمتحنون الأمور بعقولهم، أرى هؤلاء يذهبون إليهم زَرَافاتٍ ووُحدانًا، ويدفعون النقود للشيخ، الَّذي يزعم علاج هؤلاء بالقرآن، أو إخراج الجنِّ من أجسادهم، وأحيانًا رأيت مناظرَ فظيعة، مثل شخص يُضرب ضربًا مبرحًا، أو أشياء من هذا النوع.

---

(١) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٧١)، وأحمد (٢١١٢)، وأبو داود في السنة (٤٧٣٧)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

وقد نشـرت الصحف ووكالات الأنباء أن بعضهم مات من الضرب في يد واحد من هؤلاء وقدم للمحاكمة، كلُّ هذا لا أعتبر أنه من الإسلام الصحيح في شيء، إنَّما يمكن إذا سحر الإنسان أو نحو ذلك أن نعالجه بالاستعاذة والأذكار والرُّقى، وهذه الأشياء، على أن تكون معروفة ومفهومة؛ ولذلك اشترطوا في الرقية أن تكون باللغة العربية، لا بلغات غير مفهومة، أو بحروف مقطعة لا نعرف ماذا فيها، وبذكر الله تعالى وصفاته، وألَّا تشتمل على شيء من الشِّرْكيات، فهذا هو الَّذي شرعه الإسلام.

أمَّا هذه الظواهر الَّتي ابتدعها النَّاس، فليس هذا من هدي الإسلام، ولا من عمل الصحابة ولا من عمل سلف الأمة في خير قرونها، وإنَّما هي بدعة اخترعها النَّاس في هذا العصر، وكلُّ بدعةٍ ضلالة، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

إنَّ الإسلام شرع لنا أن نذهب في كلِّ أمر إلى خبرائه نسألهم عنه، ونستفتيهم فيه، سواء أكان في أمور الدين أم أمور الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

وقال ﷻ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

ففي أمور الهندسة نرجع إلى الخبراء من المهندسين، وفي أمور الطب والدواء نرجع إلى الصيادلة والأطباء، وإلى كلِّ طبيب في اختصاصه، وفي أمور الدين نرجع إلى علماء الدين الثِّقات.

القرآن شفاء:

إذن، فما معنى أن القرآن شفاء؟ وهنا نقول: إنَّ القرآن نفسه قد بيَّن معنى الشفاء المذكور بإطلاق في بعض الآيات، فقد قيدته آية أخرى،

QaradawiBooks.com

يقول الله تعالى فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]. بيَّنت الآية أنَّ القرآن شفاء لما في الصدور، من الشك والحيرة والعمى، وما فيها من الهم والحزن، والخوف والقلق؛ ولذا كان من أدعية النَّبيّ ﷺ: «**اللهمَّ اجعلِ القرآنَ ربيعَ قلبي، ونور صدري، وجلاء حُزني، وذهاب همِّي وغمِّي**»[(١)]. وكلُّ هذه الأمور المدعوِّ بها أمورٌ معنويَّة لا ماديَّة، تتعلَّق بالقلب والصدر، لا بالجسد والأعضاء.

إنَّ القرآن الكريم لم يُنزله الله تعالى ليعالج الأمراض العضوية، وإنَّما يعالج النَّاس أمراضهم بحسَب السُّنَن الَّتي وضعها الله في الكون، والَّتي بيَّن القرآن أنَّها سنن لا تتبدَّل ولا تتحوَّل.

(١) رواه أحمد (٣٧١٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وابن أبي شيبة في الدعاء (٢٩٩٣٠)، والبزار (١٩٩٤)، وابن حبان في الرقائق (٩٧٢)، والحاكم في الدعاء (٥٠٩/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، إن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله، عن أبيه فإنه مختلف في سماعه عن أبيه، وتعقبه الذهبي بقوله: وأبو سلمة لا يُدرى من هو، ولا رواية له في الكتب الستة. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧١٢٩) بعد أن نسبه لأحمد وأبي يعلى والبزار: ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان، وانتهى الشيخ شاكر من بحثه إلى توثيق أبي سلمة، وسلامة الحديث من إرسال عبد الرحمن عن أبيه. كما صحح الحديث الألباني وأشبع فيه القول في الصحيحة (١٩٨)، وذهب مذهبهما الشيخ شعيب في تعليقه على صحيح ابن حبان، ورجع عن ذلك في تعليقه على المسند، وقال: أبو سلمة الجهني لم يتبين لأئمة الجرح والتعديل من هو، فهو في عِداد المجهولين. عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

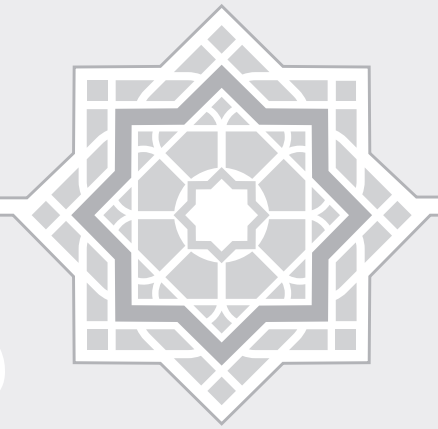

القراءات والوقف والابتداء

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾

س: دخلت أحد المساجد في انتظار الصلاة، فتناولت مصحفًا من المصاحف الموجودة بالمسجد، لأقرأ ما تيسر من القرآن، وصادفتني سورة الروم، فأخذت أقرؤها حتَّى وصلت إلى هذه الآية الكريمة: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ وقد هالني أنِّي وجدت كلمة «ضُعف» و«ضُعفًا» في الآية مشكولة بالضمِّ في المواضع الثلاثة من الآية، وهو خلاف ما حفظت هذه الآية، وما سمعته من الحفاظ، وما قرأته في شتَّى المصاحف المطبوعة في مصر، والمعتمدة من الأزهر الشريف. ولهذا وقر في نفسي أن هذا غلط مطبعي، وبخاصَّة أن هذا المصحف مطبوع في الهند، ولم تعتمده جهة علمية دينية معروفة كالأزهر.

ولهذا لجأت إليكم لأعرف وجهة نظركم، فلعلَّ لهذا عندكم تفسيرًا، أو لعلَّها قراءة غير القراءة الَّتي نقرأ بها نحن في البلاد العربية. أرجو البيان والإيضاح.

(أ. ر. ج)
الدوحة

QaradawiBooks.com

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

أشكر الأخ أولًا على غَيرته على كتاب الله العزيز، وحرصه على تلاوته كلَّما تيسر له ذلك. وأشكر له ثانيًا أنه بادر بالسؤال عندما ساوره الشك ليصل إلى اليقين، وهذا هو واجب المسلم: أن يسأل إذا لم يعلم، ولا يتسرع بالحكم. فإنَّما شفاء العِي السّؤال.

ثم أطمئنه على أن ما هاله وأزعجه ليس غلطًا مطبعيًّا، ولا لغويًّا، ولا دينيًّا. فقد صحت القراءة بالفتح والضم كليهما في «ضعف» و«ضعفًا» في الآية الكريمة. قرأ خمسة من القراء السَّبعة بالضمِّ، وقرأ عاصم وحمزة بفتح الضاد، وقال الفرَّاء: الضم لغة قريش، والفتح لغة تميم[1].

ومن المعلوم أنَّ القراءة المشهورة عندنا في المشرق العربي هي قراءة حفص عن عاصم. وهي الَّتي طبعت عليها المصاحف الَّتي نقرؤها. وهذه هي القراءة المشهورة في الهند وباكستان أيضًا ـ على ما أعلم ـ فكان مقتضى ذلك أن تضبط الكلمة بفتح الضاد في المصحف الهندي، ما دامت قراءة عاصم بالفتح، والجميع هنا وفي الهند يأخذون بقراءة عاصم برواية تلميذه حفص، فكيف جاء الضم؟ والَّذي يرجع لكتب القراءات، مثل كتاب «القراءات السّبع» لأبي عمرو الداني، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري، يعرف السِّر في مخالفة المصحف الهندي للمصاحف الأخرى المتداولة.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤/٤٦، ٤٧).

QaradawiBooks.com

فقد رُوِيَ عن حفصٍ أنَّه اختار الضمَّ في الآية خلافًا لشيخه عاصم، لحديث روي عن ابنِ عمر مرفوعًا في ذلك. وجاء عن حفص أنه قال: «ما خالفت عاصمًا في شيء من القرآن إلَّا في هذا الحرف».

قال ابن الجزري: وقد صحَّ عنه ـ أي حفص ـ الفتح والضم جميعًا. ونقل عن الحافظ أبي عمرو الداني قوله: واختياري في رواية حفص الأخذ بالوجهين: بالفتح والضم، فأتابع بذلك عاصمًا على قراءته، وأوافق حفصًا على اختياره.

قال ابن الجزري: قلت: وبالوجهين قرأت له، وبهما آخُذ[1].

وبهذا نعلم أنَّ المصحف الهندي لم يخرج عن قراءة حفص، وإن خالف بذلك عاصمًا شيخه، ولعلَّ الَّذي رجح ذلك لدى إخواننا الهنود أنَّ الضمَّ لغة قريش، وللغة قريش فضلها، وأنَّ حديثًا مرفوعًا جاء بهذه القراءة، أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والتِّرْمِذيّ، عن عطية العوفي قال: قرأت على ابن عمر: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا﴾ [الروم: ٥٤]. فقال: (**اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضُعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضُعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضُعْفًا**)» ثم قال: قرأتُ على رسول الله ﷺ كما قرأتَ عليَّ فأخذ عليَّ، كما أخذتُ عليك[2].

---

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٣٤٥/٢)، تحقيق علي محمد الضباع، نشر المطبعة التجارية الكبرى.

(٢) رواه أحمد (٥٢٢٧)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الحروف والقراءات (٣٩٧٨)، والترمذي في القراءات (٢٩٣٦)، وقال: حسن غريب. وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٣٣٦٥).

QaradawiBooks.com

والحديث إسناده ضعيف، وإن حسنه التِّرْمِذيّ؛ لضعف عطية العوفي، والقراءتان ثابتتان بالتواتر المستيقن، ولا اعتراض على واحدة منهما.

والحمد لله، لم يُوجد كتاب في الوجود نال من العناية والرعاية والتدقيق، حتَّى في ضبط حروفه وكلماته، وفي طريقة نطقها وتلاوتها، ومقدار مدها أو غنها، معشار ما ناله كتاب المسلمين: كتاب الله، القرآن المجيد: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

حول بعض «الوقوف» في سورتي يوسف والحديد

س: أنا معْنيٌّ بدراسة علوم القرآن الكريم، وخصوصًا بالوقف والوصل فيه، وقد صليت خلفكم صلاة التراويح، وفي أكثر من رمضان، أعجبني كثيرًا اختياركم لأماكن الوصل والوقف. وهي مبنية على مراعاتكم للمعاني القرآنية.

لهذا أحببت أن أسألكم عن بعض «الوقوف» في القرآن الكريم، اختلفت فيها مع بعض زملائي، فرأينا أن نستنير برأيك حولها.

١ ـ من ذلك قوله تعالى في أواخر سورة يوسف: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾. فمعظم المصاحف المطبوعة، تقف على قوله: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾. ثم تستأنف بعده: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

فهي بهذا تجعل فقرة: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾، جملتين اثنتين لا جملة واحدة، وأنا أرى خلاف ذلك.

٢. وفي نفس السُّورة حدث خلاف حول الوقف في الآية الكريمة على لسان يوسف قال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢]. وذلك بعد أن قال له إخوته: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٩١].

QaradawiBooks.com

فهل الوقف عند قوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾، أو عند كلمة: ﴿ٱلْيَوْمَ﴾؟

٣ ـ وفي سورة الحديد يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الحديد: ١٩].

فهل يوقف عند قوله: ﴿ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ أم عند قوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾؟ وبعبارة أخرى: هل هما صنفان أو ثلاثة تتحدَّث عنهم الآية؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

١ ـ الَّذي أرجحه في الآية الكريمة من سورة يوسف: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾، أن فقرة: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾. جملة واحدة، وهي جملة تفسيرية للجملة قبلها، ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾. فهو يشرح هذه السَّبيل بأنها: الدعوة إلى الله على بصيرة، هو وكل من آمن به واتبعه. فضمير ﴿أَنَا۠﴾ في الآية تأكيد لفاعل ﴿أَدْعُوٓاْ﴾، وليس مبتدأ لخبر مقدم هو ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾، والصحيح أن تعرب ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ على أنَّها حال من فاعل ﴿أَدْعُوٓاْ﴾.

ولو جعلت هذه الفقرة جملتين: الأولى: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾. الثانية: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾. لأخل ذلك بمعنيين كبيرين:

الأول: ربط الدعوة بهذا الوصف الجميل: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ وهذا الربط لا يتأتى إلَّا بربط الفقرة كلها، وجعلها جملة واحدة، وعدم الوقف على

QaradawiBooks.com

قوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ لأن ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ ستكون خبرًا مقدمًا للمبتدأ بعدها، وهو الضمير والمعطوف عليه ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾.

الثاني: جعل الدعوة إلى الله على بصيرة من أوصاف الأتباع أيضًا، فكل من اتبع النَّبيَّ ﷺ فهو داع إلى الله، وداع على بصيرة، وبالوقف على: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾، ينفصل الأتباع عن الدعوة، وتنفصل الدعوة عن البصيرة.

لهذا أرجح كلَّ الترجيح عدم الوقف على قوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾، وقراءة الفقرة كلِّها متَّصلة: ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾.

٢ ـ كما أرجِّح في الآية الأخرى من سورة يوسف: الوقوف عند قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ وبهذا يرتبط هذا الظرف بالتثريب قبله، لا بالمغفرة بعده، فيوسف يقول لإخوته بعد اعترافهم بخطئهم وإثمهم: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ ثم يدعو لهم بقوله: ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

ولو كان الوقف على قوله: ﴿عَلَيْكُمُ﴾، لكان لفظ ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ ظرفًا لفعل ﴿يَغْفِرُ﴾، وكان بذلك خبرًا لا دعاء، وكان هذا جزمًا من يوسف بأنّ الله يغفر لهم اليوم، مع أنَّ اللائق بالموقف أن يكون دعاء ورجاء منه، ويؤيده قولهم لأبيهم بعد ذلك: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ۝ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٩٧، ٩٨].

ولو كانت الجملة خبرًا لا دعاءً، لم يكن هناك معنى لطلب الاستغفار من أبيهم مرَّة أخرى، بعد أن أخبرهم الصديق بأن الله يغفر لهم اليوم.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قال الألوسي: وأنت تعلم أن أكثر القراء على الوقف على ﴿ٱلْيَوْمَ﴾. وهو ظاهر في عدم تعلقه بـ﴿يَغْفِرُ﴾، وهو اختيار الطبري[١] وابن إسحاق وغيرهم، وهو الَّذي يميل إليه الذوق، والله أعلم[٢] اهـ.

٣ ـ وأما آية سورة الحديد: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ فالذي أرجحه عدم الوقف على كلمة: ﴿ٱلصِّدِّيقُونَ﴾؛ لأنَّ ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ معطوف عليها. هي خبر عن المبتدأ الثاني ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ المشار به إلى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ﴾، وشبه الجملة: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ حال.

فالله تعالى يخبر عن الَّذين آمنوا بالله ورسله بأنَّهم هم الصِّدِّيقون والشهداء عند ربِّهم، وبأنَّ لهم أجرَهم ونورَهم.

بخلاف الَّذين كفروا وكذبوا بآيات الله، فأولئك أصحاب الجحيم.

فالقسمة ـ إذن ـ ثنائية: المؤمنون بالله ورسله، وهم أصحاب الجنة، والكفرة المكذبون، وهم أصحاب الجحيم.

وقد استظهر أبو حيَّان في تفسيره كونَ الشهداء مبتدأً، وما بعده خبرًا، ورده الألوسي قائلًا: ومن أنصف يعلم أنه ليس كما قال، وأن الَّذي تقتضيه جزالة النظم الكريم خلافه[٣].

---

(١) تفسير الطبري (٢٤٧/١٦).

(٢) روح المعاني للآلوسي (٤٩/٧)، تحقيق علي عبد الباري عطية، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

(٣) روح المعاني (١٨٤/١٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومما يرجح ما قاله الألوسي قوله تعالى بعد ذلك بآية واحدة: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ [الحديد: ٢١].

مما يدلُّ على أنَّ السُّورة تدور على فضل الإيمان بالله ورسله، وفضل المؤمنين وعظيم جزائهم ومنزلتهم عند الله، فهم الصديقون وهم الشهداء عند ربهم، وليس الشهداء قسمًا آخر.

على أنه لو قيل بالوقف على «الصِّدِّيقون»، واستأنف الكلام عن الشهداء على اعتبار ما لهم من منزلة خاصة، لاقتضى هذا أن يكون الشهداء أفضل من الصديقين، بدليل تخصيصهم بأن لهم وحدهم أجرهم ونورهم. والمعروف خلافه، وهو: أنَّ أفضل النَّاس بعد النبيين هم الصديقون، ويليهم الشهداء وهو الترتيب الَّذي يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩].

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقف مفسد للمعنى عند قوله:
﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾

س: سمعتكم في بعض الدروس تنكرون على من وقف من القراء المعاصرين على قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ ثم استأنف فقال: ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦].

فما وجهه نظركم في هذا الوقف؟ وما وجه الخطأ فيه؟ فإنَّنا سمعنا ذلك من أكثر من قارئ من المشاهير؟ جزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

الوقف من حيث الجواز واللزوم والمنع مبني على فهم المعنى. كالإعراب في النحو، فهو فرع المعنى.

ولهذا تتفاوت المصاحف في مواضع الوقف والوصل، والحكم عليها تبعًا لتفاوت أفهام المشرفين عليها. فتجد بعض المصاحف يوجب الوقف على موضع معين من آية، ويرى لزومه، ويضع حرف «الميم» الدالة على ذلك، على حين تجد مصاحف أخرى ليس فيها هذا الرمز.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

وتجد مصاحف تضع علامة المنع من الوقف، وهو حرف «لا» وأخرى لا توافقها.

ومصاحف تضع علامة ترجيح الوقف «قلي»، أو ترجيح الوصل «صلي»، أو علامة تجويز الطرفين «ج» وأخرى تخالفها في ذلك.

وأفضل المصاحف في ذلك في رأيي هو المصحف الَّذي أشرفت عليه اللجنة العلمية الشهيرة من كبار علماء الشَّريعة والقراءات واللغة في مصر، وهو المصحف المعروف باسم «مصحف الملك» وإن كان هناك بعض استدراكات قليلة عليه، كأي عمل بشري.

ومن القراء العصريّين من لا يتأمل المعنى جيدًا، فيقف حيث لا ينبغي أن يقف، كما في الآية الكريمة المسؤول عنها من سورة المائدة.

فقد جاءت الآية في سياق الحوار بين موسى وقومه، لحثهم على دخول الأرض المقدسة الَّتي كتب الله لهم دخولها، ورغم التذكير والتبشير والتحذير، أصر القوم على ألا يدخلوها ما دام فيها أهلها، فإن خرجوا منها فلا مانع إذن أن يدخلوها!

وانتهى الحوار بهذا القول الوقح من القوم لنبيهم ومنقذهم: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

فماذا كان جواب موسى؟

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٥]، وهنا جاء الحكم الإلهي القدري: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۚ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦].

QaradawiBooks.com

فتحريم الأرض المقدسة عليهم لم يكن تحريمًا مؤبدًا ولا مطلقًا، بل هو مقيد بهذه السِّنين الأربعين، عقوبة من الله لهم، وحتَّى يتربى جيل جديد في رحابة الصحراء بعيدًا عن قهر الفراعنة، وذلِّ الاستبداد، ولو كان التحريم دائمًا ما دخلوها قديمًا بعد موسى، وقام لهم ملك داود وسليمان عليهما السلام، ولا دخلوها حديثًا، وأقاموا فيها دولتهم الَّتي فعلت بنا الأفاعيل.

والوقف على قوله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ كما يحلو لبعض القراء، يفسد المعنى، ويوهم بالتحريم المطلق، وإن «الأربعين سنة» منفصلة عن التحريم، ومقصورة على التيه وحده، والصواب أن مدة التحريم هي نفسها مدة التيه، وذلك يتبيَّن بالوصل بين خبر «إنَّ» وظرفه الزماني، فتكون القراءة: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾.

والله أعلم.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

رسم المصحف

QaradawiBooks.com

كتابة المصحف بالطريقة الإملائيَّة الحديثة

س: لماذا لا يطبع القرآن على الطريقة الإملائيَّة العاديَّة تيسيرًا لقراءته، وتسهيلًا على الطلاب لتلاوته وحفظه وكتابته؟ هل هناك ما يمنع ذلك شرعًا؟ وهل يجوز كتابة بعض الآيات على السُّبورة بالطريقة الإملائية العادية للطلاب أثناء الدرس؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

من خصائص هذا القرآن الكريم: أن الله ﷻ تكفل بحفظه بنفسه، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

فهذا الكتاب محفوظ، لم يستحفظه الله النَّاس كما استحفظ الكتب الأخرى أهلها[1] ولم يدع للبشر أن يتولوا حفظه بأنفسهم، بل تولى سبحانه بنفسه أن يحفظ هذا الكتاب؛ لأنَّه يتضمن كلمة الله الأخيرة للبشرية، فهو آخر الكتب، أُنزل على آخر الرسل، لآخر الأمم.

(١) إشارة إلى قوله تعالى عن التوراة: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة: ٤٤].

QaradawiBooks.com

ولمَّا تولَّى ذلك سبحانه، يسَّر الوسائل المعينة على ذلك، فمن هذه الوسائل: تواتُر هذا الكتاب منذ عهد النَّبيِّ ﷺ إلى اليوم، وإلى ما شاء الله إلى قيام السّاعة، تواتره جيلًا عن جيل، يحفظونه عن ظهر قلب، كبارهم وصغارهم، يتلونه كما أنزل، بكلِّ كلمة، وبكلِّ حرف، وبطريقة أدائه المتواترة: بغنِّه، وبمدِّه، وبحركاته، وبسكناته، فهو متواترٌ بلفظه وبمعناه. وهذا لم يتوافر لأيِّ كتاب قطُّ، من كتب الديانات كلِّها.

ومن وسائل حفظه كذلك أنَّ الله ألهم المسلمين منذ عهد الصحابة أن يحافظوا على رسمه، فلا يغيِّروا فيه ولا يبدِّلوا صور كتابته كذلك؛ مبالغة في صيانته، وهذا الكتاب يقرؤه المسلمون كما رُسم في عهد الصحابة رضوان الله عليهم، وكان ذلك في عهد عثمان، ولهذا يُسمَّى مصحف عثمان، ويُوصف رسمه بالرسم العثماني، نسبة إلى الخليفة الثالث أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه. فهذا المصحف كُتب بحضرة الصحابة وأقرُّوه، وصار إجماعًا منهم.

وقد اختلفت طريقة الكتابة وقواعد الإملاء فيما بعد ذلك، على توالي العصور، ولكنَّ المسلمين لم يجرؤوا حتَّى اليوم أن يُغيِّروا من طريقة الرسم العثماني، قد غيَّروا بعض الشيء، إذ لم يكن هناك نقط فوضعت، ولم يكن هناك شكلٌ فوضعوه فيما بعد. ولكن صورة الكلمات بقيت كما هي، لم يجرؤوا على تغييرها. مثل «الرياح» تكتب في المصحف «الريح»، بزيادة ألف صغيرة على حرف الياء، أو مثل الصلاة تكتب هكذا «الصلوة» أو الرِّبا تكتب هكذا «الربو» بزيادة ألف صغيرة على حرف الواو، ولم تمتد أيديهم إليها بالتغيير قط.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

هناك من يدعو اليوم إلى كتابة المصحف بالطريقة الإملائية الحديثة؛ لنيسر على النَّاس القراءة، حتَّى لا يختلف المصحف عن سواه من الكتب الَّتي يقرأها الناس. ولهم في ذلك اعتبارات وأدلَّة.

ولكن الأكثرين ـ وأنا منهم ـ في الحقيقة يميلون إلى أن يبقى المصحف كما هو، برسمه، وبطريقته الَّتي كُتب بها أوَّل الأمر، مبالغة في الحفاظ على هذا الكتاب الإلهي؛ ليعلم النَّاس أنَّنا نقرأ كتابنا كما أنزل كما قرأه محمَّد ﷺ على أصحابه، وكما نزل به جبريل على قلب محمَّد ﷺ، فليس لأحد أن يزيد أو ينقص، أو يغير شيئًا فيه. هذا بالنسبة للمصحف ككل.

ولكن إذا أخذنا آيات من المصحف لنستشهد بها في كتاب، أو لنكتبها على السُّبورة، أو نحو ذلك، فلا بأس في هذه الحالة أن تكتب على الطريقة الإملائية الحديثة، لتكون أسهل في التعليم، لا بأس بهذا، وإن كان على المعلم أو المعلمة أن يشير للطالب أو الطالبة إلى أن المصحف له طريقة خاصَّة في كتابة بعض الكلمات، حتَّى يكون على علم بها، فلا يتعثر بتلاوة هذا الكتاب، الَّذي جعل الله تلاوته عبادة، وجعل تلاوة كلّ حرف فيه بعشر حسنات.

وبالله التوفيق.

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة

غير مرخصة للطباعة

لا يجوز التهاون في كتابة الآيات القرآنية

س: كما تعلمون ـ فضيلتكم ـ ما أحدثه الكمبيوتر من ثورة علمية في خدمة المعلومات من تسهيل انتشارها، وخفة حملها، حيث إن الشريط الواحد الَّذي يسمى «سي دي» يحمل مائتي كتاب أو أكثر، وقد حصلت على الأسطوانة المضغوطة «CD» خاص بكتاب تفسير: «في ظلال القرآن» للشهيد سيد قطب، وقد أعدَّتها شركة برمجيات متخصصة، ولكن للأسف بعد قراءة عدة صفحات فوجئت بأخطاء كثيرة في الآيات القرآنية! فنرجو من سيادتكم توضيح الحكم الشرعي في هذا الأمر.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

لا يجوز التهاون في القرآن الكريم بحال من الأحوال، بل لا بدَّ لنا نحن المسلمين أن نحافظ عليه، لأنَّ الله تعالى قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. وحفظ الله لكتابه: له وسائل وأسباب، من ذلك كثرة حفَّاظه، الَّذين يحفظونه في صدورهم، ومن ذلك أنه إذا طبع في المصاحف يجب أن تقره لجنة شرعيَّة، ففي مصر لجنة للمصحف

QaradawiBooks.com

الشـــريف في مجمع البحوث الإســـلامية بالأزهر، هذه اللجنة تقرأ كلّ مصحف يراد طبعه، تقرؤه كلمة كلمة، وشَـــكْلة شَكْلة، وتراجع مواضع الآيات، والأرباع والأحزاب والأجزاء، ومواضع الوقف والابتداء، وعد الآيات، إلخ.

وأود هنا أن أذكر القائمين على طباعة الكتب الإسلامية أو كما في السُّؤال هنا على إعدادها برمجيًّا لتصلح للعرض على الكمبيوتر، إلى إتقـــان العمل، خاصَّـــة الآيـــات القرآنيـــة والأحاديث النبويـــة، لقول رسول الله ﷺ: «**إن الله يحبّ إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه**»[1]. هذا في كلّ أمر، فإذا تعلق الأمـــر بكتاب الله كان الأمر بالإتقـــان آكد، لمنزلة كتاب الله تعالى.

(١) رواه أبو يعلى (٤٣٨٦)، والطبراني في الأوسط (٨٩٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٨٨٠)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

كتابة بعض آيات القرآن بالحرف اللاتيني

س: وصلتني رسالة من بعض الإخوة في أوربا يسألون، عن حكم كتابة القرآن الكريم بالحرف اللاتيني، للذين يدخلون الإسلام من الأجناس الَّتي لا تعرف العربية، ولا يسهل عليهم قراءتها.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فقد أنزل الله تعالى القرآن عربيًّا، كما نصَّت على ذلك آياته الكثيرة، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: ٣٧]، ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۞ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۞ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥]، ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨]، ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٣]، ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣].

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يكتب هذا القرآن الكريم منذ أنزل على رسوله ﷺ بالحرف العربي المعبر عن اللسان العربي، فهو قرآن وكتاب، ومن حيث هو قرآن: يتلى باللسان العربي، ومن حيث

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

هو كتاب: يكتب بالحرف العربي المعبر عن الأصوات الَّتي تميزت بها العربية.

وعلى هذا أجمعت الأمة منذ عهد النَّبيّ ﷺ، وعهد خلفائه الراشدين المهديين، الَّذين أمرنا أن نتمسك بسنتهم، ونعض عليها بالنواجذ.

وقد تميَّز هذا القرآن عن الكتب السَّماوية الَّتي سبقته بأن الله تعالى تولى حفظه بنفسه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ومن دلائل هذا الحفظ أن قيض الله تعالى له من استظهره وحفظه في صدره، وهو ما لم يعرف لأي كتاب مقدس آخر، وحفاظ القرآن كله يعدون بعشرات الألوف، ومنهم صبيان لا يتجاوزون السَّابعة من العمر، بل منهم أعاجم لا يحسنون فهم كلمة من العربية، ولكنَّهم يحفظون القرآن، لا يخرمون منه حرفًا، وقد شاهدت ذلك لدى الباكستانيين والهنود والأتراك وغيرهم.

ومن دلائل هذا الحفظ أنَّ الأمة الإسلامية منذ عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ـ أي بعد وفاة النَّبيّ الكريم ـ ببضعة عشر عامًا، تلقت بالقبول المصاحف الَّتي كتبت في ذلك الوقت بإشراف لجنة علمية على رأسها زيد بن ثابت رضي الله عنه، وأجمعت على أن تبقى هذه المصاحف كما رسمت، لا تغيِّر فيها ولا تبدِّل، رغم تطوّر طرائق الرسم والإملاء، إلَّا ما اقتضته الضرورة في أضيق الحدود، ممَّا لا يغير من صورة الكلمة المكتوبة، وفي هذه الحدود زادوا النقط والشكل.

وبقي المصحف برسمه العثماني إلى يومنا هذا، ولم يقبل أحد من المسلمين أن يغير رسمه إلى الرسم الإملائي المعتاد، وإن كان أيسر على النَّاس، مبالغة في الحفاظ على النَّصّ القرآني، من أي تغيير قد يحدث في المستقبل، خطأً أو عمدًا.

QaradawiBooks.com

وإذا كان هذا هو موقف المسلمين الإجماعي من الرسم العثماني للنص القرآني وحرصهم عليه، ورفضهم لأي تغيير في صورته مع بقاء الحرف العربي كما هو، فكيف نجيز كتابة النَّصّ القرآني بحرف آخر غير الحرف العربي، مثل الحرف اللاتيني، مع أنَّ هذا الحرف لا يوجد به ما يعبر عن كلِّ الأصوات العربية، الَّتي لها أحرف خاصَّة في لغة العرب، مثل الصاد والضاد، والطاء والظاء، والعين والحاء، ونحوها.

وربما قيل: إن ذلك يمكن أن يعالج بوضع علامات خاصَّة كالتي وضعها المستشرقون لتمييز الصوت الَّذي لا يوجد له حرف خاص يعبر عنه في الحروف اللاتينية، ولكن هذا يفيد من يعرف اللغة العربية وأصوات الحروف فيها. أما غيره فلا يستفيد منها إلَّا بعد دراسة وتدريب.

ثم هناك أشياء مثل همزة الوصل ومتى ينطق بها ومتى لا ينطق، وكذلك التنوين في حالة الوصل، وحالة الوقف، واختلاف ذلك في حالة النصب عن حالتي الرفع والجر، وأيضًا التنوين في التاء المربوطة واختلافه عن التاء المفتوحة في حالة الوقف.

وغير ذلك، ممَّا يمكن أن يظهر بالممارسة، ولا يصلح معه إلَّا التلقي الشفهي.

على أنَّه قد يمكن في حالة الضرورة القصوى، أن يُرخص لبعض النَّاس الَّذين يصعب عليهم التلقي بالمشافهة، أن يكتب لهم سورة الفاتحة مثلًا، وبعض الآيات، أو السّور القصار، من أجل القراءة في الصلاة، على أن توضع كلُّ العلامات اللازمة والموضحة لسلامة النطق، وعلى أن يكون ذلك للعون على حفظ الكلمات منطوقة بالعربية، وأن يراجع نطقه على من يعرف العربية، حتَّى يطمئن إلى سلامته.. وبعد

QaradawiBooks.com

الحفظ التام لا داعي لإبقاء النَّصّ بالحرف اللاتيني، فقد أدَّى مهمته، ولم يعد له حاجة.

ولعلَّ ممَّا يؤيِّد هذه الرخصة بهذه الشروط وفي هذه الحدود، ما اتّفق عليه رأي المسلمين من جواز كتابة النَّصِّ القرآني بالحرف العربي، بغير الرسم العثماني، بل بالرسم الإملائي المعتاد وذلك في غير المصحف، كما في الكتب التعليمية والمجلات الدينية وغيرها؛ بقصد التسهيل والتَّيسير على جمهور النَّاس، الَّذين لم يتمرسوا بقراءة الرسم العثماني الموروث.

أمَّا ما عدا ذلك، فيجب أن يبقى النَّصُّ القرآني مكتوبًا بالحرف العربي، وفي هذا فوائد كثيرة أهمُّها: أن يحرص المسلم على تعلُّم العربية، باعتبارها لغة القرآن والحديث، ولغة العبادة ولغة الثقافة الإسلامية، وقد ذهب بعض الأئمَّة كالشافعي رضي الله عنه إلى وجوب تعلم العربية لمثل هذا الاعتبار، وأيد ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه: «اقتضاء الصراط المستقيم»[1].

وبهذا يستقي المسلم معرفته بدينه مباشرة من منابعها الصافية دون كثرة الوسائط.

كما أن اللغة العربية تربطه بالمصحف الشريف من ناحية، وبإخوانه المسلمين الناطقين بالعربية من ناحية أخرى.

وقد كان الإسلام والعربية يسيران جنبًا إلى جنب في عهد الصحابة ومن تبعهم بإحسان من خير القرون، ولو مضى الأمر على هذا المنهاج

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (٥٢١/١)، تحقيق ناصر عبد الكريم العقل، نشر دار عالم الكتب، بيروت، ط ٧، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

ما كان عندنا عالـمَان: أحدهـما عربي والآخر إســلامي، بل كان هنـاك عالَم واحد: عـربي إسلامي، أو إسلامي عربي لا غير.

ومن هنا ينبغي أن يفهم أن الأصــل في الفتوى: هو عدم جواز كتابة النَّصّ القرآنــي بغير الحرف العربي. وإذا ترخصنا فــي كتابة الفاتحة أو بعض الآيات القصار، فيجب أن يكون في حدود الضرورة القصوى، وما أُبيح للضرورة، يقدر بقدرها، كما هو مقرر في القواعد الشرعيَّة.

والله يقول الحقَّ وهو يهدي السَّبيل.

نسخة مجانية
غير مرخصة للبيع

غير مرخصة للطباعة

هل يجوز كتابة القرآن للأجانب بالحروف اللاتينية؟

س: ظهرت بدعة لدى بعض الأوربيين الداخلين في الإسلام حديثًا، وبفتوى من بعض مشايخ المسلمين: أن يكتبوا القرآن بالحروف اللاتينية حتَّى يستطيعوا أن ينطقوها، وقال الَّذين أفتوهم بذلك: إنَّها الضرورة الَّتي أوجبت ذلك، والضرورة لها حكمها. وقد أجـاز الإمام أبو حنيفة قراءة القرآن بالفارسـية لمَن عجز عن العربية، فلماذا لا يجوز كتابته بحروف غير عربية، ما دام يقرؤه بالعربية؟

وقد أقدم بعض الأخوة في الغرب على طباعـة مصحف كامل بالحرف اللاتيني، وظهرت طبعات مختلفة، نرى بينهما تباينا ظاهرا في طريقة الكتابة.

وقد اختلفنا هنـا في الغرب حول هـذا الموضوع، فمنـا مَن يحرمه مطلقًا، ولا يجيزه بحـال، ولا لأيِّ ضرورة، ومنا مَن يجيـزه لمَن يتعلَّم الفاتحة وبعض قصار السّور للصلاة، ومنا مَن توسَّع فطبع المصحف كلَّه.

نرجو من سماحتكم القول الفصل في هذا الأمر، الَّذي يتعلَّق بكتاب الله، حتَّى لا يصبح عرضة للمتلاعبين، وتضيع الحقيقة بين الغلاة والمفَرّطين.

وفقكم الله ورزقكم البصيرة، ونفع بكم الإسلام.

د. سيد أمين
من ألمانيا

QaradawiBooks.com

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

شكر الله للأخ السَّائل غيرته على كتاب الله ﷻ، الَّذي هو مرجع الملَّة، ودستور الأمة، ومصدر العقيدة والتربية، ونور السَّماء لهداية الأرض، وقانون الخالق لإصلاح الخلق: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٩]، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

وقد أنزل اللهُ هذا القرآنَ بلسانٍ عربيٍّ مُبين، كما استفاضت بذلك آيات القرآن العظيم.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥]، ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٣].

ولذا أجمع العلماء على أنَّ القرآن هو «اللفظ العربي» وأي ترجمة لمعانيه إلى اللغات الأخرى، لا تكون هي القرآن المُنزل على محمَّد ﷺ، بل هي مجرَّد ترجمة لمعانيه أو لتفسيره.

ومقتضى هذا: أن يكتب بالحروف العربية الَّتي تعين على صحَّة النطق به، فلكل لغة حروفها المعبرة عنها، وكل لغة فيها حروف لا توجد في لغة أخرى، ولا توجد في تلك اللغات حروف تعبر عنها كما في الحروف: الحاء والعين والصاد والضاد، والطاء والظاء، ثم طريقة النطق

غير مرخصة للطباعة
نسخة معاينة
QaradawiBooks.com

تختلف في اللفظ الواحد من حالة إلى أخرى، مثل لفظ الجلالة (الله) أحيانا تنطق اللام مفخمة إذا لم يكن ما قبلها مكسورا مثل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، وأحيانًا ينطق مرقَّق مثل: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

وكيف تكتب الفاتحة في حالة الوصل وفي حالة الوقف. مثل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، فسكون النون في حالة الوقف، وفتحها في حالة الوصل: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٢ ـ ٤]، لهذا كانت الكتابة بأي لغة أعجمية مجازفة، تعرض لفظ القرآن للتغير والتحريف المذموم.

ولقد رأينا المسلمين منذ عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه قد التزموا كتابة المصحف بالرسم العثماني، بالرغم من تطوّر علم الرسم والإملاء، وضبطه بقواعد معروفة، ومغايرة ذلك لما هو مكتوب في المصحف مثل: «الصلاة» تكتب «الصلوة» ومثل «الربا» تكتب «الربوا».

نقل الإمام أبو عمرو الدَّاني علَّامة القراءات المعروف، عن أشهب: أن الإمام مالك بن أنس سُئل: هل يُكتب المصحف على ما أحدث النَّاس الهجاء (أي من طرق الرسم والإملاء) فقال: لا، إلَّا على الكتبة الأولى[١].

وقال الإمام أحمد: تحرم مخالفة خط عثمان في واو أو ألف أو ياء، أو غير ذلك[٢].

---

(١) المحكم في نقط المصاحف لأبي عمرو الداني صـ ١١، تحقيق عزة حسن، نشر دار الفكر، دمشق، ط ٢، ١٤٠٧هـ.

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣٧٩/١)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، ط ١، ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م.

QaradawiBooks.com

والمسلمون في أنحاء العالم ملتزمون بكتابة المصاحف بالرسم العثماني، ولكنَّهم رخصوا في كتابة الآيات الَّتي يستشهد بها في البحوث العلمية أن تكتب بطريقة الرسم الحديثة، وكذلك في الكتب العلمية والتعليمية.

وإنَّما شدد علماء الأمة في ذلك؛ حفاظا على القرآن ومبالغة في العناية به، ليظل على ما كان عليه لفظًا وكتابة، فهو يُقرأ كما أُنزل في عهد الرسول، بغنه ومده، وحركاته وسكناته، وهو يُكتب كما رُسم في عهد الصحابة رضي الله عنهم.

وهذا في كتابته بالحروف العربية، ولكن برسم غير الرسم الَّذي كتبه به الصحابة، فكيف يكتب بحرف غير عربي، تتعذر معه القراءة العربية السّليمة؟

وقد نصَّ العلماء من قديم على منع ذلك وتحريمه، حرصًا على كتاب الله.

قال الإمام المرغيناني صاحب كتاب «الهداية» من كتب الحنفية: يمنع من كتابة المصحف بالفارسية بالإجماع.

وفي كتاب «معراج الدراية» من كتب الحنفية: يمنع من كتابة المصحف بالفارسية أشد المنع، وأنَّه سيكون معتمده زنديقًا[1].

وجاء في فتاوى ابن حجر الهيتمي الشافعي شارح «المنهاج» أنه سُئل: هل تحرم كتابة القرآن بالعجمية لقراءته؟ فقال: الإجماع على التحريم[2].

(١) انظر: تفسير المنار للعلامة محمد رشيد رضا (٢٨١/٩)، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

(٢) الفتاوى الفقهية الكبرى لابن حجر الهيتمي (٢٣٨/١)، نشر المكتبة الإسلامية.

QaradawiBooks.com

وقال العلامة ابن الحاج العبدري: ينبغي له «أي الناسخ» بل يتعيَّن عليه ألَّا ينسخ الختمة «أي المصحف» بلسان العجم؛ لأنَّ الله تعالى أنزله بلسان العرب، ولم ينزله بلسان العجم[1].

وهذا ما نعتمده ونفتي به مطمئنين، حتَّى يبقى القرآن عربيًّا قراءة وكتابة، وعلينا أن نُعَلّم غير العرب من المسلمين أن يبذلوا جهدهم في تحسين النطق بالقرآن، أي علينا أن نعرّبهم لا أن نعجّم القرآن من أجلهم.

ولهذا يحرم بصورة قطعيَّة كتابة مصحف كامل وطباعته بهذه الحروف، ونشره على الناس.

وكل من شارك في ذلك فهو آثم، لأنَّه عاون في معصية الله، وقد قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

كل ما تجيزه الضرورة في هذه الحالة: أن يسمح للمسلم الجديد من غير العرب إذا عجز عن التعلم بالعربية أن تكتب له سورة الفاتحة بالحرف الأعجمي، ومثلها قصار السُّور الَّتي يحتاج إليها في الصلاة، مع الاستعانة بقارئٍ عربيٍّ، يُعينه على حُسن النطق بها كما ينبغي، فيتعاون اللفظ والخط، ثم يُمحى المكتوب بعد ذلك، وهذه رخصة أملتها الضرورة.

إنَّ فتح الباب لكتابة القرآن بالحرف غير العربي، يفتح باب فتنة خطيرة، وإنَّ الحُكم في هذه الكتابة التحريم، وإنَّ طباعة هذه المصاحف حرام، وحرام كذلك بيعها والاتجار فيها، وطلبها وتوزيعها، والمطلوب إحراق ما طُبع منها وإتلافه، وإزالتها من الأسواق تماما. ويستثنى من التحريم، ما تقتضيه الضرورة التعليمية،

(١) المدخل لابن الحاج (٨٦/٤)، نشر دار التراث.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لجزء يسير من القرآن، على أن يكون ذلك مصحوبًا وجوبًا، بنفس النصّ القرآني منطوقًا بالعربية، وقد يسّرت الوسائل التقنية الشائعة هذا، وجعلته في متناول عموم الناس.

هذا وقد عرض المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث في دورته الَّتي عقدها في باريس (فرنسا) في أوَّل شهر يوليو ٢٠٠٨م لهذا الموضوع، بناء على بحث قدمه الشيخ صالح العود، وقد قدم نقدًا شديدًا لما أصبح يشيع بين المسلمين في الغرب من العدول عن التزام كتابة نصِّ القرآن بالحروف العربية، إلى الاستعاضة عنه بما يُسمَّى «الفُونَتِك» وهو كتابة النَّصّ العربي بحروف لاتينية، وقامت بعض الجهات بطبع مصاحف كاملة، وقام بعضهم بطباعة جزء تبارك وجزء عمّ، وبيَّن الباحث ما في ذلك من خلل وفساد، وتحريف للنص القرآني، وانتهى إلى تحريم ذلك، وطلب من المجلس أن يصدر فتوى بمنع ذلك منعًا باتًّا، ولا تجيزه في أي صورة من الصور، ولا لأي ضرورة من الضرورات.

ولكنَّ المجلس بعد أن ناقش الموضوع مناقشة مستفيضة، أصدر الفتوى التالية:

«لا تحلُّ كتابة نصِّ القرآن العظيم بغير الحروف العربية، سواء كانت كتابة لمصحف كامل أم بعض مصحف، وتحرم طباعته على هذه الصفة، كما يحرم نشره وتوزيعه والمتاجرة به، وذلك نظرًا لكون قراءة القرآن من شروطها أن تعتمد على رواية متواترة، إذ القراءة سنة متبعة أحكامها توقيفية، وهذه الطريقة وهي كتابة القرآن بالأحرف اللاتينية لا تستجيب لهذه الشروط البتة، لِمَا يدخلها من تحريف.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إنَّ نصَّ القرآن الكريم الَّذي أنزله الله على رسوله محمَّد ﷺ باللغة العربية، لا يمكن أن ينطق بشكل سليم، إلَّا إذا كتب باللغة العربية، نظرًا لخصوصيات هذه اللغة في نطق الحروف ومخارجها.

ويؤكد المجلس على أنَّ كتابة القرآن، أو حتَّى آية منه، بالحرف اللاتيني أو غيره من الحروف الأخرى غير العربية، يجعل النُّطق به محرَّفًا، بل مخالفًا أو حتَّى مناقضًا لمعنى نصِّه الأصلي، وهو ما يوجب الحيطة البالغة في كتابة كلام الله تعالى بالشكل الَّذي أُنزل به.

ويستثني المجلس من ذلك حالات تعلُّم القرآن لغير العرب من المسلمين، في مرحلتهم الأولى، ولفترة قصيرة ومدَّة محدّدة، ريثما يتيسّر لهم تعلُّم النطق بالحروف العربية، وحفظ ما تيسّر من القرآن للصّلاة، ويشترط في ذلك أن تكون تلك النُّصوص مصحوبة بالنّطق العربي، وأن تُمحى حال الانتهاء منها».

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

علامات التَّرقيم للمصحف

س: فضيلة الإمام الأكبر شيخي الجليل الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي:

تحيات زاكيات، ودعوات أن يحفظكم الله تبارك وتعالى ويمتع بكم، ويديم النفع والخير على أيديكم.

(وبعد)

بحكم كوني مشغولًا بعمل علمي متعلق بالقرآن العظيم، اعترضتني قضية لا بدَّ من رأيكم فيها، حتَّى أعزم أمري، وأمضي أو أتوقف:

تعلمون فضيلتكم بأن النقط والشكل في المصحف الشريف، أمر اصطلاحي حدث متأخرًا بعد جمع المصحف الشريف، كما تعلمون أن الشعوب تتفاوت في وضع اصطلاحاتها على الكلمات في المصاحف، فللمصحف التركي مصطلحاته، وللباكستانيين اختياراتهم، وكذا المغاربة الَّذين يقرؤون بقراءة ورش، كما أن رسم منطقتنا مختلف عن أولئكم جميعًا، وفي أثناء عملي في دراستي التفسيرية، رأيت أن من الأنسب أن أضيف بعض علامات الترقيم العصريَّة، كالفاصلة، والفاصلة المنقوطة، وعلامة المعترض، والنقطتين المتعامدتين، وغير ذلك؛ لما أرى من أثرها في تجلية بعض معاني الآيات، وإبراز معنى لطيف، وسؤالي الآن:

QaradawiBooks.com

هل أكون مجترئًا لو فعلت هذا؟ علمًا أنَّني رأيت بعض ذلك في كتبكم. أسأل الله تعالى أن يبارك فيكم، ويحفظكم، وينفعنا وإياكم بحب الصالحين.

محبكم

عبد السَّلام البسيوني

الجواب:

فضيلة الأخ العالم الأديب، الشاعر الداعية الفنان، الشيخ عبد السّلام البسيوني، حفظه الله ورعاه وسدد خطاه.

وعليك السَّلام ورحمة الله وبركاته.

(وبعد)

قد اطلعت على بعض عملكم العلمي المبارك في خدمة القرآن الكريم، وأسأل الله تعالى: أن يمدكم بروح من لدنه، لتنجزوا هذا المشروع الجليل، على ما يحبُّ الله تعالى ويرضى.

وأمَّا ما سألتم من استخدام علامات الترقيم، مثل: الفاصلة، والفاصلة المنقوطة، وعلامة الاستفهام، وعلامة التعجب، وعلامة الاعتراض، والنقطتين المتعادلتين، وغيرها، فإنِّي لا أرى بها بأسًا، بل أستحسنها وأستحبها؛ لأنَّها تعين على فهم النَّصّ القرآني. وأنا شخصيًّا ألتزم بهذا فيما أستشهد به من نصوص القرآن الكريم في كتبي ومحاضراتي، وكل ما أكتبه. بل أنا في الحقيقة ملتزم باستخدام هذه العلامات حتَّى في الرسائل الخاصة، وأي شيء أكتبه، هكذا اعتدت من قديم، وأنصح كلَّ الكاتبين أن يحذوا حذوي.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

كل ما أتحفَّظ عليه من علامات التَّرقيم: علامة الاعتراض (الشرطتان الأفقيتان) خشية أن يظن القارئ أنَّها شـــيء خارج النَّصِّ، ولا أحبُّ أن تحدث هذه العلامات أي التباس.

وأحبُّ أن أذكِّر هنا: أنَّ علماء العصر مـــن قديم، أجازوا كتابة آيات القرآن بالرسم المعتاد، وإن خالف الرســـم العثماني، وذلك إذا استشهد المرء بها في كتاب أو مقالة أو نحوها، ولم يلزموا باتباع الرســـم إلَّا في كتابة المصحف أو أجزاء كاملة منه.

ولهذا لا أرى حرجًا من استخدام هذه العلامات، زيادة في الإيضاح، ومساعدة على مزيد من الفهم، ورحم الله امرأً أعان أخاه على الخير.

والحمد لله أولًا وآخرًا.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

تمييز الآيات المنسوخة في المصحف

س: أرجو من سماحتكم التفضل بإعطائنا الرأي الشرعي: في إمكانية كتابة الآيات المنسوخة بلون مخالف للون الطباعة المعتمد لبقية ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية، حيث إنني أنهيت ترجمة معاني كتاب الله، ووجدت أنَّ القارئ الأجنبي غير المسلم يشكل عليه تمييز تلك الآيات، وغالبا ما يأخذ قطعة من النَّصّ المترجم ويستشهد بها، ممَّا يثير شكوكًا لدى العامَّة ولدى المهتمين بدراسة الإسلام.

علمًا بأنني سأنشر فتوى سماحتكم في مقدمة الترجمة باللغة العربية واللغة المترجم إليها.

أسأل الله لكم دوام الصحة والتوفيق، وأسأله السّداد في القول والعمل، وأن يثيبكم عنَّا وعن المسلمين كلّ خير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

د. بهيج ملا حويش

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

QaradawiBooks.com

(وبعد)

شكر الله لكم ما قمتم به من ترجمة لمعاني القرآن الكريم بالإسبانية، فهذه لغة مهمة من اللغات الغربية، وخصوصًا في أمريكا اللاتينية.

ولكني لا أوافق على فكرة تخصيص الآيات المنسوخة بعلامة خاصَّة بها، فهذا يدخلنا في متاهة لا نحسن الخروج منها.

إذ السُّؤال المطروح: كيف نحدد الآيات الَّتي قيل بنسخها، وهناك خلاف كبير بين العلماء في عدد الآيات المنسوخة وفي تعيينها.

وقد رأينا من المفسرين ومن المهتمين بعلوم القرآن مَن قالوا: إنَّ «آية السَّيف» قد نسخت مائة وعشرًا ـ بل مائة وأربعين، بل مائتين ـ من الآيات القرآنية! هذا مع أنَّهم اختلفوا في آية السَّيف نفسها: أي آية هي؟

ولقد حاول الإمام السُّيوطي أن يقلل من الآيات المنسوخة، فأوصلها إلى نحو من عشرين، ومع هذا لا تسلم له هذه العشرون، الَّتي مال إلى القول بنسخها. فمعظمها لا يؤيده الدليل القوي. والأصل عدم النسخ، لأن الله تعالى أنزل كتابه ليحكم بين النَّاس فيما اختلفوا فيه، ويهديهم للتي هي أقوم، ولا يجوز ادعاء نسخ آية منه ـ أي إبطال العمل بها ـ إلَّا بيقين، عندنا فيه من الله برهان.

ومن العلماء قديما من أنكر وجود النسخ في القرآن مثل أبي مسلم الأصفهاني، **الَّذي** نقل الفخر الرازي آراءه في تفسيره الكبير، وبدا في كثير من الأحوال كأنَّما يميل إلى رأيه. ومثل مَن ذكرهم الإمام الزركشي في كتابه: «البرهان في علوم القرآن» وهم جماعة لم يحدِّد أسماءهم.

QaradawiBooks.com

وفي عصرنا أنكر الشيخ الإمام محمَّد عبده النَّسخ في القرآن، ومال إليه تلميذه العلامة رشيد رضا، والشيخ محمَّد الخضري، والشيخ محمَّد أبو زهرة، والشيخ الغزالي وغيرهم.

فمثل هذا الأمـــر المختلف فيه لا يجوز أن يدخـــل المصحف الَّذي يقرأه النَّاس، فيشـــوِّش عليهم فكرهم، وتغدو سببًا لاختلافهم، والأصل في القرآن: أن يجمع لا أن يُفرِّق. وفي الحديث الصحيح: «**اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبُكم**»[1].

ورأيي: أنْ نســـدَّ هذا الباب في المصاحف، حتَّـــى لا يأتي كلُّ ذي اختصاص، فيريد أن يشـــير إلى الآيات الَّتي في اختصاصه بعلامة، فهذا يشـــير إلى الآيات الكونيـــة، وآخر إلى الآيـــات التشـــريعية، وآخر إلى الاقتصاديَّة، ورابع إلى النفسيَّة، وهكذا.

إنَّ المسلمين الأوائل ما أدخلوا النقط والشكل في المصحف إلَّا بعد أخذٍ ورَدٍّ، مع وضـــوح الضرورة إليهما، فلا ينبغي التوســـع فيما يدخل المصاحف، حفظا لها من التلاعب، ومن التَّشويش.

وبالله التوفيق.

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٦٠)، ومسلم في العلم (٢٦٦٧)، عن جندب بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

قراءة البسملة في أثناء السُّورة

س: لقد منَّ الله عليَّ وقدَّر لي أن أقــرأ جزءًا من القرآن كلَّ يوم بعد صلاة الصبح، فإذا بدأت وردي من وســط السُّورة لا من أولها: هل أبدأ بالبســملة أو التعــوذ أو بهما جميعًــا؟ وإن كنتُ أقرأ ســورة براءة من وسطها، فهل يجوز لي أن أبدأ بالبسملة؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

نهنئ الأخ الكريم علــى حرصه على تلاوة القــرآن الكريم، فتلاوة القرآن من أهم العبادات، وأعظــم القربات إلى الله ﷻ، وله بكلّ حرف عشر حسنات، كما قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ حرف. ولكن أَلِفٌ حرف، ولام حرف، وميم حرف**»[1].

(١) رواه الترمذي في فضائل القرآن (٢٩١٠)، وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٣٣٢٧).

نسخة مجانية

وأن يكون للإنسان ورد يومي من القرآن يتلوه، هذا شيء طيِّب يُحمد الله تعالى عليه.

أمَّا عن سؤال الأخ الكريم: هل يبدأ بالبسملة أو يبدأ بالاستعاذة؟ فأقول له: إذا كان يبدأ قراءته من أوَّل سورة، فليبدأ بالاستعاذة ثم بالبسملة؛ إلَّا سورة التَّوبة فيبدؤها بالاستعاذة فقط، لأن سور القرآن كلها مبدوءة بالبسملة غير سورة التَّوبة، وكذا إذا انتهى من سورة وبدأ في أخرى، يقرأ البسملة بينهما إلَّا إذا انتهى من الأنفال وبدأ في التَّوبة.

أما إذا كان يبدأ من وسط السّورة، فهل يستعيذ ثم يبسمل أم يكتفى بالاستعاذة؟

اختلف العلماء في ذلك، بعضهم يقول يبدأ القارئ قراءته بالاستعاذة فقط، ولا يبسمل، وهذا ما جاء في القرآن الكريم، يقول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨].

وبعض العلماء قال: يستعيذ ويبسمل أيضًا، مستدلين بحديث: «**كل كلام أو أمر ذي بال لا يُفتح بذكر الله، فهو أبتر**» أو قال: «**أقطع**»[(١)].

والَّذي أرجِّحه هو الرأي الأول، القائل بأن القارئ إذا بدأ من أثناء السُّورة يكتفي بالاستعاذة من غير بسملة؛ لأننا نعلم أن سورة براءة لم تُبدأ بالبسملة، ولهذا أصبح المسلمون حينما يبدؤون قراءة سورة براءة لا يبدأ أحدهم بقوله: بسم الله الرحمن الرحيم. وإنَّما يقول: أعوذ بالله

(١) رواه أحمد (٨٧١٢)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف. وابن ماجه في النكاح (١٨٩٤)، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٢٥٥)، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٨٦٩٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

من الشيطان الرجيم، ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١]. ولـــم يقل أحد: إنَّ البســـملة مطلوبة في أولهـــا. ولو كان في حديث: «**كلُّ كلامٍ أو أمرٍ ذي بال...**». حجة على بدء القراءة بالبسملة، لاحتجَّ به محتجٌّ على البسملة في أوَّل سورة التَّوبة.

فالراجح عندي، والَّذي أعمل به، إذا قرأ القارئ من وسط السُّورة أو من أثنائها أن يكتفي بالاستعاذة، سواء بدأ من أثناء سورة التَّوبة أو غيرها من السُّوَر.

وعلى كلِّ حال فالأمر موضع خلاف، والخلاف فيه سائغ، والإنسان في مثل هذا يأخذ بما يطمئن إليه قلبه، وبما قوي عنده دليله، ولا ينكر بعضنا على بعض في مثل هذه الأمـــور، ولا نجعلها مثار جدل ومعركة بين المختلفين. وكما قال الإمام الشـــافعي: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

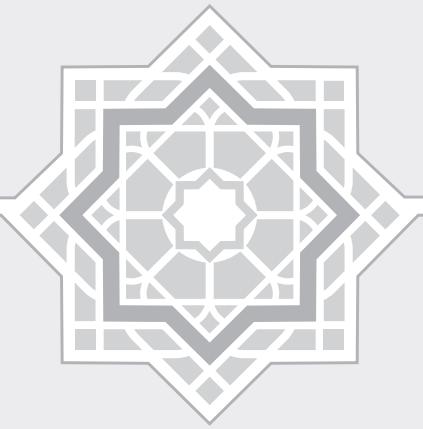

القرآن والحقائق العلمية الحديثة

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

التفسير العلمي للقرآن

س: انتشـــرت ـ في العصر الحديث ـ دعوى التفسير العلمي للقرآن الكريم، وبخاصَّة لدى علماء الطبيعة، الَّذين يريدون التدليل على معظم نظرياتهم من القرآن الكريم، فما حقيقة هذا التفسير؟ وما ضوابطه؟ وما موقف العلماء والمفســرين قديمًا وحديثًا منه؟ وما رأيكم في هذا اللون من التفسير؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

اشتهر في عصرنا لون جديد من التفسير، أطلق عليه «التفسير العلمي للقرآن». ويقصد به: التفســير الَّذي تستخدم فيه العلوم الكونية الحديثة: حقائقها ونظرياتها لبيان مراميه، وتوضيح معانيه.

ويُــراد بالعلــوم الكونية: علــوم الطبيعــة والفلك وعلــوم الأرض (الجيولوجيــا) والكيميــاء، وعلــوم الحيــاة (البيولوجيا) مــن النبات والحيوان، وعلوم الطب والتشــريح ووظائف الأعضاء (الفسيولوجيا)، وعلوم الرياضيات ونحوها.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد يدخل فيها بعض العلوم الإنسانية والاجتماعيَّة، مثل علوم «النفس» و«الاجتماع» و«الاقتصاد» و«الجغرافيا» وغيرها.

بين المعارضين والمؤيِّدين من المعاصرين:

والذين يعنون بهذا اللون من التفسير في الغالب ويتحمسون له، هم علماء الكون والطبيعة، وليسوا من علماء الدين والشَّريعة.

وعلماء الدين والشَّريعة يختلفون فيما بينهم حول جواز هذا اللون من التفسير، ومدى شرعيته.

وفي الخمسينيَّات من هذا القرن «العشرين» ثارت معركة جدلية على صفحات الصحف المصرية، بين فريقين من علماء الدين حول هذه القضية، وأحسب أن الخلاف فيها لم يزل إلى يومنا هذا، بين منتصر لهذا الرأي، ومنتصر لمخالفه.

وقبل ذلك وجدنا من كبار العلماء الباحثين المحدَثين: المؤيدين والمعارضين، وإن كان المعارضون أكثر، وأوفر.

معارضة الشيخ شلتوت:

وجدنا من المعارضين الإمام الأكبر محمود شلتوت رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الَّذي أنكر في مقدمة تفسيره على طائفة من المثقفين أخذوا بطرف من العلم الحديث، وتلقنوا، أو تلقفوا شيئًا من النظريات العلمية والفلسفية وغيرها، وأخذوا يستندون إلى ثقافتهم الحديثة، ويفسرون آيات القرآن على مقتضاها. قال الشيخ عن هؤلاء:

«نظروا في القرآن، فوجدوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، فتأولوها على نحو زين لهم أن يفتحوا في القرآن فتحًا

QaradawiBooks.com

جديدًا، ففسروه على أســاس من النظريات العلمية المستحدثة، وطبقوا آياته على ما وقعــوا عليه من قواعد العلوم الكونيــة، وظنوا أنَّهم بذلك يخدمون القرآن، ويرفعون من شــأن الإسلام، ويدعون له أبلغ دعاية في الأوساط العلمية والثقافية.

نظروا في القرآن على هذا الأساس، فأفسد ذلك عليهم أمر علاقتهم بالقرآن، وأفضى بهم إلى صورة من التفكير لا يريدها القرآن، ولا تتفق مع الغرض الَّذي من أجله أنزله الله!

هذه النظــرة للقرآن خاطئة من غير شــكٍّ، لأنَّ الله لــم يُنزل القرآنَ ليكون كتابًا يتحدَّث فيه إلى النَّاس عــن نظريات العلوم، ودقائق الفنون وأنواع المعارف.

وهي خاطئة من غير شكٍّ، لأنَّها تحمل أصحابها والمغرمين بها على تأويل القرآن تأويلًا متكلَّفًا يتنافى مع الإعجاز، ولا يسيغه الذَّوق السَّليم.

وهي خاطئة، لأنَّها تعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كلّ زمان ومكان، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأي الأخير. فقد يصح اليوم في نظر العلم ما يصبح غدا من الخرافات.

فلو طبقنا القرآن على هذه المسائل العلمية المتقلبة، لعرضناه للتقلب معها، وتحمل تبعات الخطأ فيها، ولأوقفنا أنفسنا بذلك موقفًا حرجًا في الدفاع عنه.

فلندع للقرآن عظمته وجلالته، ولنحفظ عليه قدسيته ومهابته، ولنعلم أن ما تضمنه من الإشــارة إلى أســرار الخلق وظواهــر الطبيعة، إنَّما هو لقصد الحث على التأمل والبحث والنظر، ليزداد النَّاس إيمانًا مع إيمانهم.

QaradawiBooks.com

وحسبنا أن القرآن لم يصادم الفطرة، ولم يصادم ـ ولن يصادم ـ حقيقة من حقائق العلوم تطمئن إليها العقول.

قيل: يا رسول الله! ما بال الهلال يبدو دقيقًا مثل الخيط، ثم يزيد حتَّى يعظم ويستوي ويستدير، ثم لا يزال ينقص ويدق حتَّى يعود كما كان، لا يكون على حالة واحدة؟ فنزل قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩].

وإنَّك لتجد هذا في سؤالهم عن الروح حيث يقول الله ﷻ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]. أليس في هذا دلالة واضحة على أنَّ القرآن ليس كتابًا يريد الله به شرح حقائق الكون، وإنَّما هو كتاب هداية وإصلاح وتشريع؟»[1].

معارضة الشيخ أمين الخولي وآخرين:

ووجدنا من المعارضين الأستاذ الشيخ أمين الخولي في بحثه المركز «التفسير: معالم حياته، منهجه اليوم»، وقد نقل فيه رأي الشاطبي، واعتراضه على الَّذين أرادوا أن يخرجوا بالقرآن عن نهجه في مخاطبة العرب بما يفهمون، وفي إطار ما يعهدون من علوم ومعارف، ورد على الَّذين زعموا أنَّ في القرآن علوم الأولين والآخرين، دينية ودنيوية، شرعيَّة وعقليَّة!

(١) مقدمة تفسير الشيخ شلتوت صـ ١١ ـ ١٤، نشر دار الشروق، مصر.

QaradawiBooks.com

وهو رأي الأستاذ الأكبر الشيخ محمَّد مصطفى المراغي شيخ الأزهر الأسبق، قاله في تقديمه لكتاب د. عبد العزيز باشا إسماعيل «الإسلام والطب الحديث»[١].

وهو رأي د. عبد الحليم محمود، والشيخ عبد الله المشد، والشيخ أبو بكر ذكري، أعلنوه في مقدمة تفسيرهم الموجز للقرآن، الَّذي كان ينشر في مجلة «نور الإسلام» لسان علماء الوعظ والإرشاد في الأزهر.

معارضة سيد قطب:

وينحو صاحب «الظلال» سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ هذا المنحى في تفسيره لآية: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾. إذ يقول بقلمه البليغ: «وإنِّي لأعجب لسذاجة المتحمِّسين لهذا القرآن، الَّذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه، وأن يحملوا عليه ما لم يقصد إليه، وأن يستخرجوا منه جزئيَّات في علوم الطب والكيمياء والفلك وما إليها، كأنَّما ليعظِّموه بهذا ويكبِّروه!

إنَّ القرآن كتاب كامل في موضوعه، وموضوعه أضخم من تلك العلوم كلها... والبحث والتجريب والتطبيق من خواص العقل في الإنسان. والقرآن يعالج بناء هذا الإنسان نفسه ـ بناء شخصيته وضميره، وعقله وتفكيره ـ كما يعالج بناء المجتمع الإنساني الَّذي يسمح لهذا الإنسان بأن يحسن استخدام هذه الطاقات المذخورة فيه. وبعد أن يوجد الإنسان السَّليم التصوُّر والتفكير والشعور، ويوجد المجتمع الَّذي يسمح له بالنشاط، يتركه القرآن يبحث ويجرب، ويخطئ ويصيب، في مجال العلم والبحث والتجريب. وقد ضمن له موازين التصور والتدبر والتفكير الصحيح.

(١) ذكر ذلك د. محمد حسين الذهبي في التفسير والمفسرون (٢/٤٩٥، ٤٩٦)، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٥م.

QaradawiBooks.com

كذلك لا يجوز أن نعلق الحقائق النهائية الَّتي يذكرها القرآن أحيانًا عن الكون في طريقه لإنشاء التصور الصحيح لطبيعة الوجود وارتباطه بخالقه، وطبيعة التناسق بين أجزائه.. لا يجوز أن نعلق هذه الحقائق النهائية الَّتي يذكرها القرآن، بفروض العقل البشري ونظرياته، ولا حتَّى بما نسميه «حقائق علميَّة» ممَّا ينتهي إليه بطريق التجربة القاطعة في نظره.

إنَّ الحقائق القرآنية حقائق نهائية قاطعة مطلقة، أمَّا ما يصل إليه البحث الإنساني ـ أيًّا كانت الأدوات المتاحة له ـ فهي حقائق غير نهائية ولا قاطعة، وهي مقيدة بحدود تجاربه وظروف هذه التجارب وأدواتها.. فمن الخطأ المنهجي ـ بحكم المنهج العلمي الإنساني ذاته ـ أن نعلق الحقائق النهائية القرآنية بحقائق غير نهائية. وهي كلّ ما يصل إليه العلم البشري!

هذا بالقياس إلى «الحقائق العلمية»... والأمر أوضح بالقياس إلى النظريات والفروض الَّتي تسمَّى «علمية». ومن هذه النظريات والفروض كلّ النظريات الفلكية، وكل النظريات الخاصَّة بنشأة الإنسان وأطواره، وكل النظريات الخاصَّة بنفس الإنسان وسلوكه، وكل النظريات الخاصَّة بنشأة المجتمعات وأطوارها، فهذه كلها ليست «حقائق علمية» حتَّى بالقياس الإنساني. وإنَّما هي نظريات وفروض. كلّ قيمتها أنَّها تصلح لتفسير أكبر قدر من الظواهر الكونية أو الحيوية أو النفسية أو الاجتماعيَّة، إلى أن يظهر فرض آخر يفسر قدرًا أكبر من الظواهر، أو يفسر تلك الظواهر تفسيرًا أدق! ومن ثم فهي قابلة للتغير والتعديل، والنقص والإضافة، بل قابلة لأن تنقلب رأسًا على عقب، بظهور أداة كشف جديدة، أو بتفسير جديد لمجموعة الملاحظات القديمة!

QaradawiBooks.com

وكل محاولة لتعليق الإشارات القرآنية العامَّة بما يصل إليه العلم من نظريات متجددة متغيرة ـ أو حتَّى بحقائق علمية ليست مطلقة كما أسلفنا ـ تحتوي أولًا على خطأ منهجي أساسي. كما أنَّها تنطوي على معانٍ ثلاثة كلها لا يليق بالقرآن الكريم.

الأول: هو الهزيمة الداخلية الَّتي تخيل لبعض النَّاس أن العلم هو المهيمن والقرآن تابع. ومن هنا يحاولون تثبيت القرآن بالعلم، أو الاستدلال له من العلم. على حين أنَّ القرآن كتاب كامل في موضوعه، ونهائي في حقائقه، والعلم لا يزال في موضوعه ينقض اليوم ما أثبته بالأمس، وكل ما يصل إليه غير نهائي ولا مطلق، لأنَّه مقيد بوسط الإنسان وعقله وأدواته، وكلها ليس من طبيعتها أن تعطي حقيقة واحدة نهائية مطلقة.

والثاني: سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته. وهي أنَّه حقيقة نهائية مطلقة تعالج بناء الإنسان بناء يتَّفق ـ بقدر ما تسمح طبيعة الإنسان النسبية ـ مع طبيعة هذا الوجود وناموسها الإلهي، حتَّى لا يصطدم الإنسان بالكون من حوله، بل يصادقه ويعرف بعض أسراره، ويستخدم بعض نواميسه في خلافته. نواميسه الَّتي تكشف له بالنظر والبحث والتجريب والتطبيق، وفق ما يهديه إليه عقله الموهوب له ليعمل لا ليتسلم المعلومات الماديَّة جاهزة!

والثالث: هو التأويل المستمرُّ ـ مع التمحُّل والتكلُّف ـ لنصوص القرآن كي نحملها ونلهث بها وراء الفروض والنظريات الَّتي لا تثبت ولا تستقر. وكل يوم يوجد فيها جديد. وكل أولئك لا يتَّفق وجلال القرآن، كما أنَّه يحتوي على خطأ منهجي، كما أسلفنا»[1].

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (١/١٨٠ ـ ١٨٢)، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ١٧، ١٤١٢هـ.

QaradawiBooks.com

الإمام الغزالي والتفسير العلمي:

والموضوع قد أثير من قديم، ويبدو أن أوَّل من أثاره هو الإمام أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ. فقد ذكر في «الإحياء» قول ابن مسعود: من أراد علم الأوَّلين والآخرين فليتدبَّر القرآن[١]. ونحو ذلك من الأقوال، ثم قال: «وبالجملة، فالعلوم كلُّها داخلة في أفعال الله وَجَلَّ وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته[٢]، وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها. وفي القرآن إشارة إلى مجامعها»[٣].

وفي كتابه «جواهر القرآن» وهو مؤلَّف بعد «الإحياء» عاد إلى الموضوع وتوسَّع فيه. وفيه ذكر أن جميع العلوم «مغترفة من بحرٍ واحد من بحار معرفة الله تعالى، وهو بحر الأفعال، وقد ذكرنا أنَّه بحرٌ لا ساحلَ له»[٤].

ثم ذكر من أفعال الله تعالى: الشفاء والمرض، كما قال تعالى حكاية عن إبراهيم: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]. قال: وهذا الفعل الواحد لا يعرفه إلَّا من عرف الطب بكماله؛ إذ لا معنى للطب إلَّا معرفة المرض بكماله وعلاماته، ومعرفة الشفاء وأسبابه... إلى أن قال: «لا يعرف كمال معنى قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦ ـ ٨]، إلَّا من عرف تشريح الأعضاء من الإنسان ظاهرًا وباطنًا، وعددها وأنواعها، وحكمتها ومنافعها...» إلخ. فهذان مثالان لتخريج الغزالي العلوم المختلفة من القرآن. ومن هنا نفهم معنى

(١) ذكره أبو طالب المكي في قوت القلوب (٩٠/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

(٢) أعتقد أن القرآن لم يتعرض لشرح الذات، إلا من باب نفي الشبيه والنِّدِّ والشريك ونحوها.

(٣) إحياء علوم الدين (٢٨٩/١).

(٤) جواهر القرآن للغزالي صـ ٤٥، نشر دار إحياء العلوم، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

قول الغزالي: إنَّ علوم الأولين والآخرين ليست خارجة عن القرآن، فكأنه يقول: إنَّ العلوم كلها خادمة لحسن فهم القرآن، كما أن القرآن نفسه يشير إليها، ويدل عليها، بصورة من الصور الضمنيَّة أو الكليَّة.

وقد قال في الإحياء: «بل كلُّ ما أشكل فهمه على النُّظَّار (علماء المعقول) واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات، ففي القرآن إليه رموز ودلالات عليه، يختصُّ أهل الفهم بدركها»[(١)].

ابن أبي الفضل المرسي والسُّيوطي:

وجاء بعد الغزالي ابن أبي الفضل المرسي، الَّذي سجل السُّيوطي رأيه في «الإتقان»[(٢)]، وهو أشبه برأي الغزالي، فقد ذكر ـ فيما ذكر ـ أن أصول الصنائع مذكورة في القرآن كالخياطة في قوله: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ [الأعراف: ٢٢]، والحدادة: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ [الكهف: ٩٦]، والبناء في آيات[(٣)]، والنجارة: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧]، والغزل: ﴿كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ [النحل: ٩٢]، والملاحة: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ﴾ [الكهف: ٧٩]، والفخارة: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾ [القصص: ٣٨]، وهكذا.

فبهذه الإشارات القرآنية اعتبر أصول الصنائع موجودة في القرآن.

وقد أيَّد السُّيوطي في «الإتقان» وفي كتابه: «إكليل التأويل في استنباط التنزيل» هذا التوجُّه. واستدلَّ له بالقرآن والحديث، وبقول ابن مسعود والحسن والشافعي وغيرهم.

---

(١) إحياء علوم الدين (٢٨٩/١).

(٢) الإتقان (٣٠/٤).

(٣) أي في مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

QaradawiBooks.com

أبو إسحاق الشَّاطبيّ والتفسير العلمي:

ولقد رأينا الإمام أبا إسحاق الشَّاطبيّ رَحِمَهُ اللَّهُ، قد عارض هذا التوجه في كتابه «الموافقات» معتمدًا على أنَّ الشَّريعة نزلت في الأساس لقوم أميين، فهي ـ على حد تعبيره ـ شريعة أمية، فلا ينبغي أن نخرجها إلى حد التكلف والتعقيد والتفلسف، وإن بالغ في ذلك، حتَّى تعقبه العلامة الشيخ الطاهر بن عاشور في مقدمة تفسيره «التحرير والتنوير»[(١)]. كما تعقَّب بعضُه العلامة الشيخ عبد الله دراز في تعليقه على الموافقات[(٢)].

بين الشَّاطبيُّ أنَّ الشَّريعة الإسلامية شريعة أمية، لأن الله بعث بها رسولًا أميًّا إلى قوم أميين كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [الجمعة: ٢]. وقوله عليه الصلاة والسلام: «**نحن أُمَّة أُمِّيَّة، لا نكتُب ولا نحسُب**»[(٣)]. فيلزم أن تكون الشَّريعة على معهودهم وفي مستواهم.

ثم بعد هذا البيان أوضح الشَّاطبيُّ أنَّ الشَّريعة ـ في تصحيح ما صحَّحت، وإبطال ما أبطلت ـ قد عرضت من ذلك إلى ما تعرفه العرب من العلوم، ولم تخرج عمَّا ألفوه، ثم يتوجه باللوم إلى قوم أضافوا للقرآن كلّ علوم الأولين والآخرين! مفندًا هذه الدعوى قائلًا:

ما تقرر من أمية الشَّريعة، وأنَّها جارية على مذاهب أهلها ـ وهم العرب ـ ينبني عليه قواعد، منها: أن كثيرًا من النَّاس تجاوزوا ـ في الدعوى على القرآن ـ الحد، فأضافوا إليه كلّ علم يذكر للمتقدمين والمتأخرين، من علوم الطبيعيات والتعاليم ـ كالهندسة وغيرها من

---

(١) (٤) انظر: مقدمة التحرير والتنوير (٤٤/١، ٤٥)، نشر الدار التونسية، ١٩٨٤م.

(٢) انظر: الموافقات وتعليقات د. عبد الله دراز (٦٩/٢) وما بعدها.

(٣) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري (١٩١٣)، ومسلم (١٠٨٠)، كلاهما في الصيام، عن ابن عمر.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الرياضيات ـ والمنطق وعلوم الحروف، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها، وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح[١].

ثم يدلِّل الشَّاطبيّ على رأيه هذا ويحتج له بما عرف عن السَّلف من نظرهم في القرآن فيقول: «إن السَّلف الصالح ـ من الصحابة والتابعين ومن يليهم ـ كانوا أعرف بالقرآن وبعلومه وما أودع فيه، ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شيء من هذا المدعى سوى ما تقدم، وما ثبت فيه من أحكام التكاليف، وأحكام الآخرة، وما يلي ذلك. ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر لبلغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة، إلَّا أن ذلك لم يكن، فدل على أنه غير موجود عندهم، وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير شيء ممَّا زعموا. نعم تضمن علومًا من جنس علوم العرب أو ما ينبني على معهودها ممَّا يتعجب منه أولو الألباب، ولا تبلغه إدراكات العقول الراجحة، دون الاهتداء بأعلامه، والاستنارة بنوره، أما أن فيه ما ليس من ذلك فلا»[٢].

ثم شرع الشَّاطبيّ بعد هذا في ذكر الأدلَّة الَّتي استند إليها أرباب هذا «التفسير العلمي» فقال: «وربَّما استدلوا على دعواهم بقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، وقوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]. ونحو ذلك، وبفواتح السّور ـ وهي لم تعهد عند العرب ـ وبما نقل عن النَّاس فيها، وربما حكي من ذلك عن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره أشياء»[٣].

(١) الموافقات (٧٩/٢).

(٢) المرجع السابق (٧٩/٢، ٨٠).

(٣) الموافقات (٨٠/٢).

QaradawiBooks.com

بعد ذلك طفق الشَّاطبيّ ينقض هذه الأدلَّة، واحدًا بعد الآخر بمنطقه القوي، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأمـــا الآيات: فالمراد بها عند المفسِّـــرين ما يتعلَّق بحال التكليف والتعبُّد، أو المراد بالكتاب في قوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]: اللوح المحفوظ، ولم يذكروا فيها ما يقتضي تضمنه لجميع العلوم النقلية والعقليَّة.

وأما فواتح السُّـــور: فقد تكلم النَّاس فيها بما يقتضي أن للعرب بها عهدًا، كعدد الجمل الَّذي تعرفوه من أهل الكتاب، حسبما ذكره أصحاب السّير، أو هي من المتشـــابهات الَّتي لا يعلم تأويلها إلَّا الله تعالى، وغير ذلك. وأما تفسيرها بما لا عهد به فلا يكون، ولم يدعه أحد ممَّن تقدم، فلا دليل فيها على ما ادعوا، وما ينقل عن علي أو غيره في هذا لا يثبت، فليس بجائز أن يضاف إلى القرآن ما لا يقتضيه، في الاستعانة على فهمه، على كلّ ما يضاف علمه إلى العرب خاصة، فبه يوصل إلى علم ما أودع من الأحكام الشرعيَّة، فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضل عن فهمه، وتقوّل على الله ورسوله فيه، والله أعلم، وبه التوفيق»[1].

ومنطق الشَّاطبيّ هنا منطق قوي، وأدلته لا مطعن فيها، إلَّا ما كان من اعتماده على «أُمِّيَّة الشَّـــريعة» بناء على أُمِّيَّة الأُمَّة. ذلـــك أن أُمِّيَّة الأُمَّة ليست أمرًا مطلوبًا ولا مرغوبًا فيه، بل بعث الله رسوله في الأميِّين رسولًا ليخرجهم من الأمية إلى باحة العلوم والنور، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْـلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعـــة: ٢]. فهذه مهمَّة الرسول مع الأميِّين: التلاوة والتزكية وتعليم الكتـــاب والحكمة، ولا عجب أن كانت الآيات

(١) الموافقات (٢/٨٠ ـ ٨٢).

QaradawiBooks.com

الأولى من الوحي تنبئ بذلك: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ١ ـ ٥]. وأقسم سبحانه بالقلم فقال: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم: ١].

فالأميـــة ممدوحة في حقِّـــه ﷺ: لأنَّها أدل على الإعجاز، وليســـت ممدوحة في حق الأمة، وعلى الأمة أن تتحرر منها؛ لتتعلم وتتفقه، وتنظر في ملكوت السّماوات والأرض وما خلق الله من شيء، وقد قال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

ولقد كان الرسول الكريم هو أوَّل من حارب الأمية، كما رأينا ذلك حين قبل في أسرى بدر أن يفتدي بعضهم نفسه إذا كان كاتبًا، بأن يعلم عشـــرة من أولاد المســـلمين الكتابة. ومن أجل هذا لا نقبل فكرة أميَّة الشَّريعة إلَّا إذا حُملت على معنى الفطرية والسهولة، والبعد عن التكلف والتعقيد.

الموقف الَّذي نختاره:

ولقد رأينا الموقف هنا، كمـــا في معظم القضايـــا العلمية والفكرية المختلف فيها، تتجه ثلاثة اتجاهات: طرفين وواسطة.

ففي طرف نجد الَّذين يرفضون رفضًا مطلقًا إدخال العلوم الكونية في مجال التفسير بُعدًا بالقرآن عن مظنة التغير بتغير نتائج هذه العلوم.

وفي طرف آخر رأينا الَّذين يغالون في اســـتخدام هـــذه العلوم غلوًّا كبيرًا، ويتكلفون في إظهار القرآن بمظهر المشتمل على كلِّ هذه العلوم، والسابق بنظرياتها وحقائقها! وهم يجتهدون في إبراز ما سمَّوه «الإعجاز العلمي» بكثير من التمحُّل.

QaradawiBooks.com

وهناك موقف بين هؤلاء وأولئك، هو الموقف العدل الوسط، الَّذي لا يبالغ في النفي، ولا يغلو في الإثبات.

وخلاصة هذا الموقف تتَّضح في جملة أمورٍ، أو مبادئ:

١ ـ ضرورة المعرفة بأوَّليَّات هذه العلوم:

أول هذه المبادئ: أنَّه لا بدَّ لمن يريد تفسير القرآن في عصرنا: أن يكون ملمًّا بمبادئ هذه العلوم الطبيعية والكونية، ليستخدمها فيما لا بدَّ منه من بيان معاني القرآن، وتوضيح مقاصده ودلالاته، وإلا كان التفسير قاصرًا عن اللحاق بالعصر وأهله.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤]. ولا بدَّ لمن يعيش في القرن الخامس عشر الهجري، أن يخاطب النَّاس بلسان هذا القرن، لا بلسان قرون مضت.

وكما أنَّ الفتوى تختلف باختلاف الزمان والمكان، فإن تفسير القرآن، وشرح الحديث، وأسلوب الدعوة، كلها تختلف باختلاف الزمان والمكان كذلك.

ولقد رأينا بعض المشايخ الَّذين تعقبوا سيد قطب في «ظلاله» الشهير ينكرون عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أشياء غريبة، مثل حديثه عن المجموعة الشمسية وعن المجرات الكونية، وغير ذلك ممَّا يدلُّ على الجهل المطبق للمتعقب بهذه العلوم. وقد قيل قديمًا: من جهل شيئًا عاداه. ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ﴾ [يونس: ٣٩].

QaradawiBooks.com

٢ ـ انتباه المتخصص في العلوم إلى ما لم ينتبه له غيره:

ثم إنَّه من المقرر والمعلوم: أنَّ كلَّ مفسِّـــر للقرآن يتأثر بثقافته الَّتي أتقنها وتخصص فيها، كما رأينا ذلك في تفاسير علمائنا القدامى. فتفسير الفقيه غير تفسير المتكلم، وهما غير تفسير اللغوي، وتفاسير هؤلاء غير تفسير الصُّوفيّ.

بـــل إنَّ كلَّ قارئ للقـــرآن يفهم منـــه، ويأخذ عنه، بحســـب ثقافته وتوجهه، وهذا ما يثبته العلم نفسه.

فقد قرّر علم النفس: أنَّ قوة الانتباه إلى الشيء لها علاقة بما اختمر في نفس الإنســـان وبما يهتم به، فالصورة أو اللوحة الفنية قد يراها أكثر من واحد، فمنهم من لا يلتفت إليها أصـــلًا، ومنهم من ينظر إليها نظرة خاطفة، ومنهم من يتأملها تأملًا مفصلًا عميقًا. فانتباه الرسام إليها ليس كانتباه الشاعر، وانتباه الشاعر ليس كانتباه الرجل العادي.

هذا قانون عـــام من قوانين النفس أو الحيـــاة، لا يمكن مقاومته ولا المراء فيه.

ومن الطبيعي بعد هذا: أن نجد المفسرين للقرآن ينتبه كلٌّ منهم إلى ما لا ينتبه إليه الآخر، وفق ثقافة كلٍّ منهم وذوقه ومحور اهتمامه.

فرجل البلاغة: يلمح النكات البيانية، والأسرار التعبيرية والبلاغية.

والفقيه: يستنبط الدقائق التشريعية.

والصُّوفيُّ: ينجذب للأذواق الرُّوحية والسلوكية.

والاجتماعيُّ: يلتفت إلى السُّنن الاجتماعيَّة.

والعالم الطبيعيُّ: ينتبه للآيات والظواهر الكونية.

QaradawiBooks.com

سُئل بعض الصُّوفيَّة: هل تجد في القرآن أنَّ الحبيب لا يُعذِّب حبيبَه؟ فقال: نعم. قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [المائدة: ١٨]. فهذه اللفتة جديرة بذي التحليق الرُّوحي أن ينتبه إليها.

واستنبط الإمام مالك أن الرِّقَّ لا يجامع البنوَّة، فلا يكون ابن الإنسان عبدًا له، لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]. أي: الملائكة. فالعبودية تنافي البنوة. فهذه الدقيقة لا ينتبه لها إلَّا الفقيه.

إذا عرفنا ذلك، فلا ينبغي أن ننكر على العالم ـ من علماء الكون والطبيعة ـ أن ينتبه إذا قرأ الآية من القرآن، إلى ما فيها من معانٍ تتصل بثقافته وتخصصه، لم ينتبه إليها غيره من علماء الدِّين والشرع، أو من فحول علماء البلاغة والكلام والفقه.

فالمتخصِّص في علم الأرض (الجيولوجيا) سينتبه إلى ما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٧]، من معان لم يلتفت غيره إليها.

والمتخصص في علم البحار سينتبه إلى معانٍ في قوله سبحانه: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩، ٢٠]، ممَّا لم يلتفت إليه سواه.

والمتخصص في العلوم الرياضية سيجد في قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥]، ما لا يجده غيره.

وكذلك المتخصص في علم الأجنة يجد في قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ

QaradawiBooks.com

عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٤]، ما لا يجده عالم آخر، ناهيك بمن ليس من المتخصصين في هذه العلوم. وهذا لا ينبغي أن يُختلف فيه.

٣ ـ شروط استخدام العلوم في التفسير:

ولا بدَّ أن ننبه هنا على الشروط الَّتي يجب أن تُراعى، حين نستخدم العلوم الكونية في التفسير وخدمة القرآن.

أولًا: التعويل على الحقائق لا الفرضيات:

أن نستخدم من نتائج العلوم ما استقر عند أهله، وغدا حقيقة علمية، يرجع إليها، ويعول عليها، ولا نعول على الفرضيات والنظريات الَّتي لم تثبت دعائمها، حتَّى لا نعرض فهمنا للقرآن للتقلب مع هذه الفرضيات. فليكن اعتمادنا على الحقائق المقررة.

ولا يقال: إنَّ العلم ليس فيه حقائق ثابتة إلى الأبد، فكم من قضايا علمية كانت يومًا ما ـ بل ظلت قرونًا وقرونًا ـ حقائق مقدسة، ثم ذهبت قدسيتها العلمية، وأثبت التطوّر العلمي عكسها. وهذا صحيح ومعروف، ولكن حسبنا الثبات النسبي للحقائق. فهذا هو الَّذي في مقدورنا بوصفنا بشرًا. وقد قيل في تعريف التفسير: هو بيان المراد من كلام الله بقدر الطاقة البشرية.

ثانيًا: تجنب التكلف في فهم النص:

ألَّا نتمحَّل ولا نتعسف ولا نتكلَّف، في حمل النَّصِّ على المعنى الَّذي نريد استنباطه، إنَّما نأخذ من المعاني ما ساعدت عليه اللغة، واحتملته العبارة دون قسر، وقَبِله سباق النَّصّ وسياقه.

QaradawiBooks.com

ومن مراعاة اللغة هنا: ألا نحمل ألفاظ القرآن على المعاني المستحدثة في عصرنا، والَّتي لم تكن مرادة من النَّصّ يقينًا، مثل حمل كلمة «ذرَّة» على المعنى الاصطلاحي في علم الفيزياء وغيرها.

ومن هنا رفض المحققون من علماء الشَّريعة، ومن علماء الطبيعة، ما قاله بعضهم في قوله تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾ [الرحمن: ٣٣]: إنَّ السُّلطان هنا هو سلطان العلم، وإنَّ هذا يشير إلى غزو الفضاء والصعود إلى القمر... إلخ، لأن سياق الآية الكريمة يبين أن هذا التحدي في الآخرة، كما يدلُّ على ذلك ما قبلها وما بعدها، وأنهم لا يستطيعون الخروج من ملك الله تعالى.

وأين يهربون من ملكه تعالى، وهو الَّذي له ملك السّماوات والأرض؟ ولو افترضنا أنَّ الصعود إلى القمر نفوذ من أقطار الأرض، فهل نفذ من أقطار السّماوات؟ هذا مع أنَّ الَّذين صعدوا إلى القمر أو داروا في الفضاء لا يزالون على صلة بالأرض، فهي الَّتي تحركهم وتراقبهم، وتعطيهم التنبيهات، وترشدهم إلى إصلاح الخلل إن حدث، كما نقرأ ونعلم.

ثالثًا: تجنب اتهام الأمة كلها بالجهل:

ألَّا يحمل هذا الرأي أو التفسير العلمي اتهامًا للأمة كلها طوال تاريخها كله ـ وفيها خير القرون: من الصحابة والتابعين والأتباع والأئمَّة الكبار في كلّ فن ـ بأنَّها لم تفهم القرآن، إلى أن جاء هذا العالم في زماننا، فعلمها ما كانت تجهل من كتاب ربها. فمقتضى هذا الكلام: أن الله أنزل على النَّاس كتابًا لم يفهموه، ولم يعرفوا مراد منزله منه. مع أنه تعالى وصفه بأنَّه «كتاب مبين»، وأنَّه «نور» وأنَّه «هدى للنَّاس».

QaradawiBooks.com

ولهذا ينبغي أن نقبل من هذا اللون من التفسير: ما كان إضافة إلى القديم، وليس إلغاءً كليًّا له، فلا مانع من إضافة فهم جديد للآية، أو جزء الآية، فالقرآن لا تنقضي عجائبه، ولا تنفد كنوزه وأسراره، والله تعالى يفتح على عباده في فهمه ما يشاء لمن يشاء.

تجاوزات مرفوضة عند علماء الشرع وعلماء الكون:

ولا ريب أنَّ هناك من الباحثين في هذه القضايا ـ وخصوصًا من علماء الكون ـ من لم يراعوا هذه الشروط، وتكلَّفوا وتمحَّلوا، فانتهوا إلى نتائج رفضها المعتدلون من علماء الكون، وعلماء الشرع جميعًا.

من ذلك ما ذكره العالم المتمكن أ. د. عبد الحافظ حلمي محمد[١] في دراسة له عن «العلوم البيولوجية في خدمة تفسير القرآن الكريم» [٢] من شرود بعض الباحثين عن المنهج السَّليم. فمن ذلك أنه عندما ركب الإنسان أوَّل مركب في الفضاء، خَفَّ من يقول لنا: إن هذه المركب هي الدابَّة الَّتي تخرج من الأرض لتكلم النَّاس (إشارة إلى الآية ٨٢ من سورة النمل)[٣]. ثم تبعه من يقولون: بل إنَّ هذا نفاذ من أقطار السّماوات والأرض بسلطان (إشارة إلى الآية ٣٣ من سورة الرحمن)[٤]، وأنَّ هذا السّلطان هو سلطان العلم! وغنيٌّ عن البيان أنَّ هذا وذاك مخالفان للعلم

(١) أستاذ العلوم البيولوجية في مصر والكويت، وعميد كلية العلوم سابقا بمصر، وأحد كبار المتخصصين المعروفين.

(٢) نشرتها مجلة عالم الفكر في الكويت صـ ٦١ ـ ١٥٢، العدد (٤)، المجلد (١٢)، سنة ١٩٨٢م.

(٣) قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

(٤) قال تعالى: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ﴾ [الرحمن: ٣٣].

QaradawiBooks.com

والتفسير والمنطق وسياق القرآن جميعًا! فالمنزلق جاء هنا من عدم الإلمام بما جاء في كتب التفسير عن هذه الآية الكريمة، أو حتَّى من عدم الحس الفطري بالمعنى البلاغي لهذا التحدِّي الشديد للإنس والجنِّ أن يخرجوا من ملك الله ويفرُّوا من قضائه «وإلى أين؟!»، فهذا فضلًا عن أن العلم لم يزعم على الإطلاق أنَّ تلك «القفزات القصار» الَّتي قفزها الإنسان خارج نطاق جاذبية الأرض، تعتبر خروجًا من أيِّ شيء إلَّا في ذلك النطاق شديد التواضع أمام ملك الله الَّذي لا يُحد. وكأني بمن يقول بهذا يعني أنَّ الإنس والجنَّ قد قبلوا التحدِّي ونجحوا في الانتصار عليه! وقد بلغ من خلابة المعنى أن تقبَّله بعض علماء الشَّريعة، ولكنَّني أشهد أنَّه بالحوار المقنع قد عدل عن هذا القول كثيرون.

وشبيه بهذا قول القائلين بأن ذكر الذرة وما هو أصغر منها (إشارة إلى الآية ٦١ من سورة يونس، ومواضع أخرى)[1] دليل من القرآن الكريم على أنَّ الذرَّة ـ بمعناها الفيزيائي الكيميائي الاصطلاحي الحديث ـ ليست أصغر الجسيمات في تكوين المادة، وأنَّ القرآن الكريم قد سبق العلم الحديث في هذا بكذا مئات من السِّنين (واعجبوا معي إلى هذا الحرص الشديد على وضع القرآن الكريم والعلوم الحديثة في سباق!) وهنا أيضًا يتضح أن الفهم الخاطئ لمعاني الألفاظ (وأبرز معنى للفظ الذرَّة في اللغة هو الهباءة)، وللمعنى البياني المقصود وهو التصغير والتهوين والتقليل، كالقطمير وحبة الخردل والورقة، في مواضع أخرى. هذا فضلًا عن إدراك أن لفظ الذرة بالمعنى الاصطلاحي الحديث، لم

(١) ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

QaradawiBooks.com

يدخل اللغة العربية إلَّا في وقت متأخر، وعلى سبيل ترجمة غير حرفية ولا دقيقة (وإن شاعت وكانت مقبولة لطيفة) للمصطلح الأجنبي (Atom)، أي غير المنقسم أو غير القابل للانقسام.

وثمة مثال ثالث لا يقل غرابة ومجافاة للحقيقة عن سابقيه، وهو قول من رأوا بأنَّ المقصود من إنقاص الله الأرض من أطرافها (الرعد: ٤١، الأنبياء: ٤٤)[١][٢] إشارة إلى النقصان البطيء المستمر للمحور الطولي للأرض نتيجة دورانها كما تدلُّ عليه القياسات العلمية، وأنَّ هذا أيضًا «سبق» و«إعجاز علمي» للقرآن الكريم. والعجيب أنَّ هذا الرأي يتقبَّلُه بعض المتحفِّظين، مع أنَّه مخالف تمامًا للسياق القرآني في الموضعين، إذ إنَّه إشارة إلى انتقاص أرض الكفَّار بما يفتحه الله للمؤمنين منها نشرًا لدعوة الحق. وقراءة الآيات السّابقة واللاحقة مباشرة للآيتين المشار إليهما كفيلة بالإقناع لمن يريد أن يقتنع!

هذا فضلًا عن أنَّ هذا الرأي مثال لتأويل حديث يحتم أن المعنى الصحيح للآيتين الكريمتين ظلَّ خافيًا على المسلمين هذه القرون الطوال منذ نزل القرآن. وليس من البلاغة في شيء الإشارة إلى أمر خافٍ تمامًا عن المخاطبين، بل إنَّه حتَّى في هذا الزمان لا تكشف عنه إلَّا القياسات العلمية، ولا شأن له واضحًا في حياة البشر، وليس فيه عبرة لمن يعتبر.

وأعتقد أنَّ في هذه الأمثلة الثلاثة الغناء عن ذكر كثير غيرها[٣].

---

(١) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١].

(٢) ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٤].

(٣) بحث بعنوان: العلوم البيولوجية في خدمة تفسير القرآن لمحمد عبد الحافظ حلمي (٧٠/١٢، ٧١)، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد (٤)، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

QaradawiBooks.com

مجالات لاستخدام العلوم الكونية في التفسير لا ينبغي الخلاف عليها:

وأريد أن أبيِّن هنا أن هناك مجالات لاستخدام العلوم الكونية في تفسير القرآن لا ينبغي أن يكون فيها خلاف بين المثبتين والنافين في هذه القضية:

أ ـ تعميق مدلول النص:

من هذه المجالات الَّتي لا يختلف عليها اثنان: تعميق مدلول النَّصّ القرآني، وتوسيع فهمه ومداه للإنسان المعاصر، وذلك بما تقدمه العلوم الكونية من بيانات ومعلومات تزيدنا معرفة بمفهوم الآية، وتوضحه بالشواهد والأمثلة، الَّتي توافرت في ضوء العلم الحديث.

خذ مثلًا قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۞ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٦٨، ٦٩].

إنَّ كلَّ من يقرأ هاتين الآيتين يفهم معناهما بإجمال، ولا يخفى مغزاهما عليه. والمفسرون القدامى فسروهما بمقتضى ما علموه في زمانهم، وأحسنوا جزاهم الله خيرًا.

ولكن المتخصص في علم الحيوان، أو علم الحشرات خاصة، أو علم النحل على وجه أخص، يرى في الآية ما لا يراه القارئ العادي، ويستنبط من ألفاظها من المعاني والأفكار والمقاصد؛ ما لا يخطر لأمثالنا ببال. وكذلك المتخصص في علم الأغذية أو علم العسل، أو الطب بالأعشاب، أو الأدوية الطبيعية، يأخذ من قوله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ ما لا نستطيع نحن أن نستخرجه من العبارة.

QaradawiBooks.com

ولهذا وجدنا رسائل وأطروحات علمية تقدم للجامعات حول هذه الآية، أو هاتين الآيتين، ورأينا بحوثًا ودراسات نشرت عنهما.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [لقمان: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٧]، ونحوهما من الآيات، نفهم نحن معناها إذا قرأناها الفهم الإجمالي، وكذلك مرَّ عليها المفسرون الأولون. ولكن العالم المتخصص في الأرض، يفهم منها ثبات الجبال، وحفظها للأرض، ومنعها من الميدان! ما يجلي معناها أعظم التجلية، ويشرحها أبلغ الشرح.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [المؤمنون: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، ونحوها من الآيات. نقرؤها نحن فنفهمها فهمًا إجماليًّا فطريًّا، وكذلك فعل المفسرون قديمًا. ولكن العلم الكوني الحديث بين لنا من عجائب هذا التقدير في الكون ودقائقه، ما يبهر العقول، وينير القلوب، ويجلي أمام أبصارنا وبصائرنا: واسع علم الله تعالى، وبالغ حكمته، وعظيم قدرته، ورائع تدبيره، كما قرأنا ذلك في كتاب «كريس موريسون» الَّذي ترجم بعنوان «العلم يدعو للإيمان». فحجم الكرة الأرضية وموقعها من الشمس، وسرعة دورانها حول نفسها وحول الشمس، وموقع القمر منها، وكمية الماء، والغازات فيها، إلخ، لو كانت على غير ما هي عليه، أو اختل ناموسها قليلًا، لهلكت الحياة على ظهر الأرض، أو ما قامت أصلًا.

ومثل ذلك: ما كشفه العلم من أسرار قوله تعالى في سورة القيامة: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۞ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٣، ٤]،

QaradawiBooks.com

ولماذا ذكر البنان خاصَّة دون غيره من الأعضاء؟ فلقد بين لنا العلم الحديث ما يتميز به جلد البنان من خواصَّ؛ بحيث لا يتشابه بنانان لشخصين وإن كانا شقيقين، أو توءمين. وعلى أساس هذا التمايز قام ما عرف باسم «البصمة» وأسست عليه إدارات «تحقيق الشخصية».

وهذا ما فهمه المعتدلون من علماء الكونيات، الَّذين عرفوا ما هو المطلوب منهم في خدمة تفسير القرآن، فالتزموه ولم يحيدوا عنه.

يقول أحدهم[1] شكر الله له: ما المطلوب منَّا إذن؟ المطلوب عندي هو أنَّنا إذا قرأنا، مثلًا، قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧]، استجبنا إلى هذه الدعوة الربانية، بما لا ينافي الفطرة السّليمة ويعارض تفسيرًا تقليديًّا، وأظهرنا مالا تزال تكشفه الدراسات الحديثة عن معجزات بيولوجية رائعة في ذلك المخلوق الفريد، الَّذي نستطيع أن نثبت أنَّه خصَّ بالذكر، من بين ما لا يُحصى من مخلوقات الله، نموذجًا يتدبر في دراسته المتدبرون، وأنَّه ليس صحيحًا ما يقوله البعض من أن الإبل ذكرت لمجرَّد مناسبتها لخطاب البدو والأعراب. فالمعجز حقًّا أن هذا صحيح، ولكنَّه ليس الحقّ كله، فالجمل ـ والجمل بالذات ـ هو الآن نموذج فريد تشير إليه كتب علم الأحياء الحديثة في أوربا وأمريكا!

ومطلوب أيضًا أنه إذا ذكر لحم الخنزير بين اللحوم المحرمة، وجب علينا ـ بعد الامتثال والطاعة لحكم التحريم ـ أن نلتفت إلى أن التحريم هنا هو تحريم معلل[2]، وإلى أن لحم الخنزير ينفرد من بين الأنواع

(١) هو أ. د. محمد عبد الحافظ حلمي في دراسته التي أشرنا إليها قبل.

(٢) يشير إلى قوله تعالى في بيان المحرمات في سورة الأنعام: ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

QaradawiBooks.com

الأخرى من اللحوم المذكورة بأنَّه حرام لذاته، أي لعلة مستقرة فيه أو غالبة اللصوق به، لا لعلة عارضة عليه كما هي الحال في أنواع اللحوم الأخرى المحرمة، أي أنه ينبغي علينا أن نبحث هذه العلة بحثًا علميًّا دقيقًا، لا أن نردد ما تتناقله بعض التفاسير ما يسهل دحضه وتفنيده.

وينبغي علينا، أيضًا، أن نعمق فهمنا لقوله تعالى، في سورة الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، فنبين البلاغة الكاملة في استعمال اللفظ (جعلنا من)، ونضيف إلى ما هو معروف متناقل ما يزيده تأييدًا. وكذلك عن (إحياء العظم)، و(النار من الشجر الأخضر) في ختام سورة يس، وخروج الحيّ من الميت وخروج الميت من الحيّ، إلخ. وجدير بنا أن نشرح للناس عظمة القسم بمواقع النجوم، والإعجاز في تنوّع الخلائق، كما ورد في سورة فاطر، وإيلاج الليل في النهار، وسبح الأجرام السّماوية في أفلاكها، وكيف يمسك الرحمن الطيور في جو السَّماء، وكيف تتفجر الأنهار من الحجارة، وكيف يكون شرب الهيم، إلخ.

ومطلوب منَّا أيضًا أن نجتهد في تحديد المسميات الواردة في القرآن الكريم، كحوت يونس، والسدر واليقطين، والطلح والفوم، والمن والسلوى، فضلًا عن أن نزيد النَّاس معرفة بمناسبة الأعناب والتين والزيتون والرطب، وتوضيح معاني هذه المفردات، خدمة كبرى اجتهد فيها السّابقون، وبذلتها الأمم الأخرى لكتبهم، وأذكر أن الأستاذ الدكتور عبد العزيز كامل، قد دعا في جامعة الكويت منذ سنوات إلى تصنيف معجم عصري شامل يشمل مفردات من قبيل ما ذكرت، وكذلك مواقع البلدان وأسماء الأشخاص والأقوام السّابقين، وما إلى ذلك ممَّا ذكر في القرآن (أو كتب التفسير).

QaradawiBooks.com

وجميع ما ذكرت ليس فيه تكلف أو افتعال أو تهجم بالكلام في تفسير كتاب الله العزيز بغير علم، وليس فيه عارضة لتفسير سلفيٍّ معتمد، برأيٍ عصريٍّ مبتدع. وهذا شرط أساسي. اهـ.

ب ـ تصحيح معلومات بعض المفسرين القدامى:

ومن الحالات الَّتي لا خلاف عليها هنا للعلوم الكونية: القيام بتصحيح بعض المعلومات الخاطئة الَّتي اعتمد عليها بعض المفسرين القدامى، وأخرجوا منها بعض آيات القرآن الكريم عن ظاهرها البين، محاولين تأويلها، وإخراجها عن معناها المتبادر منها، لتوافق ما هو مألوف عندهم، ومتفق مع معارفهم.

من ذلك: قوله تعالى في سورة الشورى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩]. فقد ذهب بعض المفسرين إلى أنَّ قوله تعالى: ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ يرجع إلى الأرض وحدها، وإنَّما ذكر ضمير التثنية [فيهما] لأن ما في أحد الشيئين يصدق أنه فيهما في الجملة[1]!

وهذا بلا شكٍّ خروج عن الظاهر المتبادر، بلا بينة. وما دفعهم إلى هذا إلَّا اعتقاد أن العوالم العلوية [السماوات] لا توجد فيها كائنات حية تدب عليها، وخصوصًا مع قوله تعالى عن الأرض: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [البقرة: ١٦٤]، فإنَّه يدلُّ ـ كما قالوا ـ على اختصاص الدواب بالأرض. ولكن العلم الحديث اليوم يتصور وجود حياة في الكواكب الأخرى، ويجهد جهده في محاولة اكتشافها، وينبغي أن نقول لهم: إن هذا هو ظاهر ما يقرره القرآن.

(١) نقله الألوسي في روح المعاني (٤١/٢٥) ورَدَّ عليه.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولا يجوز أن يقال: إنَّ المراد بقوله [من دابة]: الملائكة الَّتي تسكن السّماوات كما زعم بعض المفسرين، فإنَّ هذه لا تدبُّ، بل تطيَّر، كما قال تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [فاطر: ١].

كما أنَّ آية سورة النحل ترد على ذلك بوضوح، وهو قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٤٩]، فعطف الملائكة على ما يسجد من دابة، والعطف يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه.

ومثل ذلك قوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ١٩ ـ ٢٢].

فقد ذهب بعض المفسرين إلى أن قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ من باب حذف المضاف، والتقدير: يخرج من أحدهما، أو يقال: إنهما لما التقيا وصارا كالشيء الواحد، جاز أن يقال: يخرج منهما، وقد ينسب إلى الاثنين ما هو لأحدهما[1]؛ لأن اللؤلؤ والمرجان، يخرجان من أحد البحرين، وهو البحر المالح، وليس البحر العذب، وحملوا هذه الآيات على الآية الأخرى في سورة الفرقان، حيث يقول تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣].

ولا ضرورة لهذا الحمل، فلكل آية مجالها. فآية الفرقان فيما نصت عليه من البحر العذب الفرات، والبحر الملح الأجاج. أما آيات الرحمن، فظاهرها يتحدَّث عن بحرين من نوع واحد، وهو الملح، فلا عجب أن يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان، حسب سنن الله تعالى.

(١) نقل ذلك الألوسي في روح المعاني (١٠٦/٢٧، ١٠٧).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فإذا كانت آية الفرقان تدلُّ على البرزخ أو الحاجز الإلهي الَّذي جعله الله بين الأنهار العذبة والبحر، بحيث بقي لكلّ منهما خواصه، كما بين النيل والبحر المتوسط عند دمياط ورشيد في مصر، فإن آيات الرحمن دلت على أن بين البحار الملحة نفسها، بعضها وبعض، حواجز من صنع الله، فلكل بحر منها كثافته ودرجة حرارته، وحيواناته المائية، وتياراته البحرية، حتَّى إن أسماك وحيوانات هذا البحر لا تنتقل إلى البحر الآخر رغم أنَّ الطريق مفتوح لها.

ومثل ذلك يقال في قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]. فقد قال بعض المفسرين: هذه الكلية أغلبية، وليست عامَّة ولا مطلقة، كما هو ظاهر لفظ الآية الكريمة: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ﴾. وقال بعضهم: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي كلّ جنس من الحيوان نوعين: ذكر وأنثى[1]. فخصوها بأجناس الحيوان.

وإنَّما قالوا ذلك، لأن الَّذي يعلمونه أن الازدواج ظاهر في الإنسان والحيوان وبعض أنواع النبات كالنخل، ولكن لم يعرف في جميع أنواع النباتات، ولا في الجمادات.

حتى جاء العلم الحديث فكشف النقاب عن هذه الحقيقة، وأثبت لنا أنَّ جميع النباتات، بل جميع المخلوقات قائمة على قاعدة «الزوجية»، حتَّى «الذرَّة» تحتوي على شحنة كهربائية موجبة، وشحنة كهربائية سالبة. وحق قول الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦].

(١) روح المعاني (١٧/٢٧، ١٨).

QaradawiBooks.com

ج ـ تقريب الحقائق الدينية لعقول البشر

ومن المجالات الَّتي لا خلاف على استخدام العلم فيها لخدمة القرآن خاصة، والدين عامَّة: تقريب الحقائق الدينية والغيبية الَّتي جاء بها القرآن إلى عقول البشر، الَّتي قد تستبعد هذه الأشياء، أو تكابر فيها.

ولقد عرضت لهذه القضية من قديم في كتاب «ثقافة الداعية» في فصل «الثقافة العلمية» للداعية وما يمكن أن يؤديه العلم من دور[1]. وكان ممَّا ذكرته من وظائف العلم في عصرنا: أن من الحقائق العلمية ما يمكن استخدامه في تأييد الدين وتوضيح مفاهيمه، ونصرة قضاياه، والذب عنه، بدفع شبهات خصومه ومفتريات أعدائه، وذلك يبدو في عدة صور، منها:

أ ـ تقريب بعض المعتقدات والحقائق الدينية من أفهام أهل العصر، وتأييدها بمنطق العلم التجريبي نفسه، حتَّى إن أولى قضايا الدين وكبراها، وهي: إثبات وجود الله تعالى، يستطيع هذا العلم أن يقوم فيها بدور بناء، في مواجهة الماديين والملاحدة، فيقيم الأدلَّة ويدحض الشبهات، بواسطة فروعه المتعددة من رياضيات وفلك وفيزياء وكيمياء، وجيولوجيا وأحياء وطب وغيرها. كما رأينا ذلك في مثل كتاب: أ. كريسي موريسون: «الإنسان لا يقوم وحده» المترجم إلى العربية تحت عنوان «العلم يدعو إلى الإيمان» وكتاب «الله يتجلَّى في عصر العلم» لثلاثين عالمًا أمريكيًّا معاصرًا، وكتاب «مع الله في السَّماء» للدكتور أحمد زكي.

ورأينا مفكري المسلمين ينتفعون بذلك في نصرة العقائد الدينية كما في كتاب «قصة الإيمان بين الدين والعلم والفلسفة» للشيخ نديم

(١) ثقافة الداعية صـ ١٢٧ ـ ١٣٣، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١٥، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

QaradawiBooks.com

الجسر، وكتاب «الإسلام يتحدَّى» للمفكر الهندي وحيد الدين خان، وقد جعل له مراجعه ومقدمه د. عبد الصبور شاهين عنوانًا فرعيًّا هو «مدخل علمي للإيمان».

لقد كان المشتغلون بالفلسفة والكلام قديما يستبعدون ـ بل ينفون ـ أن يرى الإنسان عمله في الآخرة بعد أن فرغ منه في الدنيا، لأن الأعمال أعراض، والعرض لا يبقى زمانين! وعلى هذا يؤولون مثل قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ [الزلزلة: ٦]، وقوله: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وقوله: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ [آل عمران: ٣٠]، وما شابهها من آيات، بأن المراد بالأعمال جزاؤها، أي ليروا جزاء أعمالهم!

فجاء العلم الحديث يثبت أنَّ أقوال الإنسان وأعماله كلها موجودة في الفضاء، وأنها يمكن أن تسجل وتصور وتبقى، ولو بعد حدوثها بزمن طويل، وإن لم يوفق الإنسان لاختراع آلة تقوم بهذه المهمة حتَّى الآن، ولكن العلم لا ينفي إمكانها. ومعنى هذا: أن كلَّ إنسان يمكن أن يواجه بقوله وعمله طيلة حياته في صورة أشبه ما تكون بـ «فيلم» تسجيلي ناطق، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلَّا أحصاها، وبهذا يرى عمله حقيقة لا مجازًا.

وما يثار اليوم عن قضية «الاستنساخ» وإمكان تخليق صورة «طبق الأصل» من إنسان معين، بواسطة خلية واحدة منه، يقرب لنا عقيدة البعث، وإحياء إنسان جديد هو نسخة من الإنسان القديم، بواسطة ما عرف في الشرع باسم «عَجْب الذَّنَب» الَّذي لا يبلى من الإنسان!

ب ـ ويستطيع العلم بمكتشفاته ومقرراته أن يؤيِّد كثيرًا من الأحكام الشرعيَّة ببيان ما اشتملت عليه من جلب المصالح للناس، ودرء المفاسد

QaradawiBooks.com

عنهم، وبذلك يزداد الَّذين آمنوا إيمانًا، ويضعف جانب المرتابين والمشككين في كمال الشَّريعة الإسلامية، وصلاحيتها لكلّ زمان ومكان.

يستطيع علم الطب وغيره أن يعطينا صورة واضحة لما تجنيه «أمُّ الخبائث» الخمر على شاربيها ومدمنيها من أضرار جسيمة على الأفراد، وعلى الأسر، وعلى المجتمعات، ماديًّا ومعنويًّا، وبهذا تتبين حكمة الإسلام في تحريم الخمر، ولعن كلّ من شارك في صنعها، أو الاتِّجار بها أو تقديمها من قريبٍ أو بعيد.

ومثل ذلك المخدَّرات والتدخين، وكل ما يعتاد النَّاس تناوله من مأكول أو مشروب أو مشموم أو غيره، يضر متناوله عاجلًا أو آجلًا، فضلًا عن الأضرار الأخلاقية والنفسية والاجتماعيَّة الأخرى.

وكذلك ما يسببه انتشار الزِّنَى من أمراض تناسلية وغيرها للرجال والنساء، وخصوصًا ما عرف اليوم باسم «الإيدز» بالإضافة إلى آثاره السّيئة على الأنساب والأخلاق والأسر والمجتمع كله. ممَّا يؤكد معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢].

وتستطيع علوم الأحياء، ووظائف الأعضاء، والطب وغيرها: أن تبين لنا حقيقة الفوارق الفطرية بين الذكر والأنثى ـ وبعبارة أخرى: بين الرجل والمرأة ـ وأنَّ هذا التفاوت لم يكن عبثًا، وأن تجاهله في التشريع والتربية والتعليم والتوجيه، لا يعقب إلَّا أسوأ النتائج، وأن من الخير لكلا الجنسين، وللجماعة كلها: أن يكون لكلّ منهما عمله اللائق به، وثقافته الملائمة لوظيفته في الحياة، وبهذا يتلاقى منطق العلم مع منطق الدين، الَّذي هو منطق الفطرة السّليمة.

وحسبي هنا أن أنقل الكلمات التالية عن رجل يعد من أقطاب العلم

QaradawiBooks.com

التجريبي فـي عصرنا وهو د. ألكسـيس كاريـل في كتابه: «الإنسـان ذلك المجهول» يقـول: «إنَّ ما بين الرجل والمرأة من فروق ليسـت ناشـئة عن اختلاف الأعضاء الجنسية وعن وجود الرحم والحمل، أو عن اختلاف طريقة التربية. وإنَّما تنشأ عن سـبب جد عميق، وهو تأثر العضوية بكاملها بالمواد الكيماوية ومفرزات الغدد التناسلية. وإن جهل هذه الوقائع الأساسية هو الَّذي جعل رواد الحركة النَّسـائية يأخذون بالرأي القائل بأن كلا الجنسين الذكور والإناث يمكن أن يتلقوا ثقافة واحدة، وأن يمارسوا أعمالًا متماثلة. والحقيقة أن المرأة مختلفة اختلافًا عميقًا عن الرجل، فكل حجيرة في جسـمها تحمل طابع جنسها، وكذلك الحال بالنسبة إلى أجهزتها العضوية ـ ولا سيَّما الجهاز العصبـي ـ وإن القوانين العضوية (الفسـيولوجية) كقوانيـن العالم الفلكي لا سبيل إلى خرقها! ومن المستحيل أن نستبدل بها الرغبات الإنسانية، ونحن مضطرون لقبولها كما هي. فالنسـاء يجب أن ينمين اسـتعدادهن في اتجاه طبيعتهن الخاصَّة دون أن يحاولن تقليد الذكـور، فدورهن في تقدم المدنية أعلى من دور الرجال، فلا ينبغي لهن أن يتخلين عنه».

وقال أيضًا: «يغفل النَّاس عادة شأن وظيفة الولادة بالنسبة إلى المرأة مع أنَّ هذه الوظيفـة ضرورة لكمـال نموها، ولذلـك كان من الحمق والسخف صرف المرأة عن الأمومة، فلا ينبغي أن يتلقى الفتيات والفتيان ثقافة واحدة، ولا أن يكون لهم أسلوب واحد في الحياة، ولا مثل أعلى واحد، وعلـى المربين أن يعتبروا الفروق الجسـمية والعقليَّة بين الذكر والأنثى، وما بين دوريهما الطبيعيين، فبين الجنسـين فروق لا يمكن أن تزول، ومن الواجب اعتبارها في بناء العالم المتمدن»[1] اهـ.

(١) طبيب ومفكر فرنسي، منح جائزة نوبل عام ١٩١٢م لأبحاثه الطبية.

QaradawiBooks.com

كلمة منصفة للعقاد:

وأختم هذا المبحث بكلمة معتدلة للكاتب المعروف الأستاذ عبَّاس العقاد، قالها بمناسبة الحديث عن «الإنسان» في كتابه: «حقائق الإسلام وأباطيل خصومه» معقِّبًا على التعريف الجديد الَّذي زيد في العصر الأخير عن حقيقة الإنسان، وهو تعريف العلماء النشوئيِّين القائلين بمذهب التطوُّر ـ أو مذهب النشوء والارتقاء ـ ومعظمهم يُعرِّفون الإنسان بأنَّه حيوان راق، فيضعون هذا التعريف مقابلًا لقول القائلين: إن الإنسان روح منكوس أو ملك ساقط من السَّماء.

ما قول المسلم في هذا المذهب الجديد؟ أتراه يصدقه؟ أتراه يكذبه؟ وهل في نصوص دينه ما يفسر هذا المذهب تفسير الموافقة والقبول؟ وهل في نصوص دينه ما يفسر تفسيرًا يوجب عليه رفضه والإعراض عنه؟

يقول الأستاذ العقاد في كتابه «حقائق الإسلام»: «نحن لا نحب أن نقحم الكتاب في تفسير المذاهب العلمية والنظريات الطبيعية، كلَّما ظهر منها مذهب قابل للمناقشة والتعديل، أو ظهرت منها نظرية يقول بها أناس ويرفضها آخرون. ومهما يكن من ثبوت النظريات المنسوبة إلى العلم، فهو ثبوت إلى حين، لا يلبث أن يتطرَّق إليه الشك، ويتحيَّفه التعديل والتصحيح، وقريبًا رأينا من فضلائنا من يفسر السّماوات السّبع بالسيارات السّبع في المنظومة الشمسية، ثم تبين أن السّيارات أكثر من عشر، وأنَّ الصغار منها تعد بالمئات، ولا يحصرها الإحصاء! فليس من الصواب إذن أن نقحم العقيدة في تفسير أقوال وآراء، ليست من الأصول في علومها، ولا يصح أن تتوقف عليها الأصول، وحسب الدين من

QaradawiBooks.com

سلامة المعتقد وموافقته للعقل: أنَّه لا يحول بين صاحبه وبين البحث في العلم، وقبول الرأي الَّذي تأتي به فتوح الكشف والاستنباط. وعلى هذه السّنة يرجع المسلم إلى آيات كتابه وأحاديث نبيه، فلا يرى فيها مانعًا يمنعه أن يدرس التطوّر ويسترسل في مباحثه العلمية إلى حيث يلهمه الفكر وتقوده التجربة.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۞ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۞ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ [السجدة: ٦ ـ ٩]، وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢].

وإذا اعتقد المسلم أنَّ خلق الإنسان الأول مبدوء من الأرض، وأنَّه مخلوق من سلالة أرضية، فلا عليه بعد ذلك أن يسفر مذهب التطوّر عن نتيجته المقررة كيف كانت على الوجه القاطع المتفق عليه، فما يكون في هذه النتيجة نقض لعقيدة المسلم في أصل الإنسان: أنه جسد من الأرض، وروح من عند الله، وليس في وسع العالم النشوئي أن يدحض هذه العقيدة برأي قاطع أحق منها بالتطبيق والإيمان»[1] اهـ.

بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي للقرآن:

وأودُّ أن أشير هنا إلى قضية لها أهميتها ودلالتها، وهي قضية ما سُمِّي «الإعجاز العلمي» للقرآن، وعلاقته بـ«التفسير العلمي»، فإنَّ هناك خلطًا بينهما، حتَّى كاد بعض النَّاس يجعل كلّ تفسير علمي إعجازًا علميًّا. وهذا ليس بصحيح.

(١) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه للعقاد صـ ١٠٠، ١٠١، نشر دار نهضة مصر، القاهرة، ط٢، ١٩٧٥م.

QaradawiBooks.com

إنَّ مجال التفسير العلمي ما ذكرناه في الصحائف السّابقة، وهو مجال فسيح. أما مجال الإعجاز العلمي، فهو أخص وأضيق من ذلك بكثير.

وكثير من القضايا الَّتي يذكرها إخواننا المفسرون في الحماسة للإعجاز العلمي، نراها قابلة للجدل، ولا تقبل عند الخصم.

فإنك إذا قلت له: من علم محمدًا الأمي في أمة أمية: أن الحديد أنزل من السَّماء، كما يقول إخواننا الكونيون؟ فقد يقول لك قائلهم: وما يدريك أن القرآن قصد ذلك حين قال هذه الجملة: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ [الحديد: ٢٥]؟ فقد يكون المراد: إنا خلقناه بتدبير علوي سماوي، كما في نظائره في القرآن، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر: ٦]. وقوله: ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا﴾ [الأعراف: ٢٦].

وهذا ما قلته من قديم، ولا أزال أقوله لإخواننا العلميين المعنيين بهذا اللون من الإعجاز، مثل صديقنا الشيخ عبد المجيد الزنداني، الَّذي عني أبلغ العناية بهذا الإعجاز، وله فيه بحوث معجبة، وجهود طيبة، والَّذي سعى ووفق لإنشاء (هيئة علمية عالمية لإعجاز القرآن) في رابطة العالم الإسلامي، وكذلك صديقنا أ. د. زغلول النجار، أستاذ علوم الأرض، الَّذي له باع رحب ومجهود رائع في هذا الميدان.

ولهذا يجب أن يكون عمدتنا في إثبات هذا الإعجاز، هو القضايا الواضحة المحكمة، الَّتي لا مجال للشك أو للتشكيك في سبق القرآن بها، مثل أطوار الجنين، المذكورة في سورة المؤمنون، وسورة الحج، ومثل قاعدة (الزوجية) في جميع المخلوقات: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩]، ومثل تقرير أن الماء أصل الحياة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

QaradawiBooks.com

ثم إنَّ الإعجاز لا بدَّ أن يسبقه تحد واضح، ودعوة إلى المعارضة بمثل ما يتحدى به، وأن تتوافر الدواعي إلى قبول التحدي، وتنتفي الموانع عن المعارضة، ثم يعجز المعارضون جميعًا.

وفي الإعجاز العلمي لم يحدث هذا التحدي، إذ التحدي القديم كان بالبيان والبلاغة والنظم، كما هو معروف، وإن وجدت أشياء أخرى أضيفت إلى ذلك، مثل الإخبار بالغيوب، وما تضمنه القرآن من هداية وإصلاح وتشريع، ولكن الأساس هو التحدي البياني.

الإعجاز العلمي في حقيقته إعجاز بياني:

بل أقول: إنَّ الَّذي يتبيَّن لي في هذه القضية المهمة، هو: أن ما يُسمَّى الآن «الإعجاز العلمي» هو عند التأمل والتحليل: لون من «الإعجاز البياني» للقرآن. فالإعجاز هنا يكمن في الصياغة القرآنية العجيبة للآيات، أو أجزاء الآيات، الَّتي تتناول هذه الشؤون الَّتي لها صلة بالعلم، أو بالآفاق والأنفس، كما أشار إلى ذلك القرآن حيث قال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

ذلك أنَّ العبارة القرآنية أو الجملة القرآنية، قد جعل الله فيها من المرونة والسعة بحيث يفهمها العقل العربي العادي في عصر نزول القرآن، ويجد فيها المسلم ما يشبع فكره ووجدانه معًا، بالفهم الفطري السّهل الميسر لكلّ قارئ للقرآن. ومع هذا أودع الله الجملة القرآنية من السَّعة والخصوبة ما يتسع لما يكشف عنه الزمن من حقائق، وما يبلغه العلم من تطوُّر وتقدم، كما نشاهد في عصرنا.

ولو كان القرآن كتابًا من تصنيف البشر وتأليف عقولهم، ما كان يمكن لعباراته أن تتسع لمختلف الأزمان، وتطوّرات الإنسان، بل كان

QaradawiBooks.com

مرور الزمن يكشــف عن كثير من القضايا الَّتي ذكرت في الكتاب على أنَّها حقائق مسلمة، فإذا هي أوهام مرفوضة.

تحفُّظ المعتدلين من العلميِّين:

وتحفُّظي على التوسُّع في الإعجاز العلمي يشاركني فيه بعض أساتذة العلوم الكبار، من المتخصصين في العلم، والملتزمين بالدين.

من ذلك ما قاله أ. د. عبد الحافظ حلمي في بحثه الَّذي أشــرنا إليه من قبل:

«وثمَّة قضية أخرى خطيرة لا بدَّ من إثارتها، فلقد شــاع وذاع بين كثير ممَّن يجمعون بين تفسير القرآن الكريم وقضايا العلوم الحديثة: مسارعتهم في كلِّ موضع إلى القول، بأن القرآن الكريم قد سبق العلم في هذا أو ذاك من تلك القضايا. وهذا منزلق خطير له محاذيره، فإنَّه غالبًا ما يكون قولًا جزافًا غير مســتند على أساس علمي أو تاريخي. فالأمر الَّذي يكون موضع التأويل لا يعدو في الغالب أن يكون إشارة لطيفة في القرآن الكريم لظاهرة كونيــة طبيعية ـ هذا إذا صحَّ تخريج المؤول لمعناها ـ وليس من الصواب في شــيء الزج بتلك الإشــارة الكريمة إلى تحميلها فوق كلّ ما تحتمله، ووضعها موضع التسابق مع أي مبحث علمي مفصل. هذا فضلًا عن أن المؤول يســتحضر بعض فصول التاريخ العلمي الحديثة، منذ ما سمي عصر النهضة وما بعده، غير ملتفت إلى أن المعارف البشــرية كانت في عهد القرآن متضمنة ما اهتــدت إليه الأمم الأولى فــي الحضارات السّــابقة. والكلام في السّبق التاريخي يفتح بابًا للجدل ليس من اليسير في كثير من الأحيان الانتهاء فيه برأي.

QaradawiBooks.com

ولنتأمل ـ على سبيل القياس ـ المعارك الجدلية الكثيرة الَّتي دارت حول تحديد ما حققه المسلمون في إبان نهضتهم الكبرى في عصر حضارتهم الذهبي، ومحاولة المكابرين رده كله أو جله إلى الإغريق.

فإذا جاز، مثلًا، أن نشرح للناس ما وصل إليه العلم عن القوى الَّتي تجذب الأجرام السّماوية بعضها إلى بعض، ثم تحفظها متباعدة عن بعضها البعض دون أن تتداعى، وأن نقول: إن هذه القوى كأنَّها المعنية بالعمد الَّتي لا نراها في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]، فإنَّه لا يجوز أن نقول: إن القرآن الكريم قد سبق إلى ذكر قانون الجذب العام في الرياضة الفلكية النيوتونية.

كذلك إذا قرأنا قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨]، جاز لنا أن نقول: «تنتظم الكائنات الحية في مجموعات، يختص كلّ منها بصفات تكوينية ووظيفية وطباع معينة. وفي الآية الكريمة تنبيه إلى تباين صور المخلوقات وطرائق معيشتها. فكما أن الإنسان نوع له خصائصه فكذلك سائر أنواع الأحياء. هذا ما يكشفه علم التصنيف كلَّما تعمق دراسة نوع منها»[(١)].

ولكن لا يجوز أن نعلق قائلين بأنَّ هذا يدلُّ على أن القرآن الكريم قد سبق كارلوس لينيوس في وضع علم التصنيف. فالآية أولًا ليس فيها تصنيف، لا وفقًا لنظام لينيوس ولا غيره من المصنفين، ثم إن محاولات التصنيف ضاربة في التاريخ قبل لينيوس، وإن كان هو واضع أسس المنهاج الَّذي يتبعه البيولوجيون حتَّى وقتنا الحاضر.

(١) المنتخب في تفسير القرآن صـ ١٧٨، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ط ١٨، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

ومن قبيل هذا الَّذي قيل عن سبق القرآن الكريم إلى قوانين الجاذبية وعلم التصنيف: ما قيل أيضًا عن انشطار الذرة، وارتياد الفضاء، وقصر المحور القطبي للأرض، في الأمثلة الثلاثة الَّتي سبق ذكرها، وفي كثير غيرها ممَّا يضيق المجال عن حصره وذكره. ولكن لعل أعجب ما قرأت هو رأي كاتب فاضل من علماء الدين يقول: إن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤]. تنبُّؤ باختراع وسائل الانتقال الحديثة من سيارات وقطارات وطائرات واستخدامها بدلًا من الإبل (والعشار من النوق ونحوها ما مضى على حملها عشرة أشهر) مع أنَّ السِّياق كله في تعداد أحداث يوم القيامة، ومع بعد المعنى المذكور لأكثر من سبب!

إنَّ القرآن الكريم كتاب منزل من خالق الكون العليم بأسراره ونواميسه، بل إنَّه ﷻ هو مبدع هذه الأسرار، وفاطر تلك النواميس. فمن العبث أن نعقد سباقًا لا محل ولا معنى له بين كتاب الله العزيز ـ تنزَّهت كلماته ـ وبين علوم البشر، فهي ـ حتَّى وإن بلغت في هذا الزمان شأوًا عظيمًا ـ ليست إلَّا لمحات من علم الله الشامل الكامل.

إنَّ الأقوال الواهية عن «السبق العلمي» للقرآن الكريم لن تقنع غير المؤمن بأن القرآن الكريم كتاب منزل من عند الله، وليس من قول محمَّد النَّبيّ الأمي، صلوات الله وسلامه عليه، فإنَّنا إذا أردنا أن نقنع غير المؤمنين بهذا وجب علينا أن نلجأ إلى أسلوب أكثر إحكامًا.

إنَّ موريس بوكاي، الطبيب والباحث الفرنسي، يقول في كتابه عن «دراسة الكتب المقدَّسة في ضوء المعارف الحديثة»: «لقد أثارت هذه الجوانب العلمية الَّتي يختص بها القرآن دهشتي العميقة في البداية، فلم أكن أعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير إلى هذا الحد من الدعاوي

QaradawiBooks.com

الخاصَّة بموضوعات شـديدة التنوّع، ومطابقته تمامًـا للمعارف العلمية الحديثة، وذلك في نصٍّ كُتِبَ منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنًا».

ثم إنَّ بوكاي، عندما يقارن نصوص القـرآن الكريم، بمقابلاتها في الكتب المقدسة الأخرى يقول[١]: «إن تصريحات القرآن ـ على العكس ـ مطبوعة بالإيجاز في القول والاتفاق مع المعطيات الحديثة للعلم». وقد تعرض بوكاي لبعض التعليقات العلمية على مواضع متعددة في القرآن الكريم، قد نوافقـه على بعضها، وقد نختلف معـه ـ من حيث المنهاج والموضوع ـ في بعضها الآخر، ولكنَّه لا يفتـأ يؤكد هذا الَّذي ذكره في الاقتباس الأخير، وهو دليل سلبي ولكنَّه قوي، من أنه لم يجد في القرآن الكريم ما ينافي العلوم الحديثة في شيء.

هذا الصدق المطلـق الَّذي يجـده العلماء في القـرآن الكريم هو مصداق لقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النسـاء: ٨٢]. ويتضح ممَّا يقوله الإمـام البيضاوي: أن الاختلاف المشـار إليه في الآية الكريمة ليس مقصـورًا على «تناقض المعنى وتفاوت النظم» ـ أي بين آيات القرآن نفسها ـ وإنَّما يشمل أيضًا «مطابقة بعـض أخباره المسـتقبلة للواقع دون بعـض، وموافقة العقل لبعض أحكامه دون بعض»[٢].

وهذا المعنى هو الَّذي استشعره سير جيمس جينس الفلكي العظيم، الَّذي اشتهر بيننا بكتابه الَّذي ترجم إلى العربية بعنوان: «الكون الغامض»

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة لموريس بوكاي صـ ١٤٤، ١٩٧٨م.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٨٦/٢)، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

QaradawiBooks.com

عندما قرأ عليه العالم الهندي عناية الله مشـــرقي معنى الآيتين (٢٧، ٢٨) من ســـورة فاطر[١]، فصرخ قائـــلًا: «ما قلت؟ إنَّما يخشـــى الله من عباده العلماء؟ مدهش، وغريب، وعجيب جدًّا.. إنَّه الأمر الَّذي كشـــفت عنه دراسة ومشاهدة استمرت خمسين ســـنة (أي بحوث سير جيمس نفسه) من أنبأ محمدًا به؟ هل هـــذه الآية موجودة في القـــرآن حقيقة؟ لو كان الأمر كذلك، فاكتب شهادة منِّي أن القرآن كتاب مُوحى من عند الله. لقد كان محمَّد أميًّا، ولا يمكنه أن يكشف عن هذا السِّرّ بنفسه، ولكن «الله» هو الَّذي أخبره بهذا السّر.. مدهش وغريب، وعجيب جدًّا»[٢].

وتفاصيل هذه الرواية ممتعة وذات مغزى، ويمكن الرجوع إليها في مصدرها.

وكتاب الله العزيز كله معجز، ويســـتطيع العلماء أن يتلمســـوا دلائل إعجازه في شتَّى المجالات. فإذا كنَّا بصدد «إعجازه العلمي» تحتَّم علينا أن نتوخَّى الدقَّة التامَّة، فلا نفتعل مناسبة أن نتشبث بلفظ، أو نحمله فوق كلّ ما يحتمل، أو نجهل أو نتجاهل حقائق التاريخ.

وينبغي أن يكون لنا في الأئمَّة السّابقين أسوة حسنة، حين نرى دقة مناهجهـــم العلمية عندمـــا تناولوا القـــرآن الكريم، من نواحيـــه اللغوية والبلاغية والتشريعية[٣].

---

(١) قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۞ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨].

(٢) مقال وحيد خان، مجلة نقوش الباكستانية صـ ١٣٢ ـ ١٣٤، ١٩٧٣م.

(٣) انظر: العلوم البيولوجية في خدمة تفسير القرآن (٧٠/١٢ ـ ٧٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

تكوين العقليَّة العلمية في القرآن:

وأحب أن أشير هنا إلى قضية أراها في غاية الأهمية، وهي لم تأخذ حقها من اهتمام الباحثين في الدراسات القرآنية، وفي رأيي أنَّها أهم من إشارات الإعجاز العلمي، وهي: ما جاء به القرآن من «تكوين العقليَّة العلمية» الَّتي ترفض الظن والخرص، واتباع الأهواء والعواطف والتقليد الأعمى للأجداد والآباء، والطاعة العمياء للسادة والكبراء، وتنظر في ملكوت السَّماء والأرض، وما خلق الله من شيء، وتتعبد لله تعالى بالتفكر في الآفاق والأنفس، مثنى وفرادى، وتعتمد البرهان في العقليات، والتوثيق في النقليات، والمشاهدة في الحسيَّات، إلى آخر ما ذكرناه في فصل كامل في كتابنا: «العقل والعلم في القرآن»[1].

وهذه العقليَّة الَّتي ينشئها القرآن بوصاياه، وتوجيهاته وأحكامه، هي الَّتي تحقق الازدهار العلمي، وتهيئ المناخ لظهور علماء يبحثون ويبتكرون في كلّ مجال، وهو ما حدث في الحضارة الإسلامية، الَّتي جمعت بين العلم والإيمان، بل الَّتي اعتبرت العلم دينًا والدين علمًا، وكان علماؤها أساتذة العالم، وكتبها مراجعهم، وجامعاتها موئلهم، لعدة قرون، وذلك كله بفضل الإسلام الَّذي جعل منهم خير أمة أخرجت للناس.

(١) العقل والعلم في القرآن صـ ٢٤٧ ـ ٢٨٢، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٤، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

QaradawiBooks.com

خلق السّماوات والأرض في ستَّة أيام

س: لقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]. فما معنى خلق السّماوات والأرض في ستَّة أيام؟

ولقد قرأت في أحد كتب التفسير: أن الله ﷻ خلق السّماوات والأرض في ستَّة أيام ـ أي في ست فترات ـ ونحن لا نعلم هل خلقها في ستَّة أيام، أو في ست سنين، أرجو الإيضاح.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

الذي لا شكَّ فيه أنَّ هذه الأيام السِّتَّة ليست من أيامنا هذه، الَّتي يُقدر ليل اليوم ونهاره منها بأربع وعشرين ساعة من ساعاتنا المعروفة. فإن هذه الأيام إنَّما وجدت بعد خلق الأرض والشمس، وحدوث الليل والنهار. فكيف يكون أصل خلق الأرض في أيام منها؟

غير مرخصة للبيع
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد جاء في سورة فصلت بيان وتفصيل لما خلق الله في هذه الأيام السِّتَّة فقال سبحانه: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ﴾ الآيات [فصلت: ٩]. فلعلَّ هذه الأيام عبارة عن ستَّة أزمنة، وآماد لا يعلم مداها إلَّا الله، يتحدد كلّ يوم منها بما تم فيه من عمل، أو ست دورات فلكية لا نعلمها، غير أيامنا المرتبطة بالدورة الشمسية، أو ستَّة أطوار مرت على هذه المخلوقات. كلّ ذلك محتمل، واللغة تساعد عليه، والدين لا يمنع منه. فاليوم في لغة العرب هو الزمن الَّذي يمتاز بما تحصل فيه من غيره، فأيامنا هذه تتميز بما يحددها من طلوع الشمس ومغربها، وأيام العرب بما كان يقع فيها من الحروب والقتال، وقد قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]، وقد قال تعالى في وصف يوم القيامة: ﴿كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].

ولماذا خلق الله السّماوات والأرض في ستَّة أيام، وكان قادرًا على أن يخلقها في لحظة واحدة، فإن أمره بين الكاف والنون، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

ولعلَّ الحكمة في ذلك ـ والله أعلم ـ أن يتخذ عباده من هذا الخلق درسًا في الأناة، وترك العجلة، وحسن التأتي للأمور. ولهذا قيل: الأناة من الرحمن، والعجلة من الشيطان. والله أعلم.

نسخة مجانية
غير مخصصة للطباعة
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

جريان الشمس بين العلم والقرآن

س: كثير من العلماء يقولون بأنَّ الأرض هي الَّتي تدور، والشمس ثابتة، والله جل وعلا يقول في كتابه الكريم: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ فكيف يكون هذا؟ وكيف نوفق بين رأي العلم وقول القرآن الكريم؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

لقد كان بعض رجال العلم الطبيعي في هذا القرن أو قبله يقولون: إن الأرض تدور والشمس ثابتة، وثبات الشمس مخالف فعلًا لظاهر القرآن الكريم، الَّذي يقول: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]، ويقول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، ويقول: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ [لقمان: ٢٩]. فجريان الشمس وسبحاتها وسبحات الأفلاك عمومًا هو ما يدلُّ عليه القرآن. ولكن هذه النظرية الَّتي كانت تدرس قديمًا في

QaradawiBooks.com

الجغرافيا الفلكية قد ثبت خطؤها علميًّا، وجاءت بعدها نظريات أخرى تؤكد أنَّ الشمس أيضًا تجري، فهم يقولون بدوران الأرض، وبجريان الشمس نفسها، فالشمس تدور في محورها، وليست بثابتة كما كان يُقال قديمًا. وهنا لا نجد أبدًا أيّ تعارض بين القرآن الكريم وبين ما جاء به العلم في هذه الناحية. بعض النَّاس يظن أن القول بدوران الأرض لا يتَّفق مع القرآن، وأن القرآن يقول عن الجبال، إن الله أرسى هذه الأرض بالجبال لئلَّا تميد بنا، ويقول: إن الدوران يفيد الاضطراب، وهذا غير مسلّم، فالمَيَدان والاضطراب شيء، والدوران شيء آخر.

والله تعالى أرسى الأرض بالجبال، لئلَّا تضطرب، ولئلَّا تميد، ولئلَّا يختلَّ ميزانها، وهذا كالسفينة تسير في البحر تكون خفيفة، فتلعب بها الأمواج، وتضطرب يمنة ويسرة، فإذا وضعت فيها شيئًا ثقيلًا، امتنعت عن الميلان وعن الاضطراب فثبتت ورسخت مع أنَّها متحركة. فإذا قلت إن وضعك هذا الثقل في السّفينة لئلَّا تضطرب، كان قولك صحيحًا مع حركة السّفينة الدائبة السَّائرة. فالله ﷻ وضع الجبال في الأرض أوتادًا لئلَّا تميد، وهذا لا ينافي أن تكون الأرض متحركة وتدور وتدور. فالثابت فعلًا أنَّ الكون كله يسبح، ويتحرك، هذا ما أثبته العلم وليس في القرآن ما ينافيه أبدًا.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

تأويل السَّماء

س: يقول العلماء بأنَّ السَّماء هي نتيجة لعدة ألوان يتولد عنها أخيرًا اللون الأزرق، وهو ما نشاهده. والله تعالى يقول في القرآن الكريم: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۞ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ [الغاشية: ١٧، ١٨]. ما تأويل ذلك؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

الواقع أنَّ الآية الَّتي استشهد بها الأخ ليس فيها ما يعارض أو يناقض ما قال به علماء الكون، من تعليل ألوان السَّماء. ليس في هذه الآية ولا في أيِّ آية أخرى ما ينافي هذا، وعلينا نحن المسلمين أن نحترم العلم الَّذي يقوم على الملاحظة والتجربة، فهذا له ميدانه، والإسلام يقره، بل يدعو إليه، ويأمرنا أن نتفوق فيه، وأن نسبق فيه، لكنَّنا ـ للأسف ـ نحن نأخذ من الأجانب الآداب قبل العلوم، مع أنَّ العلم ليس له وطنٌ ولا جنسيةٌ ولا دين.. العلم التجريبي يؤخذ من كلِّ مكان، يمكن أن يقوم به المسلم ويمكن أن يقوم به الكافر، لأنَّه يقوم على التجربة والملاحظة،

QaradawiBooks.com

فما أثبتته الملاحظة الصادقة، والتجربة الصحيحة يجب أن نؤمن به، فإذا كان للعلماء آراء في هـذه الناحية، في تحليل الضـوء، وألوان الطيف، وانكسار الأشـعة، وغير ذلك من أمور قامت بها التجارب ودلَّت عليها مشـاهدات وملاحظات، يجـب أن نحترمهـا، ولا نعتقـد أن في ديننا ما ينافي هذا.

وعلى العكس، فإنَّ ديننا ـ والحمد لله ـ سبق العلم بمراحل في أمور عديدة، ودل على حقائق علمية كثيرة، سبق بها ما جاء به العلم المعاصر، وليس هذا أوان تفصيل ذلك. إنَّما أطمئن كلّ مسلم إلى أن القرآن، وإلى أنَّ الإسلام ليس فيه آية واحدة وليس فيه حكم واحد ينافي ما يصل إليه العلم التجريبي الصحيح.

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نزول المطر من السَّماء

س: يقول العلماء بأنَّ المطر يأتي من تبخر ماء البحر، والقرآن يقول: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [المؤمنون: ١٨]، أليس هناك تناقض؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

أخي السَّائل، ليس هناك تناقض؛ فالقرآن يقول: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الرعد: ١٧] ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [المؤمنون: ١٨]؛ لأنَّ المطر ينزل من جهة السَّماء، كما قال المفسرون الأقدمون منهم والمحدثون. فهؤلاء يفسرون «السماء» بالجهة العليا، وليست السَّماء هي السّماوات البعيدة فقط، فكلمة السَّماء في اللغة العربية تعني: كلّ ما علاك، أي كلّ ما كان فوقك فهو سماء. حتَّى يقال أحيانًا عن السّقف: سماء. فما أظلك فهو سماء. وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: ١٥]، أي بحبل إلى سقف بيته. إذا انتحر، سخطًا، على ما قدَّر الله ﷻ، أو على أن الله لم ينصره، أو لم يجب دعوته، أو كذا أو كذا. هل يذهبن كيده ما يغيظ.

QaradawiBooks.com

فالسماء في هذه الآية هي السَّقف. فإذا قال الله تعالى: «من السَّماء» أي من الجهة العليا. وهذا صحيح، فإنَّ المطر ينزل من السَّحاب، يسوق الله هذا السَّحاب، ثم ينزل هذا السَّحاب ماء، بعد أن يتبخر من البحار، فلعلَّ الأخ السَّائل يعلم أنَّ البحار تكون حوالي ثلاثة أرباع هذه الكرة. فنسبة (٧١٪) من مساحة هذه الأرض الَّتي نعيش عليها مياه: محيطات وبحار. وتتسلط على هذه البحار أشعة الشمس القوية، فتبخرها. والتبخر شيء نراه: نراه على القدر فوق النار، ونراه في البحار، ونراه في آثار الرطوبة الَّتي نُحسُّها.

فالمساحات الضخمة هذه، أين يذهب بخارها؟ يذهب بخارها إلى أعلى، حتَّى يلامس جوًّا باردًا، أو يحتك بقمم الجبال أو نحو ذلك، ممَّا يشرحه الشارحون ويعرفه الدارسون، فينزل المطر فعلًا، ويسلكه الله ينابيع في الأرض، ويجريه أنهارًا فيها، فأصل المطر في الحقيقة من الأرض، أصل الماء الَّذي يجري في الأرض نهرًا، أو يفيض منها عيونًا، أصله من الأرض. فقد خلق الله الأرض، وخلق فيها كمية المياه اللازمة لها، ليخرجها منها. فهذا ثابت في سورة النازعات، حيث يقول الله ﷻ: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۞ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ [النازعات: ٣٠، ٣١]. كيف يقول: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا﴾. مع أنَّ الماء ـ أو معظمه ـ نازل من فوق، وليس خارجًا من الأرض؟ إنَّما قال ذلك، لأن أصله من الأرض.

وقد أدرك هذا العرب والمسلمون من قديم، حتَّى قال الشاعر يصف السّحب:

شَرِبْنَ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ مَتَى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ[1]

(١) البيت لأبي ذؤيب يصف السحابات، كما في تاج العروس مادة (ش. ر. ب). والنئيج: الصوت والحركة، كما في لسان العرب مادة (ن. أ. ج).

QaradawiBooks.com

ويقول شاعر آخر في ممدوحه:

كَالبحْرِ يُمْطِرُه السَّحَابُ ومَا لَهُ فَضْلٌ عَلَيْهِ لأنَّه مِنْ مَائِهِ[1]!

فهم قد أدركوا هذا وقالوه، وأسهبوا فيه، فكيف ـ ونحن في عصر العلم والنور ـ ننكر هذا ولم ينكره أسلافنا؟

إنَّ الشيء الَّذي يخلقه الله بتدبير علوي سماوي يصح أن نقول فيه: «أنزله الله» وهكذا جاء القرآن، فقال: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر: ٦]. هل نزلت الأنعام من السَّماء؟ ويقول: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]. فهل أنزل الله الحديد؟ أم نستخرجه من باطن الأرض؟ إن معنى الإنزال هنا أن الله خلق ذلك بتدبير علوي سماوي فوقي. فهذا هو المقصود.

فليطمئن الأخ السَّائل المسلم، على أنَّه ليس هناك أبدًا تناقض بين العلم والدين ـ كما قلت ـ، وإن كان ـ للأسف ـ كما أخبرني بعض الزملاء من النَّاس ممَّن ينتسبون إلى علم الدين من ينكر هذا ويقول: إن الماء لا ينزل من السَّحاب، إنَّما السَّحاب غربال فقط، وإنَّما ينزل من السَّماء. وهذا شيء لا يصح أن يقال، ولا يصح أن يعارض به العلم، ولا أن يقال أبدًا؛ إن القرآن يناقض هذا، فالقرآن كما قلت واضح في هذا، وحسبنا قوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ [النازعات: ٣١].

(١) من شعر عبد الله الأسطرلابي. انظر: النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٢٧٥/٥)، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، نشر دار الكتب، مصر.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

أين النار؟

س: يقول الله ﷻ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. فأين النَّار إذن؟ طالما أن الجنة عرضها السّماوات والأرض؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

الواقع أنَّ هذا الكون الَّذي نعيش في جزء صغير منه، ليس مقصورًا على السَّماوات والأرض، وإن كنَّا حتَّى الآن لا نعرف السَّماوات ما هي، فهناك فوق السَّماوات من ملك الله ﷻ، ما لا تبلغه عقولنا، ولا يصل إليه علمنا. ولهذا يقول المسلمون كما علمهم النَّبيّ ﷺ بعد القيام من الركوع: «**اللهمَّ ربنا لك الحمد ملء السّماوات وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد**»[1] وهذا ما يحدِّثنا العلم المعاصر عن بعضه، ويقيسه بملايين السّنين الضوئية، بيننا وبين بعض الكواكب من

(١) رواه مسلم في الصلاة (٤٧٦)، عن ابن أبي أوفى.

QaradawiBooks.com

المسافات الشاسعة، والأبعاد المجهولة ما يقاس بملايين وآلاف ملايين السِّنين الضوئية، وهذا شيء أصبح معلومًا ومقرَّرًا الآن، فإذا كانت الجنة عرضها السّماوات والأرض، فليس معنى ذلك أنه ليس هناك في ملك الله ما يتسع للنار، بل هناك ما يتسع للنار ولغيرها من هذا الملك الواسع الرحب الفسيح.

وهذا السُّؤال سؤال قديم، فقد سئل الصحابة، وسئل قبلهم النَّبيّ ﷺ من بعض أهل الكتاب عن معنى هذه الآية: ﴿**وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ**﴾ [آل عمران: ١٣٣]. وقالوا: فأين النار؟ فكان النَّبيُّ ﷺ يقول لهم: «**أين الليلُ إذا جاء النَّهار؟**»[(١)]. وفي رواية عن أبي هُرَيْرة، رواها البزَّار مرفوعةً، أنَّ رجلًا سأل النَّبيَّ ﷺ: أرأيتَ قوله: ﴿**وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ**﴾ [آل عمران: ١٣٣]؟ فأين النَّار؟ قال: «**أرأيتَ الليلَ ما لبس كلَّ شيءٍ فأين النَّهارُ؟**». قال: حيث شاء الله. قال: «**فكذلك حيث شاء الله**»[(٢)].

قال ابن كثير في تفسيره معلقًا على هذا الخبر: «وهذا يحتمل معنيين: **أحدهما**، أن يكون المعنى في ذلك أنه لا يلزم من عدم مشاهدتنا الليل إذا جاء النهار ألا يكون الليل في مكان وإن كنَّا لا نعلمه، وكذلك النَّار تكون حيث شاء الله ﷻ. وهذا أظهر.

---

(١) رواه أحمد (١٥٦٥٥)، وقال مخرجوه: حديث غريب، وإسناده ضعيف. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٨٩٢): رواه عبد الله بن أحمد وأبو يعلى، ورجال أبي يعلى ثقات، ورجال عبد الله بن أحمد كذلك، عن التنوخي. وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٧٧/٧): حديث غريب وإسناده لا بأس به.

(٢) رواه البزار (٩٣٨٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٩٠٢): رجاله رجال الصحيح.

QaradawiBooks.com

والثاني: أن يكـــون المعنى أن النهار إذا تغشَّـــى وجه العالم من هذا الجانب، فـــإن الليل يكون من الجانب الآخـــر، فكذلك الجنة في أعلى عليين، فوق السَّماوات، تحت العرش، وعرضها كما قال الله ﷻ كعرض السَّماء والأرض، والنار في أسفل سافلين، فلا تنافي بين كونها كعرض السّماوات والأرض، وبين وجود النار»[1].

والله تعالى أعلم.

(١) تفسير ابن كثير (١١٨/٢).

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

مباحث قرآنية

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الأحاديث الواردة في فضائل بعض السّور

س: قرأتُ في أحد الكتب: من يقرأ سورة (يس) أربع مرات بعد صلاة الصبح، ثم يدعو بأي شيء؛ فإنَّ الله يستجيب له. وقرأت أنَّ بعض العلماء قال: إنَّ سورة (يس) ما قُرئت عند أمر عسير إلَّا يسَّره الله، وإنَّ (يس) لما قُرئت له.

فهل هذا الكلام صحيح؟ وهل ورد عن الرسول ﷺ، أم أنه من البدع، ولم يرد عن رسول الله ﷺ؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

القرآن كلُّه بركة، وكل سور القرآن خير وبركة، والقرآن كلام الله ﷻ، الَّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولكن كثيرًا من أحاديث فضائل السُّور غير صحيح، بعضها ضعيف، وبعضها موضوع، وقد جاء في فضل بعض السّور أحاديث صحيحة أو حسنة، مثل بعض أحاديث فضل سور الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، والمُلك، والزلزلة، والكافرون، وما ورد في فضل الإخلاص والمعوذتين.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

فهناك عدد من السُّـــور صحَّ أو حسُـــن في فضلها بعض الأحاديث، وهناك عدد من السُّور وضع الوضَّاعون في فضلها أحاديث موضوعة، بل إن بعض النَّاس يذكر حديثًا فيه فضل كلّ ســـورة من سور القرآن، وهو حديث موضوع ومكذوب على النَّبيِّ ﷺ، وهو حديث نصّ العلماء على وضعه وصرحـــوا بكذب راويه، وهـــذا الحديث للأســـف يذكره بعض المفســـرين في كتبهم، فيظن من ليس له دراية بالحديـــث أنه من كلام رسول الله ﷺ.

ومن السُّـــور الَّتي جاء في فضلهـــا أحاديث ضعيفة، لـــم يصحَّ فيها حديث ـ فيما أعلم ـ سورة (يس).

مبالغات في فضل سورة يس:

وبعض النَّاس بالغ في فضل سورة (يس)، وقالوا: إذا قرئت على أمر عسير يسَّره الله. فإذا قُرئت على مريض شفاه الله، وإذا قُرئت لضيق فرَّجه الله، أو لطالبٍ غير مُجِـــدٍّ أنجحه الله، أو لمهزومٍ نصـــره الله. وهذا ليس بصحيح، بل هو ممَّا يُرسِّخ التواكل في الأُمَّة، ولو كانت قراءة سورة من السُّور تحلُّ كلَّ المشاكل، لترك النَّاس العمل، واكتفوا بقراءتها! فبدل أن يذاكر الطالب ويجتهد يقرأ سورة (يس) لينجح. وبدل أن نُعِدَّ العدة لقتال العدو نقرأ ســـورة (يس) لينصرنا الله، ونترك العناية بالصحة ونقرأ سورة (يس) ليشفينا الله.

وأذكر أنَّنا عندما كُنَّا معتقلين ســـنة ١٩٤٦م، كان معنا أحد الإخوة من العوام الَّذين يعرفون شـــيئًا من العلم، ويحفظون شيئًا من القرآن، وكان يحفظ ســـورة (يس)، وكان يعتقد ما يعتقده النَّاس مـــن أنَّ قراءة (يس) أربعين مرَّة ـ أو ما يُسمى: (عِدِّية يس) ـ لأي شيء تجعله يتحقَّق، فكان

QaradawiBooks.com

لا عمل له إلَّا أن يقرأ سـورة (يس)، وكان يقرؤها بسـرعة جدًّا، ونحن نسمعه، كان اسمه: محمَّد طه، نكلِّمه فلا يردُّ علينا، مشغول بقراءة سورة (يس) بسرعة، ما إن ينتهي من قراءتها حتَّى يبدأ تلاوتَها من جديد، وفي ثلاث دقائق يختمها. كان يقرؤها أربعين مـرَّة في اليوم، وظل على هذا فترةَ اعتقاله، ولم يخرج إلَّا معنا، لمَّا جاء الإفراج، أفرج عنه معنا، فهذه اعتقادات ما أنزل الله بها من سلطان.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

طباعة بعض السُّور في مطبوعات خاصة

س: بعض النَّاس يطبع بعض السُّـور في مطبوعات خاصَّة ليوزِّعَها ليس فيها إلَّا بعض السُّـور، وهي: الكهف، والمدثر، والمزمل، فما هو الهدف من ذلك؟

بارك الله فيكم.

الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

(وبعد)

ورد عن النبيِّ ﷺ أنَّه تستحب قراءة سورة الكهف، ففي الحديث: «**من قرأ سورة الكهف كما أنزلت: كانت له نورًا من مقامه إلى مكَّة**»[1]. وهذا هو السِّـرّ في أنَّ بعض النَّاس جعل سـورة الكهـف في أجزاء خاصَّة، ولكن لم أرَ ما يدلُّ على استحباب قراءة سورة المزمِّل وسورة المدثِّر.

(١) رواه النسـائي في الكبرى فـي عمل اليوم والليلـة (١٠٧٢٢)، والحاكم فـي فضائل القرآن (٣٦٨/٢)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٧٠)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

وأزيد هنا: أنَّ حديث قراءة سورة الكهف كلَّ جمعة لم يصل إلى درجة الصحَّة، ولكن حسَّنه بعض العلماء، فقد روى الحاكم في «مستدركه» عن أبي سعيدٍ الخُدْري رضي الله عنه مرفوعًا قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة، أضاء له من النور ما بين الجمعتين**». قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي فقال: نعيم ذو مناكير[١]. ونعيم هو نعيم بن حماد أحد رواة الحديث. وقد رواه البيهقي موقوفًا على أبي سعيدٍ الخُدْري وقال: وهذا هو المحفوظ، موقوف[٢]. وقد حسَّنه المناوي في «فيض القدير»[٣]، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع»، فلعلَّه صحَّحه بمجموع طرقه.

وهذا سرُّ ما تفعله بعض البلاد الإسلامية من قراءة سورة الكهف يوم الجمعة، يقرؤونها جماعة بصوت عالٍ ومرتفع، أو يخصِّصون مقرئًا يقرؤها في المسجد جهرًا، ولكنَّ الأولى لمن يقرؤها أن يقرأها في نفسه.

وصحَّ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**من حفظ عشر آيات من أوَّل سورة الكهف عُصِم من الدَّجَّال**»[٤].

ولكن على كلٍّ، فقراءة القرآن من أفضل العبادات، وأجلِّ القربات إلى الله عزَّ وجلَّ، سواء كان ذلك في المسجد أو في البيت، وسواء كان في يوم الجمعة أو في غيره من الأيام، والمؤمن يؤجر على كلِّ حرف من

(١) رواه الحاكم في التفسير (٣٦٨/٢).
(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٢٠).
(٣) انظر: فيض القدير للمناوي (١٩٨/٦)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.
(٤) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٨٠٩)، وأحمد (٢١٧١٢)، عن أبي الدرداء.

QaradawiBooks.com

القرآن عشر حسنات، كما جاء ذلك عن رسول الله ﷺ من حديث ابن مسعود: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنةٌ، والحسنةُ بعَشْر أمثالِها، لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ حرف. ولكن: أَلِفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ**»[1].

فمن أراد أن يستكثر من الحسنات فليتعبَّد لله بتلاوة القرآن، وخاصَّة في يوم الجمعة.

غير مرخصة للطباعة

(١) سبق تخريجه صـ٢١٩.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

زواج يوسف عليه السلام من امرأة العزيز

س: هل صحيح أنَّ سيدنا يوسف تزوَّج امرأة العزيز؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

لم يثبت ذلك، القرآن لم يحكِ ذلك، كلُّ ما قاله القرآن أن امرأة العزيز قالت: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۞ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ۞ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥١ ـ ٥٣]. لم يذكر لنا القرآن شيئًا عن قصَّة زواج يوسف، لا من امرأة العزيز، ولا من غير امرأة العزيز، ولو كان في ذكر ذلك عِبرة؛ لذكره لنا القرآن الكريم.

وأسلوب القرآن في قصصه أنَّه يسوق من أحداث القصة ما فيه العبرة والعظة، وما لا عبرة فيه يسكت عنه، ونحن يسعنا ما وسع القرآن، ما سكت عنه القرآن نسكت عنه.

نسخة مجانية

فلا نعرف من تزوج يوسف عليه السلام، ما عندنا خبر هل تزوج بامرأة العزيز أم لم يتزوجها؟! وزواجه منها مذكور في بعض التفاسير، لكن لا دليل عليه من القرآن أو السُّنَّة، والله أعلم بصحته. والغالب أن امرأة العزيز أكبر من يوسف بكثير، فقد كانت امرأة العزيز وهو صبيٌّ صغير.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

أفضل الطرق لحفظ القرآن الكريم

س: نريد من فضيلتكم أن تحدِّثنا عن أيسر طريق لحفظ القرآن الكريم وأفضله؛ خصوصًا بعد أن مضت مرحلة الطفولة الَّتي كان يسهل فيها الحفظ.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

أشكر للسائل حرصه على حفظ كتاب الله، والعناية به، فقد قال ﷺ: «**خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه**»(١). وفي رواية: «**أفضلكم من تعلَّم القرآن وعلَّمه**»(٢). وفي رواية عند الطبراني بإسناد جيد: «**خيركم من قرأ القرآن وأقرأه**»(٣). وروى ابن ماجه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لأبي ذرٍّ الغِفاري: «**يا أبا ذرٍّ، لأن تغدو فتَعلَّمَ آيةً من كتاب الله: خيرٌ مِن أن تصلِّي مائةَ ركعة**»(٤).

(١) رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٢٧)، وأحمد (٥٠٠)، عن عثمان بن عفان.

(٢) رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٢٨).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٣٠٦٢)، وفي الكبير (١٦١/١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٦٧٤): فيه شريك وعاصم، وكلاهما ثقة، وفيهما ضعف. عن ابن مسعود.

(٤) رواه ابن ماجه في المقدمة (٢١٩)، وضعف إسناده البوصيري في الزوائد (٧٨)، وحسنه المنذري في صحيح الترغيب والترهيب (١١٦).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولا شكَّ أن مرحلة الطفولة هي أولى المراحل للحفظ؛ لأنَّه كما قيل: الحفظ في الصغر كالنَّقْش على الحجر. وقالوا للحكيم الَّذي قال هذا: إنَّ الكبير أوفر عقلًا! قال: ولكنَّه أكثر شغلًا.

الكبير أوفر عقلًا، لكنَّه مشتَّت بين كثير من المشاغل، ولذلك ما يحفظه الإنسان صغيرًا قلَّما يضيعه كبيرًا؛ لأنَّه بمثابة النقش على الحجر، لا يضيع بسهولة.

وديدن المسلمين وعادتهم منذ عصور الصحابة والتابعين أن يُحفِّظوا أولادهم من الصغر، وبعض العلماء التربويِّين في عصرنا ينهون عن الحفظ في الصغر، ومال إلى هذا الرأي الإمام الشهيد حسن البنا، ولكنَّ رأيهم هذا معقول في غير القرآن، فنحن حفظنا القرآن واختزنَّاه صغارًا، فنفعنا كبارًا، ربَّما لم نكن نفهم القرآن ونحن صغار، ولكن القرآن من يسره وسهولته حتَّى الصغير يفهم مضمون الكلام ومعناه إجمالًا، إذا قرأ قصَّة موسى وفرعون يعرف أن فرعون رجل ظالم يعذب بني إسرائيل، ويقتل أبناءهم الذكور، وأن الله أغرقه في البحر هو وجنوده، أي: أن الطفل يفهم مجمل القصة.

تثبيت الحفظ بفهم الآيات:

ويحسن بالذي يُحَفِّظ القرآن للأطفال أن يعطيهم فكرة عن مضمون الآيات باختصار، مثلًا إذا كان يُحفِّظه سورة الفيل، يحكي له قصَّة أبرهة الأشرم، وأنَّه رجل جبَّار جاء بالفيل وبجنوده ليهدم الكعبة، فسلَّط الله عليه طيرًا ترمي عليه حجارة، فأهلكته ومن معه من الجنود، فيفهم ما يقرأ، هذا هو الأَوْلى.

أو يقرأ تفسيرًا مختصرًا لما يحفظه يعينه على فهم معانيه وأحكامه، ثم يجمع بعد ذلك بين العلم والعمل.

QaradawiBooks.com

ومن فاته الحفظ في مرحلة الطفولة، هل ييْئس من حفظ القرآن؟ لا، كثير من النَّاس حفظوا القرآن كبارًا، لكن عليه أن ينظم وقته، بحيث إن استطاع أن يحفظ كلّ يوم ربع حزب من القرآن، فيتم حفظ القرآن في مائتين وأربعين يومًا، أو يحفظ نصف ربع في اليوم، فيتم حفظ المصحف في أربعمائة وثمانين يومًا، أي: في سنة وثلث السَّنة تقريبًا.

تثبيت الحفظ بالمراجعة:

وعليه أن يتعاهد ما يحفظه بالمراجعة، لتثبيت ما حفظ. وعليه كذلك أن يحفظ على يد شيخ متقن، ليتقن القراءة وأحكام التجويد، فإن لم يستطع فليستعن بتسجيلات كبار القراء، وهي ـ من فضل الله تعالى على الأُمَّة ـ منتشرة ومتوفِّرة، كالمصحف المعلَّم للشيخ الحصري رَحِمَهُ اللَّهُ، الَّذي يقرأ فيه الشيخ الآية، ثم يعطيك فترة لتقرأها بعده، فتعيدها وتقرأها خلفه.. وهكذا، وأصبح الآن استخدام الكمبيوتر يسهِّل هذا الأمر، ثم يُسَمِّع ما حفظه لمن تيسَّر له ممَّن يتقن التلاوة: زميله في العمل، أو إمام المسجد، أو بعض من يصلِّي معه في المسجد، وهكذا.

ومع ذلك وقبله وبعده أكرِّر: أن يهتم بالمراجعة، وأن يكون له ورد مراجعة مع ورد الحفظ، لأن النَّبيّ ﷺ قال: «**تعاهدوا هذا القرآن، فوالَّذي نفس محمَّد بيده، لهو أشدُّ تفلُّتًا من الإبل في عُقُلها**»[1].

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٣٣)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٩١)، عن أبي موسى.

QaradawiBooks.com

ومـــن المعينات على تثبيـــت الحفظ، أن يصلي بمـــا يحفظه، يعني ما يحفظه: يقرؤه في صلاته، ولا يكتفي بقصار السُّـــور، كما يفعل كثير من الناس.

وأنبِّه السَّائل الحريص على حفظ كتاب الله تعالى إلى أن يجمع بين الحفظ والفهم، فيتدبـــر كتاب الله، كما قـــال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وأســـأل اللهَ أن يجعل القرآن العظيـــم ربيع قلوبنا، ونـــور صدورنا، وذهاب همومنا وأحزاننا، وأن يعلِّمنا منه ما جهلنا، ويذكِّرنا منه ما نسينا، وأن يرزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، ويرزقنا تدبُّره والعمل به.

نسخة مجانية
غير مرخصة للبيع

غير مرخصة للطباعة

حفظ القرآن الكريم

س: أنا طبيبة، وليس لديَّ وقت لحفظ القرآن الكريم لكوني طبيبة وربَّة بيت معًا، فما العمل؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

يقول الله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. فلتحفظي ما استطعتِ، وينبغي لك أن تحفظي بضع آيات من القرآن، أو شيئًا من قصار السُّور لتصلي به.

والله ﷻ يسَّر القرآن للحفظ والتلاوة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧]، فإن لم يتيسر لها أن تحفظ شيئًا من القرآن فوق ما تصلي به، فلا تحرم نفسها من تلاوة القرآن ما استطاعت. وإن لم تستطع فلا تحرم نفسها من سماع القرآن، فمن فضل الله على الأُمَّة، ومن حفظه للقرآن أنَّه الآن أصبح مسجَّلًا بأصوات القراء المشاهير: الشيخ الحصري، والشيخ البنا، والشيخ المنشاوي، وغيرهم، فتستطيع الأخت وهي في طريقها للعمل: أن تضع الشريط في مسجِّل السَّيَّارة وتستمع

QaradawiBooks.com

إلى القرآن، حتَّى لا تنقطع صلتها بالقرآن الكريم، وحتَّى لا تكون ممَّن يقول الرسول يوم القيامة فيهم: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]. ولقد كان بعض السَّلف إذا شُغل عن ورده من القرآن نظر في المصحف وقرأ بعض الآيات الكريمة، وقال: حتَّى لا أكون ممَّن اتخذوا هذا القرآن مهجورًا.

وأذكر الأخت الفاضلة بأن كلَّ حرف يتلوه الإنسان أو يسمعه له به عشر حسنات، كما جاء في الحديث: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ حرف. ولكنْ ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**»[1].

(١) سبق تخريجه صـ٢١٩.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حكم نسيان القرآن

س: بعض النَّاس يقول: إنَّ نسيان آية من آيات القرآن الكريم الَّتي حفظها الإنسان من الذنوب العظيمة. بل إنَّ بعضهم يقول: إنَّها كبيرة من الكبائر. لذلك فإنِّي أرى ويرى الكثيرون أنَّ تلاوة القرآن بغير حفظ أولى، خوفًا من أن ينسى الإنسان ما حفظه، فيقع في هذا الذنب الكبير، فما رأي فضيلتكم في ذلك، وخصوصًا إذا كان النسيان بغير قصد؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فالذين يقولون: إنَّ نسيان أيِّ آية من آيات القرآن الكريم الَّتي حفظها الإنسان من الذنوب العظيمة، يعتمدون على حديث رواه التِّرْمِذيُّ وأبو داود عن أنس بن مالك: قال: قال رسول الله ﷺ: «**عُرِضَتْ عليَّ أجورُ أُمَّتي، حتَّى القذاةُ يُخرجها الرجلُ من المسجد، وعُرِضَت على ذنوبُ أُمَّتي، فلم أرَ ذنبًا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتِيَها رجلٌ ثم نَسِيها**»[1].

(١) رواه أبو داود في الصلاة (٤٦١)، والترمذي في فضائل القرآن (٢٩١٦)، وقال: حديث غريب. =

QaradawiBooks.com

لكنَّ أصحاب التحقيق من العلماء، وأئمَّة الحديث العارفين بصحيح الحديث وضعيفه قالوا: إنَّ هذا الحديث ضعيف.

والحديث الضعيف لا يُؤخذ منه حكم شرعي، وهذا مقرَّر عند أهل العلم، وإن رَخَّص بعضهم في العمل بالأحاديث الضعيفة في الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال، فيما ثبت أصله بالكتاب والسُّنَّة الصحيحة، واشترطوا لذلك ألَّا يكون الحديث شديد الضعف، بل ضعفه ضعف يسير، أما هنا ففي الحديث حكم بأن نسيان القرآن من أكبر الذنوب، وهذا لا يكفي فيه حديث ضعيف.

ومما يدلُّ على ضعف هذا الحديث أنَّنا لو أخذنا به، لمنع النَّاس من الحفظ؛ فحفظ القرآن ليس فرضًا، الفرض أن يحفظ الفاتحة وبعض آيات أو سور ليقرأها في صلاته، وما عدا ذلك ليس فرضًا، فإذا كان نسيان شيء ممَّا حفظت كبيرة من الكبائر، أو ذنبًا من الذنوب العظيمة! فسيقول كثير من النَّاس كما قال الأخ السّائل: الأولى ألَّا أحفظ القرآن!

وعلى تقدير صحَّة الحديث فهو ليس في النسيان الَّذي يطرأ على الإنسان ويعرض له، ولكنَّه النسيان بمعنى الإعراض عنه وترك العمل، فيكون معنى الحديث على معنى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٦].

قال ابن عُيَيْنة: النسيان المذموم هو ترك العمل به، وليس من انتهى حفظه وتفلَّت منه بناسٍ له إذا عمل به، ولو كان كذلك ما نسي ﷺ شيئًا

= وابن خزيمة (١٢٩٧)، وضعف إسناده النووي في خلاصة الأحكام (٨٨٤)، وضعفه الألباني في الجامع الصغير (٨١٣٩)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

منه، قال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ [الأعلى: ٦، ٧][(١)]. وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمع النَّبيّ ﷺ رجلًا يقرأ في المسجد، فقال: «**رحمه الله، لقد أذكرني كذا وكذا آية، أسقطتهنَّ من سورة كذا وكذا**»[(٢)].

ومع ذلك، فمطلوبٌ من المسلم أن يحفظ القرآن لحديث عثمان، عن النبيِّ ﷺ قال: «**خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه**»[(٣)]. وفي رواية: «**إنَّ أفضلكم من تعلَّم القرآن وعلَّمه**»[(٤)]. وعليه أن يحرص على ألَّا ينساه، وأن يتعاهده، كما جاء في الحديث المتفق عليه: «**تعاهدوا القرآن، فوالَّذي نفسي بيده، لهو أشد تفصِّيًا** ـ أي تَفَلُّتًا ـ **من الإبل في عُقُلها**»[(٥)]. وقوله ﷺ: «**إنَّما مَثَل صاحب القرآن كمَثَل صاحب الإبل المعقَّلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت**»[(٦)]. فالقرآن يحتاج إلى تعهُّد ومراجعة مستمرة. ولذلك حفاظ القرآن يقولون: القرآن غلَّاب: أي مهما حفظته قد يغلبك وتنسى منه شيئًا، وتشتبه عليك الآيات.

وعلاج النسيان أن يداوم الحافظ لكتاب الله على مراجعة القرآن ما استطاع، والأولى بحافظ القرآن أن يقرأ كلّ يوم بعضًا من القرآن، أن

---

(١) شرح الزرقاني على موطأ مالك (١١/٢)، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٥٥)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٧٨٨).

(٣) سبق تخريجه صـ ٢٨٨.

(٤) سبق تخريجه صـ ٢٨٨.

(٥) سبق تخريجه صـ ٢٩٠.

(٦) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٣١)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٨٩)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

يقرأ من القرآن يوميًّا، ويقرأه في الصلوات، في كلِّ صلاة يقرأ شيئًا ممَّا يحفظ، حتَّى يظل القرآن حاضرًا حيًّا في ذاكرتــه ولا يضيع منه. أمَّا إذا حفظ الإنســان الآية من القرآن ثم نسيها بغير تقصير منه فلا شيء عليه، ولم يصحَّ ما ورد في ذلك عن رسول الله ﷺ، كما ذكرنا.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الحكم إذا وقع المصحف من الإنسان

س: هل على الإنسان فدية أو واجب معين إذا وقع المصحف من يده؟

الأخت

(م. م)

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

إذا وقع المصحف من الإنسان رغمًا عنه، أي عن طريق الخطأ لا التعمُّد، كأنْ كان يتناوله من مكانٍ أو من آخر فسقط من يده بالخطأ، فلا شيء عليه، ويسارع إلى تناوله، ولا حرج في ذلك، الله تعالى يقول: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥]. والله تعالى يعلمنا أن نقول في خواتيم سورة البقرة: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

QaradawiBooks.com

والنبيُّ ﷺ يقــول: «**إنَّ الله قــد تجاوز لأُمَّتــي الخطأ والنســيان، وما استكرهوا عليه**»[١]. فلا حرج على الإنسان إذا وقع المصحف منه عن طريق الخطأ.

(١) رواه ابن ماجه في الطلاق (٢٠٤٥)، وابن حبان في مناقب الصحابة (٧٢١٩)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري. والطبراني في الأوســط (٢١٣٧)، والحاكم في الطلاق (١٩٨/٢): وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٦٦٤)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

تكرار القصص في القرآن

س: لماذا تكرَّر بعض القصص في القرآن الكريم، كقصص عاد وثمود وبني إسرائيل؟ ألم يكن هناك منذ بدء الخليقة غير هؤلاء؟ ولماذا التكرار؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

اهتمَّ القرآن بذكر السَّابقين الَّذين عند العرب طرف من قصصهم، كما قال القرآن: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٣٨]. هم كانوا يعرفون أنَّ عادًا كانوا في الأحقاف في الربع الخالي، ويعرفون أنَّ ثمود كانوا في مدائن صالح، ويعرفون مساكن قوم لوط، وما حدث لهم، يقول الله تعالى عن قوم لوط ومساكنهم: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٧ ـ ١٣٨]. كان عندهم علم عنهم، وكانوا يسمُّون عادًا وثمود: العرب البائدة، أي: الَّذين بادوا وانتهوا، ولم يبق لهم أثر، وقد صدق القرآن ذلك فقال: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا

QaradawiBooks.com

فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۞ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٦ ـ ٨]، وقال: ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۞ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴾ [النجم: ٥٠ ـ ٥١].

فذكرهم الله تعالى بهم، ليأخذوا العبرة والعظة، أن يصيبهم ما أصابهم، فهم يرون ديارهم ومساكنهم، كما قال تعالى: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٨]. وكما قال: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۞ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۞ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۞ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۞ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۞ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۞ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۞ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر: ٦ ـ ١٤].

واهتمَّ القرآن ببني إسرائيل أكثر من غيرهم، لماذا؟ لأنَّهم كانوا أُمَّة موحِّدة، اختارهم الله ونصرهم على عدوهم، لتمسكهم بالتوحيد، بعد أن كانوا مستضعفين في الأرض، فلمَّا بدَّلوا وغيروا، وأفسدوا في الأرض، سلَّط الله عليهم من يؤدِّبهم، فهو تحذير للأُمَّة أن تقع فيما وقع فيه بنو إسرائيل، فمن أجل ذلك كان اهتمام القرآن ببني إسرائيل أكثر من غيرهم، اهتم بموسى وبني إسرائيل، حتَّى قال بعض المفسِّرين: كاد القرآن يكون لموسى وقومه.

وأمَّا لماذا التكرار في القصص؟ فأقول: التكرار في القصص هو للتأكيد، كلَّما كرَّرتَ الشيء أكَّدته، فالشيء إذا تكرَّر تقرَّر.

ثم هو ليس تكرارًا محضًا، بل كلَّما ذكر القرآن القصة، كلَّما أتى فيها بشيء جديد، فمثلًا في سورة طه جاء بأشياء في قصَّة موسى ليست في غيرها من السّور، ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۞ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۞ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۞ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا

QaradawiBooks.com

﴿هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۞ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ١٧ ـ ٢١]، هذه المحاورة بين موسى وربِّه لم تأتِ في غير سورة طه.

وفي سورة القصص جاءت تتحدث عن طفولة موسى، وعن شبابه، وعما جرى للرجل الَّذي وكزه موسى فقضى عليه، وعن ذهاب موسى إلى مدين، وعن زواجه هناك بإحدى ابنتي الشيخ الكبير، ولم يذكر ذلك في غيره من السّور، ففي كلّ مرَّة يكرِّر القصة يأتي بأشياء لم ترد من قبل، ولم تذكر في القصة، كما تأخذ للشخص الواحد عدة صور، صورة له وهو جالس، وصورة وهو واقف، وصورة وهو يبتسم، فهذا ليس تكرارا، إنَّما في الواقع الشخص واحد، ولكن الصور متغيرة، كلّ صورة تبرز جانبًا لم تبرزه صورة أخرى، فهذا هو شأن التكرار في القرآن الكريم.

والحقُّ أنَّ ما نظنُّه أو نسميه تكرارًا في القرآن ليس تكرارًا، بل هو تنوُّع في الأسلوب. يقول الإمام ابن تيمية عن قصَّة موسى وتكرارها في القرآن: «وقد ذكر الله هذه القصة في عدَّة مواضع من القرآن، يُبيِّن في كلِّ موضع منها من الاعتبار والاستدلال نوعًا غير النوع الآخر، كما يسمِّي الله رسوله وكتابه بأسماء متعدِّدة، كلُّ اسم منها يدلُّ على معنى لم يدلُّ عليه الاسم الآخر، وليس في هذا تكرار بل فيه تنويع الآيات، مثل: أسماء النَّبيّ ﷺ إذا قيل: محمَّد وأحمد، والحاشر والعاقب والمقفِّي، ونبي الرحمة ونبي التَّوبة ونبي الملحمة، في كلّ اسم دلالة على معنى ليس في الاسم الآخر، وإن كانت الذات واحدة، فالصفات متنوِّعة، وليس في القرآن تكرار أصلًا»[1].

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦٧/١٩، ١٦٨)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

ويقــول صاحب الظلال: «ويحســب أنــاس أنَّ هنالك تكــرارًا في القصص القرآني، لأنَّ القصَّة الواحدة قد يتكرَّر عرضها في سور شتَّى.

ولكن النظرة الفاحصة تؤكِّد أنَّه ما من قصَّــة، أو حلقة من قصَّة قد تكرَّرت في صورة واحدة، من ناحية القدر الَّذي يساق، وطريقة الأداء في السّــياق. وأنَّه حيثما تكرَّرت حلقة كان هنالك جديدٌ تؤديه، ينفي حقيقة التكرار»[1].

(١) في ظلال القرآن (٥٥/١).

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

السجع في القرآن

س: البعض يقول: نرى السَّجع المتكلَّف أو شبه المتكلَّف في القرآن والسُّنَّة، فما رأيكم في هذا؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

لا يوجد في القرآن ولا في السُّنَّة سجع متكلَّف، بالعكس القرآن يقول مثلًا: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ١ ـ ٩]، لو كان السَّجع هنا ـ أو الفاصلة القرآنية، وهو التعبير الأولى ـ متكلَّفًا ما كرَّر كلمة الميزان؛ لأنَّ السَّاجع الَّذي يتكلَّف السَّجع لا يُكرِّر الكلمة الواحدة.

ثم قال تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ۝ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ﴾ [الرحمن: ١٠ ـ ١١]، فعدل عن الألف والنون إلى الألف والميم،

نسخة تجريبية

وبعد ذلك قال: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧]، فعدل عن الألف والميم إلى الياء والنون.

وهذه الفواصل أحيانًا يكون المقصود منها الإيقاع، مثلًا: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۞ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۞ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۞ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ [الذاريات: ١ ـ ٤]، ذروا ويسرا هذه ليست سجعًا، إنَّما إيقاع واحد، وبعدها: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۞ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ﴾ [الذاريات: ٥ ـ ٦]، الإيقاع واحد ولكن لم يلتزم السَّجع.

أحيانًا يكون السَّجع ماضيًا كما في قوله تعالى مثلًا: ﴿وَٱلطُّورِ ۞ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۞ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۞ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾ [الطور: ١ ـ ٤]، ثم يقول: ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۞ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ٥ ـ ٦]، فلو كان السَّجع متكلَّفًا لالتزم أن يأتي بدلًا من كلمة «المرفوع» بكلمة فيها واو وراء، ثم قال بعد ذلك: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۞ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور: ٧ ـ ٨].

فالقرآن لا يمكن أن يتكلَّف السَّجع، فهو كتاب معجِز، هل يتكلَّف الله ﷻ؟! هل هذا معقول؟ فالقرآن له هذا النظم العجيب الغريب المتميِّز، ويؤثر في الإنسان، وكلُّ سورة لها إيقاعها ولحنها وموسيقاها الخاصَّة، فمثلًا: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۞ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۞ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا﴾ هذا إيقاع، بعدها: ﴿وَٱلطُّورِ ۞ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ [الطور: ١، ٢]، إيقاع آخر.

بعدها: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۞ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١ ـ ٤]، إيقاع آخر، وله تأثير في النَّفْس غير تأثير غيره، وكلُّ إيقاع يؤثِّر بصيغةٍ وبطريقةٍ وبأسلوب معين.

بعدها: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۞ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۞ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القمر: ١ ـ ٣]. بعدها: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۞ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١ ـ ٤].

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بعدها: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۞ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۞ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [الواقعة: ١ ـ ٣]، وهكذا، بعدها سورة الحديد بفاصلة أخرى، ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ١ ـ ٣].

السجع في السُّنَّة:

والأحاديث النَّبويَّة ـ أيضًا ـ ما جاء فيها من سجعٍ فليس فيه أيُّ تكلُّف، أدعية وتعوُّذات في غاية السُّهولة واليسر والسلاسة، مثلًا دعاء النَّبيِّ ﷺ: «**اللهمَّ آتِ نفسي تقواها، وزكِّها أنت خير من زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها، اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من علمٍ لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع، ومن نفسٍ لا تشبع، ومن دعوةٍ لا يُستجاب لها**»[(١)].

كذلك دعاؤه ﷺ: «**اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من الجوع؛ فإنَّه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة، فإنَّها بئست البطانة**»[(٢)]. ما أجمل هذا السَّجع!

أو قوله ﷺ: «**تعوَّذوا بالله من جهْد البلاء، ودَرَك الشقاء، وسُوء القضاء، وشماتة الأعداء**»[(٣)]. وقوله: «**ربِّ أعنِّي ولا تعِنْ عليَّ، وانصرني ولا تنصرْ عليَّ، وامكرْ لي ولا تمكرْ عليَّ، واهدِني ويسِّر الهدى إليَّ، وانصرني على من بغى عليَّ، اللهمَّ اجعلني لك شاكرًا، لك ذاكرًا، لك**

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٢)، وأحمد (١٩٣٠٨)، عن زيد بن أرقم.

(٢) رواه أبو داود في الصلاة (١٥٤٧)، والنسائي في الاستعاذة (٥٤٦٨)، وابن ماجه في الأطعمة (٣٣٥٤)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (١٣٨٣)، عن أبي هريرة.

(٣) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في القدر (٦٦١٦)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

راهبًا، لك مِطْواعًــا، إليك مُخبِتًا ـ أو مُنيبًا **ـ ربِّ تقبَّلْ توبتي، واغسِــلْ حَوْبَتي، وأجِبْ دعوتي، وثبِّت حُجَّتي، واهدِ قلبي، وسدِّد لساني، واسلُل سَخِيمةَ قلبي»**[1].

ومعظم أحاديث النَّبيِّ ﷺ مرسلة لا ســجع فيها، فلا يلتزم النَّبيُّ ﷺ السَّــجع كما كان الخطباء والكُتَّاب في قرون التخلُّــف، حينما التزموا السَّجع البارد، إنَّما هو سجع جميل في غاية الروعة، فالسجع الَّذي في القرآن والسُّنَّة ليس سجعًا متكلَّفًا.

(١) رواه أحمد (١٩٩٧)، وقال مخرجوه: إســناده صحيح. وأبو داود في أبــواب الوتر (١٥١٠)، والترمذي في الدعوات (٣٥٥١)، وقال: حسن صحيح. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٨٥)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

قراءة القرآن بالمقلوب لسحر النَّاس

س: ما حكم الإسلام في امرأة تعمل بالسحر، فتقرأ السُّور والآيات بالمقلوب، لتؤذي النَّاس بهذا؟

ابنتكم
(م. م. ح)

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

السِّـــحْرُ محرَّم، وهو من أكبر الكبائر، ففي الحديث عن أبي هُرَيْرة، عن النبيِّ ﷺ قال: «**اجتنبوا السَّـــبع الموبقات**». قالوا: يا رسول الله، وما هنَّ؟ قال: «**الشِّرك بالله، والسِّحر، وقتل النفس الَّتي حرَّم الله إلَّا بالحقِّ، وأكل الربا، وأكل مال اليتيـــم، والتولِّي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**»[1].

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الوصايا (٢٧٦٦)، ومسلم في الإيمان (٨٩)، عن أبي هريرة.

نسخة علمية

وقد يؤدِّي السِّحر بمن يتعاطاه إلى الكفر ـ والعياذ بالله ـ فالله تعالى قال على لسان الملكين: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢]. وإنَّما كان السِّحر كُفرًا؛ لأن فيه استعانة بغير الله تعالى من الجن والشياطين أو الكواكب ونحوها، ولهذا رُوِيَ في الحديث: «**من عقد عُقدة ثم نفث فيها، فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك**»(١).

وهو ـ كما قلنا ـ من كبائر الذنوب في الإسلام وفي الأديان السَّماوية كلها، قال الله لموسى عليه السلام: ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩]. وقال القرآن على لسان موسى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١]. فالسحر إفساد لا يفلح صاحبه.

وعلَّمنا القرآن أن نستعيذ بالله من شرِّ السِّحر وأهله: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤]. أي السَّواحر، فإنَّ السَّاحرات إذا أردن عمل السِّحْر عقدْن الخيوط، ونفثْن على كلِّ عقدة حتَّى ينعقد ما يُرِدْن. ومعنى النفْث: النفخُ مع شيء من الريق.

(١) رواه النسائي في تحريم الدم (٤٠٧٩)، وفي الكبرى في المحاربة (٣٥٢٨)، والطبراني في الأوسط (١٤٦٩)، وقال الذهبي في الميزان في ترجمة عباد بن ميسرة (٣٩٤٤): هذا الحديث لا يصح للين عباد وانقطاعه. وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية بعد أن نقل كلام الذهبي (٨٢/٣): ويتوجه أنه حديث حسن. عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وقد ذهب كثير من أئمَّة السَّلف إلى أنَّ السَّاحر كافر، وأنَّ السِّحر كفر، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد رضي الله عنهم، وجاء عن عدد من الصحابة أنَّ عقوبة السَّاحر ضربة بالسَّيف، ففي صحيح البخاري عن بَجَالة بن عَبْدة قال: كتب إلينا عمر بن الخطاب أن: اقتلوا كلَّ ساحر وساحرة. قال: فقتلنا ثلاث سواحر[١]. وصحَّ قتل السَّاحر عن حفصة أمِّ المؤمنين[٢]، وعن جندب من الصحابة رضي الله عنهم[٣].

وفرَّق بعضهم بين من يستعين في سحره بالكفر فيكفر، وإلا فهو فاسق.

وتشتدُّ الحرمة وتفحش إذا كان السِّحر يستعمل في أغراض هي نفسها محرَّمة، كالتفريق بين المرء وزوجه، والإضرار البدني، وغير ذلك ممَّا يعرف في بيئة السّحَّارين، كهذه الَّتي تقرأ القرآن بالمقلوب لتؤذي النَّاس، إنَّها قبل أن تؤذي النَّاس تؤذي نفسها؛ لأنَّها تعدَّت حدود الله، وحرَّفت آيات الله وقرأتها بالمقلوب، وربُّنا سيقلب رأسها على عقبها، كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

---

(١) رواه أحمد (١٦٥٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط البخاري. وأبو داود في الخراج (٣٠٤٣)، وأبو يعلى (٨٦٠)، وصحَّحه الألباني في الإرواء (١٩١٧)، عن بجالة.

(٢) رواه عبد الرزاق في اللقطة (١٨٧٤٧)، وابن أبي شيبة في الديات (٢٨٤٩١)، عن ابن عمر.

(٣) رواه الترمذي في الحدود (١٤٦٠) مرفوعًا وضعفه، وصحَّحه موقوفًا. والدارقطني في الحدود (٣٢٠٥)، والبيهقي في القسامة (١٣٦/٨).

QaradawiBooks.com

الجمع بين الرجاء والخوف

س: مـــا رأي فضيلتكم فيمن يســـتمع إلى آيـــات الرحمة فقط ولا يستمع إلى آيات العذاب؟ ويكتفي بالقليل من الأعمال ويقول: رحمة الله وسعت كلَّ شيء، هل يتساوى بعمله القليل بمن يعمل لينال أعلى الدرجات في الجنَّة؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

كيف يستمع آيات الرحمة ولا يسمع آيات العذاب؟ الله تعالى يقول: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]. هل ســيقرأ الآية الأولى ويترك الآية الآخِرة! يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦]. هل ســيقرأ نصف الآية ويترك النصف الآخر؟ يقول: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣]. هل سيقرأ نصف الآية ويتــرك النصف الآخــر؟ أيقــرأ: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ ويترك: ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ ؟

نسخة مجانية
غير مصرح للطباعة
QaradawiBooks.com

ما معنى أن يستمع إلى هذه الآيات ويترك هذه الآيات؟ الآيات متصلة بعضها ببعض، المغفرة والرحمة مع البطش والعذاب، وهذا التداخل بين التبشير والإنذار يحدث توازنًا في النفس الإنسانية، وهذه طريقة القرآن، ومنهج القرآن، يمزج الرجاء بالخوف، والخوف بالرجاء، يذكر الجنة ويذكر معها النار، أو العكس، حتَّى يرجو العبد رحمة ربه ويخاف عقابه، كما قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. كما قال في آية أخرى عن بعض عباده: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧].

بل قد تجد هذا المزج في الموضع الواحد، الموضع نفسه بشارة ونذارة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يس: ١١]. لم يقل خشي القهار، أو خشي الجبار. وإنَّما قال: خشي الرحمن. ليكون تخويفًا في تأمين، وتحريكًا في تسكين، الَّذي تخشاه هو الرحمن، فالعبارة الواحدة تجمع الأمرين معًا، تجمع التخويف والترجية، والتحريك والتسكين معا، فليس من الصواب أن يذكر الأخ آيات الرحمة وينسى آيات العذاب، أو يستمع إلى هذه ويغفل تلك.

رحمة الله ليست مطلقة:

أمَّا أن يكتفي الأخ بالقليل من الأعمال ويقول: رحمة ربِّي وسعت كلَّ شيء، فأولًا رحمة الله وسعت كلَّ شيء حقيقة، ولكنَّ الآيات خصَّت هذه الرحمة، حتَّى هذه الآية الَّتي جاءت في سياق الحديث عن سيدنا موسى، ودعائه ربه: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً

QaradawiBooks.com

﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾، فرد الله تعالى: ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٥ ـ ١٥٦]. فقيَّد في العذاب وأطلق في الرحمة، خصص في العذاب وعمَّم في الرحمة. ثم قال بعد هذا مباشرة: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٦ ـ ١٥٧]. فرحمة الله ليست مطلقة هكذا، مفتوحة على مصراعيها، هي مقيدة، ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، وكما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

ولذلك حينما سأل هشام بن عبد الملك الإمام أبا حازم في مقابلة تاريخية ذكرها العلماء، سأله عدة أسئلة، وكان ممَّا سأله أن قال له: يا أبا حازم، ما بالنا نحب الدُّنْيا ونكره الموت؟ فقال له: لأنكم عمرتم دنياكم وخربتم آخرتكم، والإنسان يكره أن ينتقل من العمران إلى الخراب. ثم قال له: فما لنا عند الله؟ قال: اعرض عملك على كتاب الله، فقد قال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣ ـ ١٤]. فلو كان عملك عمل الأبرار فأنت في نعيم، وإن كان عملك عمل الفجار تكون في جحيم، قال: فأين رحمة الله؟ قال: رحمة الله قريب من المحسنين، فإذا كنت تبحث عن رحمة الله فإن رحمة الله قريب من المحسنين[1].

حكم الاتكال على رحمة الله مع ترك العمل:

أمَّا أن يعمل الإنسان المعاصي والسيئات ويتكل على رحمة الله ويقول: ربنا رحمته واسعة، فلا يجوز.

---

(١) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة صـ ١٣٥، تحقيق أ. محمد أحمد دهمان، نشر مكتبة دار البيان، دمشق، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

QaradawiBooks.com

ما بـــالُ قلبِك ترضى أن تدنِّسَـــه وثوبُك الدهرَ مغسولٌ من الدَّنَسِ؟
ترجو النَّجاةَ ولم تسلُكْ مسالكَها إنَّ السَّفينةَ لا تجري على اليَبَسِ[1]!

ترجـــو النجاة من النَّـــار ومن عذاب الله وأنت لم تســـلك مســـالك الناجين؟ السَّفينة لا تجري على اليابسة، لكنَّها تجري في الماء، تريد أن تجعل المركب تمشي على الأرض الجافة؟ هذا غير ممكن!

وما معنى أنَّ الأخ يعمـــل قليلًا؟ هل يـــؤدِّي الفرائض؟ إذا كان يؤدِّي الفرائض ويجتنب الكبائر، فهو إلى خير إن شـــاء الله؛ لأن أهم شيء أن يؤدِّي الإنســـان الفرائض، النَّبيّ ﷺ جاءه أعرابي يسأل عن الإســـلام، فقال رســـول الله ﷺ: «**خمس صلوات في اليوم والليلة**». فقال: هل عليَّ غيرهن؟ قال: «**لا، إلَّا أن تطوَّع. وصيام شهر رمضان**». فقال: هل عليَّ غيره؟ فقال: «**لا، إلَّا أن تطوَّع**». وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة، فقال: هـــل عليَّ غيرها؟ قال: «**لا، إلَّا أن تطـــوَّع**». قال: فأدبر الرجل وهو يقـــول: والله، لا أزيـــد على هذا، ولا أنقـــص منه. فقال رسول الله ﷺ: «**أفلح إن صدق**»[2].

فمعنى هذا أنَّ الإنســـان إذا كانت أعماله قليلـــة، ولكنَّه يحافظ على الفرائض محافظة جيدة، بحيث لا يخرِمها ولا يخدشـــها، ويحافظ على الامتناع عن المحرمات وخصوصًا الكبائـــر؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]. ثم بعد ذلك الصلاة والصيام وغيرها إذا أداها الإنسان على وجهها تكفر عنه الصغائر، كما جاء في صحيح مسلم أنَّ النَّبيَّ ﷺ

(١) من شعر أبي العتاهية كما في ديوانه صـ ٢٣٠، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٦م.
(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري (٤٦)، ومسلم (١١)، كلاهما في الإيمان، عن طلحة بن عبيد الله.

QaradawiBooks.com

قال: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، كفارات لما بينهنَّ ما لم تُغْشَ الكبائر**»[١].

غير مرخصة للطباعة

الاتِّكال على رحمة الله مع قلَّة العمل:

فإذا كان يفعل هذه الأشياء ويتَّكل على عفو الله، فلا بأس بذلك، أما إذا كان يرتكب المحرمات، ويعمل القليل من الحسنات، ويتَّكل على عفو الله؛ فلا.

هناك ميزان سيحكم، الحَكَم هو الميزان، يوم تُنصب الموازين، وتنشر الدواوين، كلّ منَّا يقرأ كتابه، ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]. انظر ميزانك، لا أحد يظلمك، ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧]، ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ﴿ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠].

فالميزان هو الحَكَم، كما قال الله ﷻ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨]. من ثقُلَتْ ورجحت كفة حسناته ولو بحسنة واحدة؛ فهو من أهل الجنة، أما إذا كانت كِفَّة السّيئات هي الراجحة وهي الثقيلة كان ـ والعياذ بالله ـ من أهل النار، ولو فرض أنَّهما تساويا وتعادلا ـ وهذا نادر ـ فهو إلى الله ﷻ، والغالب أنه ينجو إن شاء الله؛ لأنَّه أقرب إلى عفو الله ﷻ.

(١) رواه مسلم في الطهارة (٢٣٣)، وأحمد (٨٧١٥)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

المؤمن يترقى بنفسه:

ولكن المفروض أنَّ المسلم يحاول أن يترقى بنفسه، والطالب الكسول هو من يقول: أنجح بتقدير مقبول. يا أخي، أَعْلِ همَّتك، قل: أنجح بتقدير جيِّد. وإذا كانت لديك همة أعلى قل: أنجح بتقدير جيد جدًّا. وإذا كانت الهمَّة أعلى وأعلى قل: أريد أنجح بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى.

فالمسلم ينبغي أن يرتقي بنفسه، الله تعالى يقول: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ﴾ [الزمر: ١٧ ـ ١٨]. ليس فقط يتبع الحسن، وإنَّما يتبع الأحسن.

﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]. فلا ينبغي أن يكتفي بالفرائض، وإنَّما يحاول أن يؤدِّي السّنن والنوافل، كما قال الله تعالى في الحديث القدسي: «**وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ ممَّا افترضتُ عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتَّى أحبَّه، فإذا أحببته، كنتُ سمعَه الَّذي يسمع به، وبصره الَّذي يبصر به، ويده الَّتي يبطش بها، ورجله الَّتي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه**»[1]. أي أنه يصبح ربانيًّا في حركاته وسكناته وأموره كلها.

إذا تقرَّب إلى الله بالفرائض وصل إلى مرتبة القرب، فإذا زاد بالنوافل وصل إلى مرتبة الحبِّ، أحبَّ الله، وأحبَّه الله ﷻ.

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٥٠٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

المؤمن يطلب الأفضل:

فعلى المسلم ألَّا يكتفي بأقلِّ الدرجات، بل يحاول أن يصل إلى أعلى الدرجات، النَّبيُّ ﷺ يقول: «**إذا سألتم الله، فاسألوه الفردوس؛ فإنَّه أوسط الجنَّة، وأعلى الجنَّة، وفوقه عرش الرحمن** ﷻ»[1].

فالمطلوب من المؤمن أن يطلب أعلى الدرجات، ولا يتساوى من يرضى بأدنى الدرجات بمن يطلب أعلى الدرجات، الله تعالى يقول: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۞ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥ ـ ٩٦].

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٧٩٠)، وأحمد (٨٤١٩)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

دعوة يوسف عليه السلام

س: ما الحكمة من إرسال يوسف عليه السلام إلى أهل مصر، فهم كانوا موحدين، نادى فيهم أخناتون بالتوحيد من قبل، ولم نعلم أن قوم مصر عارضوه أو قاتلوه كما هو شأن كلّ نبي؟ وعلى ذلك هل مغزى قصَّة يوسف عليه السلام أن جهاد النفس بالصبر والإيمان هو الجهاد المقصود، وأنَّه بصلاح الوالي تصلح الرعية، وأن هداية الوالي هداية لأمته؟

بهاء حسن

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

يبدو أنَّ الأخ الكريم لم يقرأ قصَّة يوسف في القرآن قراءة جيِّدة؛ لأنَّ يوسف عليه السلام بُعث في قوم وثنيِّين، هذا ما نطق به القرآن الكريم، وهو أمر واضح، يذكر القرآن أن يوسف عليه السلام قال للسجينَيْن معه: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۞ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٣٩ ـ ٤٠].

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

وأحبُّ أن أقول للأخ: إنَّ الَّذين كانوا يحكمون مصر في ذلك الوقت لم يكونوا الفراعنة، وإنَّما كانوا ملوك الرعاة، أو العمالقة الَّذين وفدوا من الجزيرة العربية، وهم الهكسوس، ولذلك من إعجاز التعبير في القرآن أنه لم يسمِّ الحاكم هنا فرعون، التوراة تسميه: فرعون مصر، أما القرآن فيسميه الملك. ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾ [يوسف: ٥٤]. فكان حاكم مصر في ذلك الوقت الَّذي يمثِّل السّلطة العليا يلقب بالملك، وتحت سلطانه العزيز، وهو بمنزلة رئيس الوزراء اليوم، ويمثِّل السُّلطة التنفيذية، فحكَّام مصر في ذلك الوقت لم يكونوا فراعنة، وإنَّما كانوا من العمالقة، وظلُّوا يحكمون مصر إلى أن طردهم أحمس، وأعاد حكم الفراعنة.

وأضيف أن ما دعا إليه إخناتون لم يكن توحيدًا خالصًا، وإنَّما توحيد مشوب بالوثنية، كما حكى ذلك المؤرِّخون الَّذين أرَّخوا للفراعنة وأسرهم، وأعتقد أن ذلك كان بعد يوسف عليه السلام، ولم يكن قبله.

ثم إنَّ الأخ يقول بأنَّه لم يعرف أن القوم عارضوه، ولو قرأ القرآن لعرف ذلك، في سورة غافر على لسان مؤمن آل فرعون، وهو يدعو المصريين من قومه: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ [غافر: ٣٤]. معنى ذلك أنَّهم لم يصدِّقوه، ولم يؤمنوا به، ولم يدخل في رسالته إلَّا أفراد منهم، فالكلام الَّذي يقوله الأخ مبنيٌّ على دراسة قاصرة وناقصة للقرآن الكريم، لو تأمَّل القرآن وتأمَّل سورة يوسف كلَّها لوجد أن القوم وثنيون من غير شك.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولذلك العلماء يأخذون من قصَّة يوسف أنَّه يجوز للإنسان المؤمن أن يكون وزيرًا في حكومة إنسان كافر، إذا كان في ظنِّه أن يستطيع أن يفعل الخير، ويُقيم العدل فيما تحت يده من سلطة، ويقلِّم أظافر الشرِّ، ويقلِّل من الظلم ما استطاع.

غير صالح للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

في الحديث الشريف وعلومه

الجمع بين الأحاديث

نسخة مجانية

عذاب الميت ببكاء أهله عليه

س: قرأت في بعض الكتب حديثًا منسوبًا إلى النَّبيِّ ﷺ يقول: «**إنَّ الميِّت ليعذَّب ببكاء أهله عليه**» فأنكرت ذلك؛ لأنَّ القاعدة الَّتي قرَّرها القرآن أنَّ الإنسان لا يسأل عن ذنب غيره: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. فكيف يتَّفق هذا مع تعذيب الميت بذنب الحيِّ وبكائه عليه؟ فهل هذا الحديث صحيح أم لا؟ وإذا كان صحيحًا، فما معناه؟ وكيف نوفِّق بينه وبين ما جاء في القرآن الكريم؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

أمَّا الحديث فهو صحيح، متَّفق على صحته بلا ريب، أخرجه البخاريُّ ومسلم عن ابن عمر بلفظ: أنَّ حفصة بكت على عمر (أي حين طُعن) فقال: مهلًا يا ابنتي! ألم تعلمي أنَّ رسول الله ﷺ قال... فذكره[1].

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري (١٢٨٦)، ومسلم (٩٢٧)، واللفظ له، كلاهما في الجنائز.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وفي رواية: لما طُعن عمر أغمي عليه، فصيح عليه، فلمَّا أفاق: قال: أما علمتم أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الميِّت ليعذَّب ببكاء الحيِّ**»[١] ورواه مسلم أيضًا من حديث أنس[٢].

وللشيخين عن عمر: «**الميِّت يعذَّب في قبره ما نيح عليه**»[٣].

ورواه الشيخان وأحمد والتِّرْمِذيُّ عن المغيرة بلفظ: «**من نِيح عليه يُعذَّب بما نيح عليه**»[٤].

والمهمُّ أنَّ الحديث ثابت عن أكثر من صحابيٍّ بأسانيد صحيحة، ومن وجوه عديدة، حتَّى قال السُّيوطي: متواتر[٥]. فلا مجال للطعن في صحَّته، ولم يبقَ إلَّا البحث في معناه، والتوفيق بينه وبين الآية الكريمة. وهذا ما حاوله العلماء من قديم، وذكروا فيه عدة تأويلات، نقلها الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» وأكتفي هنا بذكر أهمِّها وأرجحها، غير متقيِّد بترتيب الحافظ.

الأول: أنَّ المراد بالعذاب هو العذاب بمعناه اللغوي وهو: مطلق الألم، لا العذاب الأخروي، فالميت يتألم بما يرى من جزع أهله، وما يسمع من بكائهم عليه، فمن المعلوم أنَّ الميت في قبره غير معزول عن أهله وقرابته وأحوالهم. وقد روى الطبري بإسناد صحيح عن أبي هُرَيْرة: «أعمال العباد تُعرض على أقربائه من موتاهم» وهو موقوف في حكم

(١) رواه مسلم في الجنائز (٩٢٧) (١٨).
(٢) رواه مسلم في الجنائز (٩٢٧) (٢١).
(٣) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري (١٢٩٢)، ومسلم (٩٢٧) (١٧)، كلاهما في الجنائز.
(٤) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري (١٢٩١)، ومسلم (٩٣٣)، كلاهما في الجنائز.
(٥) ذكر ذلك المناوي في فيض القدير (٣٩٧/٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المرفوع؛ إذ لا مجال للرأي فيه. وله شاهد من حديث النُّعمان بن بَشِير مرفوعًا. أخرجه البخاري في تاريخه، وصححه الحاكم[١].

قال الحافظ: وهذا اختيار أبي جعفر الطبري من المتقدمين[٢]، ورجحه ابن المرابط وعياض ومن تبعه، ونصره ابن تيمية وجماعة من المتأخرين، واستشهدوا له بحديث قيلة بنت مخرمة: «قلت: يا رسول الله، قد ولدته فقاتل معك يوم الربذة، ثم أصابته الحمى فمات، ونزل عليَّ البكاء! فقال رسول الله ﷺ: «**أيغلب أحدكم أن يصاحب صويحبه في الدُّنْيا معروفًا، وإذا مات استرجع**»[٣]؟ **فوالَّذي نفس محمَّد بيده، إن أحدكم ليبكي، فيستعبر**[٤] **إليه صُوَيْحبه، فيا عباد الله، لا تعذِّبوا موتاكم!**»[٥]. وهذا طرف من حديث طويل حسن الإسناد، أخرجه ابن أبي خيثمة وابن أبي شيبة والطبراني وغيرهم، وأخرج أبو داود والتِّرْمِذيّ طرفًا منه[٦].

قال ابن المرابط: حديث قيلة نصٌّ في المسألة، فلا يعدل عنه[٧].

---

(١) رواه البخاري في التاريخ الكبير (٨/٩)، والحاكم في الرقاق (٣٠٧/٤)، وصحَّحه، وقال الذهبي: فيه مجهولان.

(٢) ورجَّحه من المعاصرين الشيخ أحمد شاكر، وقال: أكاد أجزم به، ولا أرضى غيره. انظر: الحديث رقم (٤٨٦٥) (٤٢٨/٤) من المسند.

(٣) أي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٤) يستعبر: يعني أن الميت يبكي لبكائه.

(٥) رواه ابن أبي خيثمة في التاريخ الكبير (٣٥٦٢) (٨٣٠/٢)، والطبراني (٨/٢٥)، وقال في المجمع (١٢/٦): رجاله ثقات.

(٦) رواه أبو داود في الخراج (٣٠٧٠)، والترمذي في الأدب (٢٨١٤)، وقال: لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن حسان.

(٧) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٥٥/٣)، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

QaradawiBooks.com

الثاني: أنَّ معنى التَّعذيب توبيخ الملائكة له بما يندبه أهله، كما روى أحمد من حديث أبي موسى مرفوعًا: «**الميِّت يُعذَّب ببكاء الحيِّ: إذا قالت النائحة: واعضداه! وانـاصراه! واكاسياه! جُبِذَ الميِّت وقيل له: أنت عضدها؟ أنت ناصرها؟ أنت كاسيها؟**»[(١)].

ورواه ابن ماجه بلفظ: «**يُتعتع به، ويُقال: أنت كذلك؟**»[(٢)].

ورواه التِّرْمِذيُّ بلفظ: «**ما من ميِّت يموت، فتقوم نادبتُه فتقول: واجبلاه! واسنداه! أو شبه ذلك من القول، إلَّا وكل به ملكان يلهزانه: أهكذا كنت؟**»[(٣)].

وشاهده ما روى البخاري في «المغازي» من حديث النُّعمان بن بَشِير، قال: أُغمي على عبد الله بن رَواحة، فجعلت أخته تبكي وتقول: واجبلاه! واكذا، واكذا! فقال حين أفاق: ما قلتِ شيئًا إلَّا قيل لي: أنت كذلك[(٤)]؟!

الثالث: ما اختاره الإمام البخاري، وجزم به: أنَّ المراد بالبكاء في الحديث بعضه، وهو النوح، والمراد بالميِّت بعض الموتى أيضًا، وهو من كان النوح من سُنَّته وطريقته، فكان أسوة سيئة لأهله، أو عرف أنَّ لهم عادة بفعل ذلك، فأهمل نهيهم عنه.

---

(١) رواه أحمد (١٩٧١٦)، وقال مخرجوه: صحيح لغيره. والحاكم في التفسير (٤٧١/٢)، وصحح إسناده، وسكت عنه الذهبي في التلخيص.

(٢) رواه ابن ماجه في الجنائز (١٥٩٤)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٢٩٥).

(٣) رواه الترمذي في الجنائز (١٠٠٣)، وقال: حسن غريب. وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٢٢): حسن لغيره.

(٤) رواه البخاري في المغازي (٤٢٦٧).

QaradawiBooks.com

واستدلَّ البخاري لذلك بأدلَّة ذكرها في ترجمة الباب، منها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ [التحريم: ٦]، وحديث: «**كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته**»[(١)]. وحديث: «**لا تقتل نفس ظلمًا، إلَّا كان على ابن آدم الأوَّل كِفْل من دمها، وذلك لأنَّه أوَّل من سنَّ القتل**»[(٢)].

ومقتضى هذا أنَّ الميِّت إنَّما يُعذَّب لتقصيره في تربية أهله، وإهماله في تأديبهم وتعليمهم، وضعف رعايته لما حمله الله من مسؤولية عنهم، وهو المأمور أن يقيهم النَّار كما يقي نفسه. فالحقيقة أنه يُعاقب بتفريطه وذنبه هو، لا بذنب أهله، أي أنَّه لم يَزِرْ وِزْرَ غيره.

وممَّا يؤيِّد هذا التأويل أنَّ من العرب في الجاهلية من كان يوصي أهله أن يندبوه، وينوحوا عليه بعد موته، كما قال طرفة:

إذا مِتُّ فانعِينِي بما أنا أهلُه وشُقِّي عليَّ الجيبَ يا ابنةَ مَعْبَدِ[(٣)]

أمَّا البكاء من غير نوح فلا عقاب عليه، وقد جاء عن أبي مسعود الأنصاري، وقرظة بن كعب قالا: «رُخِّص لنا في البكاء عند المصيبة في غير نوح»[(٤)].

---

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الجمعة (٨٩٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩).

(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٣٥)، ومسلم في القسامة (١٦٧٧)، عن ابن مسعود.

(٣) انظر: الزاهر للأزهري صـ ٩٥، تحقيق مسعد عبد الحميد السعدني، نشر دار الطلائع.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في الجنائز (١٢٢٦٠)، والطبراني (٣٩/١٩)، والحاكم في النكاح (١٨٤/٢)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٠٥٧): رجاله رجال الصحيح. وقال الحافظ في فتح الباري (١٥٣/٣): صحَّحه الحاكم لكن ليس إسناده على شرط البخاري».

QaradawiBooks.com

قال الحافظ بعد نقل هذه الوجوه الَّتي ذكرناها وغيرها:

«ويحتمل أن يجمع بين هذه التوجيهات، فينزل على اختلاف الأشخاص، بأن يقال مثلًا: من كانت طريقته النوح، فمشى أهله على طريقته، أو بالغ فأوصاهم بذلك، عُذِّب بصنعه. ومن كان يعرف من أهله النياحة، فأهمل نهيهم عنها، فإن كان راضيًا بذلك التحق بالأول، وإن كان غير راضٍ عُذِّب بالتوبيخ: كيف أهمل النهي؟ ومن سلم من ذلك كله، واحتاط، فنهى أهله عن المعصية ثم خالفوه، وفعلوا ذلك، كان تعذيبه تألمه بما يراه منهم من مخالفة أمره، وإقدامهم على معصية ربهم، والله تعالى أعلم بالصواب»[١].

وهناك وجه ذكره العلامة المناوي في «الفيض»، وهو: أن المراد بالميت في الحديث المشرف على الموت، والتعذيب: أنه إذا احتضر، والناس حوله يصرخون ويتضجرون يزيد كربه، وتشتد عليه سكرات الموت، فيصير معذبا به.

قال العراقي: والأَوْلى أن يُقال: سماع صوت البكاء هو نفس العذاب، كما أنَّنا نُعذَّب ببكاء الأطفال. فالحديث على ظاهره بغير تخصيص، وصوَّبه الكرماني[٢] اهـ.

فالعذاب هنا بمعناه اللغوي كما في الوجه الأول، ولكن هنا فسَّر الميت بالمحتضر.

وبهذا يتَّضح لنا أنَّ الحديث لا يعارض القرآن في تقرير مبدأ المسؤولية الفردية، وأن لا مغمز في ثبوته وصحَّته، ما دام له أكثر من وجه صحيح لتأويله.

---

(١) انظر: فتح الباري (١٥٥/٣).

(٢) فيض القدير (٣٩٧/٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قال العلَّامة المُناوي: قال بعض الأعاظم: وبما تقرَّر عرف خطأ من جمد عندما سمع: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، أو غلَّط رواة هذا الخبر، وما هو على نحوه من صحاح الأخبار الَّتي رواها الأعلام عن الأعلام، إلى الفاروق وابنه وغيرهما[١].

ومما لا بدَّ من ذكره في هذا المقام: أن السَّيدة عائشة رضي الله عنها ظنَّت ما ظنَّه الأخ السَّائل، حين سمعت هذا الحديث، فأنكرت على من رواه، متوهِّمة أنَّه يعارض الآية الكريمة، واتَّهمت من رواه عن ابن عمر رضي الله عنهما بالخطأ أو النسيان، وأنَّه لم يسمع الحديث على وجهه، ففي رواية عند مسلم قالت: إنَّما قال رسول الله ﷺ: «**إنَّه ليُعذَّب بخطيئته أو بذنبه، وإنَّ أهله ليبكُون عليه الآن**»[٢].

وفي رواية لهما: إنَّما مرَّ رسول الله ﷺ على يهوديَّة يبكي عليها أهلُها، فقال: «**إنَّهم ليبكُون عليها، وإنَّها لتُعَذَّب في قبرها**»[٣].

وفي روايةٍ أخرى قالت: ولكنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ ليزيد الكافر عذابًا، ببكاء أهله عليه**» وقالت: حسْبكم القرآن: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤][٤].

قال الحافظ ابن حجر: وهذه التأويلات عن عائشة متخالفة، وفيه إشعار بأنَّها لم تردَّ الحديث بحديث آخر، بل بما استشعرت من معارضة القرآن.

---

(١) فيض القدير (٣٩٧/٢).

(٢) رواه مسلم في الجنائز (٩٣٢) (٢٦).

(٣) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري (١٢٨٩)، ومسلم (٩٣٢) (٢٧)، كلاهما في الجنائز.

(٤) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري (١٢٨٨)، ومسلم (٩٢٩)، كلاهما في الجنائز.

QaradawiBooks.com

على أنَّ الرواية الأخيرة لعائشة أثبتت فيها أنَّ الميت يزداد عذابًا ببكاء أهله، وأي فرق بين أن يزداد عذابًا بفعل غيره، وأن يعذَّب ابتداء به؟ فلو أخذ على ظاهره أيضًا لعارض القرآن.

ولهذا لم يرتضِ العلماء موقف عائشة؛ ولا عصمة لأحدٍ دون رسول الله ﷺ.

قال القرطبي: إنكار عائشة ذلك، وحكمها على الراوي بالتخطئة والنسيان، أو على أنَّه سمع بعضًا، ولم يسمع بعضًا بعيد؛ لأنَّ الرواة لهذا المعنى كثيرون، وهم جازمون، فلا وجه للنفي مع إمكان حمله على محمل صحيح[١]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وعائشة أمُّ المؤمنين لها مثل هذا نظائر، تردُّ الحديث بنوع من التأويل والاجتهاد، واعتقادها بطلان معناه، ولا يكون الأمر كذلك[٢] اهـ.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٣١/١٠)، وانظر: فتح الباري (١٥٤/٣).
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٧١/٢٤).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

«لن يفلح قوم ولَّوْا أمرهم امرأة»

س: ما مدى صحَّة الحديث الَّذي يقول: «**لن يُفلح قوم ولَّوا أمرهم امرأة**»؟ فإنَّ بعض من يدَّعون نصرة المرأة يردُّون هذا الحديث قائلين: إنَّه يتنافى مع حديث: «**خذوا نصفَ دينكم عن الحميراء**» يعني عائشة!

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

الجهل مصيبة كبيرة، فإذا اجتمع إليه الهوى كان الطامَّة الكبرى، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

لهذا لا نعجب ـ وقد توافر الجهل والهوى ـ أن يُرَدَّ الحديث الصحيح، ويصحح الحديث المردود.

فالحديث الأول حديث صحيح، مروي عن أبي بكر رضي الله عنه قال: لما بلغ رسول الله ﷺ أن أهل فارس ملَّكوا عليهم بنت كسرى قال:

QaradawiBooks.com

«**لن يفلح قوم ولَّوا أمرهم امرأة**». رواه البخاري وأحمد والنسائي والتِّرْمِذيُّ[١]. وتلقاه علماء المسلمين في سائر الأعصار بالقبول، وبنوا عليه حكمهم بأنَّ المرأة لا تلي على الرجال ولاية عامَّة.

بينما الحديث الآخر: «**خذوا شطرَ دينِكم عن الحميراء**». قال فيه الحافظ ابن حجر: لا أعرف له إسنادًا، ولا رأيته في شيء من كتب الحديث؛ إلَّا في النهاية لابن الأثير، ولم يذكر من خرَّجه[٢]، وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير: ليس له أصل، ولا هو مثبت في شيء من أصول الإسلام، وسألت عنه شيخنا أبا الحجاج المِزِّي فقال: لا أصل له[٣].

هذا إذا نظرنا إلى الحديث من ناحية سنده ورواته.

فإذا نظرنا إليه من ناحية متنه وموضوعه، وجدنا العقل ينكره، والواقع يرده.

(أ) فكيف يأمرنا النَّبيُّ ﷺ أن نأخذ نصف الدِّين عن الحميراء ـ أي عائشة ـ وحدها؟ وماذا نأخذ عن بقية الصحابة وهم كثير؟ وأي نصف نأخذ؟ وأي نصف ندع؟

(ب) على أن كلمة «الحميراء» وهو تصغير تمليح لكلمة «حمراء» من كلمات التدليل والمباسطة الَّتي يجوز أن يذكرها النَّبيُّ عليه السلام في أحاديثه

---

(١) رواه البخاري في المغازي (٤٤٢٥)، وأحمد (٢٠٤٠٢)، والترمذي في الفتن (٢٢٦٢)، والنسائي في آداب القضاة (٥٣٨٨).

(٢) نقل كلام الحافظ ابن حجر السخاوي في المقاصد الحسنة (٤٣٢)، تحقيق محمد عثمان الخشت، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٣٣٩/١١)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

الخاصَّة لنسائه، غير أنه يبعد أن يذكرها في مقام التعليم والإرشاد العام للأُمَّة كالمقام الَّذي معنا.

والواقع يدلنا أيضًا أنَّ علماء الإسلام لم يأخذوا عن عائشة نصف الدين، ولا ربعه ولا عُشره، لا من جهة الرواية، ولا من جهة الدراية.

فمن حيث الرواية نرى ألوفًا من الصحابة ـ رجالًا ونساء ـ أسهموا في تبليغ هدي رسولهم أقوالًا وأفعالًا وأحكامًا وتقريرات، وعائشة فرد من هذا العدد الضخم، ومهما تُكثر، فلن تبلغ ما روى أبو هُرَيْرة.

ومن جهة الدراية والفقه والفتوى لا يقبل العقل ولا الواقع التَّاريخي أن تنفرد عائشة بشطر الدين. فأين نصيب الصحابة الكبار من أمثال أبي بكر وعمر، وعلي وابن مسعود، وأبيِّ بن كعب ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت وأصحاب هذه الطبقة، ثم من خلفهم من الصحابة أمثال العبادلة الأربعة: ابن عمر وابن عبَّاس، وابن عمرو وابن الزبير وغيرهم؟

إنَّ أحاديث الفضائل يجب أن تُؤخذ بحذر شديد، وقد قرَّر الحفَّاظ أن أوَّل معنى طرقه واضعو الحديث هو فضائل الأشخاص، وبخاصَّة الَّذين كان لهم أنصار مغالون وخصوم متطرِّفون، وعائشة رضي الله عنها من هؤلاء.

هذا، وفي آيات الكتاب العزيز من سورة النور وفي السُّنن الصحيحة والحسنة في فضل عائشة ما يغنينا عن حديث يتَّسم بالغلوِّ والإفراط، وينكره العقل والواقع، وقد قال ابن الجوزي في مقدمة كتابه «الموضوعات»: «ما أحسن قول القائل: كلُّ حديثٍ رأيته يخالف المعقول، أو يناقض الأصول، فاعلمْ أنَّه موضوع، فلا تتكلَّف اعتباره»[1].

(١) الموضوعات لابن الجوزي (١٠٦/١)، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، نشر المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط١، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٦م.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

«العجلة من الشيطان»

س: قولان نسمعهما يترددان على الألسن في كثير من المناسبات، يناقض كلاهما الآخر. القول الأول هو: العجلة من الشيطان. والثاني هو: خير البر عاجله. فهل هما حديثان نبويَّان أم لا؟ وإذا كانا حديثين، فكيف نوفق بينهما؟ وإن لم يكونا فأيُّهما الصواب؟ وأيُّهما الخطأ؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

أما القول الأول فهو جزء من حديث بلفظ: «**التأنِّي من الله تعالى، والعجلة من الشيطان**»[(١)]. ومدح الأناة، وذم العجلة، ممَّا استقرت عليه فطر النَّاس، وأجمعوا عليه قديمًا وحديثًا، حتَّى قيل في الأمثال السّائرة: من تأنَّى نال ما تمنى. وقالوا: في التأني السّلامة، وفي العجلة الندامة. وقال المرقِّش:

يا صاحبيَّ تلوَّما لا تعجَلا ... إنَّ النَّجاح رهينُ ألَّا تعجلا[(٢)]

---

(١) رواه أبو يعلى (٤٢٥٦)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢٤١٩)، والهيثمي في المجمع (١٢٦٥٢): رجاله رجال الصحيح. وحسنه الألباني في الصحيحة (١٧٩٥)، عن أنس.

(٢) انظر: المفضليات للمفضل الضبي صـ ٢٢٢. تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، =

QaradawiBooks.com

وقال الآخر:

قد يدرك المتأنِّـي بعضَ حاجته وقد يكون مع المستعجلِ الزللُ[١]

وقال عمرو بن العاص: لا يزال المرء يجتني من ثمرة العجلة النَّدَامة.

وإنَّما كانت العجلة من الشـيطان: لأنَّها ـ كما قـال ابن القيِّم ـ خفة وطيش وحِدَّة في العبد، تمنعه من التثبت والوقار والحلم، وتوجب وضع الشيء في غير محله، وتجلب الشرور، وتمنع الخيور. وهي متولدة بين خلقين مذمومين: التفريط والاستعجال قبل الوقت[٢] اهـ.

وفي الحديث: «**يُستجاب للعبدِ ما لم يستعجلْ**»[٣].

أما القول الآخر: «خيـرُ البرِّ عاجلُه» فقال «العجلوني» في «كشـف الخفاء»: ليس بحديث، ولكـنْ رُوِيَ معناه عن العبَّـاس رضي الله عنه: «لا يتمُّ المعروف إلَّا بتعجيله، فإنَّه إذا عجَّلَه هنَّأه» وشـاع على الألسنة واشتهر: إنَّ الانتظار أشد من الموت[٤].

على أنَّ «البرَّ» أوسع من مجرَّد إسداء المعروف، فهو يشمل كلّ عمل صالح ممَّا يتقرب به المرء إلى الله، أو ينفع به الناس.

= نشـر دار المعارف، القاهرة، ط٦، وهو بلفظ مقـارب في ديوان المرقش الأكبـر، انظر: ديوان المرقشين الأكبر والأصغر صـ ٦٣، تحقيق كارين صادر، نشر دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

(١) البيت لعمير القطامي، كما في معجم الشعراء للمرزباني صـ ٢٢٤، تحقيق أ. د. ف. كرنكو، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

(٢) الروح لابن القيم صـ ٢٥٨، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٤٠)، ومسـلم في الذكـر والدعاء (٢٧٣٥)، عن أبي هريرة.

(٤) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني (١٢٢٩)، نشر مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥١هـ.

QaradawiBooks.com

والتعجيل بالخير والبـــر وعمل الصالحات أمـــر محمود، ندب إليه القرآن والسُّنَّة. ففي القرآن الكريم في معرض المدح: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١]، ﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٤]، ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

فهذا القول الأخير صحيح في معناه، وليس مناقضًا لحديث: «**العجلة من الشيطان**». لأنَّ العقل لا يحكم بوجود التناقض بين قولين أو قضيتين إلَّا إذا ثبت تنافيهما من كلّ الوجوه، وعـــدم التقائهما بصورة ما. أما إذا أمكن تقييد أحدهما بوضع معين أو حالة معينة، فلا تناقض إذن.

وقد نبَّه المحقِّقـــون على أن الأنـــاة إنَّما تمدح، والعجلـــة إنَّما تذم بشروط ثلاثة:

أولًا: ألا يكون الأمر المراد تنفيذه طاعة ظاهرة لله، فإذا كان كذلك، فمن الخير التعجيل به استباقًا للخيرات، ومسارعة فيها كما أمر الله. وقد روى سعد بن أبي وقَّاص، عن النبيِّ ﷺ قال: «**التُّؤدة في كلِّ شيءٍ خير، إلَّا في عمل الآخرة**»[(١)].

دعا أحد الصالحين غلامًا له وهو في الخلاء يقضي حاجته، وأمره أن يتصدَّق بصدقة على فلان من النَّـــاس، فقال له: هلَّا صبرتَ حتَّى تخرج من الخلاء؟ فقـــال حضرتني هذه النيَّة. فأحببـــتُ التعجيل بها، ولا آمَنُ على نفسي التغيُّر[(٢)]!

---

(١) رواه أبو داود فـــي الأدب (٤٨١٠)، والحاكم في الإيمان (٦٣/١)، وصحَّحه على شـــرطهما، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٧٩٤)، عن سعد بن أبي وقاص.

(٢) ذكره القشيري في الرسالة عن أبي الحسن البوشـــنجي (٤٠٥/٢)، تحقيق الإمام الأكبر عبد الحليم محمود ود. محمود بن الشريف، نشر دار المعارف، القاهرة.

QaradawiBooks.com

وعن علـــيٍّ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قـــال: «**ثلاثٌ يا علـــي لا تؤخِّرهن: الصلاةُ إذا أتت، والجِنازة إذا حضرت، والأيِّم إذا وجدت كُفُؤًا**»[(١)].

ولهذا الحديث قصَّة أخرجها ابن دُرَيد والعســكري: أنَّ معاوية قال يومًا وعنده الأحنف بن قيس: ما يعدل الأناة شيء. فقال الأحنف: إلَّا في ثلاث: تبادر بالعمل الصالح أجلك، وتعجل إخراج نعيك، وتُنكِح كفءَ أيِّمك. فقال رجل: إنَّا لا نفتقر في ذلك إلى الأحنف قال: لم؟ قال: لأنَّه عندنا عن رسول الله ﷺ وذكر الحديث[(٢)].

وذكر الغزالي عن حاتـــمٍ الأصمِّ قال: «العجلة من الشـــيطان إلَّا في خمسة، فإنَّها من سُـــنَّة رســـول الله ﷺ: إطعام الطعام، وتجهيز الميِّت، وتزويج البكر، وقضاء الدَّين، والتوبة من الذنب»[(٣)].

وقيل لأبـــي العَيْناء: لا تعجلْ؛ فالعجلةُ من الشـــيطان! فقال: لو كان كذلك لما قال موســـى: ﴿قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤].

الثَّاني: أن يكون مع عدم التثبُّت والتحرِّي والتبيُّن. أمَّا بعد أن يتبيَّن ويتثبَّـــت ويُقدِّم ما يلـــزم تقديمه قبل العمل من الدراســـة والاســـتخارة والاستشـــارة، فلا وجه للتريُّث والإحجام عند ذلك، فقد تنقلب فضيلة

---

(١) رواه أحمد (٨٢٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في الجنائز (١٠٧٥)، وقال: حديث غريب، وما أرى إسناده بمتصل. والحاكم في النكاح (١٦٢/٢)، وقال: حديث غريب صحيح. ووافقه الذهبي، وتعقبـــه ابن حجر في التلخيص الحبير (٢٩٨) فقـــال: غلط الحاكم فيه غلطًا فاحشًا، وإنما رواه ابن وهب، عن ســـعيد بن عبد الله الجهني، لا عن سعيد بن عبد الرحمن الجمحي، وهو مجهول. وضعَّفه الألباني في الضعيفة (٥٧٥١)، عن علي بن أبي طالب.

(٢) فيض القدير للمناوي (٣١٠/٣).

(٣) إحياء علوم الدين (١٦/٢).

QaradawiBooks.com

الأناة حينئذ إلى رذيلة التواني والتباطؤ. وكل شيء زاد عن حده انعكس إلى ضده، ولهذا قيل: لا تعجل عجلة الأخرق، ولا تحجم إحجام الفَرِق! وقال الشاعر:

إذا كنتَ ذا رأيٍ فكنْ ذا عزيمةٍ فإنَّ فسادَ الرأيِ أن تتردَّدا[1]

وفي القرآن الكريم: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

الثَّالث: ألَّا يخاف الإنسان فوت مطلوبه، فإذا كان هناك أمر موقوت بزمن محدود، فلا ينبغي له أن يبالغ في التأني والتثبت، حتَّى يمضي الزمن المقدر، وتفوته الفرصة المواتية، ثم يعض بعد ذلك بنان الندم حيث لا ينفع الندم، وفي ذلك يقول الراجز[2]:

وانتهزِ الفرصةَ إنَّ الفُرْصَةْ تصيرُ إنْ لم تنتهزْها غُصَّةْ

وبالله التوفيق.

(١) هو أبو جعفر المنصور بالله، انظر: الحماسة البصرية (٥٧/٢)، تحقيق مختار الدين أحمد، نشر عالم الكتب، بيروت.

(٢) هو ابن حجة الحموي، انظر كتابه: خزانة الأدب وغاية الأرب (٢١١/١)، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

شهر رجب

س: كثيرًا ما نسمع من خطباء الجمعة ـ وخاصَّة في أوَّل شهر رجب ـ أحاديث يروونها في فضل هذا الشهر، وفي الثواب العظيم الَّذي يعده الله لمن يصوم ولو يومًا واحدًا من هذا الشهر.. ومن هذه الأحاديث: «رجب شهر الله، وشعبان شهري، ورمضان شهر أمتي».

فما رأيكم في هذه الأحاديث؟ وهل صحَّ فيها شيءٌ يُعتدُّ به؟

وما حكم من يروي للناس أحاديث مكذوبة ينسبها للنَّبيِّ ﷺ؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

لم يصح في شهر رجب شيء[1]، إلَّا أنَّه من الأشهر الحرم، الَّتي ذكرها الله في كتابه: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦]. وهي: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم.. وهي أشهر مفضلة.

(١) أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رجب صـ ٤٥، ٤٦، تحقيق محمد زهير الشاويش، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م، وانظر: الفوائد المجموعة صـ ٤٨، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولم يردْ حديثٌ صحيح يخصّ رجب بالفضل، إلَّا حديث حسن أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يصوم أكثر ما يصوم في شعبان، فلما سُئل عن ذلك قال: «**إنَّه شهرٌ يَغْفُل النَّاس عنه بين رجبٍ ورمضانَ**»[١]. فهذا الحديث يفهم منه أنَّ رجبًا له فضل.

أمَّا حديث: «**رجبٌ شهر الله، وشعبانُ شهري، ورمضان شهر أُمَّتي**»[٢]؛ فهو حديث منكر وضعيف جدًّا، بل قال كثير من العلماء: إنَّه موضوع، يعني أنَّه مكذوب، فليس له قيمة من الناحية العلمية ولا من الناحية الدينية.

وكذلك الأحاديث الأخرى الَّتي رويت في فضيلة شهر رجب بأنَّ من صلَّى كذا فله كذا، ومن استغفر مرَّة فله من الأجر كذا.. هذه كلُّها مبالغات، وكلُّها مكذوبة.

ومن علامات كذب هذه الأحاديث ما تشتمل عليه من المبالغات والتهويلات! وقد قال العلماء: إنَّ الوعد بالثواب العظيم على أمر تافه، أو الوعيد بالعذاب الشديد على ذنب صغير، يدلُّ على أن الحديث مكذوب.

كما يقولون مثلًا على لسان النَّبيِّ ﷺ: «لقمةٌ في بطن جائعٍ خيرٌ من بناء ألفِ جامع». هذا حديث يحمل كذبه في نفسه؛ لأنَّه من غير المعقول أنَّ اللقمة في بطن الجائع ثوابها أعظم من الثواب المترتِّب على بناء ألف جامع!

---

(١) رواه أحمد (٢١٧٥٣)، وقال مخرجوه: إسناده حسن. والنسائي في الصيام (٢٣٥٧)، وحسنه البوصيري في الإتحاف (٨٤/٣)، والألباني في الصحيحة (١٨٩٨)، عن أسامة بن زيد.

(٢) انظر: أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رجب صـ ٤٥، ٤٦، والفوائد المجموعة صـ ٤٨.

QaradawiBooks.com

والأحاديث الَّتي وردت في فضل رجبٍ من هذا النوع، وعلى العلماء أن ينبِّهوا على مثل هذه الأحاديث الموضوعة والمكذوبة، ويحذِّروا النَّاس منها؛ فقد جاء أنَّه: «**من حدَّث بحديثٍ يرى أنَّه كذب، فهو أحد الكاذبين**»[1].

ولكنَّ من لا يعلم أنَّ ما يرويه من الأحاديث الموضوعة، فهذا يجب أن يعلم، ويعرف الأحاديث من مصادرها.. فهناك كتب الحديث المعتمدة، وهناك كتب خاصَّة في الإعلام بالأحاديث الضعيفة والموضوعة؛ مثل: «المقاصد الحسنة» للسخاوي، و«تمييز الطيِّب من الخبيث لما يدور على ألسنة النَّاس من الحديث» لابن الديبع، و«كشف الخفاء والإلباس فيما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس» للعَجْلُوني. وهناك كتب كثيرة ينبغي أن يعرفها الخطباء ويكونوا على إلمام بها، حتَّى لا يرووا حديثًا إلَّا إذا كان موثوقًا به، فإنَّه من الآفات الَّتي دخلت ثقافتنا الإسلامية هذه الأحاديث الموضوعة والمدسوسة الَّتي روجت في الخطب وفي الكتب وعلى ألسنة النَّاس، وهي في الحقيقة مكذوبة ودخيلة في الدين.

ولذا ينبغي أن ننقي ونصفي ثقافتنا الإسلامية من هذا النوع من الأحاديث.

وقد وفَّق الله من العلماء من عرَّف النَّاس الأصيل من الدخيل، والمردود من المقبول. وعلينا أن نستفيد من ذلك، ونتبعهم فيما يبينون لنا من علم.. والله وليُّ التوفيق.

---

(١) رواه مسلم في المقدمة (٨/١)، وأحمد (١٨٢٤٠)، والترمذي في العلم (٢٦٦٢)، وقال: حسن صحيح. عن المغيرة بن شعبة.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

دعاء نصف شعبان

س: ما حكم دعاء نصف شعبان؟ وهل ورد في ليلة النصف من شعبان أحاديث صحيحة؟ فنحن الآن في شهر شعبان.. وبعض المسلمين يختصون ليلة النصف من شعبان بصلوات وأدعية يتلونها؛ فهل عملهم هذا مشروع، وهل ورد شيء في فضل هذه الليلة؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

ليلة النصف من شعبان، لم يأتِ فيها حديث وصل إلى درجة الصحة، هناك أحاديث حسَّنها بعض العلماء، وبعضهم ردَّها وقالوا بأنَّه لم يصحَّ في ليلة النصف من شعبان أي حديث[1].

ومما ورد في فضل ليلة النصف من شعبان حديث: «**يَطَّلِعُ اللهُ ﷻ إلى خلقه ليلةَ النِّصْف من شعبان، فيغفرُ لعبادِه إلا لاثنين: مشاحنٍ،**

(١) انظر: تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر (٢٦٣/٣)، تحقيق عبد الله بن عبد الرحمن السعد، نشر دار ابن خزيمة، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ، والسلسلة الصحيحة للألباني (١٣٥/٣).

QaradawiBooks.com

وقاتل نفس»[١]، وهذا الحديث قد حسَّنه بعض العلماء، وضعَّفه بعضهم، حتَّى قال الفقيه القاضي أبو بكر ابن العربي: وليس في ليلة النصف من شعبان حديث يعوَّل عليه، لا في فضلها، ولا في نسخ الآجال فيها، فلا تلتفتوا إليها[٢].

ولو قبلنا الأحاديث الواردة في فضل هذه الليلة وإحيائها بالطاعة؛ فلم يرد عن النبيِّ ﷺ ولا عن الصحابة ولا عن أهل القرون الأولى وهم خير القرون؛ لم يرد عنهم أنَّهم كانوا يتجمعون في المساجد لإحياء هذه الليلة، ويتلون دعاء خاصًّا ويقيمون صلوات خاصة، كالتي نعرفها في بعض بلاد المسلمين، فبعض البلاد يتجمع النَّاس فيها بعد المغرب في الجوامع، ويقرؤون سورة «يس» ثم يصلون ركعتين بنيَّة طول العمر! وركعتين أُخريَين بنية الغنى عن النَّاس، ثم يتلون دعاء لم يؤثر عن أحد من السَّلف، وهو دعاء طويل، وهو مخالف للنصوص ومتناقض، ومتعارض في معناه أيضًا، ففي هذا الدعاء يقول الداعي: اللهمَّ إن كنتَ كتبتني عندك في أمِّ الكتاب شقيًّا أو محرومًا أو مطرودًا أو مقتَّرًا عليَّ في الرزق، فامحُ اللهمَّ بفضلك شقاوتي وحرماني وطردي وإقتار رزقي، وأثْبِتْني عندك في أم الكتاب سعيدًا مرزوقًا موفَّقًا للخيرات كلِّها، فإنَّك قلت وقولك الحقّ في كتابك المنزل على لسان نبيك المرسل: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩].

هذا نصُّ الدعاء، وهو متناقض كما ترون فهو يقول: إن كنتَ كتبتني عندك في أمِّ الكتاب كذا فامحُ هذا الَّذي كتبته، وأثبتني عندك في أمِّ

(١) رواه أحمد (٦٦٤٢)، وقال مخرجوه: حديث صحيح بشواهده. وقال الهيثمي في مجمع (١٢٩٦١): رواه أحمد، وفيه ابن لهيعة وهو لين الحديث، وبقية رجاله وثقوا. عن عبد الله بن عمرو.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (١١٧/٤)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

QaradawiBooks.com

الكتاب على خلاف هذا؛ لأنَّك قلت: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩]. ومعنى الآية أن أمَّ الكتاب لا محو فيه ولا إثبات.. وإنَّما المحو والإثبات فيما عدا ذلك من صحف الملائكة وغيرها، فإنْ كان هذا هو معنى الآية، فكيف يطلب العبد من ربه أن «يمحو ويُثبت في أم الكتاب»، وهو لا محو فيه ولا إثبات؟!

ثم أي دعاء هذا الَّذي يقول فيه القائل هذا الترديد: إن كنت فعلت كذا فامح كذا، أو افعل كذا.. مع أنَّ النَّبيّ ﷺ أمرنا إذا دعونا أن نجزم المسألة، نجزم ولا نتردد في الدعاء؛ فلا نشكك، ولا نتشكك.

وهذا يدلُّنا على أن الأدعية الَّتي يضعها البشر ويخترعونها كثيرًا ما تكون قاصرة عن أداء المعنى، بل قد تكون محرفة ومغلوطة ومتناقضة، إنَّه ليس أفضل من الأدعية المأثورة، ففيها الروعة والبلاغة وحسن الأداء، والمعاني الجامعة في ألفاظ قليلة، فليس هناك أفضل ممَّا ورد عن النبيِّ ﷺ من أدعية مأثورة؛ لأنَّه يترتَّب عليها أجران: أجر الاتباع، وأجر الذكر.

فعلينا دائمًا أن نحفظ هذه الأدعية النبوية، وأن ندعو بها.

وفي هذا الدعاء أيضًا يقول القائل: إلهي بالتجلِّي الأعظم في ليلة النصف من شهر شعبان المكرَّم، الَّتي يُفْرَق فيها كلُّ أمرٍ حكيم ويبرم، أن ترفع عنَّا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم!

وهذا خطأ أيضًا؛ فالليلة الَّتي يفرق فيها كلُّ أمر حكيم إنَّما هي الليلة الَّتي نزل فيها القرآن، وهي ليلة القدر: ليلة التجلي الأعظم، وهي في رمضان بنصِّ القرآن. قال تعالى في سورة الدخان: ﴿حمٓ ۞ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۞ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۞ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ١ ـ ٤]،

QaradawiBooks.com

وقال في سورة القدر: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، وقال في سورة البقرة: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فالليلة الَّتي يفرق فيها كلُّ أمر حكيم هي في رمضان بيقين، وهي ليلة القدر بالإجماع.

وما رُوي عن قتادة أنَّ ليلة النصف هي الَّتي يُفرَقُ فيها كلُّ أمر حكيم؛ فهو ضعيف ومضطرب. وجاء عن قتادة نفسه أنَّها ليلة القدر[(١)].

وما جاء في حديث أنَّ ليلة النصف من شعبان تقطع الآجال من شعبانَ إلى شعبانَ[(٢)]، فهذا أيضًا حديث ضعيف كما قال ابن كثير[(٣)]. وهو مخالف للنُّصوص!

ومن هنا نرى أنَّ هذا الدعاء مليء بالأغلاط، وهو دعاء لم يرد عن النبيِّ ﷺ، ولا عن خير القرون، ولا عن السَّلف.

وكل هذه التعبُّدات ما أمر الشرع بها، والأصل في العبادات الحظر.. فليس للإنسان أن يخترع في عباداته ما يشاء؛ لأن الَّذي من حقّه أن يعبده النَّاس، وأن يرسم لهم طريقة العبادة هو الله ﷻ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، فعلينا أن نقف عند ما ورد، ولا نفعل أكثر من الدعاء المأثور، إن كان ذلك حسنًا. والله أعلم.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٩/٢٢).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٠/٢٢).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٤٦/٧)، وقال: حديث مرسل، ومثله لا يعارض به النصوص.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فهذا التجمُّع بالصورة الَّتي نراها ونسمع عنها في بعض بلاد الإسلام مبتدَع ومُحدَث، والأولى أن نقف في العبادات عندما ورد، فكل خير في اتِّباع من سلف، وكل شرٍّ في ابتداع من خلف. وكلُّ مُحدَثة بدعة، وكلُّ بدعةٍ ضلالة، وكلُّ ضلالة في النَّار.

وفَّقنا اللهُ إلى اتِّباع ما جاء عن رسوله ﷺ وعن أصحابه.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

أحاديث أسيء فهمها

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

حديث: «اللهمَّ أَعْطِ منفقًا خَلَفًا»

س: في الحديث أنَّ النَّبيَّ ﷺ يقول: «**ما من يوم طلعت شمسُه إلَّا وملكان يناديان: اللهمَّ أعطِ منفقًا خلفًا، ومُمْسكًا تلفًا**».

هذا، ولكنَّنا نرى عكس الحديث في الحياة! نرى أناسًا ينفقون ويتصدَّقون ويفعلون الخير، وهم في ضِيق من العيش، ونرى غيرهم ممسكين بخلاء لا ينفقون مليمًا واحدًا لوجه الله، وحالتهم المالية في ازدياد، فهل هذا الحديث صحيح أم مكذوب؟ وإذا كان صحيحًا فأين خلف المنفقين، وتلف الممسكين؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

الحديث المذكور حديث صحيح، متفق عليه، عن أبي هُرَيْرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلَّا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهمَّ أعطِ منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهمَّ أعطِ ممسكًا تلفًا**»[1].

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠)، كلاهما في الزكاة، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

وقد ورد في معنى الحديث أحاديث أُخَر، كلها تؤيد هذا المعنى، منها ما رواه مسلم والتِّرْمِذيّ، عن أبي أمامة، عن رسول الله ﷺ قال: «**يا ابن آدم، إنك أن تبذل الفضل خير لك، وأن تمسكه شرٌّ لك**»(١).

وهل هناك أصدق من كتاب الله الَّذي يقول في الحث على الإنفاق والانتصار على دواعي البخل: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، ويقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

قال ابن كثير في تفسيرها: أي مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم الله به وأباحه لكم، فهو يخلفه عليكم في الدُّنْيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب. كما ثبت في الحديث، ويقول الله تعالى: «**أَنفِقْ أُنفِقْ عليك**»(٢).

والَّذي أثار اللبس عند السَّائل إنَّما هو حصره للخلف والتلف في دائرة المال. والأمر أعمق من هذا وأوسع، فالخلف هو العوض الَّذي يكافئ به الله الغني الكريم عباده المنفقين، وهو أكرم من أن يجعله مقصورًا على المال فقط، بل قد يكون صلاحًا في الأهل، أو نجابة في الأولاد، أو عافية في البدن أو بركة في القليل، وقد يكون أمرًا معنويًّا خالصًا، كهداية إلى حق، وتوفيق إلى خير، وانشراح في الصدر، وسكينة في القلب، ومحبة في نفوس الخلق، وشعور بحلاوة الإيمان ورضوان الله تعالى، فضلًا عمَّا أعدَّه الله في الآخرة لعباده الصالحين، ممَّا لا عين

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠٣٦)، والترمذي في الزهد (٢٣٤٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٥٢٣/٦). والحديث متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٦٨٤)، ومسلم في الزكاة (٩٩٣)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧].

إنَّ مكافأة الله المنفقين في سبيله لأعظم من أن تقتصر على الحياة الدُّنْيا، ﴿ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [الأعلى: ١٧]، وأرفع من أن تقتصر على الرزق المادي وحده، والعارفون يعلمون أنَّ الأرزاق الروحيَّة أنفس وأخلد من كلِّ ما ترنو إليه الأبصار من متاع الدنيا. وموازين الله ورسوله في تقدير الأشياء ليست كموازين أهل الدنيا. اقرأ هذه الآيات: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨]، ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ١٣١]، ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف: ٤٦]، ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى: ٢٠].

واقرأ هذه الأحاديث: «**ركعتا الفجر خيرٌ من الدُّنْيا وما فيها**»[(١)]، «**لغَدْوَةٌ في سبيل الله أو رَوْحة خيرٌ من الدُّنْيا وما فيها، وموضع سوطِ أحدِكم من الجنَّة خير من الدُّنْيا وما فيها**»[(٢)].

وإذا اتضح لنا معنى دعاء الملك: «**اللهمَّ أعطِ مُنفقًا خلفًا**» بان لنا معنى دعاء الآخر: «**اللهمَّ أعطِ مُمسكًا تلفًا**»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٢٥)، عن عائشة.

(٢) رواه البخاري في الرقاق (٦٤١٥)، عن سهل بن سعد الساعدي. ورواه مختصرا في الجهاد والسير (٢٧٩٢)، ومسلم في الإمارة (١٨٨٠)، عن أنس.

(٣) سبق تخريجه صـ ٣٤٨.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فالتلف هو العقوبة الَّتي يجازي الله بها الممسكين، وهو لا ينحصر في خسارة المال أيضًا، ولكنَّه قد يتناول البدن، أو الأهل أو الولد، أو العلاقة بالناس، إلخ. وقد يكون قلق النفس، وشك القلب، وضيق الصدر ممَّا يفسد على المرء حياته، ويحرمه الاستمتاع بماله الوفير، ويحييه في عذاب مقيم. فضلًا عمَّا ادخر الله لمثله في الآخرة: ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٤]. وفي بعض الأحاديث ما يفيد أن دعاء الملكين مطابق لما جاء في القرآن من قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠]، فالتَّيسير لليسرى هنا مقابل لقول الملك: أعطِ مُنفقا خلفًا، والتَّيسير للعُسرى مقابل لقول الآخر: أعطِ ممسكًا تلفًا. ممَّا يدلُّ على أنَّ الأمر أوسع وأكبر من الخلف في المال والتلف فيه.

نسخة مجانية
غير مرخص للطباعة
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حول حديث الذباب

س: ما قولكم في حديث الذباب، أعني الحديث الشريف النبوي الَّذي يقول: «**إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمِسْه، فإنَّ في أحدِ جَناحيه داءٌ، وفي الآخر شفاء**»[1].

هل هذا الحديث صحيح متَّفق على صحَّته؟ وما حكم من أنكره أو تشكَّك في صحَّة نسبته إلى رسول الله ﷺ، هل يخرجه هذا من الدين؟ فإنَّ بعض الأطباء في عصرنا أثاروا غبارًا حول صحَّة هذا الحديث، إلى حد السُّخرية بمن صدَّق بمضمونه وذلك لما هو معروف في علم الطب الوقائي والعلاجي، من أنَّ الذباب أحد الأدوات الناشرة للأمراض، لما يحمل من الجراثيم الضارة، ولم يُعرف أنَّ أحدًا استخدمه للعلاج، فكيف يقول الحديث: إنَّ في أحد جناحيه شفاء؟

نرجو الإيضاح، فقد كثرت المجادلات حول هذا الحديث، حتَّى اتخذه بعض من لا دين لهم، تكأة للتنديد بالدين، والاستخفاف بالمتدينين.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(١) رواه البخاري في الطب (٥٧٨٢)، وأحمد (٧٣٥٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

(وبعد)

أمَّا الجواب عن سؤال صاحب السُّؤال، وما تضمنه من استفسارات فألخصه في النقاط التالية:

أولًا: إنَّ الحديث صحيح رواه الإمام البخاري في جامعه الصحيح، ولكنَّه لا يعد من «المتَّفق عليه» في اصطلاح علماء الحديث، لأنَّ المتَّفق عليه عندهم هو ما اتَّفق على روايته الشيخان: البخاري ومسلم في صحيحهما. وهذا الحديث ممَّا انفرد به البخاري، ولم يخرجه مسلم، رحمهما الله.

ومعلومٌ أنَّ أحاديث صحيح البخاري متلقاةٌ بالقبول لدى جماهير الأمَّة في مختلف العصور، وخصوصًا فيما سلم فيها من النقد والاعتراض من جهابذة علماء الأمَّة من المحدِّثين والفقهاء الراسخين.

ولا أعلم أحدًا من العلماء السَّابقين أثار إشكالًا حول هذا الحديث أو تحدَّث عن علَّة قادحة في سنده أو متنه.

ثانيًا: إنَّ هذا الحديث لا يتعلق ببيان أصل من أصول الدين، من الإلهيات أو النبوَّات أو السّمعيَّات[1]، ولا ببيان فريضة من فرائضه الظاهرة أو الباطنة، الشخصية أو الاجتماعيَّة، ولا ببيان أمر من أمور الحلال والحرام في حياة الفرد أو الجماعة، ولا ببيان تشريع من تشريعات الإسلام، المنظمة لحياة الأسرة والمجتمع، والدولة والعلاقات الدولية، ولا ببيان خلق من أخلاق الإسلام الَّتي بعث الرسول ليتمِّم مكارمها.

(١) السمعيات في العقائد ما يستند إلى الوحي كالجنة أو النار وأحوال يوم القيامة، المعجم الوسيط مادة (س. م. ع).

QaradawiBooks.com

ولو أنَّ مسلمًا عاش عمره دون أن يقرأ هذا الحديث أو يسمع به، لم يكن ذلك خدشًا في دينه، ولا أثَّر ذلك في عقيدته أو عبادته، أو سلوكه العام.

فلو سلَّمنا ـ جدلًا ـ بكلِّ ما أثاره المتشككون حول الحديث، وحذفناه من صحيح البخاري أصلًا، ما ضر ذلك دين الله شيئًا.

فلا مجال لأولئك الَّذين يتَّخذون من الشبهات المثارة حول الحديث، سبيلًا للطعن في الدين كله، فالدين ـ أعني الإسلام ـ أرسخ قدمًا، وأثبت أصولًا، وأعمق جذورًا من أن ينال منه بسبب هذه الشبهات الواهية.

ثالثًا: إنَّ هذا الحديث ـ وإن كان صحيحًا لدى علماء الأُمَّة ـ هو من أحاديث الآحاد، وليس من المتواتر الَّذي يفيد اليقين.

وأحاديث الآحاد إذا رواها الشيخان أو أحدهما، قد اختلف فيها العلماء: هل تفيد العلم ـ أي اليقين ـ أم تفيد مجرَّد الظن الراجح؟ أم يفيد بعضها العلم بشروط خاصَّة؟

وهذا الخلاف يكفي للقول بأنَّ من أنكر حديثًا من أحاديث الآحاد، قامت شبهة في نفسه حول ثبوته ونسبته إلى النَّبيِّ ﷺ: لا يخرج بذلك من الدين؛ لأن الَّذي يُخرج منه إنكار ما كان منه بيقين، لا ريب فيه، ولا خلاف معه، أي القطعي الَّذي يسمِّيه العلماء «المعلوم من الدين بالضرورة».

إنَّما يخرج من الدين حقًّا من اتَّخذ من الغبار المثار حول هذا الحديث وسيلة للطعن في الدين والاستهزاء به، فإنَّ هذا كفر صريح.

رابعًا: أمَّا مضمون الحديث وعلاقته بالعلم والطبِّ الحديث، فقد دافع عنه كثير من كبار الأطباء ورجال العلم، مستشهدين ببحوث

QaradawiBooks.com

ودراسات لعلماء غربيِّين مرموقين. ونشر ذلك كثير من المجلات الإسلامية في مناسبات شتَّى.

وحسْبي هنا أن أنقل أحدث ردٍّ علميٍّ طبيٍّ حول هذا الموضوع، نشرته مجلة «التوحيد» المصرية في عددها الخامس لسنة ١٣٩٧ ـ ١٩٧٧م، وهو للأستاذ الدكتور أمين رضا أستاذ جراحة العظام والتقويم بجامعة الإسكندرية، إثر مقال نشرته بعض الصحف لطبيبٍ آخر تشكّك في الحديث المذكور.

يقول د. أمين رضا: في جريدة الجمعة يوم ١٨ مارس ١٩٧٧م:

«رفض أحد الأطباء الزملاء حديث الذبابة على أساس التحليل العلمي العقلي لمتنه، لا على أساس سنده. وامتدادًا للمناقشة الهادئة الَّتي بدأتها هذه الجريدة أرى أن أعارض الزميل الفاضل بما يأتي:

١ ـ ليس من حقِّه أن يرفض هذا الحديث أو أيَّ حديث نبويٍّ آخر لمجرَّد عدم موافقته للعلم الحالي؛ فالعلم يتطوَّر ويتغيَّر، بل ويتقلَّب كذلك. فمن النظريات العلميَّة ما تصف شيئًا اليوم بأنَّه صحيح، ثم تصفه بعد زمن قريب أو بعيد بأنَّه خطأ. فإذا كان هذا هو حال العلم، فكيف يمكننا أن نصف حديثًا بأنَّه خطأ، قياسًا على نظرية علمية حالية، ثم نرجع فنصحِّحه إذا تغيَّرت هذه النظريَّة العلميَّة مستقبلًا؟

٢ ـ ليس من حقِّه رفض هذا الحديث أو أيَّ حديث آخر؛ لأنَّه «اصطدم بعقله اصطدامًا» على حد تعبيره. فالعيب الَّذي سبب هذا الاصطدام ليس من الحديث بل من العقل، فكل المهتمين بالعلوم الحديثة يحترمون عقولهم احترامًا عظيمًا، ومن احترام العقل أن نقارن العلم بالجهل. العلم يتكون من أكداس المعرفة الَّتي تراكمت لدى

QaradawiBooks.com

الإنسانية جمعاء، بتضافر جهودها جيلًا بعد جيل لسبر أغوار المجهول. أمَّا الجهل فهو كلُّ ما نجهله، أي ما لم يدخل بعد في نطاق العلم. وبالنظرة المتعقلة تجد أن العلم لم يكتمل بعد، وإلَّا لتوقف تقدم الإنسانية، وأن الجهل لا حدود له. والدليل على ذلك تقدم العلم وتوالي الاكتشافات يومًا بعد يوم من غير أن يظهر للجهل نهاية.

إنَّ العالم العاقل المنصف يدرك أن العلم ضخم، ولكن حجم الجهل أضخم. ولذلك لا يجب[1] أن يغرقنا العلم الَّذي بين أيدينا في الغرور بأنفسنا، ولا يجب أن يعمينا علمنا عن الجهل الَّذي نسبح فيه. فإنَّنا إذ قلنا: إن علم اليوم هو كلّ شيء، وإنه آخر ما يمكن الوصول إليه أدَّى ذلك بنا إلى الغرور بأنفسنا، وإلى التوقف عن التقدم، وإلى البلبلة في التفكير. وكل هذا يفسد حكمنا على الأشياء، ويعمينا عن الحقّ حتَّى لو كان أمام عيوننا، ويجعلنا نرى الحقّ خطأ، والخطأ حقا، فتكون النتيجة أنَّنا نقابل أمورا تصطدم بعقولنا اصطداما. وما كان لها أن تصطدم لو استعملنا عقولنا استعمالًا فطريًّا سليمًا، يحدوه التواضع والإحساس بضخامة الجهل، أكثر من التأثر ببريق العلم والزهو به.

٣ ـ ليس صحيحًا أنه لم يرد في الطب شيء عن علاج الأمراض بالذباب. فعندي من المراجع القديمة ما يوصف وصفات طبية لأمراض مختلفة باستعمال الذباب. أما في العصر الحديث فجميع الجراحين الَّذين عاشوا في السَّنوات الَّتي سبقت اكتشاف مركبات (السَّلْفَا) ـ أي في سنوات العشر الثالثة من القرن الحالي ـ رأوا بأعينهم علاج الكسور

(١) تعبير «لا يجب أن نفعل كذا وكذا»: تعبير شائع بين المعاصرين، وهو خطأ؛ لأن نفي الوجوب لا ينفي الجواز، والصواب في مثل هذا أن يقال: «لا يجوز» بدل «لا يجب» أو نقول: يجب ألا نفعل.

QaradawiBooks.com

المضاعفة والقرحات المزمنة بالذباب، وكان الذباب يربَّى لذلك خصيصًا. وكان هذا العلاج مبنيًّا على اكتشاف فيروس (البكتريوفاج) القاتل للجراثيم، على أساس أنَّ الذباب يحمل في آنٍ واحدٍ الجراثيم الَّتي تسبِّب المرض، وكذلك (البكتريوفاج) الَّذي يهاجم هذه الجراثيم. وكلمة (بكتريوفاج) هذه معناها «آكلة الجراثيم».

وجدير بالذكر أنَّ توقف الأبحاث عن علاج القرحات بالذباب لم يكن سببه فشل هذه الطريقة العلاجية، وإنَّما كان ذلك بسبب اكتشاف مركبات (السَّلفا) الَّتي جذبت أنظار العلماء جذبًا شديدًا. وكل هذا مفصل تفصيلًا دقيقًا في الجزء التاريخي من رسالة الدكتوراه، الَّتي أعدَّها الزميل د. أبو الفتوح مصطفى عيد تحت إشرافي، عن التهابات العظام والمقدمة لجامعة الإسكندرية من حوالي سبع سنوات.

٤ ـ في هذا الحديث إعلام بالغيب عن وجود سم في الذباب، وهذا شيء لم يكشفه العلم الحديث بصفة قاطعة إلَّا في القرنين الأخيرين. وقبل ذلك كان يمكن للعلماء أن يكذبوا الحديث النبوي لعدم ثبوت وجود شيء ضارّ على الذباب، ثم بعد اكتشاف الجراثيم يعودون فيصححون الحديث.

٥ ـ إن كان ما نأخذه على الذباب هو الجراثيم الَّتي يحملها فيجب مراعاة ما نعلمه عن ذلك:

(أ) ليس صحيحًا أنَّ جميع الجراثيم الَّتي يحملها الذباب جراثيم ضارَّة أو تسبب أمراضا.

(ب) ليس صحيحًا أنَّ عدد الجراثيم الَّتي تحملها الذبابة والذبابتان كاف لإحداث مرض فيمن يتناول هذه الجراثيم.

QaradawiBooks.com

(جـ) ليس صحيحًا أن عزل جسم الإنسان عزلًا تامًّا عن الجراثيم الضارة ممكن.

وإن كان ممكنًا فهذا أكبر ضرر له؛ لأنَّ جسم الإنسان إذا تناول كميات يسيرة متكرِّرة من الجراثيم الضارة تكونت عنده مناعة ضد هذه الجراثيم تدريجيًّا.

٦ ـ في هذا الحديث إعلام بالغيب عن وجود شيء على الذباب يضاد السُّموم الَّتي تحملها. والعلم الحديث يعلمنا أنَّ الأحياء الدقيقة من بكتريا وفيروسات وفطريات تشنُّ الواحدة منها على الأخرى حربًا لا هوادة فيها. فالواحدة منها تقتل الأخرى بإفراز مواد سامة، ومن هذه المواد السَّامة بعض الأنواع الَّتي يمكن استعمالها في العلاج. وهي ما نسميه «المضادات الحيوية» مثل: (البنسلين) و(الكلوروميستين) وغيرهما.

٧ ـ إنَّ ما لا يعلمه وما لم يكشفه المتخصِّصون في علم الجراثيم حتَّى الآن لا يمكن التكهُّن به، ولكن يمكن أن يكون فيه الكثير ممَّا يوضح الأمور توضيحًا أكمل؛ ولذلك يجب علينا أن نتريث قليلًا قبل أن نقطع بعدم صحَّة هذا الحديث، بغير سند من علم الحديث، ولا سند من العلم الحديث.

٨ ـ هذا الحديث النبوي لم يدعُ أحدًا إلى صيد الذباب ووضعه عَنوة في الإناء، ولم يشجِّع على ترك الآنية مكشوفة، ولم يشجع على الإهمال في نظافة البيوت والشوارع وفي حماية المنازل من دخول الذباب إليها.

٩ ـ إنَّ من يقع الذباب في إنائه ويشمئزَّ من ذلك ولا يمكنه تناول ما فيه، فإنَّ الله لا يكلف نفسا إلَّا وسعها.

QaradawiBooks.com

١٠ ـ هذا الحديث النبويُّ لا يمنع أحدًا مـــن الأطباء والقائمين على صحَّة الشـــعب من التصدِّي للذباب فـــي مواطنه، ومحاربتـــه وإعدامه وإبادته، ولا يمكن أن يتبادر إلى ذهن أحد علماء الدين أنَّ هذا الحديث يدعو النَّاس إلى إقامة مزارع أو مفارخ للذباب، أو أنَّه يدعو إلى التهاون في محاربته. ومن صنع ذلك أو اعتقد فيه فقد وقع في خطأ كبير» اهـ.

هذا ما قاله الطبيب العالم الأســـتاذ الدكتور أمين رضا، بلسان العلم والطب المعاصر، وفيه كفاية وغنية، فجزاه الله خيرًا.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

حديث: «بعثت بين يدي السَّاعة بالسيف»

س: يستند بعض دعاة العنف من الفصائل المسلحة، الَّتي تنسب نفسها إلى الإسلام، أو ينسبها النَّاس إلى الإسلام ـ في جملة ما يستندون إليه ـ إلى حديث نبوي شريف، يزعمون أنَّه صحيح، وهو الحديث الَّذي يقول فيه الرسول ﷺ: «**بُعثت بين يدي السَّاعة بالسيف، حتَّى يعبد الله وحده لا شريك له، وجُعل رِزقي تحت ظلِّ رُمحي، وجُعل الذِّلَّة والصَّغار على من خالف أمري. ومن تشبَّه بقومٍ فهو منهم**».

ونحن نعلم أنَّ علم الحديث ورجاله: بحر واسع عميق، لا يستطيع السِّباحة فيه أو الغوص في أعماقه إلَّا أهله، ولذا وقفنا أمام هذا الحديث لنسأل أهل الذكر: أهذا الحديث صحيح حقيقة أم لا؟ وإن كنَّا من ناحية المعنى ننكره، فإنَّ الرسول الكريم بعث بالحجة والإقناع والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، وليس بالسيف والعنف، والله تعالى يقول: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

نرجو من سماحتكم إلقاء ضوء كاشف على القيمة العلمية لهذا الحديث الَّذي تمسك به المتشددون، وشنَّع به المشنِّعون من أعداء الإسلام: أنَّ هذا الدين دين السَّيف.

QaradawiBooks.com

ورأينا انتشـــار ظاهرة العنف الدموي في عدد من بلادنا الإسلامية، نتيجة لشيوع هذه الثقافة الملغومة، الَّتي تغذي بها عقول الشباب الغض، فينحرفون عن الطريق، ويستبيحون الحرمات، ويسفكون دماء البرآء بغير حقٍّ، بدعوى أنَّ الإسلام «دين السَّيف». وهو يعني عندهم استعمال القوة الماديَّة والعســكرية ـ وليس غيرهــا ـ في التغيير والإصلاح. ســدَّد الله خطاكم، ونفع بكم.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

روى الإمام أحمد في مســنده قــال: حدَّثنا محمَّد بــن زيد ـ يعني الواســطي ـ أخبرنا ابــن ثوبان، عن حسَّــان بن عطيَّة، عــن أبي منيبٍ الجُرَشي، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**بُعثتُ بالسَّيف، حتَّى يُعبد الله وحده لا شريك له، وجُعل رِزقي تحت ظلِّ رُمحي، وجُعل الذُّلُّ والصَّغار على من خالف أمري، ومن تشبَّه بقوم فهو منهم**»[(١)].

الحديث رقم (٥١١٤، ٥١١٥) من المسند بتحقيق شاكر.

نظرة في الحديث من جهة إسناده:

ولنا في هذا الحديث نظرتان: نظرة فيه من جهة الإســناد، ونظرة فيه من جهة المتن.

(١) انظر كتابنا: فقه الجهاد (١/٣٣٥ ـ ٣٤٦)، الفصل الخامس من الباب الثالث، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٣، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.

QaradawiBooks.com

وإذا نظرنا في إسناده وجدنا عددًا من العلماء المعاصرين خرجوه. فلننظر ماذا قالوا؟

تخريج الشيخ أحمد شاكر:

قال الشيخ أحمد شاكر في تخريجه: إسناده صحيح. ابن ثوبان: هو عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، سبق الكلام عليه (٣٢٨١) و(٤٩٦٨). وحسان بن عطية المحاربي الدمشقي: ثقة؛ وثَّقه أحمد وابن معين وغيرهما، وترجمه البخاري في الكبير (٣١/١/٢). وأبو منيب الجُرَشي الدمشقي الأحدب: تابعي ثقة؛ وثَّقه العجلي، وذكره ابن حبَّان في الثِّقات، وترجمه البخاري في الكُنى رقم (٦٥٨). والجُرَشي (بضم الجيم وفتح الراء، وبالشين المعجمة): نسبة إلى «بني جُرَش» بطن من حمير.

قال: والحديث ذكر البخاري بعضه في الصحيح (٦: ٧٢) معلقًا، قال: «باب ما قيل في الرماح، ويُذكر عن ابن عمر، عن النبيِّ ﷺ: «**جعل رزقي تحت ظلِّ رمحي، وجعل الذُّلَّ والصَّغار على من خالف أمري**». وخرجه الحافظ في الفتح عن المسند من هذا الوجه، ثم قال: وأخرج أبو داود منه قوله: «**من تشبَّه بقومٍ فهو منهم**» حسن من هذا الوجه. وأبو منيب لا يُعرف اسمه. وفي الإسناد عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان: مختلف في توثيقه.

وأورد الهيثمي الحديث في (مجمع الزوائد: ٤٩/٦) وقال: رواه أحمد، وفيه: عبد الرحمن بن ثابت، وثقه ابن المديني وغيره، وضعفه أحمد وغيره، وبقية رجاله ثقات. انتهى.

ولما رجعت إلى الحديث رقم (٣٢٨١)، الَّذي سبق للشيخ شاكر فيه

QaradawiBooks.com

توثيق ابن ثوبان، وجدته قال عنه: قال أحمد: أحاديثه مناكير. وقال أيضًا: لم يكن بالقوي في الحديث.

وقال أيضًا: كان عابد أهل الشام.

وقال يعقوب بن شيبة: اختلف أصحابنا فيه، فأمَّا ابن معين فكان يضعفه، وأمَّا علي ـ يعني: ابن المديني ـ فكان حسن الرأي فيه، قال: ابن ثَوْبَان رجل صدق لا بأس به، وقد حمل عنه الناس. ووثَّقه الفلَّاس ودحيم وأبو حاتم، وذكره ابن حبان في الثقات. واختلفت الرواية فيه عن ابن معين، فروي عنه أيضًا أنه قال: صالح.

قال الشيخ شاكر: والظاهر: أنَّهم تكلَّموا فيه من أجل القدر، ومن أنَّه تغيَّر عقله في آخر عمره، ولم يذكره البخاري ولا النَّسائي في الضعفاء، وصحح له التِّرْمِذيّ حديثًا. انتهى.

هذا ما انتهى إليه العلامة الشيخ شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد صحَّح إسناد الحديث، برغم ما في الرجل من خلاف شديد حول توثيقه أو تضعيفه. والشيخ شاكر معروف بتساهله في التصحيح، فلا يكاد يوجد راو مختلف فيه إلَّا ووثقه واعتمده. وقول الإمام أحمد: أحاديثه مناكير يدلُّ على أنه لم يضعفه من أجل القدر كما قال الشيخ.

وقد رأيناه نقل عن حافظين كبيرين ذكرا الحديث ولم يصحِّحاه:

أحدهما: الحافظ نور الدين الهيثمي، «صاحب مجمع الزوائد».

والثاني: الحافظ ابن حجر في «الفتح»[1].

(١) انظر: فتح الباري (٩٨/٦).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وكلاهما ذكر الحديث، وذكر ما في راويه ابن ثَوْبَان من خلاف. وممَّا يُؤخذ على كلام الشيخ شاكر: أنَّه قال: ذكر البخاري بعضه في الصحيح معلقا، وكان ينبغي أن يقول: بغير صيغة الجزم، بل بصيغة التمريض والتضعيف. لأنَّه قال: ويُذكر عن ابن عمر، إلخ.

تخريج الألباني:

وقد فتح الشيخ شاكر باب تصحيح هذا الحديث للمعاصرين، فنجد الشيخ ناصر الدين الألباني صححه في أكثر من كتاب له.

ففي صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم (٢٨٣١) ذكر أنَّه صحيح، وأشار بالرجوع إلى كتابه: حجاب المرأة (١٠٤) والإرواء (١٢٦٩).

وبالرجوع إلى «الإرواء» ـ أعني «إرواء الغليل في تخرج أحاديث منار السّبيل»، وقد ذكر صاحب المنار الجزء الأخير من الحديث وهو الَّذي أخرجه أبو داود منه، وهو: «**من تشبه بقوم فهو منهم**» ـ قال في تخريجه: صحيح. أخرجه أحمد (٢/٥٠، ٩٢) وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (ق٢/٩٢) وابن أبي شيبة في «المصنف» (١/١٥٠/٧) وأبو سعيد ابن الأعرابي في «المعجم» (ق٢/١١٠) والهروي في «ذم الكلام» (ق٢/٥٤) عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان: ثنا حسَّان بن عطية، عن أبي منيب الجرشي، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**بُعثت بين يدي السَّاعة بالسَّيف حتَّى يُعبد الله وحدَه لا شريك له، وجُعل رِزقي تحت ظلِّ رُمْحي، وجُعِلَ الذُّلُّ والصَّغار على من خالف أمري، ومن تشبَّه بقوم فهو منهم**».

قلتُ [القائل الألباني]: وهذا إسناد حسن، رجاله كلهم ثقات غير ابن ثَوْبَان هذا، ففيه خلاف، وقال الحافظ في «التقريب»: «صدوق، يخطئ، وتغير بآخره».

QaradawiBooks.com

وقد علق البخاري في «صحيحه» (٧٢/٦) الجملة الَّتي قبل الأخيرة، والَّتي قبلها[١]، ولأبي داود منه (٤٠٣١) الجملة الأخيرة.

ولم يتفرد به ابن ثوبان، فقال الطحاوي في «مشكل الآثار» (٨٨/١): حدّثنا أبو أمية، حدَّثنا محمَّد بن وهب بن عطية، ثنا الوليد بن مسلم، ثنا الأوزاعي، عن حسَّان بن عطية به.

قلت (الألباني): وهذا إسناد رجاله ثقات، غير أبي أمية واسمه محمَّد بن إبراهيم الطرسوسي قال الحافظ في «التقريب»: «صدوق، صاحب حديث، يَهِم».

والوليد بن مسلم ثقة محتجٌّ به في الصحيحين، ولكنَّه كان يدلِّس تدليس التسوية، فإن كان محفوظًا عنه، فيخشى أن يكون سواه.

وقد خالفه في إسناده صدقة فقال: عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هُرَيْرة، عن النبيِّ ﷺ به.

أخرجه الهروي (ق٥٤/١) من طريق عمر بن أبي سلمة، حدَّثنا صدقة به.

وصدقة هذا: هو ابن عبد الله السَّمين الدمشقي، وهو ضعيف.

وخالفهما عيسى بن يونس فقال: عن الأوزاعي، عن سعيد بن جبلة، عن طاوس: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال، فذكره.

أخرجه ابن أبي شيبة (٧/١٥٠/١).

قلت (الألباني): وهذا مرسل، وقد ذكره الحافظ في «الفتح» (٧٢/٦) من رواية ابن أبي شيبة عن سعيد بن جبلة مرسلًا، لم يذكر فيه طاوسًا وقال: «إسناده حسن».

---

(١) ولكنَّه علقها بصيغة التضعيف لا بصيغة الجزم، ممَّا يدل على ضعف الحديث عنده.

QaradawiBooks.com

كذا قال، ورجاله ثقات رجال الشيخين غير سعيد بن جبلة، وقد أورده ابن أبي حاتم (٢/١/١٠) من رواية الأوزاعي عنه وقال عن أبيه: «هو شامي». ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا، وهو على شرط ابن عساكر في «تاريخه» ولم يورده فيه.

ثم أخرجه الهروي (٥٤/١ ـ ٢) وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١٢٩/١) من طريق بشر بن الحسين الأصبهاني ثنا الزبير بن عدي عن أنس بن مالك مرفوعًا به.

قلت (الألباني): وبشر هذا متروك متَّهم، فلا يفرح بحديثه. انتهى من إرواء الغليل.

وبهذا تبيَّن لنا أنَّ الحديث لم يأتِ من طريق واحدة صحيحة متصلة، سالمة من النقد، وإنَّما صححه مَنْ صححه بطرقه، وكلها لا تسلم من مقال، ولم تكثر إلى درجة يُقال: يقوي بعضُها بعضًا. على أنَّ التصحيح بكثرة الطرق ـ وإن لم يكن معروفًا عند المتقدمين من أئمَّة الحديث ـ إنَّما يعمل به في القضايا اليسيرة، والأمور الجزئية البسيطة، لا في مثل هذا الأمر الَّذي يعبر عن عنوان الإسلام واتَّجاهه: هل بُعث رسوله بالرحمة أو بُعث بالسيف؟!

تخريج الشيخ شعيب:

وأمَّا الشيخ شعيب الأرناؤوط، فله تخريجان للحديث: قديم وحديث.

فأمَّا القديم ففي تخريج أحاديث «زاد المعاد» عندما حقَّقه منذ سنين، وكان فيه مقلِّدًا أكثر منه محقِّقًا ومستقلًّا، فحسَّن إسناده.

وأمَّا الجديد، ففي تخريجه للمسند، حيث أصبح أكثر نضجًا واستقلالًا من ناحية، وحيث غدا يشاركه خمسة آخرون من العلماء، فهو عمل جماعي له قيمته.

QaradawiBooks.com

ففي تخريج الزاد بعد أن ذكر ابن القيِّم الحديث مستشهدًا به على أن الذُّلَّ والصَّغار على من خالف أمر محمَّد ﷺ، قال شعيب: أخرجه أحمد في «المسند»: (٥٠/٢، ٩٢) وسنده حسن، وجوَّد ابن تيمية إسناده في «الاقتضاء» ص٢٩، وصححه الحافظ العراقي في «الإحياء» وحسنه الحافظ في «الفتح» (٢٣٠/١٠) وأخرج الجملة الأخيرة منه أبو داود (٤٠٣١)، وعلَّق طرفًا منه البخاري في «صحيحه» (٧٢/٦)، وله شاهد مرسل بسند حسن، أخرجه ابن شيبة من طريق الأوزاعي (حاشية «زاد المعاد» (٣٥/١) طبعة الرسالة).

ويلاحظ هنا: أنَّ الحافظ في «الفتح» لم يحسنه، بل ذكر الاختلاف في توثيق ابن ثوبان، وإنَّما حسَّن الشاهد المرسل له[١]، كما يلاحظ أنَّ الشيخ شعيب قلَّد الشيخ أحمد شاكر حين ذكر أن البخاري علَّق طرفًا منه، ولم يُشِر إلى أنه بصيغة التضعيف.

وفي تخريج المسند: في الجزء السَّابع الَّذي اشترك فيه مع الشيخ شعيب: محمَّد نعيم العرقسوس وإبراهيم الزئبق، قالوا: إسناده ضعيف، على نكارة في بعض ألفاظه. ابن ثوبان: اختلفت فيه أقوال المجرِّحين والمعدِّلين، فمنهم من قوَّى أمره، ومنهم من ضعَّفه، وقد تغيَّر بآخره. وخلاصة القول فيه: أنَّه حسنُ الحديث إذا لم يتفرَّد بما ينكر، فقد أشار الإمام أحمد إلى أن له أحاديث منكرة، وهذا منها[٢].

---

(١) انظر: فتح الباري (٩٨/٦)، حيث يقول: في الإسناد عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان: مختلف في توثيقه، وله شاهد مرسل بإسناد حسن أخرجه ابن أبي شيبة، من طريق الأوزاعي، عن سعيد بن جبلة، عن النبي ﷺ بتمامه اهـ. فالتحسين هو للشاهد المرسل وليس للحديث نفسه.

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد (١٢٣/٩ ـ ١٢٤)، تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط وآخرين، نشر مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

QaradawiBooks.com

وذكروا ممَّن أخرجه: عبد بن حميد، والطبراني في مسند الشاميين، وابن الأعرابي في معجمه. والبيهقي في الشعب: أربعتهم عن ابن ثوبان، وزادوا فيه بعد قوله: «**بعثت بالسيف**»: «**بين يدي السَّاعة**». وعلَّق البخاري (٩٨/٦ الفتح) بعضه بصيغة التمريض.

وأخرجه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» بإسناده، وفيه ثلاث علل، بينوها بتفصيل. ثم قالوا: فهذه العلل الثلاث مجتمعة لا يمكن معها تقوية الحديث المرفوع بمتابعة الأوزاعي لابن ثوبان. والله تعالى أعلم[1].

وأزيد هنا فأقول: إنَّ الإمام أحمد لم يقل: إنَّ له أحاديث منكرة، بل قال: أحاديثه مناكير. وهذه العبارة أشدُّ من الأولى.

ما قاله رجال الجرح والتعديل عن ابن ثوبان:

ويحسن بنا هنا استكمالًا للبحث أنَّ نضع بين يدي القارئ المهتمِّ أقوالَ أئمَّة الجرح والتعديل في عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، أحد الرواة، الَّذي اختلف في توثيقه، كما رأينا، وهو سبب ضعف هذا الحديث.

ونكتفي هنا بكتاب لعلَّه أهم الكتب في هذا الباب، وهو: كتاب «تهذيب الكمال» للمِزِّي، وهو خاصٌّ برواة الكتب السِّتَّة، وقد تفرع عنه عدَّة كتب، مثل: «تهذيب التهذيب» لابن حجر، و«تقريب التهذيب» له أيضًا، و«تذهيب تهذيب الكمال» للذهبي، و«خلاصة تذهيب تهذيب الكمال» للخزرجي. وأمُّها جميعًا: «تهذيب الكمال» للمِزِّي.

(١)) انظر: مسند الإمام أحمد (١٢٣/٧ ـ ١٢٥)، تخريج الحديث (٥١١٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ما نقله المِزِّي في تهذيب الكمال:

أمَّا ما ذكره الحافظ المِزِّي في تهذيب الكمال عن ابن ثوبان، فقد قال في ترجمته برقم (٣٧٧٥): قال أبو بكر الأثرم عن أحمد بن حنبل: أحاديثه مناكير.

وقال محمَّد بن علي الوراق، عن أحمد بن حنبل: لم يكن بالقوي في الحديث.

وقال أبو بكر المروذي، عن أحمد بن حنبل: كان عابد أهل الشام. وذكر من فضله، قال: لما قدم به دخل على ذاك الَّذي يقال له المهدي، وابنته على عنقه.

وقال إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد، عن يحيى بن مَعِين: صالح.

وقال في موضع آخر: ضعيف.

وقال عبَّاس الدُّوري، عن يحيى بن مَعِين: ليس به بأس.

وكذلك قال علي بن المَدِيني، وأحمد بن عبد الله العِجْلي، وأبو زُرْعة الرازي.

وقال معاوية بن صالح، وعثمان بن سعيدٍ الدَّارمي، وعبد الله بن شعيب الصابوني، عن يحيى بن مَعِين: ضعيف.

زاد معاوية: فقلتُ: يُكتب حديثُه؟ قال: نعم على ضعفه، وكان رجلًا صالحًا.

وقال أبو بكر بن أبي خَيْثمة، عن يحيى بن مَعِين: لا شيء.

وقال يعقوب بن شَيْبة السَّدُوسي: اختلف أصحابنا فيه، فأمَّا يحيى بن مَعِين، فكان يُضَعِّفه، وأمَّا عليُّ بن المَدِيني فكان حسنَ الرأي فيه، وقال:

QaradawiBooks.com

كان ابن ثَوْبان رجــلَ صِدْق، لا بأسَ به، اســتعمله أبو جعفرٍ والمهديُّ بعدَه على بيت المال، وقد حمل النَّاس عنه.

وقال عمرو بن عليٍّ: حديث الشاميِّين كلُّهم ضعيف إلَّا نفرًا، منهم: الأوزاعي وعبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان. وذكر آخرين.

وقال عثمان بن سعيد الدارمي، عن دُحَيم: ثقة، يُرمَى بالقدر، كتب إليه الأوزاعيُّ، فلا أدري أي شيء ردَّ عليه.

وقال أبو حاتم: ثقة.

وقال في موضع آخر: يشوبه شيء من القدر.

وقال أبو داود: كان فيه سلامة، وكان مجاب الدعوة، وليس به بأس، وكان على المظالم ببغداد.

وقال النَّسائي: ضعيف.

وقال في موضع آخر: ليس بالقويِّ.

وقال في موضع آخر: ليس بثقة.

وقال صالح بن محمَّد البغدادي: شاميٌّ صدوق، إلَّا أنَّ مذهبه مذهب القــدر، وأنكروا عليــه أحاديث يرويها عــن أبيه عن مكحول مُســندةً، وحديث الشاميِّ لا يُضمُّ إلى غيره، معروف خطؤه من صوابه.

وقال في موضعٍ آخر: لم يسمع من بكر بن عبد الله شيئًا، وإنَّما يروي عن أبيه، وعن الشاميِّين.

وقال ابن خِرَاش: في حديثه لِين.

وقال أبو أحمد بن عــديٍّ: له أحاديث صالحة، يحــدث عنه عثمان الطرائفي بنســخة. ويحدث عنه يزيد بن مرشل بنســخة، ويحدث عنه

QaradawiBooks.com

الفريابي بأحاديث، وغيرهم، وقد كتبت حديثه عن ابن جُوصى وابن أبي عَرُوبة من جمعيهما، ويبلغ أحاديث صالحة، وكان رجلًا صالحًا، ويكتب حديثه على ضعفه، وأبوه ثقة.

وذكره ابن حِبَّان في كتاب «الثقات».

وقال أبو بكر الخطيب: كان ممَّن يُذكر بالزهد والعبادة والصدق في الرواية. انتهى

وبهذا يتبيَّن لنا أنَّ مجرحيه أكثر، وأن موثقيه ـ وهم قلَّة ـ لم يوثِّقوه بإطلاق. فدحيم الَّذي وثقه قال: يُرمى بالقدر، كتب إليه الأوزاعي، فلا أدري أي شيء رد عليه. وأبو حاتم الَّذي وثقه قال عنه أيضًا: يشوبه شيء من القدر. وتغير عقله في آخر حياته.

وكما رُمي بالقدر، رُمي بالخروج، وقد ذكر الذهبي في «الميزان» عن الوليد بن فريد أنه روى عن الأوزاعي، أنه كتب إلى ابن ثَوْبَان يقول له: وقد كنتَ ترى قبل وفاة أبيك تركَ الجمعة حرام، وقد أصبحت ترى تركَ الجمعة والجماعة حلالًا.

ومعنى هذا: أنَّه رجل لديه استعداد للغلوِّ، ومثله يروج عنده حديث مثل «**بُعِثْتُ بين يدي السَّاعة بالسَّيف**».

ونقل الذهبي عن العُقَيْلي أنه قال: لا يتابع ابن ثَوْبَان إلَّا من هو دونه أو مثله[1].

وذكره ابن الجوزي في جملة الضعفاء.

(١) انظر: ميزان الاعتدال (٥٢٢/٢)، تحقيق علي محمد البجاوي، نشر دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م.

QaradawiBooks.com

وقال الذهبي في «أعلام النبلاء»: لم يكن بالمُكثر، ولا هو بالحجَّة، بل صالح الحديث[١].

وقال ابن حجر في «التقريب»: صدوقٌ يخطئ، ورُمِيَ بالقدر، وتغيَّر بآخره[٢]. انتهى.

ومثل هذا الـــراوي لا يؤخذ منه حديث يحمل مثـــل هذا المضمون الخطير: الإسلام دين السَّيف! وأنَّ الرسول يرتزق من رمحه!

نظرة أخرى في الحديث من جهة متنه ومضمونه:

وإذا غضضنا الطرف عن سند الحديث وما فيه من كلام، ونظرنا في متنه ومضمونه، وجدنـــاه منكرًا، لا يتَّفق مع ما قـــرَّره القرآن بخصوص ما بُعث به محمَّد ﷺ.

فالقرآن لم يقرِّر في آية واحدة من آياته أن محمدًا رسول الله بعثه الله بالسيف، بل قرَّر في آيات شتَّى أنَّ الله بعثه بالهُدى ودين الحقِّ، والرحمة والشفاء، والموعظة للنَّاس.

وهذا ثابت بوضوح في القرآن المكيِّ، وفي القرآن المدنيِّ، على سواء.

يقول تعالى في ســـورة الأنبياء وهي مكية: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وعبر عن هذا النَّبيّ ﷺ فقال: «**إنَّما أنا رحمةٌ مهداة**»[٣].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣١٤/٧).

(٢) تقريب التهذيب صـ ٣٣٧، ترجمة (٣٨٢٠)، تحقيق الشـــيخ محمد عوامة، نشر دار الرشيد، سوريا، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

(٣) رواه الحاكم في الإيمان (٣٥/١)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٩٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وقال تعالى في سورة النحل، وهي مكية: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩].

وقال تعالى في سورة يونس وهي مكية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧].

وقال تعالى في سورة التَّوبة، وهي مدنية: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣].

وقد تكرَّرت بلفظها في (سورة الصف: ٩)، وهي مدنية.

وفي سورة الفتح، وهي مدنية، نقرأ قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح: ٢٨].

وفي ختام سورة التَّوبة أيضًا: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [التوبة: ١٢٨، ١٢٩].

وفي سورة آل عمران، وهي مدنية: ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٢٠].

وفي سورة النور، وهي مدنية: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النور: ٥٤].

QaradawiBooks.com

وهذه الآيات كلها قد اتَّفقت علـــى أنَّ محمدًا ﷺ إنَّما بُعث بالرحمة والهدى ودين الحق، وتبيان كلِّ شـــيء، وإقامة الحجة على النَّاس، ولم يبعث شاهرا سيفه على النَّاس، حتَّى في حالة تولي النَّاس عنه: لم يؤمر بأن يشـــهر في وجوههم السّـــيف، إنَّما قيل له: إنَّما عليك البلاغ، وإنَّما عليه ما حمل، وعليهم ما حملوا، وقل: حسْبي الله.

والمبشرون والمستشرقون، وغيرهم من خصوم الإسلام يشيعون: أنَّ الإســـلام إنَّما انتشر بالســـيف ويســـتند كثيرون منهم إلى هذا الحديث وأمثاله.

والحقيقة أنَّ الإســـلام إنَّما شهر السَّـــيف في وجه الَّذي صدوا عن ســـبيله، وقاوموه بالقوة، ورفعوا السّـــيف في وجهه، كما قـــال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۞ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۞ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۞ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠ ـ ١٩٣].

فهذا هو منطق القرآن، بيِّنٌ كلّ البيان، لا لبس فيه ولا غموض، فإذا عارضه حديث مثل حديث: «**بُعِثتُ بالسَّـــيْف**»، فلا شـــكَّ أنَّ القرآن هو المقدَّم، فهو المصدر الأول، والدليل الأول، الَّـــذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ولو بُعث الرسول بالسيف، لظهر ذلك طوال ثلاثة عشر عامًا، قضاها في مكـــة، وأصحابه يأتون إليه بين مضروبٍ ومشـــجوجٍ ومُعتدًى عليه، يستأذنونه في أن يدافعوا عن أنفسهم بالسلاح، فيقول لهم: كفُّوا أيديكم

QaradawiBooks.com

وأقيموا الصلاة. حتَّى هاجروا إلى المدينة فـأذن الله لهم أن يدافعوا عن أنفسهم وحرماتهم ودعوتهم. كما قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠].

والخلاصة: أنَّ هذا الحديث «**بُعثتُ بالسيف**»، سواء نظرنا إلى إسناده أم نظرنا إلى متنه، فهو مردود غير مقبول، في ضوء موازين العلم وقواعده الضابطة.

والحمد لله رب العالمين.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

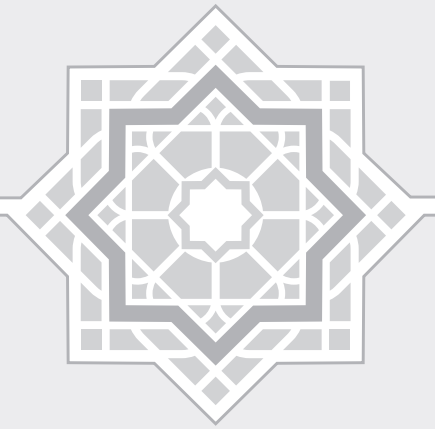

شروح الأحاديث

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

قُل خيرًا أو اصمُت

س: قال رسول الله ﷺ: «**قل خيرًا أو اصمت**». فهل الكلام الكثير حرام على ضوء هذا الحديث؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

جاء عن النبيِّ عليه الصلاة والسلام أحاديث عديدة، تحذر من آفات اللسان: منها: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمُتْ**»[(١)].

وجاء عنه: «**رحم الله امرأً قال خيرًا فغنم، أو سكت فسلم**»[(٢)] فالكلام الكثير يؤدِّي إلى أن يتورَّط الإنسان في أخطاء كثيرة، فاللسان له آفاتٌ بلَّغها الإمام الغزالي عشرين آفة[(٣)] من الكذب، والغيبة، والنميمة، وشهادة الزور، واليمين الغموس، والخوض في أعراض

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١٨)، ومسلم في الإيمان (٤٧)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (٣٨٠)، وابن أبي الدنيا في الصمت (٦٤)، وابن أبي عاصم في الزهد (٩)، عن خالد بن أبي عمران.

(٣) إحياء علوم الدين (١٠٨/٣) وما بعدها.

نسخة عليه
QaradawiBooks.com

النَّاس، والكلام فيما لا يعنيه، والاستهزاء بالآخرين، والسخرية منهم، وغير ذلك كثير.

بل إن الشيخ عبد الغني النابلسي وصَّل آفات اللسان إلى اثنتين وسبعين آفة، وجاء بتفصيلات كثيرة على ذلك.

فإذا أكثر المرء من الكلام، فهو معرض لأن يخطئ، وأن يتناول الأعراض، وأن ينهش لحوم النَّاس في غيبتهم، ولهذا كانت السّلامة في الصمت. وليس معنى هذا أن يطبق الإنسان شفتيه، ولا ينبس ببنت شفة، لا.. وإنَّما ليحرص على ألا يتكلم إلَّا بالخير، وبما يرضي الله ﷻ. ومن هنا قال النَّاس من قديم: إذا كان الكلام من فضة، كان السّكوت من ذهب. وقال الشاعر:

احفظْ لسانَكَ أيُّها الإنسانُ ... لا يلدغنَّكَ إنَّه ثُعْبَانُ
كم في المقابرِ من قتيلِ لسانِه ... كانت تهابُ لقاءَه الشُّجعانُ[1]

حتَّى في الدنيا، وليس في الآخرة فقط، يجد الإنسان نتيجة أخطاء اللسان، فيؤذَى ويصاب بالأضرار الجسيمة بسبب لسانه. ففلتات اللسان هذه ينبغي الحذر منها. ولهذا قيل:

يموتُ الفتى من عثرةٍ بلسانِه ... وليس يموتُ المرءُ من عَثْرَةِ الرِّجْلِ
فعثرتُه من فِيه ترمي برأسِه ... وعثرتُه بالرِّجل تُشفى على مهلِ[2]

---

(١) روى البيتين البيهقي عنه أنَّه قال: كنت باليمن فقرأت على باب صنعاء أو عدن مكتوبًا. فذكرهما. انظر: في مناقب الشافعي (٨٧/٢)، تحقيق السيد أحمد صقر، نشر مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

(٢) من شعر جعفر الصادق، كما في العقد الفريد لابن عبد ربه (٣٠٣/٢)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

QaradawiBooks.com

وقالوا: أنت مالك الكلمة، فإذا قلتها ملكتك.

ولهذا ينبغي ألَّا يكون الإنسان ثرثارًا.

وأكثر النَّاس الَّذين يكثرون الـكلام يُخطئون، ويصبحون مضغة في الأفواه، ولهذا يجب على المؤمن الَّذي يراقب الله ويخشـاه، أن يعلم أن كلامه من عمله، محسوب له أو عليه. فإن قلم التسجيل الإلهي لا يعدو كلمة يتفوه بها الإنسان، إلَّا ويدونها في كتاب.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٦ ـ ١٨].

فمن علم أنَّ كلامه مثل عمله تمامًا، مكتوبٌ ومحسـوبٌ ومحصًى عليه، قلَّ كلامه إلَّا فيما يعنيه، وهذه هي السَّلامة.

فقلْ خيرًا تغنم، واسكتْ عن شرٍّ تسلم.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

حديث: «لا تقوم السَّاعة حتَّى تقاتلوا اليهود»

س: قرأت في عدد من الكتب الحديث الشريف: «**لا تقوم السَّاعة حتَّى تقاتلوا اليهود، فيختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا عبد الله، أو يا مسلم، هذا يهودي ورائي فتعال فاقتله**».

وسؤالي: هل يفهم من الحديث أنَّ معركتنا مع اليهود ستستمر إلى قيام السَّاعة، وهل يدلُّ الحديث على أن الحجر والشجر ينطق حقيقة؟ وهل يكون ذلك «كرامة» للمسلمين؟ وهل المسلمون اليوم أهل لهذه الكرامة، أو أن هذا مدخر لأجيال أخرى قرب قيام السَّاعة، كما يشير أوَّل الحديث؟

أرجو إيضاح ذلك حتَّى لا يلتبس علينا فهم كلام الرسول ﷺ. نفع الله بكم، وجزاكم عنَّا وعن الإسلام وأمته خيرًا.

مسلمٌ مهتمٌّ بقضية فلسطين

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(وبعد)

الحديث المذكور حديث صحيح، رواه أكثر من صحابي عن النبيِّ ﷺ. فقد صحَّ من حديث ابن عمر، ومن حديث أبي هُرَيْرة.

فقد روى الشيخان، عن أبي هُرَيْرة، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**لا تقوم السَّاعة حتَّى تقاتلوا اليهود، حتَّى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله**»[(١)]، وفي رواية لمسلم: «**لا تقوم السَّاعة حتَّى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتَّى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله إلَّا الغرقد، فإنَّه من شجر اليهود**»[(٢)]. ورواه الشيخان من حديث ابن عمر بلفظ: «**تقاتلون اليهود، فتسلطون عليهم، حتَّى يختبئ أحدهم وراء الحجر، فيقول الحجر: يا عبد الله، هذا يهودي ورائي فاقتله**»[(٣)].

فالحديث من حيث سنده صحيح بغير نزاع، وهو من أعلام نبوَّة رسولنا ﷺ.

وقد مضت قرون، وقارئ هذا الحديث يعجب ممَّا تضمَّنه من نبأٍ لا ينبئ عنه الواقع الملموس لحال المسلمين وحال اليهود، نحو ثلاثة عشر قرنًا.

فقد كان اليهود في ذمة المسلمين وحمايتهم، وقد اضطهدوا في كلّ أنحاء العالم، ونبذهم أصحاب الملل كلها، ولم يجدوا دارًا تؤويهم وتحوطهم إلَّا دار الإسلام، ولم يجدوا من يحميهم ويذود عنهم وعن

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٢٦).

(٢) رواه مسلم في الفتن (٢٩٢٢).

(٣) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٢٥)، ومسلم في الفتن (٢٩٢١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

حريتهم الدينية والمدنية إلَّا المسلمين، الَّذين اعتبروهم أهل كتاب، وأعطوهم ذمة الله وذمة رسوله، وذمة جماعة المؤمنين، فكيف يحدث قتال بينهم وبين المسلمين؟ وكيف يقاتل الإنسان من يحميه ويعيش في كنفه؟ ومن أين لهم القوة حتَّى يقاتلوا المسلمين؟!

وقد بدأ القتال بالفعل بين المسلمين واليهود، منذ اغتصبوا أرض فلسطين، وأخرجوا أهلها من ديارهم، وانتهكوا كلَّ الحرمات، وغدا المسجد الأقصى أسيرًا في أيديهم، وهم يخططون لهدمه؛ ليبنوا هيكلهم على أنقاضه، والمسلمون في غمرة ساهون، وفي غفلة لاهون.

ولكنَّنا مؤمنون بأنَّ المعركة الَّتي نبأ بها الحديث الصحيح قادمة لا ريب فيها، تلك المعركة الَّتي «**يُسلَّط**» فيها المسلمون على اليهود، بعد أن كانوا هم المسلطين على المسلمين، تلك المعركة الَّتي «**يقاتل المسلمون فيها اليهود، فيقتلهم المسلمون**» بعد أن مضت سنون وعقود، والمسلمون يقتلهم اليهود!

هذه المعركة الَّتي أخبر بها الحديث الشريف آتية لا ريب فيها، هذا ما يُوقن به كلّ مسلم، ويترقَّبه كما يترقَّب قدوم الفجر بعد ظلام الليل.

ولكن متى؟ عِلْم ذلك عند الله ﷻ.

قد تكون غدًا، أو بعد غد، أو بعد ما شاء الله من السِّنين.

المهمُّ أنَّ هذه المعركة، كما ينبئ بها الحديث ليست معركة وطنيَّة ولا قوميَّة؛ إنَّها معركة دينية.

إنَّها ليست معركة بين العرب والصهاينة كما يُقال اليوم، وليست معركة بين اليهود والفلسطينيِّين، أو بينهم وبين السُّوريِّين أو العراقيين أو المصريِّين.

QaradawiBooks.com

إنَّها «بين المسلمين واليهود» هذا ما جاء في الحديث بصريح العبارة، فليست معركة «فئة» من المسلمين ضد «فئة» من اليهود، بل معركة «مجموع» المسلمين، مع «مجموع» اليهود، كما يُفهم من الألفاظ.

والواقع إلى اليوم أنَّ مجموع اليهود يقاتلوننا بكلِّ ما لديهم من طاقة، بذلوا أموالهم وهم أبخل النَّاس بالمال، وجادوا بنفوسهم وهم أحرص النَّاس على حياة، ولكنَّهم أخذوا الأمر جدًّا لا هزل فيه، وخطَّطوا وصمَّموا، وأجمعوا ونفذوا، مستمدِّين قوَّتهم من تعاليم التوراة، وأحكام التلمود.

أمَّا نحن، فما زال الإسلام مستبعَدًا من معركتنا معهم، وما زال الكثيرون منَّا يريدونها معركة قومية، لا دخل للدين فيها، ولا صلة له بها، فهم يجتمعون تحت راية اليهودية، ونحن لا نجتمع تحت راية الإسلام، وهم يحترمون السّبت، ونحن لا نحترم الجمعة، وهم يتنادون باسم موسى، ولا نتنادى نحن باسم محمَّد ﷺ!

ولا بدَّ أن نصارح أنفسنا: إنَّنا إذا أردنا أن نتحقَّق معركة النصر الموعودة، فلا بدَّ لنا أن نغيِّر ما بأنفسنا، حتَّى يغيِّر الله ما بنا، لا بدَّ لنا أن نحاربهم بمثل ما يحاربوننا به، كما قال أبو بكر لخالد.

وهذا ما نادينا به، ونادى به كلُّ المخلصين الَّذين أنار الله بصائرهم، وعرفوا الطريق الصحيح والوحيد لتحرير فلسطين[1].

إنَّ الحديث الَّذي بشَّرنا بالنصر، حدَّد ملامح المقاتلين الَّذين ينصرهم الله على اليهود من خلال نداء الحجر أو الشجر للواحد منهم، فهو يقول: «**يا عبدَ الله، يا مسلم، هذا يهوديٌّ خلفي فتعالَ فاقتله!**».

(١) راجع كتابنا: درس النكبة الثانية، لماذا انهزمنا وكيف ننتصر؟

QaradawiBooks.com

فهو هنا ينادي «عبد الله»، أما عبد نفسه، عبد أهوائه وشهواته، عبد الدينار والدرهم، عبد المرأة والكأس، عبد الجاه والمنصب، أما هؤلاء فلن يناديهم حجر ولا شجر، بل سينادي عدوهم عليهم.

وهو هنا يقول: «**يا مسلم**» لا يا عربي، ولا يا فلسطيني، ولا يا أردني، ولا يا سوري، ولا يا مصري، ولا يا شامي، ولا يا مغربي، إنَّه يناديه بوصفٍ واحدٍ وعنوان واحدٍ عُرِف به: إنَّه «مسلم».

فحين ندخل المعركة تحت شعار العبودية لله، وتحت راية الإسلام، حينذاك نرتقب النصر، وأن يكون كلّ شيء معنا حتَّى الشجر والحجر.

وهنا نتساءل: أيكون نطق الحجر والشجر بلسان المقال أم بلسان الحال؟

والجواب: أنَّه لا يبعد على قدرة الله تعالى أن ينطق الحجر الأصم، وما ذلك على الله بعزيز، ويكون ذلك كرامة للمؤمنين من باب خوارق العادات، وقد رأينا في عصرنا من العجائب المذهلات، ما قرَّب إلينا كلّ ما كان يستبعده الماديون الجاحدون.

على أنَّه لا مانع أن يكون نطق الشجر والحجر بلسان الحال، وقد قيل: لسان الحال أفصح من لسان المقال. والكلام لغةً: كلُّ ما يفيد معنى، وإن لم يكن بطريق النطق المعتاد.

المهم أنَّ من كان النصر حليفه كان كلُّ شيءٍ يعمل لحسابه، ويدلُّ على عدوه، حتَّى النبات والجماد، ومن كتب عليه الخذلان، كان كلّ شيء ضده، حتَّى السّلاح الَّذي في يديه.

أمَّا سؤال الأخ: هل يفهم من الحديث أنَّ معركتنا مع اليهود ستستمر حتَّى قيام السَّاعة؟

QaradawiBooks.com

فالجواب: أنَّ الصيغة لا يفهم منها ذلك بالضرورة، إنَّما تدلُّ على أن الأمر الواقع بعد حرف الغاية «حتَّى» سيقع لا محالة، ولا ريب في ذلك قبل قيام السَّاعة، وكلمة «قبل قيام السَّاعة» تمتدُّ من بعد وفاة النَّبيِّ ﷺ، إلى أن تُطوى صفحة هذا العالم، وبعبارة أخرى: إلى أن تقوم السَّاعة.

وقد نظرت فيما ورد بهذه الصيغة «**لا تقوم السَّاعة حتَّى...**» في كتاب صحيح الجامع الصغير، فوجدته قد أورد خمسة وعشرين حديثًا، منها ما قد وقع بالفعل، أعني ما بعد «حتَّى» ومنها ما لم يقع، ولا زال منتظر الوقوع.

فممَّا وقع: ما جاء في حديث أبي هُرَيْرة عند البخاري: «**لا تقوم السَّاعة حتَّى تأخذ أُمَّتي أخْذ القرون قبلها، شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع**»، قيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ قال: «**ومن النَّاس إلَّا أولئك؟!**»[(١)].

وتقليد الأمة لمن قبلها من الأمم، واتباعها لسننها شبرا بشبر، وذراعا بذراع، قد وقع واأسفاه، وكلنا يشكو منه.

ومنها: ما جاء في حديث أنس عند أحمد وابن حبان: «**لا تقوم السَّاعة حتَّى يتباهى النَّاس في المساجد**»[(٢)]. أي التباهي بزخرفتها وفخامتها، وهذا قد حدث منذ قرون.

ومنها: ما جاء في عدد من الأحاديث: «**لا تقوم السَّاعة حتَّى تقاتلوا التُّرك**»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٣١٩).

(٢) رواه أحمد (١٢٣٧٩)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبي داود في الصلاة (٤٤٩)، والنسائي في المساجد (٦٨٩)، وابن حبان في الصلاة (١٦١٤)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٢٨)، ومسلم في الفتن (٢٩١٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وقد حدث هذا من قرون، ثم هدى الله التُّرك، ودخلوا في الإسلام، وأصبحوا من أعظم المقاتلين من أجل الذود عنه، وإعلاء كلمته.

وهناك أمور تضمَّنتها أحاديث أخرى لم تقع بعد، مثل: «**لا تقوم السَّاعة حتَّى تطلُع الشمسُ من مغربها**»[1]. ويبدو أنَّ السَّائل ظنَّ أن الانتصار على اليهود، من هذا النوع المؤخَّر إلى قرب السَّاعة، ولا دليل في الحديث على ذلك.

بل المرجوُّ ـ إن شاء الله ـ أنَّ ذلك قريب، وقد لاحت تباشيره، وظهرت بواكيره، في الصحوة الإسلامية المرجوَّة لغدِ هذه الأمة، وفي ثورة المساجد، ثورة أطفال الحجارة، وحركة المقاومة الإسلامية الصامدة الباسلة، وفي التنادي في كلّ مكان بضرورة العودة إلى الإسلام، وهو ما يبشر بقرب يوم النصر، ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ [البقرة: ٢١٤].

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٦٣٥، ٤٦٣٦)، ومسلم في الإيمان (١٥٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

حديث: «الذي يسرق من صلاته»

س: سمعت أنَّ هناك حديثًا يتحدَّث عن السَّرقة من الصلاة، فما هو ذلك الحديث؟ وما معنى السّرقة من الصلاة؟

وليم أكتبر جر
(مسلم)

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

الحديث الَّذي يتحدَّث عن السَّرقة في الصلاة، رواه أكثر من صحابي عن رسول الله ﷺ. منها: ما رواه أبو قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أسوأ النَّاسِ سرقةً: الَّذي يسرق من صلاته!**». قالوا: يا رسول الله، كيف يسرق من الصلاة؟ قال: «**لا يُتِمُّ ركوعَها ولا سجودَها**»، أو قال: «**لا يقيمُ صلبَه في الركوع والسجود**»[1].

(١) رواه أحمد (٢٢٦٤٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وابن خزيمة في الصلاة (٦٦٣)، والطبراني في الأوسط (٨١٧٩)، وفي الكبير (٢٤٢/٣)، والحاكم في الصلاة (٢٢٩/١)، ووافقه الذهبي على تصحيحه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧١٩): رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومنها: ما رواه أبو هُرَيْرة رضي الله عنه بنحوه[١].

وكذلك رواه من الصحابة أبو سعيد الخدري[٢].

وكذلك رُوي من حديث عبد الله بن مغفل[٣].

فالحديث صحيح من حيث سنده، وأما معناه فهو واضح لكلّ ذي بصيرة في الدين. وإنَّما كان أسوأ النَّاس سرقة، لأنَّ السَّارق يسرق من غيره، وهذا يسرق من نفسه! ثم هو يسرق ما لا يجوز أن يُسرق بحال: يسرق روح الصلاة، وهو الخشوع والطمأنينة وإتمام الركوع والسجود، ولا معنى للصلاة بغيرها، وقد قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢].

(١) رواه ابن حبان في الصلاة (١٨٨٨)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. والحاكم في الصلاة (٢٢٩/١)، وصحَّحه ووافقه الذهبي.

(٢) رواه أحمد (١١٥٣٢)، وقال مخرجوه: حديث حسن.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٣٣٩٢)، والصغير (٣٣٥)، وجود إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٧٤٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧٢٢): رجاله ثقات.

QaradawiBooks.com

الفرقة النَّاجية وحديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة

س: حدَّد الحديث النبوي الشريف الفرقة النَّاجية بما كان عليه النَّبيُّ ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم، فهل تستطيع فئة من النَّاس في عصرنا أن تعتبر هي نفسها وحدها الفرقة النَّاجية دون غيرها، أم أنَّها تشمل الأئمَّة الأربعة وأتباعهم؟ وهل هذه الفئات الَّتي لا تتبع الأئمَّة الأربعة من السَّلفيين وغير المتمذهبين، هل هم من أهل السّنة والجماعة الَّتي هي الفرقة النَّاجية؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

تعرضنا للكلام عن هذا الحديث منذ بضعة عشر عامًا، عندما تحدثنا عن فقه الاختلاف في كتابنا: «الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرُّق المذموم»، وذكرنا بإجمال وتركيز القيمة العلمية لهذا الحديث، وبيَّنَّا ما فيه من كلام كثير في ثبوته وفي دلالته، ولا بأس أن نعيد هنا ما كتبناه هناك لأهميَّته وضرورته للسائل، ولمثله من القراء المسلمين. مع إضافة بعض الفوائد إليه إن شاء الله.

QaradawiBooks.com

فـأوَّل ما ينبغـي أن يعلم هنـا: أن الحديـث لم يرد فـي أي من الصحيحين، علـى الرغم من أهمية موضوعه، دلالـة على أنه لم يصح على شرط واحد منهما.

وما يقال من أنَّهما لم يستوعبا الصحيح، فهذا مسلَّم، ولكنَّهما حرصَا ألَّا يَدَعا بابًا مهمًّا من أبواب العلم إلَّا رويا فيه شيئًا، ولو حديثًا واحدًا.

إنَّ بعض روايـات الحديث لم تذكـر أنَّ الفرق كلها فـي النَّار إلَّا واحدة، وإنَّمـا ذكرت الافتراق وعدد الفرق فقـط. وهذا هو حديث أبي هُرَيْرة الَّـذي رواه أبو داود والتِّرْمِذيّ وابن ماجـه وابن حبان والحاكم، وفيه يقـول: «**افترقت اليهود على إحـدى ـ أو اثنتين ـ وسـبعين فرقة، وتفرقت النَّصارى على إحدى ـ أو اثنتين ـ وسبعين فرقة، وتفترق أُمَّتي على ثلاث وسبعين فرقة**»[1].

والحديث ـ وإن قال فيه التِّرْمِذيُّ: حسـن صحيـح، وصحَّحه ابن حِبَّان والحاكـم ـ مداره علـى محمَّد بن عمرو بـن علقمة بن وقَّاص الليثي، ومن قرأ ترجمته فـي (تهذيب الكمال) للمِـزِّي وفي (تهذيب التهذيب) لابن حجـر: علم أن الرجل متكلَّم فيه مـن قِبَل حفظه، وأنَّ أحدًا لم يوثِّقه بإطلاق، وكل ما ذكروه أنَّهم رجَّحوه على من هو أضعف منه. ولهذا لم يزد الحافظ في (التقريب) على أنَّ قال: صدوقٌ له أوهام. والصدق وحده في هذا المقام لا يكفي، ما لم ينضم إليه الضبط، فكيف إذا كان معه أوهام؟!

(١) رواه أحمد (٨٣٩٦)، وقال مخرجوه: إسـناده حسن. وأبو داود في السنة (٤٥٩٦)، والترمذي في الإيمان (٢٦٤٠)، وقال: حسـن صحيح. وابن ماجه في الفتـن (٣٩٩١)، وابن حبان في التاريخ (٦٢٤٧)، والحاكم في العلم (١٢٨/١)، صحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

ومعلــوم أنَّ التِّرْمِذيّ وابــن حِبَّــان والحاكم من المتســاهلين في التصحيح، وقد وُصِفَ الحاكم بأنَّه واسعُ الخطو في شرط الصحيح.

وهو هنا صحَّح الحديث على شــرط مســلم، باعتبار أن محمَّد بن عمرو احتج به مسلم، ورده الذهبي بأنَّه لم يحتج به منفردا، بل بانضمامه إلى غيره. على أن هذا الحديث مــن رواية أبي هُرَيْرة ليس فيه زيادة: أن الفرق «**كلها في النَّار إلَّا واحدة**» وهي الَّتي تدور حولها المعركة.

وقد روي الحديــث بهذه الزيادة من طريق عدد مــن الصحابة: عبد الله بن عمرو[١]، ومعاوية[٢]، وعوف بن مالك[٣]، وأنس[٤]، وكلُّها ضعيفة الإسناد، وإنَّما قووها بانضمام بعضها إلى بعض.

رأيي في حديث الفرقة النَّاجية:

والَّذي أراه: أنَّ التَّقوية بكثرة الطرق ليست على إطلاقها، وخصوصًا عند المتقدِّمين من أئمَّة الحديث، فكم من حديث له طرق عدة ضعَّفوه، كما يبدو ذلك في كتب التخريج والعلل وغيرهــا! وإنَّما يؤخذ بها فيما لا معارض له، ولا إشكال في معناه.

وهنا إشــكال أي إشــكال في الحكم بافتراق الأمة أكثر ممَّا افترق

---

(١) رواه الترمذي في الإيمان (٢٦٤١)، وقال: حديث مفسر غريب، لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه. والحاكم في العلم (١٢٨/١).

(٢) رواه أحمد (١٦٩٣٧)، وقال مخرجوه: إسناده حسن. وأبو داود في السنة (٤٥٩٧).

(٣) رواه ابن ماجه في الفتن (٣٩٩٢)، وقال البوصيري في الزوائد (١٧٩/٤): هذا إسناد فيه مقال، راشد بن سعد قال فيه أبو حاتم: صدوق. وعباد بن يوسف لم يخرِّج له أحد سوى ابن ماجه، وليس له عنده سوى هذا الحديث، قال ابن عدي: روى أحاديث تفرَّد بها وذكره ابن حبَّان في الثقات وباقي رجال الإسناد ثقات.

(٤) رواه أحمد (١٢٢٠٨)، وقال مخرجوه: حديث صحيح بشواهده. وابن ماجه في الفتن (٣٩٩٣).

QaradawiBooks.com

اليهود والنَّصارى من ناحية، وبأنَّ هذه الفــرق كلها هالكة وفي النَّار إلَّا واحدة منها. وهو يفتح بابًا؛ لأنَّ تدَّعي كلُّ فرقة أنَّها النَّاجية، وأنَّ غيرها هو الهالك، وفي هذا ما فيه مــن تمزيق للأمة، وطعن بعضها في بعض، ممَّا يضعفها جميعًا، ويقوِّي عدوَّها عليها، ويغريه بها.

ولهذا طعن العلامة ابن الوزير فــي الحديث عامَّة، وفي هذه الزيادة خاصة، لما تــؤدي إليه من تضليــل الأمة بعضها لبعــض، بل تكفيرها بعضها لبعض.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في «العواصم والقواصم» وهو يتحدَّث عن فضل هذه الأمة، والحذر من التورط في تكفير أحد منها، قال: «وإيَّاك والاغترار بـ«**كلها هالكة إلَّا واحدة**». فإنَّها زيادة فاسدة، غير صحيحة القاعدة، ولا يؤمن أن تكون من دسيس الملاحدة!

قال: وعن ابن حزم: أنَّها موضوعة، غير موقوفة ولا مرفوعة، وكذلك جميع ما ورد في ذم القدرية والمرجئة والأشعريَّة، فإنَّها أحاديث ضعيفة غير قوية»[(١)].

جـ ـ إنَّ من العلماء قديمًا وحديثًا من ردَّ الحديث من ناحية ســنده، ومنهم من رده من ناحية متنه ومعناه، فهذا أبو محمَّد بن حزم، يرد على من يكفِّر الآخرين بسبب الخلاف في الاعتقاديات بأشياء يوردونها. وذكر من هذه الأشــياء الَّتي يحتجون بها في التكفير حديثيــن يعزونهما إلى رســول الله ﷺ، هما: «**القدرية والمرجئة مجوس هذه الأمة**»[(٢)]. وحديث:

(١) العواصم والقواصم في الذب عن ســنة أبي القاســم لابن الوزير (١٨٦/١)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٤٢٠٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٨٧٣): رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح، غير هارون بن موسى الفروي وهو ثقة. عن أنس.

QaradawiBooks.com

«تفترق هذه الأُمَّة على بضع وسبعين فرقة، كلها في النَّار حاشا واحدة، فهي في الجنَّة».

قال أبو محمد: «هذان حديثان لا يصحَّان أصلًا من طريق الإسناد، وما كان هكذا فليس حُجَّة عند من يقول بخبر الواحد، فكيف من لا يقول به؟!»[(١)].

وهذا الإمام اليمني المجتهد، ناصر السُّنة، الَّذي جمع بين المعقول والمنقول، محمَّد بن إبراهيم الوزير (ت: ٨٤٠هـ) يقول في كتابه: «العواصم والقواصم»، أثناء سرده للأحاديث الَّتي رواها معاوية رضي الله عنه، فكان منها (الحديث الثامن): حديث افتراق الأمة إلى نيِّف وسبعين فرقة، كلها في النار، إلَّا فرقة واحدة. قال: «وفي سنده ناصبي، فلم يصح عنه، وروى التِّرْمِذيّ مثله من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وقال: حديث غريب. ذكره في الإيمان من طريق الأفريقي واسمه عبد الرحمن بن زياد، عن عبد الله بن يزيد عنه[(٢)].

وروى ابن ماجه مثله عن عوف بن مالك وأنس[(٣)].

ورواه أبو داود في السُّنَّة (٤٦٩١)، والحاكم في الإيمان (٨٥/١)، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين إن صح سماع أبي حازم من ابن عمر. ووافقه الذهبي، وصحح وقفه الدارقطني في العلل (٢٩٨٣)، وقال المنذري في مختصر سنن أبي داود (٥٨/٧): هذا منقطع، أبو حازم سلمة بن دينار لم يسمع من ابن عمر، وقد روي هذا الحديث من طرق، عن ابن عمر ليس فيها شيء يثبت. عن ابن عمر بلفظ: «القدرية مجوس هذه الأمة: إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم».

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (١٣٨/٣)، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة.

(٢) سبق تخريجه صـ ٣٩٢.

(٣) سبق تخريجه صـ ٣٩٢.

QaradawiBooks.com

قال: وليس فيها شيء على شرط الصحيح، ولذلك لم يخرج الشيخان شيئًا منها. وصحَّح التِّرْمِذيّ منها حديث أبي هُرَيْرة من طريق محمَّد بن عمرو بن علقمة[١]، وليس فيه «كلها في النَّار إلَّا فرقة واحدة». وعن ابن حزم: أن هذه الزيادة موضوعة، ذكر ذلك صاحب «البدر المنير»[٢].

وقد قال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥]: «وقد ورد في الحديث المروي من طرق عنه ﷺ، أنه قال: «**وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النَّار، إلَّا واحدة**»»[٣].

ولم يزد على ذلك، فلم يصفه بصحَّة ولا حسن، رغم أنَّه أطال في تفسير الآية بذكر الأحاديث والآثار المناسبة لها.

وذكر الإمام الشوكاني قول ابن كثير في الحديث ثم قال: «قلت: أمَّا زيادة «**كلها في النَّار إلَّا واحدة**». فقد ضعَّفها جماعة من المحدِّثين، بل قال ابن حزم: إنَّها موضوعة»[٤].

افتراق الأمة ليس لازمًا ولا مؤبَّدًا:

على أنَّ الحديث ـ وإن حسَّنه بعض العلماء كالحافظ ابن حجر، أو صحَّحه بعضهم كشيخ الإسلام ابن تيمية بتعدد طرقه ـ لا يدلُّ على أن هذا الافتراق بهذه الصورة وهذا العدد: أمر مؤبَّد ودائم إلى أن تقوم

(١) سبق تخريجه صـ ٣٩١.
(٢) العواصم والقواصم لابن الوزير (١٧١/٣، ١٧٢).
(٣) تفسير ابن كثير (٢٧٧/٣).
(٤) فتح القدير للشوكاني (٦٨/٢، ٦٩)، تفسير الآيات (٦٥ ـ ٦٧) من سورة المائدة، نشر دار ابن كثير، دمشق، ودار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

QaradawiBooks.com

السّاعة، ويكفي لصدق الحديث أن يوجد هذا في وقت من الأوقات، فقد توجد بعض هذه الفرق، ثم يغلب الحقّ باطلها، فتنقرض ولا تعود أبدًا، وهذا ما حدث بالفعل لكثير من الفرق المنحرفة، فقد هلك بعضها، ولم يعد لها وجود، كما أنَّ الحديث يـدلُّ على أن هذه الفرق كلها «جزء من أُمَّته» ﷺ، أعني أمة الإجابة المنسـوبة إليه، بدليل قوله: «**تفترق أمتي**». ومعنى هذا أنَّها ـ برغم بدعتها ـ لم تخرج عـن الملة، ولم تنفصل عن جسم الأمة المسـلمة، وكونها «في النَّار» لا يعني الخلود فيها كما يخلد الكفار، بل يدخلونها كما يدخلها عصاة الموحدين، وقد يشفع لهم شفيع مطاع مـن الأنبياء أو الملائكـة أو آحاد المؤمنين، وقـد يكون لهم من الحسنات الماحية، أو المحن والمصائب المكفرة، ما يدرأ عنهم العذاب، وقد يعفو الله عنهم بفضله وكرمه، ولا سيَّما إذا كانوا قد بذلوا وسعهم في معرفة الحق، ولكنَّهم لم يوفَّقوا، وأخطـؤوا الطريق، وقد وضع الله عن هذه الأمة الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه.

ثم هل مـن المعقول أن تكون الأمة الإسـلامية شـرًّا مـن اليهود والنَّصارى؟ اليهود افترقوا على واحد وسـبعين فرقة، والنَّصارى افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة، والمسلمون يفترقون إلى ثلاثة وسبعين فرقة؟! القرآن قال عن اليهود: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال عن النَّصـارى: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤]. والقرآن لم يقل مثل هذا عن الأمة الإسلامية.

وبعض النَّاس يأخذ من هذا الحديث أنَّ افتراق الأمة الإسـلامي أمـر لازم وقـدري ومؤبد، وهـذا ليس معقـولا، الله تعالـى يقول:

QaradawiBooks.com

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. ويقول: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، ويقول: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٦]. ويقول النَّبيّ ﷺ: «**لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**»(١).

فإذا كانت الأمة ستختلف، فما فائدة الأوامر والنواهي إذا كان تفرق الأمة قدريًّا ولازمًا لها؟!

وعلى فرض صحَّة هذا الحديث، وأنَّ الأُمَّة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة، وهذه الواحدة هي الَّتي تتمسك بالكتاب والسُّنَّة، ومعنى تتمسك: تلتزم، حتَّى وإن انحرفت في بعض الجزئيات؛ لأنَّه سيظل هناك أمور يختلف فيها النَّاس، وسيظل هناك من يلتزم بالاحتكام للكتاب والسُّنَّة، ولكنَّه منحرف عنهما، مؤمن أن الكتاب والسُّنَّة أصل هذا الدين، ولكنَّه للأسف يتَّبع الشهوات، يرتكب المعاصي، ينحرف سلوكيًّا وأخلاقيًّا، مع أنَّه مؤمن بالكتاب والسُّنَّة، فهل يُخرجه هذا من الفرقة المتَّبِعة للكتاب والسُّنَّة، الفرقة الَّتي كان عليها النَّبيُّ ﷺ وأصحابه؟ طبعًا لا، فهو ما دام ملتزمًا بالكتاب والسُّنَّة: أَصْلَيْ هذا الدِّين، فهو من هذه الفرقة.

الجماعات العاملة للإسلام ليست من الفرق:

ولذلك فالمذاهب الإسلامية الأربعة وغيرها من المذاهب التَّاريخية، وهذه الجماعات العاملة للإسلام، والَّتي نسمِّيها: فصائل الصحوة الإسلامية، وهي جماعات متنوِّعة، وبينها بعض الخلافات، لا نستطيع أن نقول: إنَّهم من الفرقة الهالكة أو الضالة، هم من الفرقة الَّتي نرجو لها

(١) رواه البخاري في الخصومات (٢٤١٠)، وأحمد (٣٩٠٨)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

النجاة في مجموعها، أمَّا الأفراد فكل واحد يحاسب على عمله، ومدى التزامه بمنهج هذه الفرقة، فلا تأتي جماعة وتقول: نحن وحدنا العاملون بالكتاب والسُّنَّة، وتتنابز الفرق بعضها مع بعض، فالكل عامل بالكتاب والسُّـنَّة، وهناك خلافات ستظل قائمة، وقد اختلف الصحابة بين يدي رسول الله ﷺ، فعن ابن عمر قال: قال النَّبيّ ﷺ لنا لما رجع من الأحزاب: «**لا يُصَلِّيَنَّ أحد العصر إلَّا في بني قريظة**». فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتَّى نأتيها. وقال بعضهم: بل نصلي، لم يُرِد منَّا ذلك. فذُكِر للنَّبيِّ ﷺ، فلم يعنف واحدًا منهم[1].

فالنبي ﷺ أقرَّ مشروعية الاختلاف والاجتهاد في فهم النُّصوص، فنحن يجب أن يسع بعضنا بعضًا في فهم النُّصوص؛ لأنَّ من النَّاس من ينظر إلى المقاصد، ومنهم من يتمسَّك بالظواهر، ومنهم بين بين.

لنفترض أنَّ واحدًا يرى إخراج زكاة الفطر نقودًا، وآخر يرى إخراجها طعامًا، أنت لك رأيك، وأنا لي رأيي، الحديث وحي، لكن فهمي وفهمك للحديث ليس وحيا، فلا تلزمني بفهمك.

قاعدة المنار الذهبية:

وينبغي لنا جميعًا أن نعمل بقاعدة المنار الذهبية الَّتي وضعها العلامة السَّلفي الشيخ محمَّد رشيد رضا: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه.

لكي نعمل عملا للإسلام، ولنصرة الإسلام، وللأمة الإسلامية، ولتطبيق الشَّريعة الإسلامية، ومقاومة أعداء الإسلام، لا بدَّ أن نعمل على

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في صلاة الخوف (٩٤٦)، ومسلم في الجهاد (١٧٧٠)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

كلّ ما يوحِّد الأمة، ويبعد الفرقة عنها، فأعداء الأمة يريدون أن يفرِّقوها ويمزِّقوها شرَّ ممزَّق، بكلِّ الوسائل، ولا يجوز أن نصغي إليهم، ولا يجوز أن نفتح عقولنا وقلوبنا لهذه الوساوس والهواجس، الَّتي ليس من ورائها إلَّا تمزيق الأمة.

وما نتفق عليه كثير جدًّا، فيجب أن نتعاون فيه، نتفق على محاربة الإلحاد، على محاربة الشيوعية، ومحاربة التحلِّل والإباحية، وكلِّ دعوة إلى التحلُّل والإباحية والخلاعة نقف معا ضدها، نقف ضد تبرج النساء، ضد التحلُّل من الأخلاق والفضائل، نتفق على أن الصلاة فرض من فرائض الإسلام، فيجب أن نتعاون على أن يقيم النَّاس الصلاة، ونتعاون على كلِّ ما يحبِّب النَّاس في هذه الفريضة.

ونتفق على حرمة الرِّبا والخمر والميسر، والزِّنَى والفواحش: ما ظهر منها وما بطن، واللواط والسِّحاق، والاحتكار والرشوة والغشِّ، وأكل المال بالباطل، والظلم والتجبر، وخصوصًا على الضعفاء.

هناك أشياء كثيرة نتفق عليها، فهذه الأشياء يجب أن نتعاون فيها، وهي كثيرة جدًّا، وتحتاج إلى جهود وأوقات، وأموال وعقول، فلنتعاون في هذه القضايا.

والاختلاف ضرورة، ورحمة وسعة، ضرورة تقتضيها طبيعة الدين، وطبيعة اللغة، وطبيعة البشر، وطبيعة الكون والحياة.

فالاختلاف لا بدَّ منه، لو أراد الله أن يجعل النَّاس كلها على رأي واحد لأنزل كتابه آيات محْكمات قاطعات الدلالة، ولكن الله أنزل الكتاب كما قال: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، وجعل من مصادر الدين الحديث، ومعظم ثبوت الحديث

QaradawiBooks.com

ثبوت ظني، المتواتر من الحديث قليل جدًّا، فسيظل النَّاس يختلفون، واللغة نفسها فيها الحقيقة وفيها المجاز، فمثلًا في قوله تعالى: ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [المائدة: ٦]. من المجتهدين من فهمها على الحقيقة أي: وضع البشرة على البشرة، ومنهم ـ كابن عبَّاس ـ من يقول: اللمس والملامسة والمس في القرآن كناية عن الجماع، إن الله حيي كريم، يكني عمَّا شاء بما شاء[1].

لذلك سيظلُّ النَّاس يختلفون، فالأَوْلى ما دمنا سنختلف لا محالة: أن يعذر بعضنا بعضًا في الأشياء المختلف فيها، وعلماؤنا من قديم قالوا: لا إنكار في المختلف فيه بين المجتهدين في المسائل الاجتهادية. فما دامت المسائل قابلة للاجتهاد، أي ليست مسألة ثابتة بنصٍّ قطعيِّ الثُّبوت قطعيِّ الدلالة، والمسائل الثابتة بنصٍّ قطعيِّ الثُّبوت قطعيِّ الدلالة محدودة جدًّا، وهذا من رحمة الله، وهي مع كونها محدودة جدًّا مهمة جدًّا أيضًا، لأنَّها هي الَّتي تجسد وحدة الأمة، وتجسد الثوابت الفكرية والشعورية والسلوكية والعملية للأمة، فهذه هي المنطقة المغلقة، الَّتي لا يدخلها اجتهاد ولا تطوّر، ولا تتغير بتغير الزمان أو المكان، أو العرف أو الحال.

ولقد فهم أصحاب رسول الله ﷺ هذا الفهم، واختلف بعضهم مع بعض، وعذر بعضهم بعضًا، سيدنا عمر ـ وهو أمير المؤمنين ـ لقي رجلًا فقال: ما صنعتَ؟ فقال: قضى عليٌّ وزيدٌ بكذا. قال: لو كنتُ أنا لقضيتُ بكذا. قال: فما يمنعك والأمر إليك؟ فقال: لو كنتُ أردُّك إلى كتاب الله ﷻ، أو إلى سنة نبيه ﷺ لفعلتُ، ولكنِّي أردُّك إلى رأيي، والرأي

(١) سبق تخريجه صـ ١٤٣.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مشـــترك[١]. أي: أردُّك إلى فهم ورأي عندي، والرأي مشترك بين النَّاس، كلّ له رأيه، فرأي زيد وعلي مثل رأيي، فما دام ليس نصًّا قاطعًا صريحًا من كتاب الله وسنة رسوله فهو يحتمل الخلاف، وما دام يحتمل الخلاف فلا بدَّ أن يتسامح النَّاس فيما اختلفوا فيه.

هذا ما كان عليه الصحابة، وهـــذا ما كان عليه التابعون وتابعوهم، والأئمَّة العظام صلى بعضهم وراء بعض، فالإمام أحمد كان من رأيه أن الرعاف أو سيلان الدم ينقض الوضوء، إذا كان شـــيئًا كثيرًا، فقيل له: هل تصلي وراء من لا يرون ذلك ناقضًا للوضوء؟ قال: كيف لا أصلي وراء سعيد بن المســـيب ومالك بن أنس[٢]؟ وكان سعيد ومالك يريان خلاف رأيه.

أمَّـــا التعصُّب المذهبـــي فلم تعرفـــه الأُمَّة إلَّا في عصـــور الانغلاق والجمود والتقليد الأعمـــى، حتَّى وصل الأمر في بعض الفترات إلى أن بعض أتباع المذاهب الأربعة كان لا يصلِّي وراء أحد من مذهب آخر.

(١) انظر: جامع بيان العلم وفضله (١٦١٤)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٦٥/٢٠).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

تشبُّه أحد الجنسين بالآخر

س: ما معنى الحديث الشريف الَّذي يقول: لعن رسول الله ﷺ المخنَّثين من الرجال وَالمترجِّلات من النساء[١].

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

هذا حديث صحيح، النَّبيُّ ﷺ لعن المخنَّثين من الرجال، وهو الرجل الَّذي يتشبه بالمرأة، والمترجلات من النساء، وهي المرأة الَّتي تتشبه بالرجل.

وفي حديث آخر: «لعن رسول الله ﷺ المتشبِّهين من الرجال بالنِّساء، والمتشبِّهات من النِّساء بالرجال»[٢]. ولعن النَّبيُّ ﷺ الرجل يلبس لِبْسة المرأة، والمرأة تلبس لِبْسة الرجل[٣].

---

(١) رواه البخاري في اللباس (٥٨٨٦)، وأحمد (١٩٨٢)، عن ابن عباس.

(٢) رواه البخاري في اللباس (٥٨٨٥)، وأحمد (٣١٥١)، عن ابن عباس.

(٣) رواه أحمد (٨٣٠٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في اللباس (٤٠٩٨)، والنسائي في الكبرى في عشرة النساء (٩٢٠٩)، وابن حبان في الحظر والإباحة (٥٧٥١)، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ونهيه ﷺ الرجل أن يلبس لِبسة المرأة، والمرأة أن تلبس لِبْسة الرجل؛ لأنَّ الله خلق الزوجين الذَّكر والأنثى، وجعل لكلِّ نوع منهما خصائصه الَّتي تميزه، وتتوافق مع وظيفته، فالله تعالى هيأ المرأة لتكون امرأة، وهيأ الرجل ليكون رجلًا، فنريد نحن أن نذيب الفوارق بين الجنسين، ونحاول أن نؤنِّث الرجل ونرجِّل المرأة؟! هذا خَبْط وخلط، أن يستنوق الجمل، وأن يستنعج الكبش، هذا عمل لا يجوز، الجمل جمل، والناقة ناقة، والكبش كبش، والنعجة نعجة، والديك ديك، والدجاجة دجاجة، حتَّى الحيوانات تُعرف من الشكل، يُعرف الديك من الدجاجة، ويُعرف الثَّور من البقرة، ويُعرف الكبش من النعجة.

فالله تعالى خلق الذكورة والأنوثة لحكمة إلهيَّة، فالخلط بين الاثنين وتذويب الفوارق بينهما بحيث يلبس الرجل كما تلبس المرأة، وتلبس المرأة كما يلبس الرجل هذا عمل مخالف تمامًا لفطرة الله تعالى الَّتي فطر عليها الخلق، ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠].

أذكر أنِّي كنتُ ذات مرَّة في إحدى العواصم العربية أمشي مع بعض الأصدقاء، وكان يمشي أمامنا شاب وفتاة، فقال لي هذا الصديق: هذان الاثنان اللذان أمامنا، هل تعرف من منهما الرجل ومن منهما المرأة؟ فتأملتهما فلم أجد فرقًا بينهما، قلتُ: كأنهما رجلان؛ لأنهما يلبسان لباسين متشابهين تمامًا، كلاهما يلبس بلوزة وبنطالًا، وشعر كلِّ منهما طويل قليلًا، ليس كشعر النساء وليس كشعر الرجال، وكلاهما حليق تمامًا، يحتار المرء أن يميز بينهما، أو أن يحكم بأنَّه رجل أو امرأة، كيف يمكن التمييز بينهما؟!

الرجل الَّذي يتشبه بالنساء، لن يكون امرأة، والمرأة الَّتي تتشبه بالرجال لن تكون رجلًا، لن تصبح المرأة رجلًا، ولن يصبح الرجل

QaradawiBooks.com

امرأة، كلّ منهما يشبه الغراب الَّذي قلَّد النَّسْر، فلم يصر نسرًا، ولم يستطع أن يعود غرابًا، فهذا الَّذي يتشبه بالمرأة ما هو برجل، ولا هو بامرأة، هذه مشكلة.

هذا الشخص الناعم الَّذي يقول عنه الشاعر:

خَطَراتُ النَّسيم تجرحُ خدَّيْه ولمسُ الحرير يُدْمِي بنانَهْ[1]

هذا الشخص الناعم كم يساوي في سوق الرجال؟ لا يساوي شيئًا، لذلك حرَّم الإسلام على الرجال أن يتحلَّوْا بالذهب، وأن يلبسوا الحرير الخالص أو الغالب، لماذا؟ حتَّى يحتفظ الرجل بشخصيته الرجولية، ولا تذوب شخصيته، فلا يعرف إن كان امرأة أو رجلًا.

والمرأة كذلك ينبغي أن تحتفظ بنعومتها ولطفها كامرأة، النَّاس يسمون المرأة: الجنس اللطيف، فالمرأة لو حاولت أن تخشوشن وتترجل كالرجل، ماذا بقي لها من خصائص المرأة، وهل هذا ينفعها؟ هل هذا يصلح لها؟ وهذا ممَّا جلبته علينا الحضارة الغربية، الَّتي حاولت أن تُخرج المرأة من أنوثتها، ومن طبيعتها، لتتمرد على فطرة الله ﷻ.

المرأة سليمة الفطرة إذا قيل لها: شكلك شكل الرجال، أو صوتك صوت الرجال. ستغضب وتتضايق؛ لأنَّها تحب أن تكون امرأة في شكلها وصوتها.

وكذا الشاب صاحب النخوة والرجولة، يحبُّ أن يظهر بين النَّاس

(١) البيت لشهاب الدين العزازي، كما في نفح الأزهار في منتخبات الأشعار لشاكر بن مغامس البتلوني صـ ٩، تحقيق إبراهيم اليازجي، نشر المطبعة الأدبية، بيروت، ط ٣، ١٨٨٦م.

QaradawiBooks.com

رجلًا، في كلامه وتصرفاته، ولباسه ومشيته، ليس كهؤلاء الَّذين وصفهم الشاعر محمود غنيم رَحِمَهُ اللَّهُ حين قال:

شبابَ العُرْبِ يا زَيْنَ الشَّبَابِ ... ويا أشبالَ آسادٍ غضابِ
أرى منكم فريقًا حينَ يمشي ... يحكُّ بأنفه متنَ السَّحابِ
كلَيْثِ الغابِ في صَلَفٍ وكِبْرٍ ... وليس لدى الكريهةِ ليثَ غابِ
تفنَّنَ في محاكاةِ العَذَارى ... وخالفهَّن في لُبس النِّقابِ
ولا يُخشى على شيءٍ ويَخشى ... إذا ثار الغبارُ على الثيابِ[1]

كلَّ ما يريده هو أن يبقى في أُبَّهته وأناقته، هل هذا هو الَّذي تنهض به الأمة؟ الأمة الَّتي تريد أن تتحرر من أعدائها، وأن تستقل بسيادتها، وأن تصبح سيدة في أرضها، هل بمثل هؤلاء الشباب تنهض الأمم وترقى الشعوب؟ هل بمثل هذا تقوم النهضات؟! لا والله، إنَّما تقوم النهضات على أكتاف وبسواعد شباب كأولئك الَّذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].

(١) من ديوان صرخة في وادٍ لمحمود غنيم. انظر: الأعمال الكاملة صـ ٩٠، نشر دار الغد العربي.

نسخة مجانية
غير مخصصة للبيع
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

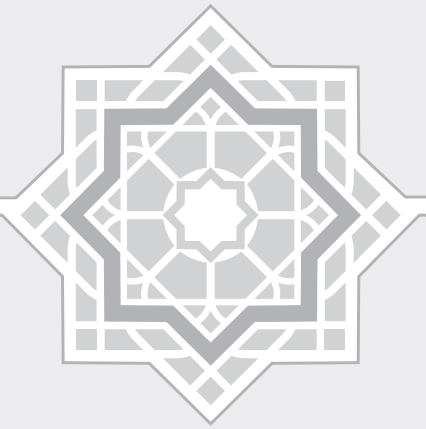

دفاع عن السُّنَّة

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

دفاع عن صحيح البخاري

غير مرخصة للطباعة

س: نشرت مجلة «العربي» في عددها (٨٧) بتاريخ (١١ شوال ١٣٨٥هـ ـ شباط ١٩٦٦م) كلمة السيد عبد الوارث كبير في باب «أنت تسأل ونحن نجيب» ردًّا على باحث عراقي مسلم لقَّب نفسه «جابر عثرات الكرام» دافع عن الصحابة وعن البخاري. وإن لم ينشر المحرر كلمته كلها. وجاء في هذا الرد قوله: «فأنا لم أتهم أبا هُرَيْرة أو البخاري أو غيرهما، من الصحابة أو أصحاب «الصحاح» باختراع الأحاديث أو صنعها... ولست أقول عن حديث ما: إنَّه ضعيف أو مصنوع؛ لمجرَّد أنه لا يتَّفق مع العقل والمنطق فحسب، بل لأن ذلك رأي كثير من الأئمَّة والفقهاء القدماء والمحدثين على السّواء، أمثال الإمام ابن تيمية والقسطلاني والذهبي والبيهقي والطبراني والدارقطني والهيثمي والسيوطي والعسقلاني، وغيرهم!

والكلام عن الأحاديث الموضوعة ممَّا لا تتسع له صفحات هذا الباب، لكنني مع ذلك أقبل تحديك يا جابر عثرات الكرام، وأسألك كيف يعقل أن يقول الرسول صلوات الله عليه: «**اختلاف أمتي رحمة**»، أو «**اختلاف أصحابي رحمة**»[1]. في بعض الروايات، بينما الله تعالى يقول

(١) قال العراقي في تخريج الإحياء صـ ٣٦: ذكره البيهقي في رسالته الأشعرية تعليقًا، وأسنده في المدخل من حديث ابن عباس بلفظ: «اختلاف أصحابي لكم رحمة». وإسناده ضعيف. وقال =

QaradawiBooks.com

في محكم كتابه: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، ويقول جل شأنه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ويقول: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦].

وليت شعري إذا كان جزاء «من أطعم أخاه خبزًا حتَّى يُشبِعَه، وسقاه ماء حتَّى يرويه، أبعده الله عن النَّار سبعة خنادق، ما بين كلّ خندقين منها مسيرة خمسمائة عام». فما ترى يكون جزاء من يطعم كلَّ يوم عشرة مساكين حتَّى يشبعوا ويسقيهم حتَّى يرتووا؟!

وكيف يعقل أن يقول الرسول: «إن الدُّنْيا حرام على أهل الآخرة، وإنَّ الآخرة حرام على أهل الدنيا» والله ﷻ يقول في محكم كتابه: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧]، ويقول جل شأنه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]؟!

وكيف يقول الرسول: «الطاعون وخْز إخوانكم الجنِّ»[(١)]، وفي رواية أخرى «أعدائكم الجنِّ»[(٢)]؟ وكيف يقول: «حسنات الأبرار سيئات المقربين»[(٣)]؟

= السبكي فيما نقله عنه المناوي في فيض القدير (٢٠٩/١): وليس بمعروف عند المحدثين ولم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع.

(١) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٨٢/١٠): لم أره بلفظ إخوانكم بعد التتبع الطويل البالغ في شيء من طرق الحديث المسندة، لا في الكتب المشهورة، ولا الأجزاء المنثورة، وقد عزاه بعضهم لمسند أحمد أو الطبراني أو كتاب الطواعين لابن أبي الدنيا ولا وجود لذلك في واحد منها.

(٢) رواه أحمد (١٩٥٢٨)، وقال مخرجوه: هذا إسناد اختلف فيه على زياد بن علاقة. والحاكم في الإيمان (٥٠/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال ابن حجر في فتح الباري (١٨١/١٠): رجاله رجال الصحيح إلا المبهم، عن أبي موسي الأشعري.

(٣) ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة (٤٠٤)، ثم قال: هو من كلام أبي سعيد الخراز، رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣٧/٥)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

وكيف يقول: «اتَّخذوا الحمام المقاصيص، فإنَّها تُلهي الجنَّ عن صبيانكم»[(١)]؟!

وكيف يقول: «عليكم بالقرع، فإنَّه يزيد في الدماغ... وعليكم بالعدس فإنَّه قدس على لسان سبعين نبيًّا»[(٢)]؟! أو يقول: «زينوا موائدكم بالبقل، فإنَّه مطردة للشيطان»[(٣)]؟!

ليس هذا فقط يا جابر عثرات الكرام! فإن في صحيح البخاري وغيره من كتب الحديث ما هو أدهى من ذلك وأمرّ، في مخالفة ما أمر الله به عباده، وأنزله في محكم كتابه. قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وهذا أمر صريح في ألا يقرب الرجل زوجته وهي في الحيض؛ ولكن البخاري وأصحابه ـ سامحهم الله وغفر لهم ـ ينسبون إلى السَّيدة عائشة في «كتاب الحيض» أنَّها قالت: كان النَّبيُّ يأمرني فأتزر، فيباشرني وأنا حائض[(٤)].

ونسبوا مثل ذلك إلى «ميمونة» إحدى زوجات الرسول[(٥)].

فما الَّذي يفهمه النَّاس من هذه الأحاديث؛ إلَّا أنَّ الرسول كان يباشر زوجته في فترات حيضهن، خلافًا لما أمره الله به؟

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل (٣٠٠/٧)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٩٦/٣)، عن ابن عباس، وفيه إسناده محمد بن زياد اليشكري، وقال الذهبي في الميزان (٧١٢٢): كذَّاب وضَّاع. ثم أورد له هذا الخبر.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٦٣/٢٢)، وفي مسند الشاميين (٣٤٠٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٠٣٤): فيه عمرو بن الحصين، وهو متروك. عن واثلة.

(٣) رواه ابن نصر في فوائده (١٠٠)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢٩٨/٢)، عن أبي أمامة.

(٤) رواه البخاري في الحيض (٣٠٠).

(٥) إشارة إلى الحديث المتَّفق عليه: إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه أمرها، فاتزرت وهي حائض. رواه البخاري (٣٠٣)، ومسلم (٢٩٤)، كلاهما في الحيض.

QaradawiBooks.com

فهل يرضيك ذلك أو يرضي أحدًا من المسلمين؟ وهل يعقل أن يصدر هذا الفعل المنكر عن نبي، بل عن سيد الأنبياء؟!

ثم اسمع أيضًا.. يقول الله تعالى في سورتي النساء والمائدة، في حكم الطهارة من الجنابة: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ إلى آخر الآية. ويقول البخاري: إنَّ رجلًا أتى عمر فقال: إنِّي أجنبت فلم أجد ماء، فقال له عمر: «**لا تصلِّ**»[(١)]!

أمَّا ثالثة الأثافيِّ، فهي عن زيد بن أنس، بسند صحيح على شرط «الشيخين»، وصححه ابن حزم في «الإحكام»، وأخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» قال: أمطرت السَّماء برَدًا في رمضان فقال أبو طلحة: ناولني من هذا البرَد. فجعل يأكل منه وهو صائم! فقلت: أتأكل البرَد وأنت صائم؟ فقال: إنَّما هو برَد نزل من السَّماء نطهر به بطوننا، وإنه ليس بطعام ولا شراب. إنَّما هو بركة! فأتيت رسول الله فأخبرته بذلك فقال: «**خذْها من عمِّك**»[(٢)].

ولو صحَّ هذا ـ يا جابر عثرات الكرام ـ لكان أكل البرد في رمضان لا يفطر، وهذا ما لا يقول به مسلم على الإطلاق، حتَّى ولو ورد ألف مرَّة في «البخاري» و«مسلم» وكل كتب الصحاح.

---

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في التيمم (٣٣٨)، ومسلم في الحيض (٣٦٨)، عن عمار بن ياسر.

(٢) رواه أبو يعلى (١٤٢٤)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٨٦٤)، وقال عقبه: علي بن زيد (ابن جدعان) ليس من أهل الثبت في الرواية، وقد رواه عن أنس من هو أثبت منه، فلم يرفعه إلى النبي ﷺ، وهو قتادة بن دعامة السدوسي، وثابت بن أسلم البناني وكل واحد منهما حجة على علي بن زيد في خلافه إياه، فكيف بهما جميعا في خلافهما إياه؟ وأورده الألباني في الضعيفة (١/١٥٣).

QaradawiBooks.com

من أجل ذلك وأمثاله نطالب بتنقية كتب التفسير والحديث من تلك الخزعبلات والمفتريات يا جابر عثرات الكرام.. أفلا تزال بعد ذلك كله مصرًّا على التحدي؟! إنِّي على أي حال مستعد لالتقاط القفاز اهـ.

نرجو بيـــان رأيكم في هذا الـــكلام من الناحية الشـــرعيَّة والعلمية، وخصوصًا فيما يتعلق بصحيح البخاري، والتشكيك فيه، لما له من منزلة في نفس كلِّ مسلم.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

لقد فوجئت وفوجئ كلُّ مســـلم، بل كلُّ منصف، بما نشرته مجلة «العربي» في عددها (شـــباط ١٩٦٦) عن الحديث النبوي في باب «أنت تسأل ونحن نجيب» الَّذي يشرف عليه السَّيد عبد الوارث كبير، ودهش القراء لهذه الحملـــة المنكرة بالعناوين البـــارزة وبالبنط العريض، على أعظم كتاب في الإســـلام بعد القرآن «الجامع الصحيح للبخاري» الَّذي تلقته الأمة منذ اثنى عشر قرنًا بالقبول والرضا، جيلًا بعد جيل، الخاصَّة منها والعامَّة، حتَّى إنَّ النَّاس إذا أرادوا أن يهونوا من خطأ وقع فيه إنسان قالوا: «إنَّه لم يخطئ في البخاري» ولكن المجلة ـ ويا للهول ـ نشـــرت عنوانا ضخمـــا تقول فيه: «صحيح البخاري ليس كله صحيحًا وليســـت هذه الأحاديث مفتراة بل منكرة».

لقد قَفَّ شعرُ رأسي، واقشـــعرَّ جلدي، حين وقعت عيني على هذه العناوين المثيرة الَّتي تحدَّت بها المجلة مشـــاعر المســـلمين، وصدمت

QaradawiBooks.com

أفكارهم بما يشبه القذائف المدمِّرة، وما لقيت أحدًا قرأ هذا الشيء أو سمع به، إلَّا أنكره واستبشعه، وحوقل واسترجع، وعجب النَّاس وعجبت معهم كيف يصدر هذا المنكر من مجلة عربية في بلد عربي مسلم، تطبع بمال المسلمين، ويحررها مسلمون أيضًا، كما يُفهم ذلك من أسمائهم؟!

والعجب أنَّ كاتب ذلك العنوان المثير سلك للتدليل عليه منهجًا غير مستقيم، منهجا لا يرضى عنه العِلم، ولا يرضى عنه الخُلُق، ولا يرضى عنه الدِّين.

فقد مهَّد للحملة على صحيح البخاري بذكر جملة من الأحاديث الموضوعة، أو الَّتي لا أصل لها بالإجماع، مع عدم الحاجة إلى ذكر هذه الأحاديث، فقد وُئِدت في مهدها؛ بفضل جهود أئمَّة الحديث الَّذين أفنوا أعمارهم في سبيل خدمة السّنة النبوية، وتنقيتها من زيف المزيفين، وانتحال المبطلين، وقد قيل للإمام عبد الله بن المبارك: هذه الأحاديث الموضوعة! فقال: «تعيش لها الجهابذة»[1] وصدق عبد الله فقد عاشوا لها، وماتت هي ولله الحمد، وحفظ الله دينه، وصدق وعده: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ولا ريب أنَّ حفظ الذكر «القرآن» إنَّما يتم بحفظ ما يبينه ويشرحه، وهي السُّنَّة الَّتي خاطب الله صاحبها بقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

أجل. لم يكن من الجد أن يحشر الأستاذ مجموعة من الأباطيل المكشوفة مثل: «عليكم بالعدس؛ فإنَّه قُدِّسَ على لسان سبعين نبيًّا»

(١) رواه الخطيب البغدادي في الكفاية في علم الرواية صـ ٣٦، تحقيق أبو عبد الله السورقي وإبراهيم حمدي المدني، نشر المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

QaradawiBooks.com

ونحوه، فإنَّ أصل الموضـــوع الَّذي جرت فيه المناقشـــة هو تنقية كتب التفسير والحديث، ممَّا فيها من شـــوائب وإسرائيليات، فما لهذه الكتب ومثل: «اتَّخذوا الحمام المقاصيص...» إلخ.

إنَّ إيراد ذلك في مثل هذا المقام يوهم القراء أنَّ كُتب الحديث روت هذه الأباطيل أو اعتمدتها، أو ســـكت علماء الحديث عن بيان درجتها، وهو إيهام غير صحيـــح قطعًا. وهو يدلُّ علـــى أن الغرض من وراء هذه الحملة إنَّما هو التشويش والتشكيك في الإسلام ومصادره وأئمته بالجد والهزل، والهدم بكلّ معول تناله اليد.

وأغرب من ذلك أنَّ الكاتب ذكـــر هذه الأحاديث الباطلة المفضوحة بلا شـــك، ثم قال بالحرف الواحد ـ ويا لهول ما قال ـ «ليس هذا فقط، فإنَّ في صحيح البخاري وغيره من كتب الحديث ما هو أدهى من ذلك وأمَرّ، في مخالفة ما أمر الله به عباده وأنزله في محكم كتابه».

يـــا للهَ! أصحيـــح البخاري وكتـــب الحديـــث فيها أدهـــى وأمرّ من الأحاديث المكذوبة المفتراة الَّتي ذكرها الكاتب! أما والله لو صحَّ ذلك لكان الأستاذ أعظم المكتشفين في العصر الحديث، فقد أزاح السِّتار عن حقائق غابت عن الأُمَّة الإسلامية كلها اثني عشر قرنًا، حتَّى أتى هو آخر الزمان بما لم تستطعه الأوائل!

ترى ما هذه الأحاديث الَّتي رواها البخاري وهي عند الكاتب أدهى وأمر ممَّا ذكر من الأكاذيب والأباطيل؟!

لقد تمخـــض الجمل ولم يلد شـــيئًا، لم يلد فـــأرًا ولا ضفدعًا. ذكر الكاتب حديثين رواهما البخاري ـ كما يقول ـ زعمهما مخالفين لكتاب الله. فلنقف قليلًا لكي نناقش الكاتب في زعمه الخطير:

QaradawiBooks.com

الحديث الأول: رواه البخاري في كتاب الحيض عن السّيدة عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النَّبيّ ﷺ يأمرني فأتزر فيباشرني وأنا حائض»[(١)].

وقال الكاتب: ونسبوا مثل ذلك إلى «ميمونة» إحدى زوجات الرسول[(٢)].

يرى الكاتب ذلك مخالفًا للآية الكريمة: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وكان على «علامة دهره وفريد عصره» أن يجلي لنا وجه المخالفة والتعارض بين الآية والحديث، وذلك لا يكون إلَّا ببيان المراد من الاعتزال المأمور به في الآية، والمباشرة المروية في الحديث، ليبين للقارئ أهمها متعارضان حقًّا أم لا؟

فالذي يبدو أنه إما فسر المباشرة بأنَّها الجماع، فقد تطلق على ذلك كما في قوله تعالى: ﴿فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]. وإمَّا أنَّه فسَّر اعتزال المرأة في الحيض بأنَّه اعتزال فراشها وتحريم جميع بدنها على الزوج!

وكلا التفسيرين خطأ.

أمَّا تفسير المباشرة بالجماع، فيرده لفظ الحديث نفسه، إذ تقول عائشة: يأمرني فأتَّزر فيباشرني. والاتَّزار: شد الإزار على الوسط وأمرها بذلك يبين المراد من المباشرة.

يؤيد ذلك ما جاء في صحيح مسلم عن ميمونة قالت: كان رسول الله ﷺ يباشر نساءه فوق الإزار وهنَّ حيَّض[(٣)].

---

(١) رواه البخاري في الحيض (٢٩٩، ٣٠٠).

(٢) سبق تخريجه صـ ٤١٠، وفيه: إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه أمرها.

(٣) سبق تخريجه صـ ٤١٠.

QaradawiBooks.com

ولو تواضع الأستاذ قليلًا، ورجع إلى مصدر قريب في اللغة أو التفسير، أو غريب الحديث، أو شروحه، لاتضح له معنى المباشرة الَّذي أزعجه، وأقض مضجعه، قال في القاموس: «باشر المرأةَ: جامعها، أو صارا في ثوبٍ واحد، فباشرتْ بَشَرَتُه بَشَرَتَها». وإذا كان الكاتب لا يعرف طريقة الكشف عن الألفاظ في القاموس واللسان ونحوهما ولا يصبر عليها، فيستطيع أن يتناول أحدث معجم أخرجه المجمع اللغوي في القاهرة؛ ليجد هذا «المعجم الوسيط» يقول: «باشر زوجه مباشرة وبِشَارًا: لامست بَشَرَتُه بَشَرَتَها... وغَشِيَها»[1].

وقد وردت المباشرة في القرآن بمعنى الجماع، وبمعنى القبلة، والملامسة، وذلك في آية واحدة، والقرينة والسياق مع السّنة النبوية هي الَّتي تحدد المراد.

قال تعالى: ﴿فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ **إلى أن قال:** ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

فالمباشرة المنهي عنها حالة الاعتكاف في المساجد هي القبلة والملامسة ونحوهما فهي الَّتي يمكن أن تقع مع الاعتكاف في المساجد.

والمباشرة المأمور بها ليلة الصيام هي الجماع بدلالة السّياق: ﴿وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ﴾، قال القرطبي وغيره في قوله تعالى: ﴿فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ﴾، المباشرة كناية عن الجماع وسمي الوقاع مباشرة لتلاصق البشرتين فيه[2].

(١) المعجم الوسيط مادة (ب. ش. ر).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣١٧/٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومن هنا نعلم أنَّ إطلاق المباشرة على الجماع ليس إطلاقًا حقيقيًّا، بل مجازيا، والمجاز لا ينفي الحقيقة ولا يعارضها، بل الحقيقة هي الأصل حتَّى يقوم دليل على خلافها.

وإذن يكون فهم المباشرة في حديث عائشة: بأنَّها «الجماع» فهمًا خاطئًا بلا جدال. وإذا لم يكن الكاتب قد فهم المباشرة هذا الفهم الخاطئ، فلا بدَّ أن يكون قد أُتي من قبل فهمه للاعتزال في آية: ﴿فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وعيب هذا الكاتب أنَّه يتعجل لغرض في نفسه في فهم النُّصوص؛ باتباع الخرص والظن، ثم يبني على فهمه نتائج يريد إلزام النَّاس بها، واطراح دينهم وسنة نبيهم من أجلها.

وكان لزامًا عليه ليعرف المراد من هذه الآية الكريمة أن يتبيَّن ويتثبت ويرجع إلى مصادر العلم، ويسأل أهل الذكر، ولا يتسرع في القول بالرأي والهوى، وقد قال أبو بكر رضي الله عنه: «أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟!»[(١)].

وقال ﷺ: «**من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم، فليتبوَّأ مقعده من النَّار**»[(٢)].

فإنَّ من الآيات ما بيَّنت السُّنَّة المراد منه، ومنها ما يظهر معناه بالقرائن والملابسات وأسباب النزول، وكان الصحابة أعلم النَّاس بذلك،

(١) رواه ابن أبي شيبة في فضائل القرآن (٣٠٧٢٧).

(٢) رواه أحمد (٢٠٦٩)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في التفسير (٢٩٥١)، وقال: حسن. والنسائي في الكبرى في فضائل القرآن (٨٠٣١)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

وعنهم أخذ تلاميذهم من علماء التابعين، فلا جرم أنَّ الرجوع إلى علم هؤلاء والاستفادة منه واجب حتمًا.

أما ادِّعاء المعرفة، وإهمال هذه الثروة، والتهجم على القرآن، والقول على الله بغير بينة، فهو خطأ في المنهج، لا يقره العلم ولا الدين. وفي الحديث: «**من قال في كتاب الله برأيه فأصاب فقد أخطأ**»[(١)].

قال ابن كثير: لأنَّه قد تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أُمر به، فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر، لكان قد أخطأ؛ لأنَّه لم يأت الأمر من بابه، كمن حكم بين النَّاس على جهل فهو في النار، وإن وافق حكمه الصواب في نفس الأمر، فلن يكون أخف جرمًا ممَّن أخطأ[(٢)].

وألزم ما يكون هذا الرجوع إلى المصادر حين يقف الإنسان موقف المستدرك على أئمَّة الإسلام، المخطِّئ لمثل البخاري في أعظم كتاب في الإسلام بعد القرآن، المتهم للأمة في سائر الأعصار بالجهل والبلادة والغفلة، بتصحيحها ما ليس بصحيح، وتقديمها ما لا يستحق التقديم.

إنّ الرسول ﷺ هو المبين للقرآن بقوله وعمله وتقريره، فإذا قال الله تعالى: ﴿ **وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ** ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. فقد يحتمل مورد الاعتزال في الآية عدة أفهام: قد يفهم منه اعتزال فِراش المرأة مطلقًا وترك مساكنتها، كما كان اليهود يفعلون، وقد يفهم منه اعتزال جميع بدنها فلا يباشره الرجل بشيء من بدنه بغير حائل، وإن لم يعتزل فراشها، وقد يفهم منه اعتزال الفرج الَّذي هو

(١) رواه أبو داود في العلم (٣٦٥٢)، والترمذي في التفسير (٢٩٥٢)، وقال: غريب. وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٥٧١)، عن جندب.

(٢) تفسير ابن كثير (١١/١).

QaradawiBooks.com

موضع «الأذى» الَّذي علل به الأمر بالاعتزال، وقد يفهم منه اعتزال جزء معين من البدن ـ ما بين السُّـرة والركبة مثلًا ـ فالـذي يحدد المراد من ذلك هو السُّنَّة القولية والعملية، ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

ونحمد الله أنَّ الرسول ﷺ لم يكن يفعل شيئًا ليخفيه عن الناس، بل كانت حياته الخاصَّة والعامَّـة ملك الأمة جميعًا، ومـا فعله في ليله أو نهاره، وفي خلوته أو جلوته، قد نقله نساؤه إلى المسلمين من بعده، لأنَّه تشريع لهم، ولهم فيه أسوة حسنة.

ومن ذلك علاقته بهن في فترة الحيض، فهي الَّتي تفسـر الآية كما يفسرها ما ورد عنه من أقوال في ذلك.

وجاءت أحاديث عائشة وميمونة وغيرهما من أمهات المؤمنين؛ مبينة لما أراد الله باعتزال النساء في المحيض، فليس هو اعتزال اليهود الَّذين كانوا يهجرون نساءهم في الحيض ولا يساكنونهن في البيوت، وقد تأثَّر بهم الأنصار بحكم المجاورة سنين طوالا، فسـألوا النَّبيّ ﷺ عمَّا يحلّ وما يحرم في هذا الأمر، فنزلت الآية وفسَّرها النَّبيّ ﷺ بقوله وفعله.

وكانت أمهـات المؤمنين حريصات علـى تبليغ المسـلمين هَدْي رسولهم في كلِّ أحواله وعلاقاته، وتصحيح كلِّ خطأ أو غلو يخرج عن سنة الرسول، ويعلمن به.

رُوي عن بدرة مولاة ابن عبَّاس قالت: «بعثتني ميمونة بنت الحارث، وحفصة بنـت عمر ـ وهمـا من أمهـات المؤمنيـن ـ إلى امـرأة ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وكانت بينهما قرابة من جهة النساء، فوجدت فراشه معتزلا فراشـها، فظننت أن ذلك عـن الهجران فسـألتها، فقالـت: إذا طمثْتُ

QaradawiBooks.com

(حضت) اعتزل فراشي، فرجعت فأخبرتها بذلك، فردَّتني إلى ابن عبَّاس وقالت: «تقول لك أمُّك: أرغِبْتَ عن سُنَّة رسول الله ﷺ؟! لقد كان رسول الله ﷺ ينام مع المرأة من نسائه وإنَّها حائض، وما بينها وبينه إلَّا ثوب ما يجاوز الركبتين»[١].

وإذا كان النَّبيُّ ﷺ يأمر نساءه بالائتزار أثناء الطمث، فإنَّه لم يلزم أصحابه بذلك، وصح أنه أباح الاستمتاع بالبدن كله ما عدا موضع الأذى «الفرج» فدلَّ على أن الأمر بالائتزار للاستحباب، لأخذ الحذر والاحتياط.

ففي صحيح مسلم عن أنس: أنَّ اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم، لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن (أي يساكنوهن) في البيوت، فسأل أصحاب النَّبيّ ﷺ النَّبيّ فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، إلى آخر الآية. فقال النَّبيّ ﷺ: «**اصنعوا كلّ شيء إلَّا النكاح**». فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلَّا خالفنا فيه. فجاء أسيد بن الحضير وعباد بن بشر فقالا: يا رسول الله إن اليهود تقول كذا وكذا، أفلا نُجامعهن؟! (أي مخالفة لليهود) فتغيَّر وجه رسول الله ﷺ»[٢].

وقال القرطبي: «قال علماؤنا: كانت اليهود والمجوس تجتنب الحائض، وكانت النَّصارى يجامعونهنَّ في الحيض، فأمر الله بالقصد بين هذين»[٣].

---

(١) رواه أحمد (٢٦٨١٩)، وقال مخرجوه: صحيح دون قوله: «ما يجاوز الركبتين».

(٢) رواه مسلم في الحيض (٣٠٢)، وأحمد (١٢٣٥٤)، وأبو داود في الطهارة (٢٥٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨١/٣).

QaradawiBooks.com

وبهذا التفسير النَّبوي للآية، والتطبيق العملي لها، تأكدت وسطيَّة الإسلام واعتداله وسماحته بين المغالين والمُفْرطين، وبين المقصرين والمُفَرطين من أصحاب الملل والنحل، فهل يجوز لمسلم أو منصف بعد ذلك أن يزعم التعارض بين الآية الكريمة وبين حديث البخاري عن عائشة وميمونة رضي الله عنهما، وينسب إلى الجامع الصحيح اشتماله على أحاديث مناقضة لِمَا أنزل الله في محكم كتابه. ويحكم على هذا الحديث المتفق على صحته بأنَّه منكر ومفترًى.

يا عجبًا! كأنَّ الكاتب الَّذي تربَّع على منصة الإفتاء ظلمًا وزورًا، يظنُّ أن البخاري وغيره من أئمَّة السُّنة كانوا متسوِّلين يأخذون الحديث عن كلِّ مَن هبَّ ودبَّ، فكل من قال لهم: قال رسول الله ﷺ. قالوا له: صدقت، هات ما عندك وفرحوا به، كما يفرح الصبيُّ بقطعة الحلوى!

لا يا مفتي «العربي» لقد كانوا لا يقبلون قولًا، حتَّى يعلموا أصله ومصدره، ولهذا اشترطوا الإسناد الَّذي تفردت به هذه الأمة عن غيرها من الأمم.

قال ابن سيرين: إنَّ هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم.

وقال غيره: طالب علم بلا إسنادٍ كحاطبٍ بلَيْل.

ونظر ابن المبارك في تفسير اشتمل على قصص وعبر، فقال: يا له من علم، لو كان له إسناد[1]!

(١) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (٢٠٧/١٥)، عن ابن المبارك، تحقيق أ. د. بشار عواد معروف، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

QaradawiBooks.com

ولم يكونوا يقبلون أي إسناد يذكر، بل يضعون كلّ راو من رواة السّند على مشرحة التحليل، يسألون عنه: عن عقله ودينه، وخلقه وسيرته، وعن شيوخه وتلامذته، فمن اشتبهوا فيه أسقطوه، وردوا حديثه، ومن قامت الدلائل على صدقه وحفظه وعدالته وضبطه: روَوْا عنه وقبلوه، وقد كان من ثمرات هذه البحوث المتشعبة المستفيضة عِلمان جليلان من علوم السُّنَّة هما علم رجال الحديث، وعلم الجرح والتعديل.

وكانوا يجوبون الآفاق، ويذرعون الأرض، طلبًا للحديث ممَّن سمعه بأذنيه، قال سعيد بن المسيّب: «إنَّا كنَّا نسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد»[1].

وسأل رجلٌ الشَّعبي عن مسألة فأفتاه فيها ثم قال: «خذْها بغير شيءٍ وإن كنَّا نسير فيما دونها من الكوفة إلى المدينة»[2].

ولنأخذ لذلك مثلًا حديث عائشة الَّذي رده الصحفي المفتي، وزعم أنَّه منكر ومفترًى (نعوذ بالله من ذلك) إن سند هذا الحديث ـ عند من له أدنى ذوق بهذا العلم ـ نير كضوء الشمس، فقد رواه البخاري عن شيخه قبيصة بن عقبة، قال حدّثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة، ورجال هذا السّند كلهم كوفيون، تلقى بعضهم عن بعض، خلفا عن سلف، فهم تلاميذ المدرسة الكوفية الَّتي أسسها الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، وخرَّجت أساطين العلم، وأعلام الهدي في الحديث والفقه، وفي العلم والسلوك، أمثال الأسود وعلقمة وإبراهيم وحماد بن سليمان وسفيان الثَّوري، وأبي حنيفة النُّعمان وغيرهم من عظماء الإسلام.

(١) رواه البيهقي في المدخل (٤٠١).

(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في العلم (٩٧)، ومسلم في الإيمان (١٥٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ورواة هذا الحديث الشريف سفيان الثَّوري، ومنصور بن المُعْتَمر، وإبراهيم النخعي والأسود النَّخَعي، كلُّ واحد منهم جبل من جبال العلم، وبحر من بحور الرواية، وإمام من أئمَّة الدين، لا ترقى ذرة من شكّ إلى أمانتهم أو علمهم أو وعيهم، حتَّى يأتي مفتي «العربي» في آخر الزمان فيتهمهم بخيانة الأمة، وتضليل أجيالها وتحريف دينها، والكذب على رسولها باختراع الأحاديث المفتراة المنكرة «سبحانك هذا بهتان عظيم».

ومع هذا لم يروِ البخاري هذا الحديث بهذا السّند وحده، وعن هذا الطريق فحسب ـ وإن فيه لغناء وكفاية ـ بل روى معناه عن عائشة بأكثر من طريق.

ولم يرو ذلك عن عائشة وحدها من نساء النَّبيّ ﷺ، بل روى البخاري ذلك عن ميمونة أيضًا، وليس البخاري وحده هو الَّذي روى حديثي عائشة وميمونة رضي الله عنهما، بل خرجتهما جميع كتب السُّنة ودواوينها المتقدمة منها والمتأخرة؛ لإجماع أهل العلم على صحتهما، وتلقيهما بالقبول.

ولعمري لئن كان مثل حديث عائشة ـ بسنده الَّذي ذكرناه ـ منكرًا ومُفترًى كما يزعم هذا الزاعم الجريء، لكان هذا الدين باطلًا، وكانت السّنة كلها وهما، وكان تاريخ هذه الأمة زورا، وكان تراث هذه الأمة خرافة كبيرة، وكان أئمَّة هذا الدين وهذه الأمة أكبر دجاجلة عرفهم تاريخ الأديان والشعوب.

ولقد زعم الكاتب في مستهل كلامه أنه لا يتهم أبا هُرَيْرة ولا البخاري بصنع الأحاديث. والحق أنه لم يتهمهما وحدهما، بل اتهم معهما سائر علماء الإسلام وحملة رسالته، في القرون الأولى الَّتي هي خير القرون، واتهم الأمة كلها بالغباوة والغفلة والجهل، حيث تقبلت

QaradawiBooks.com

هــذه الأحاديث بضعة عشــر قرنًا بقبول حســن. وأثنت علــى رواتها، وخلعت عليهم وصــف الإمامة في الدين، حتَّى جــاء الكاتب النِّحْرير، فوصفهم بما يُستحيى من ذكره.

لقد سُــئل القاضي أبو يوســف: أتقبل شهادة رجل يســبُّ السَّلف الصالح؟ فقال: لو عرفت رجلًا يســبُّ جيرانه ما قبلت شهادتَه، فكيف بمن يسبُّ أفاضل الأُمَّة[1]؟

أقول: فكيف بمن يســبُّ الأمَّة كلَّها، ليأتي على دينها من القواعد، لتقر أعين المبشرين والمستشرقين والشــيوعيِّين؟! اللهمَّ لا تهلكنا بما فعل السُّفهاء منا.

ولندعْ حديث عائشة إلى الحديث الثاني الَّذي استند إليه الكاتب في الطعن على الإمام البخاري وجامعه الصحيح. ساقه كما يلي. قال:

يقول الله تعالى في ســورتي النســاء والمائدة في حكم الطهارة من الجنابة: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ إلى آخر الآية. ويقول البخاري: إن رجلًا أتى عمر فقال: إنِّي أجنبت فلم أجد ماء. فقال له عمر: لا تصلِّ.

ولو احترم الأســتاذ أمانة العلم، واحترم عقول الأمة الَّتي تنشر فيها هذه المجلة ما اجترأ على هذا الادعاء، فــإن الحديث بهذا اللفظ الَّذي ذكــره لم يــروه البخــاري في صحيحــه قط مــع أنَّ عبارتــه: «ويقول البخاري... إلخ» تُشــعر أنه قرأ الحديث في البخــاري فأي كذب على الحقيقة، وتزوير على النَّاس أكثر من هذا؟!

(١) انظر: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (١/١٤٩).

QaradawiBooks.com

ومع هـذا نرخي العنان للكاتـب المتعالم، ونتطـوع بالجواب عن الحديث، فقد رواه إمام آخر لا يقل عن البخاري في علمه وفضله ودينه، هو مسلم في صحيحه.

والخطأ الكبير الَّذي سـقط فيه مفتي «العربي» هنا بتعجله واقتحامه وتحيزه، زعمه أن آيـة: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾. نصٌّ في حكم الطهارة من الجنابـة، فإذا أورد البخاري عن عمر ما يخالفها كان ذلك حديثًا منكرًا ومفترى.

ولو تريَّث الأسـتاذ وتبيَّـن ـ لو كان مـن هدفه التبيـن ـ لعلم أنَّ الملامسـة «كالمباشـرة» ليسـت نصًّا في الجماع، بل تدلُّ عليه بطريق الكناية والمجاز، لا الحقيقـة اللغوية. وقد اختلف الصحابة ومن بعدهم في ذلك، فإنَّ ابن عبَّاس يرى أن الملامسة في الآية معناها الجماع، وقد أخذ بمذهبـه أبو حنيفة وأصحابه. وعمـر وابنه عبد الله وابن مسـعود يفسِّـرون الآية على ظاهرها وحقيقتها اللغوية، وقـد أخذ بمذهبهم من يقول بأنَّ لمس المرأة ينقض الوضوء. قال ابن كثير: وهو قول الشـافعي وأصحابه، ومالك؛ والمشهور عن ابن حنبل[1]. ولكل من الفريقين أدلَّة ليس هذا موضع ذكرهـا؛ إنَّما الَّذي يهمنا هنا أن الآية ليسـت نصا في حكم الجناية كما أوهم الكاتب المتقوِّل بما لا يعلم.

وقول عمر لمن أجنب ولم يجد الماء: «لا تصلِّ» اجتهادٌ منه، وهو مخطئ في اجتهاده، ومعـذور، بل مأجور أجرًا واحـدًا، وليس عمر بالمعصوم من الخطـأ، وليس هـو أوَّل من أخطأ مـن الصحابة في اجتهاده، وليست هذه أوَّل خطأة له، فقد عد له ابن حزم جملة أحكام

(١) تفسير ابن كثير (٣١٥/٢).

QaradawiBooks.com

أخطأ فيها، أو نسي ما ورد فيها من سنَّة، حتَّى يُذَكِّره غيره من الصحابة، فيتذكر أو لا يتذكَّر[١].

فهل يعيب البخاري، أو مسلمًا، أن يسجل لنا في صحيحه رأيًا لعمر ـ وإن ظهر خطؤه ـ فينقل لنا بأمانة العالم صورة صحيحة للاجتهاد الإسلامي في ذلك العصر المبكر؟!

أما إنَّ هذا ـ والله ـ لمأثرة تحمد للبخاري ومسلم، لا مأخذ يعابان به، ويذمان عليه. وما أحسن ما قال البحتري[٢]:

إذا محاسني اللاتي أُدِلُّ بها كانت ذنوبي، فقلْ لي كيف أعتذرُ؟!

ولا يفوتني أن أسجل هنا على الكاتب المتهجم أمرًا معيبًا حقًّا، فقد قال في فاتحة حديثه: «لست أقول عن حديث ما، إنَّه ضعيف أو موضوع، لمجرَّد أنه لا يتَّفق مع العقل والمنطق فحسب، بل لأن ذلك رأي كثير من الأئمَّة والفقهاء القدماء والمحدثين على السَّواء أمثال ابن تيمية، والقسطلاني، والذهبي، والبيهقي، والطبراني، والدارقطني، والهيثمي، والعراقي، والسيوطي، والعسقلاني، وغيرهم».

ثم طعن في أحاديث متفق على قبولها، مجمع على صحتها، ولم يطعن في ثبوتها عالم قط من هؤلاء الَّذين ذكرهم، ولا غيرهم، فليت شعري لِمَ أوهم الأستاذ بذكر أسماء هؤلاء الأعلام الَّذين يبدو ـ من ترتيبه لهم ـ أنه لم يعرفهم ولم يقرأ آثارهم، ولم يرجع إليها فيما انتقده على البخاري، وزعم أنه مُفْتَرى بل منكر.

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (١٢/٢).

(٢) ديوان البحتري (٩٥٤/٢)، تحقيق حسن كامل الصيرفي، نشر دار المعارف، القاهرة، ط٣.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد جعل الكاتب المنكر أشد من المُفْتَرى، وليس الأمر كذلك لغة ولا اصطلاحًا، فليس هناك أسوأ من المُفْتَرى!

أما حديث أبي طلحة الأنصاري، وأكله البرد في الصوم فلم يروه البخاري ولا مسلم ولا أحد من أصحاب الكتب السِّتَّة، ولهذا لا نطيل بالرد عليه، والجزء الموقوف فيه على أبي طلحة صحيح من حيث سنده، ولكن لا حجة فيه، لأنَّه اجتهاد صحابي انفرد به في فهم النَّصّ وخالفه سائر الصحابة، فلا عبرة به، ولهذا مات في مهده، ولم يقل به أحد طوال القرون الماضية. وأما الجزء المرفوع إلى النَّبيِّ ﷺ فغير صحيح. كما قرره علماء الحديث.

ولو كان هذا الصحفي يقدر أمانة القلم الَّذي في يمينه، ويحترم العقول الَّتي في رؤوس النَّاس، ما جشَّم نفسه ذكر هذا الحديث، فإن ميدان المعركة بينه وبين الأخ العالم العراقي الَّذي اتخذ لنفسه لقب «جابر عثرات الكرام» (وكان أولى أن يسمى: كاشف سوءات اللئام) هو: صحيحا البخاري ومسلم وغيرهما من الصحاح، فليس لإيراد هذا الحديث معنى في هذا المقام إلَّا الادعاء والتطاول، والتكثر بالباطل، والتمويه الَّذي لا تنفق سوقه إلَّا عند البسطاء وضعاف العقول.

وبعد:

فإنَّ الحملة على سُنَّة رسول الله ﷺ ليست بنت اليوم، فإنَّ وراءها جهات ومؤسسات تغذيها وتمدها، ولم يزل المبشِّرون والمستشرقون والشيوعيُّون يقودون المعركة ضدها، ويرمون لها بالوقود الدائم لتظلَّ مُسْتَعِرَة الأُوار، وليس من الضروري أن يظهروا بأنفسهم على المسرح؛ فقد يوغر ظهورهم الصدور، ويثير الشكوك، ففي تلامذتهم ـ المخدوعين

QaradawiBooks.com

منهم والخادعين ـ الكفاية كلّ الكفاية. وما أكثر الَّذين تحركهم مؤسسات التبشير والاستشراق والإلحاد الأحمر، ليحطبوا في حبلهم وهم لا يشعرون، بل وهم يحسبون أنَّهم يحسنون صنعا، وما أكثر المأجورين الَّذين يشترون بدينهم ثمنًا قليلًا، أولئك ما يأكلون في بطونهم إلَّا النار.

ألا وإن هذه الحملات لا تزيدنا إلَّا استمساكًا بالحقِّ، وثباتًا عليه، واعتصامًا بسُنَّة الرسول العظيم الَّتي بدونها لا يُفهم القرآن ولا تستبين معالم الدين وحدوده، وقد قال ﷺ: «**تركتُ فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله وسنتي**»[1].

والَّذي نأسف له حقًّا أن تكون الحملة اليوم من منبر شبه رسمي لدولة عربية مسلمة هي الكويت، فلعلَّ المسؤولين فيها ينتبهون إلى هذا الخطر الَّذي يخلق البلبلة والحيرة، ويجر إلى الاضطراب والصراع، فالخراب والدمار، وبالله نستعيذ ونعتصم، وهو تعالى من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(١) رواه الحاكم في العلم (٩٣/١)، وقال: احتج البخاري بعكرمة واحتج مسلم بأبي أويس عبد الله وله أصل في الصحيح، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٤٠)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفَ القَرَضَاوِيِّ

الحكم على الأحاديث

QaradawiBooks.com

حول صحَّة بعض الأحاديث

غير مرخصة للطباعة

س: نرجو من فضيلتكم إفادتنا عن مدى صحَّة الأحاديث النبوية الآتية الَّتي تدور على الألسنة:

١ ـ «لا يُلدغ المؤمن من جُحْر مرَّتين».

٢ ـ «ما وسعني أرضي ولا سمائي، ولكن وسعني قلبُ عبدي المؤمن».

٣ ـ «ليس الإيمان بالتمنِّي ولا بالتحلِّي، ولكن هو ما وقر في القلب وصدَّقه العمل».

٤ ـ «ليس الخبرُ كالعِيَان».

٥ ـ «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر: جهاد النفس».

٦ ـ «المؤمن مرآة أخيه».

٧ ـ «لو توكَّلْتم على الله حقَّ التوكُّل لرزقكم كما يرزقُ الطير، تغدو خِماصًا وتروح بطانًا».

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

QaradawiBooks.com

(وبعد)

«لا يلدغ المؤمنُ من جُحْر مرَّتين»:

حديث صحيح مرفوع متَّفق عليه، رواه البخاري ومسلم، وأحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبي هُرَيْرة[١]، ورواه أحمد وابن ماجه عن ابن عمر[٢].

«ما وسعني أرضي ولا سمائي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن»:

ذكره الغزالي في الإحياء بلفظ: قال الله: «**لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع**»[٣]، وقال الحافظ العراقي في تخريجه: لم أرَ له أصلًا[٤]. ووافقه السُّيوطي في الدرر[٥] تبعا للزركشي[٦]، وكذا قال ابن حجر.

وقال ابن تيمية: هو مذكور في الإسرائيليات، وليس له إسناد معروف عن النبيِّ ﷺ[٧]. قال السّخاوي في «المقاصد الحسنة»: وكأنه أشار بما في الإسرائيليات إلى ما أخرجه أحمد في «الزهد» عن وهب بن مُنَبِّه قال: «إنَّ الله فتح السَّماوات لحزقيل حتَّى نظر إلى العرش، فقال: سبحانك،

---

(١) رواه البخاري في الأدب (٦١٣٣)، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٩٨)، كما رواه أحمد (٨٩٢٨)، وأبو داود في الأدب (٤٨٦٢)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٨٢).

(٢) رواه أحمد (٥٩٦٤)، وقال مخرجوه: صحيح لغيره. وابن ماجه في الفتن (٣٩٨٣).

(٣) ذكره الإمام الغزالي في الإحياء (١٥/٣).

(٤) في تخريج الإحياء صـ ٨٩٠.

(٥) الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للسيوطي (٣٦٣)، تحقيق د. محمد بن لطفي الصباغ، نشر عمادة شؤون المكتبات جامعة الملك سعود، الرياض.

(٦) اللآلئ المنثورة صـ ١٣٥، حديث (١٨)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

(٧) منهاج السنة (٣٧٧/٥).

QaradawiBooks.com

ما أعظمك يا رب! فقال: إنَّ السَّماوات والأرض ضعفن عن أن يسعنَنِي ووسعني قلب عبدي المؤمن الوادع اللين»[١].

وذكر الزركشي أنه من وضع الملاحدة[٢]. وإذا ثبت بطلان الحديث فلا معنى لتأويله، ولا حاجة إليه، لأن التأويل فرع عن الثبوت، وهو معدوم.

فمن قال من العلماء: إن معناه: وسع قلبه الإيمان بي ومحبتي ومعرفتي، لا مسوغ له، وبخاصَّة أن المنحرفين يتخذون من هذه الأحاديث الباطلة سندًا لهم في كفرياتهم الَّتي أربت على ما يقوله النَّصارى.

«ليس الإيمان بالتمنِّي ولا بالتحلِّي، ولكن هو ما وقر في القلب وصدَّقه العمل»:

لم يروه أحد من أصحاب الكتب السِّتَّة، أو المسانيد المشهورة، وإنَّما رواه ابن النَّجَّار والدَّيلمي في الفردوس، وقال العلائي: حديث منكر، تفرَّد به عبد السَّلام بن صالح العابد. قال النَّسائي: متروك. وقال ابن عديّ: مُجمَع على ضعفه، وقد روي معناه بسند جيد عن الحسن البصري من قوله. وهو الصحيح[٣] اهـ

«ليس الخبر كالعيان»:

حديث صحيح مرفوع، رواه ثلاثة من الصحابة: أنس، وأبو هُرَيْرة،

(١) المقاصد الحسنة (٩٩٠) (٥٩٠/١).

(٢) انظر: كشف الخفاء للعجلوني (٢٢٥٦)، والأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة للملا علي القاري حديث (٤٢٣، ٣١٠، ٣١١)، تحقيق محمد الصباغ، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٣) فيض القدير (٣٥٥/٥).

QaradawiBooks.com

وابن عبَّاس[١]، بلفظ: «**ليس الخبر كالمعاينة**» فرواه الطبراني في الأوسط عن أنس[٢]، والخطيب في تاريخه عن أبي هُرَيْرة[٣]، ورمز السّيوطي لحسنه في الجامع الصغير، وقال شارحه المناوي: وهو كما قال أو أعلى[٤]. فقد قال الهيثمي: رجاله ثقات، ورواه أيضًا ابن منيع والعسكري، وعُدَّ من جوامع الكلم والحكم. قال الزركشي: ظنَّ أكثر الشراح أنه ليس بحديث وهو حديث حسن، خرجه أحمد وابن حبان والحاكم من طرق، ورواه الطبراني... وقال في موضع آخر: رواه الحاكم وابن حِبَّان وإسناده صحيح[٥].

وأمَّا حديث ابن عبَّاس، فرواه أحمد والطبراني في الأوسط والحاكم، وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح[٦]، وصحَّحه ابن حِبَّان، وتمام حديث ابن عبَّاس: «إنَّ الله تعالى أخبر موسى بما صنع قومه في العجل، فلم يُلقِ الألواح، فلمَّا عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت».

«**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، جهاد النفس**»:

قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: رواه البيهقي[٧]

---

(١) رواه أحمد (١٨٤٢)، وقال مخرجوه: صحيح، رجاله ثقات: رجال الشيخين. وابن حبان في التاريخ (٦٢١٣)، والحاكم في التفسير (٣٢١/٢)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٦٩٤٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٨٨): رجاله ثقات.

(٣) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (٥٤٩/٨).

(٤) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي (٣٢٠/٢)، نشر مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط ٣، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(٥) فيض القدير (٣٥٧/٥).

(٦) مجمع الزوائد (٦٨٦٧).

(٧) رواه البيهقي في الزهد الكبير (٣٧٣)، وقال عقبه: هذا إسناد ضعيف.

QaradawiBooks.com

بســـند ضعيف عن جابر[١]، ورواه الخطيب في تاريخه عن جابر، بلفظ: «قدم النَّبيّ ﷺ من غزاة، فقال ﷺ: «**قدمتم خير مقدم، وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**». قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: «**هو مجاهدة العبد هواه**»[٢].

وقال الحافظ ابن حجر في تسديد القوس: هو مشهور على الألسنة، وهو من كلام إبراهيم بن عيلة[٣] اهـ.

«**المؤمن مرآة أخيه**»:

رواه الطبراني في الأوســط، والضياء في المختارة، عن أنس بإسناد حســن، كما قال المناوي بلفظ: «**المؤمن مرآة المؤمــن**»[٤]. ورواه أيضًا أحمد وأبو داود، عن أبي هُرَيْرة، وتمامه عندهما: «**المؤمن أخو المؤمن، يَكُفُّ عليه ضيعته** (أي يجمع عليه معيشته)، **ويحوطه من ورائه**»[٥]. (أي يحفظه ويذب عنه في غيبته) وإسناده حسن[٦].

ومعنى أنَّ المؤمن مرآة المؤمن أنه ينصح له، ويريه عيب نفسه، بغير تحريف ولا تزييف، كما تريه المرآة عيب وجهه كذلك.

«**لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير**»[٧]:

---

(١) تخريج الإحياء صـ ٨٨٢.

(٢) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (٦٨٥/١٥).

(٣) نقله عنه صاحب كشف الخفاء حديث (١٣٦٢).

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (٢١١٤)، والضياء في المختارة (٢١٨٥).

(٥) رواه أبو داود فــي الأدب (٤٩١٨)، وابن وهب في جامعه (٢٣٧)، والبزار (٨١٠٩)، وحســن إسناده الحافظ في بلوغ المرام (١٥٤٩)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٩٢٦)، عن أبي هريرة.

(٦) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي (٤٥١/٢).

(٧) رواه أحمد (٣٧٣)، وقال مخرِّجــوه: صحيح. والترمذي في الزهد (٢٣٤٤)، وقال: حســن صحيح. عن عمر.

QaradawiBooks.com

الحديث صحيح: رواه أحمد والتِّرْمِذيُّ والنسائي، وابن ماجه والحاكم، عن عمر بن الخطاب، وقال التِّرْمِذيّ: حديث حسن صحيح.

وقال الحاكم: صحيح وأقره الذهبي.

وقال الشيخ شاكر: إسناده صحيح[١]، وقبل ذلك صححه المناوي في شرح الجامع الصغير[٢].

وليس في الحديث ما يدلُّ لأهل التبطل والتعطل، بدعوى التجرد والتوكل، كما ظنَّ بعض المتصوفة، بل فيه ما يرد إلى أن حق التوكل، لا بدَّ فيه من التوصل بنوع من السّبب، لأن الطير إنَّما ترزق بعد الطلب والسعي والغدو. ولهذا قال الإمام أحمد: ليس في الحديث ما يدلُّ على ترك الكسب، بل فيه ما يدلُّ على طلب الرزق[٣].

(١) الأحاديث (٢٠٥، ٢٧٠، ٢٧٣) من المسند.

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي (٣٠٦/٢).

(٣) المصدر السابق نفسه.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حديث: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق»

س: يعتمد الكتَّاب الإسلاميُّون المعاصرون في حديثهم عن الطلاق، وموقف الإسلام منه، على الحديث المشـــهور: «**أبغض الحلال إلى الله الطلاق**». ولكنِّي قرأت لبعض العلماء المشتغلين بعلم الحديث ما يفيد تضعيف الحديث المذكور.

فهل لديكم أســـانيد أخرى لتنفير الإســـلام من الطلاق، وخصوصًا أنَّكم استندتم في بعض كتبكم إلى هذا الحديث أيضًا؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

ما أثاره الأخ السَّائل يتضمَّن عدة نقاط:

١ ـ تصحيح الحديث المذكور ثبوتًا ودلالة.

٢ ـ بيـــان ما يعضده من أدلَّة أخـــرى من الكتاب والسُّـــنَّة، تنفِّر من الطلاق.

٣ ـ بيان ما يؤيده من قواعد الشرع.

QaradawiBooks.com

أولًا: حديث: «**أبغض الحلال إلى الله الطلاق**».

رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم، من حديث محارب بن دِثار عن ابن عمر مرفوعًا[١].

ورواه أبو داود والبيهقي مرسلًا[٢] ـ ليس فيه ابن عمر ـ ورجَّح أبو حاتم والدارقطني في العلل[٣] والبيهقي المرسل.

وأورده ابن الجوزي في «العلل المتناهية» بإسناد ابن ماجه، وضعفه بعبيد الله بن الوليد الوصافي، وهو ضعيف[٤].

قال الحافظ ابن حجر في التلخيص: ولكنَّه لم ينفرد به، فقد تابعه معروف بن واصل، إلَّا أن المنفرد عنه بوصله محمَّد بن خالد الوهبي[٥] اهـ.

أقول: ومحمد بن خالد: قال الآجرِّي عن أبي داود: لا بأس به، وذكره ابن حِبَّان في الثِّقَات، وقال الدَّارقطني: ثقة[٦].

---

(١) رواه أبو داود (٢١٧٨)، وابن ماجه (٢٠١٨)، والحاكم (١٩٦/٢)، وصحح إسناده، كلهم في الطلاق.

(٢) رواه أبو داود في الطلاق (٢١٧٧)، والبيهقي في الخلع والطلاق (٣٢٢/٧).

(٣) علل ابن أبي حاتم (١٢٩٧)، تحقيق فريق بإشراف سعد بن عبد الله الحميد وآخرين، نشر مطابع الحميضي، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م، وعلل الدارقطني (٣١٢٣)، نشر دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

(٤) العلل المتناهية (١٠٥٦)، تحقيق إرشاد الحق الأثري، نشر إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان، ط٢، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

(٥) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير لابن حجر (٤١٧/٣)، تحقيق حسن بن عباس بن قطب، نشر مؤسسة قرطبة، مصر، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

(٦) تهذيب التهذيب (١٤٣/٩)، نشر مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٦هـ.

QaradawiBooks.com

وأخرجه الحاكم من طريق محمَّد بن عثمان بن أبي شيبة موصولًا بلفظ: «**ما أحلَّ الله شيئًا أبغض إليه من الطلاق**» ثم قال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي، وزاد بأنَّه على شرط مسلم[١].

قال ابن التركماني: فهذا يقتضي ترجيح الوصل، لأنَّه زيادة، وقد جاء من وجوه[٢]، ولهذا رمز السّيوطي في الجامع الصغير إلى الحديث بالصحة، واعترضه المناوي في «الفيض» بما ذكره ابن حجر[٣].

ولكن إنْ نزل الحديث عن درجة الصحَّة، فلن ينزل عن درجة الحُسْن.

ومن النَّاس من ضعَّف هذا الحديث من جهة معناه، فقد قال: كيف يكون حلالًا ومبغوضًا عند الله؟ فهذا تناقض يدلُّ على ضعف الحديث.

وأجاب بعضهم: بأنَّ الحديث يدلُّ على أن الحلال ينقسم إلى ما هو محبوب ومبغوض، بحسَب ما يعرض له، فليس كلّ حلال محبوبًا.

وقال الخطَّابي في «معالم السُّنن»: معنى الكراهية فيه ينصرف إلى السَّبب الجالب للطلاق، وهو سوء العشرة، وقلَّة الموافقة الداعية إلى الطلاق، لا إلى نفس الطلاق[٤].

وقد يقال: الطلاق حلال لذاته، والأبغضية لما يترتَّب عليه من انجرار إلى المعصية.

ثانيًا: إنَّ القرآن الكريم رغَّب في إمساك الزوجة المكروهة من زوجها، والصبر عليها؛ إبقاء على الأسرة، وحرصًا على استمرارها. قال تعالى:

---

(١) رواه الحاكم في الطلاق (١٩٦/٢).

(٢) الجوهر النقي في الرد على سنن البيهقي (٢٢٢/٧، ٢٢٣)، نشر دار الفكر.

(٣) فيض القدير (٧٩/١).

(٤) معالم السنن (٢٣١/٣)، نشر المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م.

QaradawiBooks.com

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

فأمَّا الزوجة المطيعة الموافقة، فلا وجه لإيذائها بالفرقة، وإيحاشها بالطلاق، مع عدم الحاجة إليه، إلَّا أن يكون ضربا من البغي عليها، ولا سيَّما إذا كانت ذات أولاد منه. وقد قال تعالى في شأن الناشزات من الزوجات: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤].

فإذا كان البغي منهيًّا عنه، ولو على المرأة الناشز، ما دامت قد عادت إلى حظيرة الطاعة والموافقة، فكيف بالنساء الصالحات القانتات الحافظات للغيب بما حفظ الله؟!

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إنَّ الأصل في الطلاق الحظر، وإنَّما أبيح منه قدر الحاجة كما ثبت في الصحيح عن جابر، عن النبيِّ ﷺ: «**إن إبليس ينصب عرشه على البحر، ويبعث سراياه، فأقربهم إليه منزلةً أعظمُهم فتنةً، فيأتيه الشيطان فيقول: ما زلت به حتَّى فرقت بينه وبين امرأته، فيدنيه منه، ويقول: أنتَ أنتَ، ويلتزمه**»[(١)].

وقد قال تعالى في ذمِّ السِّحر: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وفي السُّنن، عن النبيِّ ﷺ قال: «**إنَّ المختلِعات هنَّ المنافقات**»[(٢)].

(١) رواه مسلم في صفة القيامة (٢٨١٣)، وأحمد (١٤٣٧٧).

(٢) رواه أحمد (٩٣٥٨)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف. والنسائي في الطلاق (٣٤٦١)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٦٣٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وفي السّـــنن أيضًا، عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**أيُّما امرأة ســـألت زوجها الطلاق من غير ما بأس، فحرامٌ عليها رائحة الجنَّة**»[(١)].

ولهذا لم يبح إلَّا ثلاث مرات، وحرمت عليه المرأة بعد الثالثة، حتَّى تنكح زوجًا غيره.

«وإذا كان إنَّما أبيح للحاجة، فالحاجة تندفــع بواحدة، فما زاد فهو باقٍ على الحظر»[(٢)].

ثالثًا: ومن ناحية الأصول والقواعد الشرعيَّة:

١ ـ نجد أنَّ الطلاق، كما قال صاحــب «الهداية» من الحنفية: «قاطع للنكاح الَّذي تعلقت به المصالح الدينية والدنيوية[(٣)].

٢ ـ وأنَّه ـ كما نقــل صاحب «المغني» مــن الحنابلة ـ ضرر بالزوج وبالزوجة، وإعدام للمصلحة الحاصلة لهمــا، من غير حاجة إليه، فكان حراما كإتلاف المال، ولقول النَّبيِّ ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**»[(٤)].

---

(١) رواه أبــو داود (٢٢٢٦)، والترمذي (١١٨٧)، وابن ماجــه (٢٠٥٥)، ثلاثتهم في الطلاق، وابن حبان في النكاح (٤١٨٤)، وقال الأرناؤوط: إســناده صحيح على شرط مسلم. والحاكم في الطلاق (٢٠٠/٢)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٨١/٣٣).

(٣) انظر: رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين (٢٢٨/٣)، نشــر دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

(٤) المغني لابن قدامة (٣٦٣/٧)، نشر مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م. والحديث: رواه أحمد (٢٨٦٥)، وقال مخرِّجوه: حسن. وابن ماجه في الأحكام (٢٣٨١)، عن ابن عباس، والدارقطني في البيوع (٧٧/٣)، عن أبي ســعيد الخدري، وقال النووي فــي الأربعين (الحديث الثاني والثلاثون): حديث حســن، رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مســندًا، ورواه مالك في الموطأ مرسلًا عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن النبي ﷺ فأسقط أبا سعيد، وله طرق يقوِّي بعضها بعضًا. قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم في شــرحه للحديث (٢١٠/٢، ٢١١): =

QaradawiBooks.com

٣ ـ إنَّه كما ذكر ابن عابدين من متأخري الحنفيَّة: إذا كان بلا سبب أصلًا، لم يكن فيه حاجة إلى الخلاص، بل يكون حمقا وسفاهة رأي، ومجرد كفران بالنعمة، وإخلاص الإيذاء بها (بالمرأة) وبأهلها وأولادها... فحيث تجرد عن الحاجة المبيحة له شرعًا، يبقى على أصله من الحظر. ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤]. أي لا تطلبوا الفراق[١].

وبهذا يتَّضح لنا: أنَّ الحديث صالح للاستدلال به، تعضده الأدلَّة من القرآن والسُّنَّة، كما تؤيده أصول الشرع وقواعده. والله أعلم.

= وقد استدل الإمام أحمد بهذا الحديث، وقال أبو عمرو بن الصلاح: هذا الحديث أسنده الدارقطني من وجوه، ومجموعها يقوي الحديث ويحسنه، وقد تقبله جماهير أهل العلم، واحتجوا به، وقول أبي داود: إنه من الأحاديث التي يدور الفقه عليها يشعر بكونه غير ضعيف، والله أعلم. وقال ابن الملقن في خلاصة البدر المنير (٤٣٨/٢): وصحَّحه إمامنا (أي الشافعي) في حرملة. وهو صحيح بمجموع طرقه. ومعناه مقطوع به من استقراء أحكام الشريعة النافية للضرر والضرار، الثابتة بالقرآن والسنة. ولهذا عد من القواعد الشرعية المسلمة عند الجميع.

(١) رد المحتار (٥٧٢/٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

هل حديث: «أكثر أهل الجنة البُلْه» صحيح؟

س: سمعت من بعض الخطباء في إحدى الجمع حديثًا استوقفني كثيرا، ونصه كما ذكره الخطيب أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**أكثر أهل الجنة البُلْه**» أي الموصوفون بالغباء والبلاهة، لا بالذكاء والنباهة، وقد سألت بعض الأصدقاء ممَّن أعتبرهم أعلم منِّي بأمور الدين، فأكد لي أنه قرأه كذلك في «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي.

فهل هذا الحديث ثابت حقًّا عن النبيِّ ﷺ؟ وكيف يتَّفق هذا مع ما دعا إليه الإسلام من التنويه بالعقل والعلم، حتَّى كانت أوَّل آية من كتابه أنزلت على رسوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

بينوا لنا الحقّ في ذلك. بارك الله فيكم، ومد في عمركم في خدمة الإسلام.

(س. ص. أ)

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(وبعد)

آفة كثير من الخطباء في مساجدنا أنَّهم «حاطبو ليل»، فهم يأخذون الأحاديث من أي كتاب وجدوه، أو من أي مقال قرؤوه، أو من أي متحدث سمعوه، دون أن يكلفوا أنفسهم معرفة مصدر الحديث، ومن أخرجه من أصحاب الكتب المعتمدة؟ ومن رواه من الصحابة؟ وما قيمته من حيث الصحة والضعف، والقبول والرد؟ وهل يصلح الاستشهاد به في هذا الموضع أو لا يصلح؟ وهل يليق ذكره لكلِّ النَّاس بكلِّ مستوياتهم أو هو لا يليق إلَّا بالخاصَّة؟

إنَّ كثيرًا من الخطباء، بل أكثرهم يعتمدون على كُتب الوعظ والتصوُّف، وهي تجمع الغثَّ والسمين، ولا تمحِّص ما تنقله، وكذلك معظم كتب التفسير.

وكثيرًا ما حضرت خطبًا للجمعة في بعض المساجد في بلاد شتَّى، فأصدم بعدد من الأحاديث تنسب إلى النَّبيِّ ﷺ، وهي مردودة سندًا، مرفوضة متنًا ومعنى.

وقد ذكر العلَّامة ابن حجر الهيتمي الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في «فتاواه الحديثية» وجوب الإنكار على الخطباء، الَّذين يذكرون الأحاديث دون إضافتها إلى مخرِّجيها، بل والحيلولة بينهم وبين المنابر، حتَّى لا يفسدوا على النَّاس دينهم[1].

على أنَّ نسبة الحديث إلى كتاب من كتب الحديث فيما عدا الصحيحين: لا يعني أنَّ الحديث صحيح أو حسن، ما لم ينصَّ على

(١) الفتاوى الحديثية صـ ٣٢، نشر دار الفكر.

QaradawiBooks.com

ذلك إمامٌ معتبر من فرسان الحديث ونقاده، وإلا فقد يوجد فيها الضعيف، والضعيف جدًّا، والموضوع، وقد نبهت على ذلك في أكثر من كتاب، وخصوصًا كتابي «ثقافة الداعية» و«كيف نتعامل مع السّنة النبوية» ومقدمة «المنتقى من الترغيب والترهيب».

وتساهل بعض العلماء في رواية الحديث الضعيف في الترغيب والترهيب والرقائق وفضائل الأعمال، ليس على إطلاقه، فهو مشروط بشروط ذكرها المحققون من العلماء[1]، وهي:

١. ألَّا يكون الحديث ضعيفًا جدًّا.

٢. وأن يكون مندرجًا تحت أصل كليٍّ من أصول الشرع.

٣. وألَّا يعتقد عند العمل به ثبوته، بل يعتقد الاحتياط.

٤. وألَّا يقول فيه: قال رسول الله بصيغة الجزم، بل يذكر صيغة تدلُّ على التضعيف، مثل رُوي، وحُكي، وذُكر، ونحوها.

وقد أضفت بعض القيود إلى هذه الشروط، في كتبي الثلاثة المذكورة يحسن بالخطباء والدعاة أن يرجعوا إليها.

أما الحديث المذكور «أكثر أهل الجنَّة البُلْه» فقد ذكره الإمام الغزالي في «الإحياء» مستشهدا به في أكثر من موضع، والغزالي وإن كان بحرًا زاخرًا، وإمامًا يُشار إليه بالبنان في العلوم، مثل فقه الشافعي، وأصول الفقه، والفلسفة، وعلم الكلام، والتصوف. ولكنَّه كما قال عن نفسه رضي الله عنه منصفا: إن بضاعته مزجاة في علوم الحديث، وكان هو طابع المدرسة

(١) تدريب الراوي شرح تقريب النواوي للحافظ السيوطي (٢٩٨/١، ٢٩٩)، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، نشر دار الكتب الحديثة، القاهرة.

QaradawiBooks.com

الفكرية الَّتي نشأ فيها، ولذا تضمن كتابه بل موسوعته «إحياء علوم الدين» كثيرًا من الأحاديث الواهية والمنكرة، بل والموضوعة، والَّتي لا أصل لها.

وقد قال الحافظ زين الدين العراقي الَّذي خدم «الإحياء» بتخريج أحاديثه، قال في تخريج حديث: «أكثر أهل الجنة البله»[1]. رواه البزَّار من حديث أنس، وضعَّفه. وصحَّحه القرطبي في التذكرة؛ وليس كذلك؛ فقد قال ابن عدي: إنَّه منكر[2] اهـ.

ومن حقِّ الأخ السَّائل أن يتوقَّف في قبول هذا الحديث من ناحية معناه، فهو يتعارض مع ما دعا إليه الإسلام في كتابه وسنته، من التنويه بالعقل والذكاء، والفكر والعلم، والإشادة بأولي الألباب وأولي النُّهَى، والذين يعقلون ويعلمون ويتفكرون، وقد تكرَّر ذكر «أولي الألباب» في القرآن ست عشرة مرة.

إنَّ القرآن الكريم وصف أهل الجنة في أكثر من موضع بأنَّهم من «أولي الألباب»، أي: أصحاب العقول والذكاء، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، إلى أن قال في شأن هؤلاء: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩٥].

---

(١) رواه البزار (٦٣٣٩)، وضعفه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٠٥٠): فيه سلامة بن روح؛ وثقه ابن حبان وغيره، وضعَّفه أحمد بن صالح وغيره، وروايته عن عقيل وجادة.

(٢) تخريج الإحياء صـ ٨٩٤.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وفي سورة أخرى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۞ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾، وبعد سرد جملة أوصاف وفضائل لهؤلاء النَّاس «أولو الألباب» يقول في جزائهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۞ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ [الرعد: ١٩ ـ ٢٣].

وفي سورة أخرى ذكر القرآن الخاسرين يوم القيامة من أهل الكفر، وما فوقهم وما تحتهم من ظلل من النار، ثم ذكر في مقابلهم أهل الجنة، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۞ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨].

وإذا كان أهل الجنَّة عمومًا هم أولي الألباب؛ فإنَّ أهل النَّار، كما صوَّرهم القرآن هم أهل الغباء والجهل والغفلة، وليس كما يوحي به مفهوم ذلك الحديث. فما دام أكثر أهل الجنَّة البلهاء، فإنَّ أكثر أهل النَّار العقلاء والأذكياء!

الحقُّ أنَّ القرآن يكشف لنا عن الجانب العقلي لأهل النار، بأنَّهم أغبياء عطَّلوا الأجهزة الَّتي منحهم الله إياها من الأفئدة والأسماع والأبصار، ولهذا انحطوا إلى درك صاروا به أضل سبيلا من البهائم العجماوات.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ويحدِّثنا القرآن عن أصحاب جهنَّم حين يُلقَون فيها، فيُسمع لها شهيقٌ وهي تفور، تكاد تميز من الغيظ على من يدخلها من الملاحدة والمشركين والضالين، يقول القرآن حاكيًا عن أهل النار: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠، ١١].

إنَّ أغبى النَّاس وأجهلهم حقًّا هم من انتهى بهم غباؤهم إلى النَّار وبئس المصير، وأي صفقة أخسر من دخول النَّار؟!

وإن أذكى النَّاس وأعلمهم وأعقلهم حقًّا هم الَّذين انتهى بهم ذكاؤهم إلى الجنة، وأي صفقة أربح من دخول الجنة؟!

على أنَّ الحديث مع ضعفه تعارضه أيضًا أحاديث أخرى، مثل: «**الْمُؤْمِنُ كَيِّسٌ فَطِنٌ حَذِرٌ**»[(١)]، والعجيب أنَّ كلا الحديثين المتعارضَين عن أنس رضي الله عنه!

والدليل على فطنة المؤمن وحذره: الحديث الصحيح المتَّفق عليه: «**لا يُلدغ المؤمن من جُحْر مرَّتين**»[(٢)].

بقي أن أذكر أنَّ الغزالي ومن تبعه حين يذكرون هذا الحديث يؤولونه بأنَّ المراد بهؤلاء «البُلْه» الَّذين لا يعنيهم أمر الدنيا، ولا يجعلونها أكبر

---

(١) رواه أبو الشيخ في الأمثال (٢٥٨)، والقضاعي في مسند الشهاب (١٢٨)، وقال الحافظ في فتح الباري (٥٣٠/١٠): إسناده ضعيف. وقال العجلوني (٣٨٧/٢): رواه الديلمي والقضاعي عن أنس رفعه وهو ضعيف. وقال الألباني في الضعيفة (٧٦٠): موضوع.

(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١٣٣)، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٩٨)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

همهم ولا مبلغ علمهم، فهم في أمر الدُّنْيا بُلهاء، وفي أمر الآخرة أذكياء، وقد قال بعض السَّلف: أدركنا أناسا لو رأيتموهم لقلتم: مجانين! ولو رأوكم لقالوا: شياطين! بخلاف أكثر الخَلَف الَّذين كانوا في أمر الآخرة أغبياء، بل بلهاء، وفي أمر الدُّنْيا في غاية النباهة والذكاء! وفي مثلهم يقول الشاعر:

أبُنَيَّ إنَّ من الرجالِ بهيمةً ... في صورةِ الرجلِ السّميعِ المُبْصرِ
فطِنٌ لكلِّ مُصيبةٍ في مالِهِ ... وإذا أُصيبَ بدِينِه لم يَشعرِ[1]

وقد وصف الله بعض النَّاس بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٦، ٧].

فاعتبر علمهم بظاهر الحياة الدُّنْيا دُون النفاذ إلى باطنها وأعماقها، كلا علم، فهو علم أشبه بالجهل.

وقد قال العلَّامة المُناوي في شرح الحديث: «البُلْه الَّذين خلَوا من الدهاء والمكر، وغلبت عليهم سلامة الصدر، وهم عقلاء، أو البليد في أمور الدُّنْيا دون الآخرة»[2]، ولكنَّ هذا التأويل إنَّما يقبل لو صحَّ الحديث، أمَّا وهو غير صحيح ولا حسن، فلا معنى لتأويله.

وقد ضلَّل لفظه كثيرًا من عامَّة المسلمين، فأصبحوا يعتقدون في أن كثيرًا من البلهاء والمجاذيب وأشباه المجانين العاطلين، حول الأضرحة والمزارات أولياء لله! وغدوا ينسجون حولهم أساطير وحكايات،

(١) عزاه لأبي عمرو بن العلاء كل من ابن عساكر في تاريخ دمشق (١١٨/٦٧)، وابن العديم في بغية الطلب في تاريخ حلب (٢٧٩٦/٦)، تحقيق د. سهيل زكار، نشر دار الفكر.
(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي (١٩٩/١).

QaradawiBooks.com

ويضيفـون إليهم خـوارق وكرامـات، جلُّها ـ إن لم يكن كلُّها ـ من نسج الخيال، أو افتراء الدجَّالين.

على أنَّ البلاهة في أمــر الدُّنْيا الَّتي ذكرها الإمــام المناوي وغيره، مرفوضة في نظرة المنهج الإسلامي، الَّذي يقوم على التوازن بين الدُّنْيا والدين، والمزج بين الروح والمادة، والتوافق بين العقل والقلب، وهذه هي الوسطيَّة الَّتي جاء بها الإسلام الصحيح، وهذا ما كان عليه الصحابة ومن تبعهم بإحســان في خير القرون، فقد كانوا أهل دين لا ينعزل عن الدنيا، وأهل دنيا لا تنفصل عن الدين.

والحمـد لله رب العالمين.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

عبارة: «النظافة من الإيمان»

س: شاعت بين المسلمين هذه الكلمة «النظافة من الإيمان» وتوارثتها الأجيال بعضها عن بعض، وظنها الكثيرون حديثًا مأثورًا عن النبيِّ ﷺ، ولكن بعض الإخوة من المطَّلعين على الكتب الدينية، قال: إنَّها ليست بحديث، ولم يقل ذلك النَّبيُّ ﷺ.

فهل ما قاله هذا الأخ صحيح؟ وإذا لم تكن هذه الكلمة حديثًا نبويًّا، فهل هي متفقة مع ديننا الإسلامي الحنيف؟ وما دليل ذلك من الشرع الشريف؟

أفيدونا أفادكم الله.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

هذه الكلمة «النظافة من الإيمان» بهذا اللفظ لم ترِدْ عن النبيِّ ﷺ فيما أعلم بسند صحيحٍ ولا حسنٍ ولا ضعيف.

ولكنْ من المؤكد أنَّ معنى هذه الكلمة صحيح، وهو مقتبس من نصوص صحيحة أخرى.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ففي صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعريّ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**الطُّهور شطر الإيمان**»(١).

والطُّهور ـ بضم الطاء ـ هو الطهارة، والطهارة في الإسلام تشمل الطهارة المعنوية من رجس الكفر والمعصية والرذيلة، كما تشمل الطهارة الحسية، وهي تعني: النظافة، وهي شرط لصحة الصلاة، سواء كانت الطهارة من الحدث بالوضوء والغسل، أم من الخبث؛ بالتنظيف المناسب، وهي طهارة الثوب والبدن والمكان.

ولهذا كان «باب الطهارة» أوَّل ما يدرس في الفقه الإسلامي؛ لأنَّه مدخل ضروري للصلاة، فمفتاح الجنة الصلاة، ومفتاح الصلاة الطهور.

وفي الحديث الصحيح: «**لا يقبل الله صلاة بغير طُهور**»(٢).

وقد أثنى القرآن الكريم على أهل قباء لحرصهم على التطهر وحبهم له، فقال تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

وقال تعالى في سياق التطهر بعد الحيض: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ومن درس السُّنَّة النبوية وجد فيها حشدًا من الأحاديث الصحاح والحِسان، تحثُّ على النظافة في كلِّ المستويات: نظافة الإنسان، ونظافة البيت، ونظافة الطريق.

---

(١) رواه مسلم في الطهارة (٢٢٣)، وأحمد (٢٢٩٠٢).

(٢) رواه مسلم في الطهارة (٢٢٤)، وأحمد (٤٧٠٠)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

وفي نظافة الإنسان أمرت بغُسل يوم الجمعة، حتَّى عبَّر عنه في بعض الأحاديث بلفظة واجب: «**غسل يوم الجمعة واجب على كلّ محتلم**»[١].

وفي حديث آخر: «**حقٌّ لله على كلّ مسلم في كلّ سبعة أيام: يومٌ يغسل فيه رأسه وجسده**»[٢].

ويتأكَّد ذلك إذا وجدت أسبابه من العرق والوسخ ونحوه، حتَّى لا يكون مصدر إيذاء لمن يخالطه.

وأكدت السُّنَّة وشدَّدت على أجزاء معينة من الجسم تحتاج إلى عناية خاصَّة مثل الفم والأسنان، ومن ثَمَّ كان الأمر بالسواك وتأكيد استحبابه، وقال فيه ﷺ: «**لولا أن أشُقَّ على أُمَّتي لأمرتهم بالسِّواك عند كلِّ صلاة**»[٣]. أي أمر إيجاب وإلزام.

وقال: «**السِّوَاك مطهرةٌ للفمِ مرضاةٌ للرب**»[٤]. ومن ذلك: نظافة الشعر، وفيه جاء الحديث: «**من كان له شَعر فليكرمْه**»[٥]. وعن جابر بن عبد الله، قال: أتانا رسول الله ﷺ زائرًا في منزلنا، فرأى رجلًا شعثًا قد تفرَّق شعره، فقال: «**أمَا كان يجد هذا ما يُسكِّن به شعره؟**» ورأى رجلًا آخر، وعليه ثياب وسخة، فقال: «**أمَا كان يجد هذا ما يغسل به ثيابه؟**»[٦].

---

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري (٨٧٩)، ومسلم (٨٤٦)، كلاهما في الجمعة، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري (٨٩٧)، ومسلم (٨٤٩)، كلاهما في الجمعة، عن أبي هريرة.

(٣) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري (٨٨٧)، ومسلم (٢٥٢)، كلاهما في الجمعة، عن أبي هريرة.

(٤) علقه البخاري بصيغة الجزم قبل حديث (١٩٣٤)، ووصله أحمد (٢٤٣٣٢)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح لغيره. والنسائي في الطهارة (٥)، عن عائشة.

(٥) رواه أبو داود في الترجل (٤١٦٣)، والطحاوي في مشكل الآثار (٤٣٤/٨)، والطبراني في الأوسط (٨٤٨٥)، وحسن إسناده ابن حجر في فتح الباري (٣٦٨/١٠)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٥٠٠)، عن أبي هريرة.

(٦) رواه أحمد (١٤٨٥٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده جيد. وأبو داود في اللباس (٤٠٦٢)، والنسائي في الكبرى في الزينة (٩٢٦١) مختصرًا، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١٣٣٣).

QaradawiBooks.com

وتكميلًا لذلك جاءت الأحاديث بما عرف باسم «سنن الفطرة» الَّتي تدلُّ رعايتها على مدى حرص الإسلام على النظافة والتجمُّل، والمحافظة على نعمة الصحة والزينة، وتشمل: تقليم الأظافر، وقصَّ الشارب، ونتف الإبْط، وحلقَ العانة، ونحو ذلك. وهي في الصحيحين[١].

ومما عُنيت السُّـنَّة بنظافته: البيت، فلا بدَّ من تنظيفه من كلّ الأقذار والأخباث الَّتي يسوء منظرها، ويضر مخبرها.

وفي الحديث الَّذي رواه التِّرْمِذيّ عن سـعيد بن المسيب قال: «**إن الله طيِّب يحبُّ الطيب، نظيف يحبُّ النَّظافة، فنظِّفوا أفنيتكم ولا تشبَّهوا باليهود**»[٢].

ومثل ذلك: نظافة الطريق، ومن الأحاديث الشهيرة الَّتي يكاد يحفظها جميع المسلمين: «**إماطة الأذى عن الطريق صدقة**»[٣].

ومما حذَّرت منه السُّنَّة أشـد التحذير: التخلِّي في الطريق، ومواضع الظلِّ، وقد جعلته ممَّا يجلب اللعنة على صاحبه، سـواء لعنة الله أم لعنة النَّاس، فقال ﷺ: «**اتقوا اللَّاعنَيْن: الَّـذي يتخلَّى في طريق النَّاس، وفي ظلهم**»[٤]، وفي حديث آخر: «**اتَّقوا الملاعـنَ الثلاث: البَراز في الموارد، وقارعةِ الطريق، والظلِّ**»[٥].

---

(١) ثبت ذلك في حديث ابـن عمر، رواه البخاري في اللبـاس (٥٨٩٠)، وحديث أم المؤمنين عائشة، رواه مسلم في الطهارة (٢٦١)، وأحمد (٢٥٠٦٠).

(٢) رواه الترمذي في الأدب (٢٧٩٩)، وقال: هذا حديث غريب، وخالد بن إلياس يضعف.

(٣) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٨٩)، ومسلم في الزكاة (١٠٠٩)، عن أبي هريرة.

(٤) رواه مسلم في الطهارة (٢٦٩)، وأحمد (٨٨٥٣)، عن أبي هريرة.

(٥) رواه أبو داود (٢٦)، وابن ماجه (٣٢٨)، والحاكم (١٦٧/١)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في الطهارة، وجوَّد إسناده النووي في المجموع (٨٦/٢)، وحسـنه الألباني في غاية المرام (١٠)، عن معاذ.

QaradawiBooks.com

وبهذا سبقت السُّنَّة بالحث على حماية البيئة من التلوث.

ومثل ذلك البول في الماء الراكد أو الجاري، وفي الحديث: «**لا يبولنَّ أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل فيه**»[١].

كما حثَّت السُّنَّة على العناية بالطعام والشراب، وحمايتهما من أسباب التلوث. وفي هذا جاء الحديث الصحيح: «**إذا نمتم فأطفِئوا المصباح، وأغلقوا الأبواب، وأوكِئوا الأسقية** ـ اربطوا قرب الماء ـ **وخمِّروا الشراب**»[٢]، «**أغلقوا أبوابكم، وخمِّروا آنيتَكم** ـ غطُّوها ـ **وأطفئوا سُرُجَكم، وأوكئوا أسقيتَكم**»[٣].

وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الوضوء (٢٣٩)، ومسلم في الطهارة (٢٨٢)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٢٠٧٧٥)، وقال مخرِّجوه: رجله ثقات رجال الصحيح. والحاكم في الطهارة (١٨٦/١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٢٤٧): ورجال أحمد رجال الصحيح. عن عبد الله بن سرجس.

(٣) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري (٥٦٢٤)، ومسلم (٢٠١٢)، عن جابر بن عبد الله.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

المبالغة في التخويف

س: ما مدى صحَّة الحديث الَّذي يبيِّـن أنَّ عقوبة تارك الصلاة في قبره أنه يُسـلَّط عليه ثعبـان أقرع يلدغـه، كيف يكون ذلـك والميت لا يُحس؟ هل عذاب القبر يكون بالجسـد والـرُّوح؟ أم بالرُّوح فقط؟ أرجو توضيح هذا الأمر للأهمية.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

أولًا: أنا لا أعرف هذا الحديث الَّذي يسـلط فيه الثعبان الأقرع على تارك الصلاة في قبره، والَّذي جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**من آتاه الله مالًا، فلم يؤدِّ زكاتَه مُثِّل له يوم القيامة شُـجَاعًا أقرع، له زبيبتان، يُطَوَّقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلِهزِمَتَيْه ـ يعني: شدقيه ـ ثم يقول: أنا مالُك، أنا كنزُك**». ثم تلا: ﴿**وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ**﴾ [آل عمران: ١٨٠][(١)].

(١) رواه البخاري في الزكاة (١٤٠٣)، وأحمد (٨٦٦١)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

هذا هــو الَّذي ذكر فيه الثعبــان الأقرع، ورد في شــأن مانع الزكاة، ويكون ذلك يوم القيامة وليس في القبر.

وكثير ممَّا يقال في عــذاب القبر مكذوبٌ على رســول الله ﷺ، أو جاءت به أحاديث ضعيفة واهية، وكثير من الوُعَّاظ يكثرون من الحديث عن عذاب القبر، ويســردون فــي ذلك ما صحَّ وما لم يصــح، ليخوِّفوا النَّاس، فيذكرون الحيات الَّتي كالأفيــال، والعقارب الَّتي كالبغال، تلدغ الواحد اللدغة فيتهرَّى لحمُه ســبعين ســنة، وهذا لم يرد في الأحاديث الصحاح.

التَّخويف الزائد ليس من شأن الداعية المصلح:

والتخويف الزائد هذا ليس من شأن الداعية المؤمن المصلح، الَّذي يريد أن يُوَصِّــل الحقائق الدينية كما هي، غير مبالِــغ فيها، ولا منتقص منها، أما المبالغات، فيترتب عليها آثارٌ ســيئة، أذكر أن بعض الآباء قال لي: إن ابنتي تقوم من الليل فَزِعة مُرْعَبة، سألتُه: ما السَّبب؟ قال: من مدة جاءت بأشــرطة دينية، وكان من ضمنها شــريط عن عــذاب القبر، لما سمعت هذا الشــريط أصابها ما أصابها من هذا الرعب والفزع، فأصابها مرض نفسي، و«فُوبيَا» بسبب هذا التخويف المبالغ فيه.

عذاب القبر ثابت بالقرآن والسُّنَّة:

وعذاب القبر ثابت بالقرآن والسُّنَّة، فقد أشار القرآن إلى عذاب القبر في أكثر مــن آية، قــال تعالــى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعــام: ٩٣]. وقال

QaradawiBooks.com

عن فرعون وآل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]. وجاء عن النبيِّ ﷺ أنَّه مرّ على قبرين ـ أي: قبرين جديدين، دفن فيهما ناس من قريب ـ فقال: «**إنَّهما ليُعَذَّبان، وما يُعذَّبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**». ثم أخذ جريدة رطبة، فشقَّها نصفين، فغرز في كلّ قبر واحدة. قالوا: يا رسول الله، لِمَ فعلت هذا؟ قال: «**لعله يُخفَّف عنهما ما لم يَيْبَسا**»[1]. ولكن النَّبيَّ ﷺ لم يحدِّثنا في هذا الحديث عن العذاب الَّذي يعذبانه ما هو؟

(١) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٣٦١)، ومسلم في الطهارة (٢٩٢)، عن ابن عباس.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حول أحاديث كتاب الحلال والحرام

س: يذكر بعض النَّاس أنَّكم اعتمدتم في كتابكم الشهير: «الحلال والحرام في الإسلام» على بعض الأحاديث الضعيفة، كما ظهر ذلك في كتاب الشيخ ناصر الدين الألباني «غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام» فقد حكم فيه على عدد من الأحاديث بالضعف، والمعروف أن الأحاديث الضعيفة ـ وإن أجازها الأكثرون في فضائل الأعمال بشروط معينة ـ لم يجز أحد الاحتجاج بها في الأحكام، وأمر الحلال والحرام.

فهل لكم من رد أو تفسير لهذا الكلام، وبخاصَّة أن كتابكم قد انتشر في العالم كله، وقد يثير مثل هذا القول بلبلة عند بعض قراء الكتاب والمعتمدين عليه؟ وما منهجكم الَّذي اعتمدتموه في تأليف كتابكم واختياركم للأحكام فيه؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

أولًا: أحمد الله تعالى أن وفَّقني منذ أوائل حياتي الفكريَّة والدعويَّة لتبنِّي المنهج الوسط الَّذي يقوم على النظرة المعتدلة والشاملة، ويبتعد

QaradawiBooks.com

عن الإفراط والتفريط، وقد بيَّنت منهجي هذا في مقدمة الكتاب نفسه «الحلال والحرام» في أوَّل طبعة له حين قلت:

وربما بدا موضوع «الحلال والحرام» سهلًا لأوَّل وهلة، ولكنَّه في الواقع صعب المُرتقَى، فلم يسبق لمؤلف في القديم أو الحديث، أن جمع شتات هذا الموضوع في كتاب خاص، ولكن الدارس يجد أجزاءه موزعة في أبواب الفقه الإسلامي كلها، وبين ثنايا كتب التفسير والحديث النبوي.

منهجي في الكتاب:

ثم إنَّ موضوعًا كهذا يضطر الكاتب إلى أن يحدِّد موقفه من أمور كثيرة اختلف في حكمها علماؤنا القدامى، واضطربت فيها وفي تعليلها آراء المُحْدثين.

وترجيح رأي على غيره في مسائل الحلال والحرام يحتاج إلى أناة وطول بحث ومراجعة، بعد أن يتجرَّد الباحث لله في طلب الحق، جهد الإنسان.

وقد رأيتُ معظم الباحثين العصريِّين في الإسلام، والمتحدِّثين عنه يكادون ينقسمون إلى فريقين:

فريق خطف أبصارهم بريق المدنيَّة الغربيَّة، وراعهم هذا الصنم الكبير، فتعبَّدوا له، وقدَّموا إليه القرابين، ووقفوا أمامه خاشعة أبصارهم تَرْهقهم ذِلَّة، هؤلاء الَّذين اتخذوا مبادئ الغرب وتقاليده قضية مسلمة لا تعارض ولا تناقش، فإنَّ وافقها الإسلام في شيءٍ هلَّلوا وكبَّروا، وإن عارضها في شيءٍ وقفوا يحاولون التَّوفيق والتَّقريب، أو الاعتذار والتَّبرير، أو التَّأويل والتحريف، كأنَّ الإسلام مفروضٌ عليه أن يخضع لمدنيَّة الغرب وفلسفته وتقاليده.

QaradawiBooks.com

ذلك ما نلمسه في حديثهم عمَّا حرَّم الإسلام من مثل: التماثيل واليانصيب، والفوائد الربوية، والخلوة بالأجنبية، وتمرد المرأة على أنوثتها، وتحلي الرجل بالذهب والحرير... إلخ ما نعرف. وفي حديثهم عمَّا أحلَّ الإسلام من مثل: الطلاق وتعدد الزوجات، كأن الحلال في نظرهم ما أحله الغرب، والحرام ما حرمه الغرب، ونسوا أن الإسلام كلمة الله، وكلمة الله هي العليا دائمًا، فهو يُتَّبع ولا يَتَّبع، ويعلُو ولا يُعلى، وكيف يتبع الرب العبد، أم كيف يخضع الخالق لأهواء المخلوقين؟ ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١]، ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥]. هذا فريق.

والفريق الثاني جمد على آراء معيَّنة في مسائل من الحلال والحرام، تبعا لنص أو عبارة في كتاب، وظن ذلك هو الإسلام، فلم يتزحزح عن رأيه قيد شعرة، ولم يحاول أن يمتحن أدلَّة مذهبه أو رأيه، ويوازنها بأدلَّة الآخرين ويستخلص الحقّ بعد الموازنة والتمحيص.

فإذا سُئل عن حكم الموسيقى، أو الغناء، أو الشِّطْرنج، أو تعليم المرأة أو إبداء وجهِها وكفَّيها، أو نحو ذلك من المسائل، كان أقرب شيء إلى لسانه أو قلمه كلمة: حرام، ونسي هذا الفريق أدب السَّلف الصالح في هذا؛ حيث لم يكونوا يطلقون الحرام إلَّا على ما عُلم تحريمه قطعًا، وما عدا ذلك قالوا فيه: نكره، أو لا نحبُّ، أو نحو هذه العبارات.

وقد حاولت ألَّا أكون واحدًا من الفريقين:

فلم أرضَ لديني أن أتَّخذ الغرب معبودًا لي، بعد أن رضيتَ بالله ربًّا وبالإسلام دِينًا، وبمحمَّد ﷺ رسولًا.

QaradawiBooks.com

ولم أرضَ لعقلي أن أقلِّد مذهبًا معينًا في كلِّ القضايا والمسائل أخطأ أو أصاب، فإنَّ المقلِّد ـ كما قال ابن الجوزي ـ على غير ثقة فيما قلَّد فيه، وفي التقليد إبطال منفعة العقل؛ لأنَّه خُلق للتأمُّل والتدبُّر، وقبيح بمن أُعطي شمعة يستضيء بها أن يطفئها ويمشي في الظلمة[١].

أجل لم أحاول أن أقيِّد نفسي بمذهب فقهي من المذاهب السَّائدة في العالم الإسلامي، ذلك أنَّ الحقَّ لا يشتمل عليه مذهب واحد وأئمة هذه المذاهب المتبوعة لم يدَّعوا لأنفسهم العصمة، وإنَّما هم مجتهدون في تعرف الحق، فإن أخطؤوا فلهم أجر وإن أصابوا فلهم أجران.

قال الإمام مالك: «كلُّ أحدٍ يؤخذ من كلامه ويُترك إلَّا النَّبيَّ ﷺ»[٢]، وقال الإمام الشافعي: «رأيي صوابٌ يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب»[٣].

وغير لائق بعالمٍ مسلم يملك وسائل الموازنة والترجيح: أن يكون أسير مذهب واحد، أو خاضعًا لرأي فقيه معيَّن، بل الواجب أن يكون أسير الحُجَّة والدليل، فما صحَّ دليله وقويت حُجَّته، فهو أولى بالاتِّباع، وما ضعف سنده، ووهت حُجَّته فهو مرفوض مهما يكن من قال به، وقديمًا قال الإمام علي رضي الله عنه: «لا تعرف الحقَّ بالرجال، بل اعرف الحقَّ تعرف أهلَه»[٤].

ثانيًا: أحمد الله تعالى حمدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه، كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، وجزيل نعمه الَّتي لا أحصيها، والَّتي لم أقم بأقل القليل من شكرها.

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي صـ ٧٤، نشر دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٣٠٢/١٨).

(٣) نقل ابن حجر الهيتمي أن ذلك مذهب الشافعية. انظر: الفتاوى الفقهية الكبرى (٣١٣/٤).

(٤) تلبيس إبليس لابن الجوزي صـ ٧٤.

QaradawiBooks.com

ومن هذه النعم أن منح الله الكريم الوهاب كتبي القبول عند المسلمين حيثما كانوا، وهذا من فضل ربّي عليّ، وإحسانه إليّ، تباركت آلاؤه، وتقدست أسماؤه، حتَّى إنَّ كتابي «الحلال والحرام» قد بلغت طبعاته ـ بالعربيَّة ـ حوالي الأربعين[1]، ذلك أنَّه يطبع في عدَّة أماكن، ويصدر من عدة جهات: القاهرة، ولبنان، والجزائر، والمغرب، والكويت، وغيرها.

هذا بالإضافة إلى ترجمته إلى عدد من اللغات مثل: التركية، والأوردية، والماليزية، والأندونيسية، والفارسية، والبنغالية، والمالييارية، والسواحليَّة، والإنجليزية والألمانية والصينية وغيرها.

تخريج أحاديث الكتاب تكريم له:

ثالثًا: لا شكَّ أن تخريج العلامة الشيخ محمَّد ناصر الدين الألباني حفظه الله لأحاديث كتابي: «الحلال والحرام» هو نوع من التكريم للكتاب وصاحبه، فعلماء الحديث من قديم لا يخرجون أحاديث الكتب التافهة أو المغمورة، إنَّما يخرجون الكتب الَّتي لها قيمة ووزن علمي، وشهرة عند أهل العلم وجماهير الناس.

ولهذا نجد مثل الحافظ الزيلعي يخرِّج أحاديث كتاب: «الهداية» في الفقه الحنفي في كتاب: «نصب الراية» لمنزلة الكتاب وشهرته عند علماء الحنفية، وكذلك فعل الحافظ ابن حجر في تخريج الهداية ثم في تخريج «فتح العزيز»، أو الشرح الكبير للرافعي، على «الوجيز» للغزالي في فقه الشافعي، وذلك في كتابه المعروف بـ «التلخيص الحبير»، وكذلك خرَّج أحاديث «الكشَّاف» للزمخشري.

---

(١) بلغت الآن أكثر من (٧٠) طبعة.

QaradawiBooks.com

ومثل ذلك ما صنعه الحافظ العراقي في تخريج أحاديث: «إحياء علوم الدين» للغزالي. وكتب أخرى كثيرة معروفة عند أهل الاختصاص.

ولهذا سرَّني أن يُعنى المحدِّث المعروف الشيخ الألباني من زمن بعيد بتخريج أحاديث كتابي: «الحلال والحرام»، و«مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام».

كما خرَّج كذلك أحاديث كتاب: «فقه السِّيرة» للداعية الإسلامي الكبير الشيخ محمَّد الغزالي.

وقد رأيت كتاب الشيخ الألباني: «غاية المرام» ورأيت ما حكم عليه بالضعف من الأحاديث. وأود أن أسجل هنا بعض الملاحظات المهمة:

بعض الأحاديث يُذكر للاستئناس لا للاحتجاج:

الأولى: أنَّني قد أذكر بعض الأحاديث الضعيفة للاستئناس بها، لا للاحتجاج بها، والاعتماد عليها وحدها في الاستدلال.

فكثيرًا ما يكون الحكم ثابتًا بأدلَّة أخرى من النُّصوص الثابتة، أو القواعد المقرَّرة، ثم يُذكر الحديث هنا ـ وإن كان ضعيفًا ـ للاستئناس كما قلت، وهذا ما لم يتحرَّز منه أحد من السَّابقين فيما أعلم.

ومن قرأ كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه المحقِّق ابن القيِّم يجد فيها الكثير الكثير من ذلك.

بل الإمام البخاري نفسه، مع ما عرف عنه من التشدُّد في رفض الضعيف، يذكر في جامعه الصحيح، بعض الأحاديث المعلَّقة الضعيفة، وهي ما يرويه بغير صيغة الجزم، مثل قوله: قِيل ورُوي ويُذكر، ونحو ذلك.

QaradawiBooks.com

وهذا ما صنعته في بعض الأحيان، فإذا ذكرت حديثًا مثل: «**تنظَّفوا؛ فإنَّ الإسلام نظيف**»[١] فهذا ـ وإن كان ضعيفًا ـ لا يثبت به حكم، فأمر النظافة ثابت بمحكمات القرآن والسُّنَّة.

مرحلة التقليد للمتقدِّمين:

الثانية: هناك أحاديث اعتمدت فيها على تصحيح أو تحسين المتقدمين من أئمَّة الحديث، وفقهاء السّنة، وأعترف أنِّي لم أناقشهم فيما صنعوا، بل كنت مقلدا لهم، ناقلا عنهم، ولا غرابة أن يأخذ رجل الفقه عن رجل الحديث، فلم يوجد عالم أحاط خُبرًا بكلِّ علم.

وهنا قد يظهر في الحديث علَّة يلحظها المتأخِّر، غابت عن المتقدِّم، وكم ترك الأوَّل للآخر!

مثال ذلك: أنِّي اعتمدت على تحسين الحافظ ابن حجر لحديث: «**من حبس العِنب أيامَ القِطاف، حتَّى يبيعه من يهودي أو نصراني، أو ممَّن يتَّخذه خمرًا، فقد تقحَّم النَّار على بصيرة**»[٢].

فقد ذكره في كتابه: (بلوغ المرام من أدلَّة الأحكام) وقال: رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن[٣].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٤٨٩٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٥٧٩): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه نعيم بن مُورِّع، وهو ضعيف. وذكره الألباني في ضعيف الجامع (٢٢٨١)، عن عائشة.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٥٣٥٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٤١٥): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عبد الكريم ابن عبد الكريم؛ قال أبو حاتم: حديثه يدل على الكذب. وقال الألباني في غاية المرام (٧١): (رواه الطبراني في الأوسط وحسنه الحافظ في بلوغ المرام وهو ضعيف جدًّا وتحسين الحافظ إياه وهم، لا أدري من أين منشؤه)، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥هـ.

(٣) انظر: سبل السلام شرح بلوغ المرام للصنعاني (٣٩/٢)، نشر دار الحديث.

QaradawiBooks.com

وابن حجر هو أمير المؤمنين في الحديث، ونادرة الدُّنْيا في الحفظ والاستيعاب، فإذا قلدته أو قلده غيري فليس بملوم، وإذا استدرك عليه من بعده فليس هو بمعصوم.

وقد رأيت العلامة الصنعاني شرح الحديث في «سبل السَّلام» وسكت على تحسين الحافظ، كما ذكره العلَّامة صِدِّيق حسن خان في «الروضة الندية» وقال: «وإسناده حسن كما قال الحافظ، وأخرجه أيضًا البيهقي وزاد: «**أو ممَّن يعلم أنَّه يتَّخذه خمرًا**»[١]، ويؤيِّده حديث أبي أمامة عند التِّرْمِذيّ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا تبيعوا القَيْنات ولا تشتروهنَّ ولا تعلِّموهنَّ، ولا خير في تجارة فيهنَّ، وثمنُهن حرام**»[٢]، وفي الباب أحاديث. وأخرج مالك عن ابن عمر: أنَّ رجالًا من أهل العراق قالوا: يا أبا عبد الرحمن إنا نبتاع من ثمر النخل والعنب فنعصره خمرا، فنبيعها! فقال عبد الله بن عمر: إنِّي أشهد الله عليكم وملائكته، ومن سمع من الجن والإنس: أنِّي لا آمركم أن تبيعوها، ولا تبتاعوها، ولا تعصروها، ولا تسقوها، فإنَّها رجس من عمل الشيطان[٣]. قلت: وعليه أهل العلم»[٤] اهـ.

هذا ما غرَّني بالحديث المذكور، وجعلني أقبله تقليدًا كما قلت، إذ كنت في مرحلة التقليد المطلق في الحديث، ولم أبدأ البحث في أمر الحديث، والخروج جزئيًّا من إسار التقليد فيه، إلَّا عندما بدأت أكتب في فقه الزكاة.

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٥٢٣٠).

(٢) رواه الترمذي في البيوع (١٢٨٢)، وقال: غريب. وضعَّفه الإشبيلي في الأحكام الوسطى (٢٤٩/٣)، ورواه أيضًا أحمد (٢٢٢٨٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف جدًّا.

(٣) رواه مالك (٣١٣٥)، تحقيق الأعظمي، والبيهقي (٢٨٦/٨)، كلاهما في الأشربة.

(٤) الروضة الندية شرح الدرر البهية للقِنَّوجي (٩٩/٢)، نشر دار المعرفة، بيروت.

QaradawiBooks.com

ثم جاء العلامة الألباني، وبيَّن أنَّ الحديث ضعيف جدًّا بسبب أحد رواته، وهو الحسن بن مسلم المروزي التاجر، وقد ذكر الهيثمي الحديث في «مجمع الزوائد» (٩٠/٤) ونسبه إلى الطبراني في الأوسط، وقال: فيه عبد الكريم بن عبد الكريم، قال أبو حاتم: حديثه يدلُّ على الكذب.

حصر الحافظ الهيثمي آفة الحديث في عبد الكريم هذا.

والحافظ ابن حجر ترجم لعبد الكريم هذا في «لسان الميزان»، وذكر فيه قول أبي حاتم، ثم قال: وبقيَّة كلامه لا أعرفه، وفي ثقات ابن حِبَّان: عبد الكريم بن عبد الكريم البجلي عن عبد الله بن عمر، وعنه جُبَارة بن المُغَلِّس: مستقيم الحديث. فالظاهر أنه هو، ولعلَّ ما أنكره أبو حاتم من جهة صاحبه جُبارة، ويؤيِّده أنَّ أبا حاتم قال قبل ذلك: لا أعرفه. (٢٥٦/٢) انتهى من لسان الميزان.

قال الذهبي في «الميزان»: أتى بخبر موضوع في الخمر. قال أبو حاتم: حديثه يدلُّ على الكذب، وقال ابن حبان: أخبرنا محمَّد بن عبد الله بن الجُنَيد ثنا عبد الكريم بن عبد الكريم (الأصل: عبد الله) السُّكري ثنا الحسن بن مسلم التاجر... قلت: فذكر الحديث. وعلَّق الشيخ على تحسين ابن حجر بقوله: وهم لا أدري من أين منشؤه، فإنَّه وهْمٌ فاحشٌ من مثله!

والعجيب أنِّي رأيت الحافظ ابن حجر ذكر الحسن بن مسلم المروزي ـ وهو آفة هذا الحديث ـ فذكر ما ذكره الذهبي في «الميزان» وكلام ابن أبي حاتم وابن حبان بالحرف! وسبحان من تفرَّد بالكمال.

QaradawiBooks.com

تضعيف الشيخ قابل للمناقشة:

الثالثة: أنَّ الشـــيخ الألباني ـ في رأيي ـ هو أشهر علماء الحديث في عصرنا وخصوصًا في فن التخريج والتوثيق والتضعيف، ومع هذا ليست كلمته هي النهائية في كلِّ حديث يصحِّحــه أو يضعِّفه، فقد يخالفه غيره من علماء العصر، كالشـــيخ العلامة حبيب الرحمن الأعظمي، والشـــيخ شعيب الأرناؤوط، والشيخ عبد الفتاح أبي غدة وغيرهم.

ولا غرابة أن يخالفوه كما خالف هو مـــن قبله من الكبار في بعض الأحاديث، وقد يتخذ بعضهم نهجا في التصحيـــح غير نهجه، كما كان العلامة الشيخ أحمد محمَّد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فحكم الشـــيخ بتضعيف حديث ليس هو الحجـــة القاطعة، والكلمة الفاصلة.

بل أقول: إنَّ الشـــيخ الألباني ـ حفظه الله ـ قد يضعِّف الحديث في كتاب، ويصحِّحه في كتاب آخر.

وهذا ما رأيته بالنســـبة لحديث: «**ما من مســـلم يقتـــل عصفورًا فما فوقها، بغير حقها، إلَّا سأله الله** عَزَّ وَجَلَّ **عنها**». قيل: يا رسول الله، وما حقُّها؟ قال: «**يذبحهـــا، فيأكلها، ولا يقطع رأسَـــها ويرمي بها**» رواه النَّســـائي والحاكم وقال: صحيح الإسناد من حديث عبد الله بن عمرو. فقد ضعَّفه في «تخريج الحلال والحرام» حديث رقم (٤٧).

ومثله حديث: «**من قتل عصفـــورًا عبثًا، عجَّ إلـــى الله يوم القيامة، يقول: يـــا ربِّ، إنَّ فلانًا قتلني عبثًا، ولم يقتلني منفعة**» رواه النَّســـائي وابن حبَّان في صحيحه من حديث الشَّرِيد. وقد ضعَّفه الشيخ أيضًا في الحديث (٤٦).

QaradawiBooks.com

وقد خالفته في تعليقي على الحديثين في كتابي «المنتقى من الترغيب والترهيب» للإمام المنذري، فقلت عن حديث عبد الله بن عمرو: رواه النَّسائي.

وقد قال الحافظ ابن حجر في التلخيص في تخريج حديث: «**من ولي القضاء فقد ذُبِحَ بغير سِكِّين**». الَّذي أعله ابن الجوزي: كفاه قوة تخريج النَّسائي له. وقد رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٢٣٣/٤)، والحديث رواه أحمد أيضًا في المسند برقم (٦٥٥١) وبأخصر منه برقم (٦٥٥٠) وقال الشيخ شاكر: إسناده صحيح، وخالف هؤلاء جميعًا العلامة الألباني فضعف الحديث في تخريجه للحلال والحرام، بسبب رواية صهيب مولى ابن عامر الحذاء، بدعوى أنه مجهول، وقد ذكره ابن حبان في الثقات، وترجمه البخاري في الكبير، فلم يذكر فيه جرحا، وفرق أبو حاتم بينه وبين أبي موسى الحذاء فترجم الأول ولم يذكر فيه جرحا، وقال عن الثاني: لا يعرف ولا يسمى وهما عند غيره شخص واحد معروف مسمى، وفيه أن الثَّوريّ روى عن حبيب بن أبي ثابت عنه، وترجمه الذهبي في «الميزان» فذكر أنَّ بعضهم قوَّاه، وقد روى حديثه شعبة، على تشدده في الرجال.

والحديث رواه الطيالسي أيضًا في مسنده برقم (٢٢٧٩) عن شعبة وابن عُيَيْنة، ورواه من طريقه البيهقي في السّنن الكبرى (٢٧٩/٩)، والدارمي في سننه (٨٤/٢)، والحميدي في مسنده الحديث رقم (٥٨٧) بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي.

وقلت عن حديث الشريد: هو في النَّسائي (٢٣٩/٧) طبعة المطبعة المصرية بالأزهر، وفي موارد الظمآن (١٠٧١)، باب النَّهي عن الذبح لغير منفعة، ورواه أيضًا أحمد (٣٨٩/٤) وهذا الحديث يشهد للحديث قبله،

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

وقد صححه ابن حبان، وأقره المنذري، ولكن الألباني ضعفه أيضًا؛ لأنَّه من طريق عامر الأحول عن صالح بن دينار، بدعوى أن صالحًا مجهول، وعامر ضعيف لسوء حفظه، والأول ذكره ابن حبان في الثقات، وقد نقل الآجُرِّي عن أبي داود ما يدلُّ على أن معمرا روى عنه أيضًا، وكنَّاه بـ «أبي شعيب». ولم يذكره الذهبي في الضعفاء. والثاني ـ وهو عامر الأحول ـ لينه أحمد، وقال النَّسائي: ليس بالقويِّ، وقال ابن معين: ليس به بأس، وقال أبو حاتم: ثقة لا بأس به، وقال ابن عدي: لا أرى برواياته بأسًا، وذكره ابن حِبَّان في ثقات التابعين، وقال السَّاجي: يحتمل لصدقه وهو صدوق[1]. ولخَّص هذا الحافظ في تقريبه، فقال: صدوق يخطئ، ولم يصفه بأنَّه كثير الخطأ أو فاحشه، ومثل هذا لا يرد حديثه بإطلاق، ولكن يُنتقى منه، وهذا ما صنعه النَّسائي، فقد قال فيه: ليس بالقويِّ، وروى عنه في «مجتباه» الَّذي قالوا: إنَّ شرطه فيه أقوى من شرط أبي داود والتِّرْمِذيّ، وذكره الذهبي في الضعفاء فقال: ليَّنه أحمد وغيره، ووثَّقه أبو حاتم ومسلم. هذا وقد أخرج له مسلم في صحيحه، فضلًا عن أصحاب السُّنن.

والعجيب أنِّي رأيته بعد ذلك في الجزء الأول من كتابه: «صحيح الترغيب والترهيب» ذكر حديث عبد الله بن عمرو محكومًا عليه بالحسن! انظر الحديث رقم (١٠٨٤).

وهكذا سرعان ما يتغير اجتهاد الشيخ في التصحيح والتضعيف، حتَّى إنَّ هناك اختلافًا بين الطبعة الأولى من صحيح الجامع الصغير وزيادته، وضعيف الجامع الصغير وزيادته، وبين الطبعة الثانية منهما، فقد حدث نقل بعض الأحاديث من هذا الكتاب إلى ذاك بالعكس.

---

(١) تهذيب التهذيب (٥/٩٨).

QaradawiBooks.com

وهذا لا يُنكر على الشيخ، بل يُذكر له ويُشكر؛ لأنَّه يرجع إلى الحقِّ إذا تبيَّن له، بالعثور على طريق أخرى للحديث، أو الاطمئنان إلى راوٍ لم يكن مطمئنًّا إليه من قبل، أو ظهور علَّة قادحة في سند الحديث أو متنه، أو غير ذلك، والمقصود أن هذا المجال قابل للاجتهاد واختلاف الآراء، وقد يتنبَّه المفضول إلى ما يفوت الفاضل.

تضعيف حديثٍ ما لا يُسقط القضيَّة كلَّها:

الرابعة: كثيرًا ما أذكر الحديث ـ في مسألة من المسائل ـ من باب تضافر الأدلَّة، فلا يكون هو العمدة، بل يكون العمدة آية، أو حديثًا آخر صحيحًا أو حسنًا، أو قاعدة من القواعد الكلية، والحديث تقوية وتعضيد، فهو مؤكِّد لا مؤسِّس.

فإذا نظرنا إلى الحديث الَّذي رواه الدارقطني: «**إنَّ الله فَرَض فرائض فلا تضيعوها، وحدَّ حدودًا فلا تعتدوها، وحرَّم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء، رحمةً بكم غير نسيان، فلا تبحثوا عنها**»[(١)].

وقد حكم الشيخ بضعفه، برغم تحسين النووي له[(٢)]، ونظمه في سلك «الأربعين» النووية الشهيرة، فهذا لا يضرُّ بالقضيَّة الَّتي سيق من أجلها، وهي: أنَّ الأصل في الأشياء الإباحة.

فليس هذا الحديث هو العمدة في إرساء هذا الأصل، بل العمدة فيه

---

(١) رواه الدارقطني في الرضاع (٤٣٩٦)، والطبراني (٢٢١/٢٢)، والبيهقي في الضحايا (١٢/١٠)، وحسنه النووي في الأربعين النووية، الحديث الثلاثون، وقال ابن رجب: حسنه أبو بكر السمعاني في أماليه. جامع العلوم والحكم (١٥٠/٢)، عن أبي ثعلبة.

(٢) انظر: غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام حديث (٤)، فقد قال: رواه الدارقطني وحسنه النووي وهو ضعيف.

QaradawiBooks.com

آيات محكمة، وأحاديث لا مرية فـــي صحتها، مثل حديث: «**ما أحلَّ اللهُ فهو حلالٌ، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفْوٌ**»[١].

فضعف الحديث المذكور لا يعني سقوط القضية كلِّها، كما قد يتوهَّم المتعجِّلون.

وفي موضوع مثل موضـــوع الاحتكار ذكرت عـــدة أحاديث في ذم الاحتكار وأهله، العمدة فيها هو الحديث الَّذي رواه مســـلم: «**لا يحتكر إلَّا خاطئ**»[٢]. فلا يضرُّه بعد ذلك ذكر أحاديث أخرى فيها ضعف أو لين، مثل: «**من احتكر طعامًا أربعين يومًا فقد برئ مـــن الله، وبرئ الله منه**». على أن هذا الحديث الَّذي ضعفه الشيخ قد حسنه الحافظ ابن حجر في الفتح، وفي القول المســـدد في الذب عن المســـند، ونقله السّيوطي في «اللآلئ المصنوعة»[٣].

---

(١) رواه البزار (٤٠٨٧)، وقال: إسناده صالح. والحاكم في التفسير (٣٧٥/٢)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، والبيهقي في الضحايا (١٢/١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٩٤): رواه البزار والطبراني في الكبير وإسناده حسن ورجاله موثقون. عن أبي الدرداء.

(٢) رواه مسلم في المساقاة (١٦٠٥)، وأحمد (١٥٧٥٨)، عن معمر بن عبد الله.

(٣) رواه أحمد (٤٨٨٠)، وقال مخرِّجوه: إســـناده ضعيف. وقال الشيخ شـــاكر: إسناده صحيح. وأطال النفس في تخريجه فليراجع. وأبو يعلى (٥٧٤٦)، والحاكم في البيوع (١١/٢)، وذكره ضمن عـــدة أحاديث، وقال: هذه الأحاديث الســـتة طلبتها وخرجتها فـــي موضعها من هذا الكتاب احتسابًا لما فيه الناس من الضيق والله يكشفها وإن لم يكن من شرط هذا الكتاب. وقال الذهبي: عمرو بن الحصيـــن العقيلي تركوه، وأصبغ بن زيـــد الجهني فيه لين. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٤٧٦)، بعد أن عزاه إلى أحمد وأبي يعلى والبزار: وفيه أبو بشر الأملوكي؛ ضعَّفه ابن معين. وضعفه الشوكاني في الفوائد صـ ١٤٤. وجود العراقي إسناده في تخريج الإحيـــاء صـ ٥١٦. ووهم ابن الجوزي، فـــأورد الحديث فـــي الموضوعات وتعقبه السيوطي في «اللآلئ المصنوعة (١٤٧/٢، ١٤٨) بما يدل على قوة سنده، ونقل عن ابن حجر قوله: إن للحديث شواهد تدل على صحته. عن ابن عمر.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

تضعيف حديث بسندٍ ما أو لفظٍ ما لا يعني تضعيف المتن:

الخامسة: أنَّ الشيخ ـ حفظه الله ـ قد يضعِّف الحديث بلفظه المذكور، ولكنَّ معناه صحيح أو حسن بلفظ آخر، وعند مخرِّج آخر، أو عن صحابي آخر.

وقد يشير الشيخ إلى ذلك أحيانًا، وبذلك يفيد القارئ.

وأحيانًا لا يشير.

مثال ذلك: حديث رقم (٣٤٧) كان النَّبيُّ ﷺ يستعيذُ بالله من الدَّيْن ويقول: «**اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من غلبة الدَّيْن وقهرِ الرجال**».

حكم الشيخ بضعفه من حديث أبي سعيد الخُدْري عند أبي داود[١]، ومن وقف عند كلمة «ضعيف» في تخريج الشيخ، يظن أنَّها حكم نهائي على الحديث، على حين أنَّه نبَّه في النهاية على أنَّ الحديث صحيح، رواه البخاري عن أنس، مع خلاف طفيف في الألفاظ، قال: كنتُ أسمعه ﷺ يكثر أن يقول: «**اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من الهمِّ والحَزَن، والعجز والكسل، والبُخل والجُبن وضَلَع الدَّيْن، وغلبة الرجال**»[٢].

هذا مع أنَّه حين خرج حديث (٣٧٤) كان يقول: «**اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من الهمِّ والحزن**».

قال في تخريجه: صحيح، ثم بيَّن أنَّه صحيح عند البخاري، لا عند أبي داود، وهو جزء من الحديث السَّابق!

---

(١) رواه أبو داود في الصلاة (١٥٥٥).

(٢) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٩٣).

QaradawiBooks.com

عمل المُحَدِّث وعمل الفقيه:

السادس: أنَّ الشيخ الألباني ليس مجرَّد محدِّث محايد، يكتفي بتخريج الحديث، والحكم عليه، تصحيحًا أو تضعيفًا، وينتهي دوره، ولكنَّه رجل له آراؤه وفقهه الخاصُّ، وهذا يتَّضح على تخريجه شاء أم أبى، كما أنَّه يتدخل أحيانًا، معلِّقًا على رأي المؤلِّف وترجيحاته، بما يتَّفق ورأيَه هو وترجيحه، كما فعل في موضوع الغناء بآلة وبغير آلة. وهذا التدخُّل منه أوصلُ بعمل الفقيه منه بعمل المحدِّث، ولو أردت التعقيب على تعقيبه أو الردِّ عليه، لاقتضاني ذلك أنَّ أؤلِّف كتابًا كاملًا في الموضوع، مناقشًا أدلَّة المبيحين والمحرمين، ومرجِّحًا ما أراه أقوى دليلًا وأقوم قيلًا، وقد أفعل ذلك إذا يسر الله تعالى.

هذه بعض الملاحظات المهمة واللازمة على تخريج المحدِّث الشيخ ناصر الدين الألباني، على ما له من فضل لا ينكر، أضعها أمام الَّذين رأوا كتابه وتساءلوا عمَّا ضعَّفه من أحاديث.

والله يقول الحقَّ وهو يهدي السَّبيل.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

حديث: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر: جهاد النفس»

س: سمعنا في بعض الأوساط الدينية ـ وبخاصَّة المتصوفة منها ـ حديثًا يذكرونه كثيرًا في مواعظهم وحلقاتهم، يقول: إنَّ النَّبيَّ ﷺ كان في غزوة، وبعد رجوعه منها قال لأصحابه: «**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر: جهاد النَّفس**».

وعادةً ما يُذكر هذا الحديث للتَّهوين من شأن الجهاد والقتال في سبيل الله، دفاعًا عن الدين أو الوطن، وأنَّ على المسلم أن يهتمَّ قبل كلِّ شيء بتربية نفسه وجهادها، فهل هذا الحديث صحيح من ناحية سنده؟ ومَن رواه من أصحاب الكتب المعتمدة؟ وهل هو صحيح من ناحية معناه ومضمونه؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فهذا الحديث ليس بصحيحٍ ولا حسن، من ناحية سنده، ولم يخرجه مُخرِّج من أصحاب الكتب المعتمدة لدى المسلمين، فليس هو في أحد الصحيحين، ولا في أحد الكتب السِّتَّة، ولا في الموطأ، ولا في مسند أحمد على كثرة ما فيه.

QaradawiBooks.com

قال الحافظ ابن حجر في «تسديد القوس في تخريج مسند الفردوس»: هو مشهور على الألسنة، وهو من كلام إبراهيم بن أبي عبلة[١]. انتهى. وقال العجلوني في «كشف الخفاء»[٢]: الحديث في الإحياء، قال العراقي: رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر، ورواه الخطيب في تاريخه عن جابر بلفظ: قدم النَّبيّ ﷺ من غزاة، فقال عليه الصلاة والسلام: «**قدمتم من خير مَقدَم، وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**»، قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: «**مجاهدة العبد هواه**»[٣] والمشهور على الألسنة: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الأكبر، دون باقيه، ففيه اقتصار. انتهى.

وأمَّا معناه، فهو يتضمَّن أمرين، أحدهما مرفوض قطعًا، وهو المفهوم منه بالتبع، لا بالقصد والأصالة، وإن كان الَّذين يروونه ويروجونه يقصدون إلى ذلك.

والثاني: يمكن أن يُقبل شرعًا، وهو المفهوم منه قصدًا، لا تبعًا.

فأمَّا المعنى الأول المرفوض فهو التَّقليل من شأن الجهاد في سبيل الله، والتهوين من مكانته وفضله في الإسلام، وضرورته للدفاع عن كيان الأمة ومقدساتها، إذا اعتدى عليها المعتدون، وتطاول عليها الطغاة المستكبرون.

والقرآن الكريم والسُّنَّة الشريفة حافلان بالنُّصوص الغزيرة المتوافرة الَّتي تبين فضيلة الجهاد وعلو منزلته في دين الله، بما لا يدع مجالا لأي ريب.

---

(١) نقل ذلك الملا علي القاري في الأسرار المرفوعة (٢١١).

(٢) انظر: كشف الخفاء (٤٦٨/١) حديث (١٣٦٢).

(٣) سبق تخريجه صـ ٤٣٤.

QaradawiBooks.com

وحسبنا من القرآن قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۞ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۞ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ١٩ ـ ٢٢].

وقال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۞ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦].

وفي أكثر من حديث صحيح أنَّ فضل الجهاد يفوق فضل الصائم الَّذي لا يُفطِر، والقائم الَّذي لا يَفتُر.

وفي حديث معاذ بن جبل المشهور: «**ألا أدلك على رأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذَرْوة سَنامه الجهاد في سبيل الله**»(١). وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: دُلَّني على عمل يعدل الجهاد؟ قال: «**لا أجدُه**». قال: «**هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتُر، وتصوم ولا تُفطر؟**». قال: ومَن يستطيع ذلك؟ قال أبو هُرَيْرة: «**إنَّ فرس المجاهد ليَسْتَنُّ في طَوْله، فيكتبُ له حسنات**»(٢)].

(١) رواه أحمد (٢٢٠١٦)، وقال مخرِّجوه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي في الإيمان (٢٦١٦)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٣)، والحاكم في التفسير (٤١٢/٢، ٤١٣)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي.

(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٧٨٥)، ومسلم في الإمارة (١٨٧٨)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

إلى غير ذلك من الأحاديث، وهي غزيرة وفيرة، تراجع في كتاب (الجهاد) في الصحيحين والسنن، وفي مظانها في المسانيد.

وقد أُلفت كتب خاصَّة في فضل الجهاد، كما في كتاب عبد الله بن المبارك رضي الله عنه.

وأمَّا المعنى المقبول من الحديث، فهو العناية بجهاد النفس، ورياضتها، والعمل على إلجامها بلجام التقوى، ومقاومة أهوائها وشهواتها، حتَّى تنتقل من حالة «النفس الأمَّارة بالسوء» إلى حالة «النفس اللوَّامة» ثم ترتقي حتَّى تصل إلى «النفس المطمئنة».

وهذا يحتاج إلى جهاد طويل النفس، بعيد الأغوار، كثير المشقات، ولكنَّه مبارك الثمرات، موفور الخيرات، ولا ريب أن نهاية هذا الطريق الشاق المضني هي الهداية إلى سبيل الله تعالى، كما قال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وفي الحديث: «**المجاهد من جاهد هواه**»[(١)].

وجهاد النَّفْس هنا هو أحد أنواع الجهاد المطلوبة من المسلم، وقد أوصلها العلامة ابن القيِّم إلى ثلاث عشرة مرتبة. منها أربع مراتب في جهاد النفس، ومرتبتان في جهاد الشيطان[(٢)].

والله الموفِّق للصواب.

---

(١) رواه أحمد (٢٣٩٦٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في فضائل الجهاد (١٦٢١)، وقال: حسن صحيح. بلفظ: «المجاهد من جاهد نفسه في سبيل الله». عن فضالة بن عبيد الله.

(٢) انظر: زاد المعاد (٩/٣).

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حديث: «لا رهبانية في الإسلام»

س: ما مدى صحَّة الحديث المنسوب إلى النَّبيِّ ﷺ، والَّذي يقول: «**لا رهبانية في الإسلام**»، وهل ينكر الإسلام التفرغ لعبادة الله تعالى، والبعد عن زخارف الدنيا؟

أرجو من فضيلتكم بيان هذا الموضوع، في ضوء الأدلَّة الشرعيَّة من القرآن والسُّنَّة. نفع الله بكم.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

الحديث بهذا اللفظ: «**لا رهبانية في الإسلام**». غير وارد. وإن ذكره بعض المصنِّفين الكبار في كتبهم، ولذا قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: لم أره بهذا اللفظ[1].

ولكن هناك عدة أحاديث في هذا المعنى.

---

(١) انظر: فتح الباري (١١١/٩). وأخرج ابن قتيبة في غريب الحديث (٤٤٤/١)، عن طاوس مرفوعا: «لا رهبانية ولا تبتل ولا سياحة في الإسلام». وروى عبد الرزاق (١٥٨٦٠) من طريق ابن جريج، عن طاوس مرفوعًا: «ولا ترهُّب في الإسلام». قال الحافظ: وهو مرسل.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

منها ما رواه أحمد في المسند، عن أنس: «**لكلِّ نبيٍّ رهبانية، ورهبانيَّة هذه الأُمَّة الجهاد في سبيل الله** ﷻ»[١].

قال الحافظ ابن كثير: ورواه الحافظ أبو يعلى من طريق ابن المبارك، ولفظه: «**لكلِّ أُمَّة رهبانية، ورهبانيَّة هذه الأُمَّة الجهاد في سبيل الله**»[٢].

وروى أحمد عن أبي سعيد الخدري: «**أوصيك بتقوى الله تعالى، فإنَّه رأس كلّ شيء، وعليك بالجهاد، فإنَّه رهبانية الإسلام...**» الحديث[٣].

وروى البيهقي من حديث أبي أُمامة: «**تزوَّجوا، فإنِّي مكاثر بكم الأمم، ولا تكونوا كرهبانية النَّصارى**»[٤].

وروى أحمد وأبو داود والحاكم في صحيحه، عن ابن عبَّاس رفعه: «**لا صرورة في الإسلام**»[٥]، والصرورة: من لم يتزوَّج. وقيل: من لم يحُجَّ.

وروى الطبراني عن سعيد بن العاص: «**إنَّ الله أبدلنا بالرهبانيَّة: الحنيفيَّة السّمحة**»[٦].

وروى أحمد عن عائشة، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لعثمان بن مظعون:

---

(١) رواه أحمد (١٣٨٠٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والبزار (٧٣٤٩)، وأبو يعلى (٤٢٠٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٤٣١): وفيه زيد العمي، وثقه أحمد وغيره، وضعفه أبو زرعة وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه ابن المبارك في الجهاد (١٥)، تحقيق نزيه حماد، نشر الدار التونسية بتونس، ١٩٧٢م.

(٣) رواه أحمد (١١٧٧٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وابن المبارك في الزهد والرقائق (٨٤٠)، وابن أبي عاصم في الجهاد (٣٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٤٣).

(٤) رواه البيهقي في النكاح (١٢٥/٧)، وقال ابن حجر في التلخيص الحبير (٢٤٨/٣) فيه: محمَّد بن ثابت وهو ضعيف. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٤١).

(٥) رواه أحمد (٢٨٤٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في المناسك (١٧٢٩)، والحاكم في النكاح (١٥٩/٢)، وصحَّحه على شرط البخاري ووافقه الذهبي.

(٦) رواه الطبراني (٦٢/٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٣٠٨): فيه إبراهيم بن زكريا، وهو ضعيف.

QaradawiBooks.com

«**يا عثمان، إنَّ الرهبانيَّة لم تكتب علينا، أفما لك في أســوة؟ فوالله إنِّي أخشاكم لله، وأحفظكم لحدوده**»[١].

وهذا يؤكد لنا أن معنى الحديث صحيح، إذ «الرهبانيَّة» تتضمَّن عدَّة عناصر أساسية، كلها يرفضها الإسلام، وهذه العناصر هي:

١ ـ الانقطاع الكامل للتعبُّد.

٢ ـ الامتناع الدائم عن الزواج.

٣ ـ الإعراض عن عمارة الأرض، والعمل للدنيا والمعيشة.

والإســلام يرفض هذه المعاني، لأنَّه يقوم على فكــرة التوازن بين الروحيَّة والماديَّة، وبين الدُّنْيا والآخــرة، وبين حق الرب وحظ النفس، وبين المثالية والواقعية.

١ ـ فأمَّا الانقطاع الكامل للعبادة، فقد رفضه الإســلام، وقال للثلاثة الَّذين قال أحدهم: أمَّا أنا فأقوم الليل ولا أرقد، وقال الثاني: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقــال الثالث: وأنا أعتزل النســاء فلا أتزوج: قال لهم: «**إني أخشاكم لله وأتقاكم له، ولكنِّي أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوَّج النساء، فمن رغب عن سُنَّتي فليس منِّي**»[٢].

وقال لعبد الله بن عمرو، حين واصل صيــام النهار وقيام الليل: «**إن لجســدك عليك حقًّا، ولعينك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، ولزَوْرك** (زوارك) **عليك حقًّا**»[٣]، وأمره أن يخفِّف من صيامه وقيامه، حتَّى يقوم بالحقوق الأخرى.

---

(١) رواه أحمد (٢٥٨٩٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وابن حبان في المقدمة (٩).

(٢) سبق تخريجه صـ ١٧.

(٣) سبق تخريجه صـ ١٧.

QaradawiBooks.com

وقال نحو ذلك لعثمان بن مظعون.

ويكفي المسلم أن يؤدِّي فرائض الله في العبادات، ويزيد عليها من السّنن والنوافل، وهذه تستغرق زمنا محدودا من اليوم، ثم يستطيع أن يجعل أعماله كلها عبادة، من خدمة المجتمع، وكسب المعيشة، حتَّى الأكل والشرب، والاستمتاع بالزوجة، تصبح بالنيَّة الصالحة قُربة إلى الله تعالى.

٢ ـ وأمَّا الامتناع عن الزواج بصورة دائمة، فهو ضد المنهج الإسلامي، الَّذي يرى أن الزواج آية من آيات الله في الكون: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

ويقول القرآن: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

وقد استأذن بعض الصحابة النَّبيّ ﷺ أن يتبتلوا ويتركوا النساء، فلم يأذن لهم، كما روى البخاري عن سعد بن أبي وقاص قال: ردَّ رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا[(١)].

وقد قال ﷺ: «**وأنا أتزوَّج النِّساء، فمن رغب عن سُنَّتي فليس مِنِّي**»[(٢)].

لا مانع أن ينشغل المسلم عن الزواج بالعلم أو العمل أو الجهاد، أو تربية إخوَّة صغار، أو نحو ذلك، كما رأينا كثيرًا من العلماء ماتوا ولم يتزوَّجوا، مثل الإمام النووي وابن تيمية وغيرهما. وقد ألَّف العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدَّة رَحِمَهُ اللَّهُ كتابًا عن العلماء العزاب [(٣)].

---

(١) سبق تخريجه صـ ٣٤.

(٢) سبق تخريجه صـ ١٧.

(٣) هو العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولكنَّ المسلم لا يترك الزواج تشبُّهًا بالرُّهبان وتحريمًا له.

٣ ـ وأمَّا الإعراض عن عمارة الأرض والعمل للمعيشة وتنمية الحياة، فهو ممَّا يقاومه الإسلام، فإن من مقاصد الإسلام الأساسية من خلق البشر: عبادة الله وعمارة الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، ومعنى «استعمركم» أي طلب إليكم أن تعمروها.

وعمارة الأرض تكون بالزراعة وإحياء الموات، والصناعة والاحتراف والتجارة، وكل ما ينمي الحياة ويرقيها ويجملها، فإن الله جميل يحبُّ الجمال.

والعمل للدنيا مشروع في كلِّ الأيام، حتَّى في يوم الجمعة، فلا يوجد يوم يمتنع فيه المسلم عن العمل الدنيوي، كيوم السّبت عند اليهود. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ٩، ١٠]، فهذا هو شأن المسلم: قبل الجمعة في عمل وبيع وشراء، حتَّى يسمع النداء، وبعد الجمعة ينتشر في الأرض ويبتغي من فضل الله.

٤ ـ وأمَّا البُعد عن طيِّبات الحياة وزينتها، إلى حدِّ تحريمها على النَّفْس، فهو ما أنكره القرآن على أهل الأديان من قبله، وجاء في ذلك قوله تعالى في القرآن المكي: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ۞ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣١، ٣٢]. وما كان الله تعالى ليخلق هذه الطيبات ثم يُحرِّمها على خلقه، دون أن يكون فيها ضرر لهم. إنَّما يحرِّم

QaradawiBooks.com

اللهُ الخبيث الضارَّ، وهذا ما وصف به رسول الإسلام في كتب أهل الكتاب أنه: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

صحيح أنَّ بعض الصُّوفيَّة المسلمين غلَوْا في الزهد والتقشف، ولكنَّهم كانوا متأثِّرين بمناهج وفلسفات أخرى مستوردة من خارج الإسلام، فخرجوا عن حدِّ الوسطيَّة الإسلامية، إلَّا من اعتصم بالقرآن والسُّنَّة منهم.

ومنهج الإسلام يتمثل في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]، وفي دعاء الرسول الكريم: «**اللهمَّ أصلحْ لي ديني الَّذي هو عِصمة أمري، وأصلحْ لي دنياي الَّتي فيها معاشي، وأصلحْ لي آخرتي الَّتي فيها معادي، واجعلِ الحياة زيادة لي في كلِّ خير، واجعلِ الموت راحةً لي من كلِّ شرٍّ**». رواه مسلم عن أبي هُرَيْرة[١].

وفي قول الصحابة رضي الله عنهم: اعملْ لدنياك كأنَّك تعيش أبدًا، واعملْ لآخرتك كأنَّك تموت غدا[٢].

وقد كان من الصحابة أغنياء كبار مثل عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وهما من العشرة المبشرين بالجنة. ولم ينقص هذا من منزلتهما، المهم أن تملك الدُّنْيا ولا تملكك، وأن تكون في يدك لا في قلبك.

---

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٠)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٦٨).
(٢) رواه الحارث في مسنده (١٠٩٣) كما في البغية.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد بيَّن القرآن أن النَّصارى قد ابتدعوا الرهبانية من عند أنفسهم، كما قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

وجاء في الحديث الَّذي رواه أنس مرفوعًا: «**لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قوما شددوا على أنفسهم، فشدد عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات**»: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧]»[(١)].

وعن سهل بن حنيف مرفوعًا: «**لا تشدِّدوا على أنفسكم، فإنَّما هلك من كان قبلكم بتشديدهم على أنفسِهم، وستجدون بقاياهم في الصوامع والدِّيَارات**»[(٢)].

إنَّ الرهبانيَّة تمثِّل نوعًا من الغلوِّ في السُّلوك الدِّيني، والإسلام إنَّما قام على التَّوازن والوسطيَّة في كلِّ شيء: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

(١) رواه أبو داود في الأدب (٤٩٠٤)، وأبو يعلى (٣٦٩٤)، وقال الألباني في الضعيفة (٣٤٦٨): إسناده يحتمل التحسين.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٧٣/٦)، والأوسط (٣٠٧٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢٠): رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث، وثَّقه جماعة، وضعَّفه آخرون.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حديث: «اذكروا محاسن موتاكم»

س: شـــاع بين النَّاس إذا ذكر ميت بســـوء أن ينهوا عن ذلك قائلين: «**اذكروا محاســـنَ موتاكم**» بدعوى أن هذا حديث نبـــوي. مع أنَّ بعض الموتى قد كانوا ظلمة في حياتهم، وربما ماتوا ولم تمُت مظالمُهم معهم. فهل هذا الحديث صحيح؟ وما المقصود منه؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

الحديث في النهي عن سبِّ الأموات والأمر بذكرهم بخيرٍ صحيح، وقد ورد بصيغ شتَّى متضمنا أحيانا العلة في النهي عن السّب.

فقد ورد بصيغة: «**لا تسبُّوا الأموات؛ فإنَّهم أفضَوْا إلى ما قدَّموا**»[(١)].

وورد بصيغة: «**لا تسبُّوا الأموات، فتؤذوا الأحياء**»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري في الجنائز (١٣٩٣)، عن عائشة.

(٢) رواه أحمد (١٨٢٠٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والترمذي في البر والصلة (١٩٨٢)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٣٩٧)، عن المغيرة بن شعبة.

QaradawiBooks.com

وورد بصيغة: «**لا تذكروا هَلْكَاكم إلَّا بخير**»[١].

وورد بالصيغة المذكورة في السّؤال: «**اذكروا محاسنَ موتاكم، وكفُّوا عن مساوئهم**»[٢].

وهدف هذا النهي عدَّة أمور تربوية يحرص عليها الإسلام في تكوين شخصية المسلم:

أولًا: تعويد المسلم نظافة اللسان وعفَّة القول، اقتداءً بالرسول الكريم ﷺ، الَّذي لم يكن سبَّابًا ولا لعَّانًا، وإنَّما يكب النَّاس في النَّار على وجوههم حصائد ألسنتهم.

ثانيًا: تربية المسلم على المعاني الإيجابيَّة، كما قيل: بدل أن تسبَّ الظلام أضئ شمعة! ولذا جاء عدد من الأحاديث ينهى عن سبِّ جملة من الأشياء: «**لا تسبُّوا الدهْرَ**»[٣]، «**لا تسبِّي الحُمَّى**»[٤]، «**لا تسبُّوا الرِّيح**»[٥]، «**لا تسبُّوا الدِّيك**»[٦]... إلخ، بل ورد التنفير عن سبِّ الشيطان نفسه؛ لأنَّك إذا قلتَ: تَعِس الشيطانُ! انتفخَ، وإذا قلتَ: باسم الله؛ تصاغر حتَّى يصير مثل الذباب[٧]. وفي هذا الإطار جاء النهي عن سبِّ الأموات.

---

(١) رواه النسائي في الجنائز (١٩٣٥)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٧٢٧١)، عن عائشة.

(٢) رواه أبو داود في الأدب (٤٩٠٠)، والترمذي (١٠١٩)، واستغربه، وابن حبان (٣٠٢٠)، كلاهما في الجنائز، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب (٢٠٦٣)، عن ابن عمر.

(٣) رواه مسلم في الألفاظ من الأدب وغيرها (٢٢٤٦)، وأحمد (٩١٣٧)، عن أبي هريرة.

(٤) رواه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٧٥)، عن جابر.

(٥) رواه أحمد (٢١١٣٨)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. والترمذي في الفتن (٢٢٥٢)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في التفسير (٢٧٢/٢)، وصحَّحه على شرط الشيخين، وقال الذهبي: على شرط البخاري. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٧٣١٥)، عن أبي بن كعب.

(٦) رواه أحمد (٢١٦٧٩)، وقال مخرجوه: رجاله ثقات رجال الشيخين. وأبو داود في الأدب (٥١٠١)، وابن حبان في الحظر والإباحة (٥٧٣١)، عن زيد بن خالد الجهني.

(٧) رواه أحمد (٢٠٥٩١)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وأبو داود في الأدب (٤٩٨٢)، والحاكم =

QaradawiBooks.com

ثالثًا: إنَّ الإسلام حفظ حرمة المسلم حيًّا وميتًا، وكل المسلم على المسلم حرام: دمه، وعرضه، وماله. وكما يحرم تناول عرض الإنسان وسمعته بسوء في حياته، يحرم ذلك بعد مماته.

رابعًا: إنَّ الميت قد انتقل من دار العمل والابتلاء، إلى دار الحساب والجزاء، وسيلقى جزاءه العادل في تلك الدار لا محالة، ولا يضيع عند الله مثقال ذرَّة من خير أو شرٍّ، وقد أشار إلى ذلك الحديث القائل: «**لا تسبوا الموتى فإنَّهم أفضوا إلى ما قدَّموا**».

خامسًا: إنَّ الإسلام حريص على توثيق عُرا الوُدِّ وحُسن الصلة بين النَّاس، ومنع أسباب التباغض والتشاحن بينهم، فإنَّ البغضاء هي الحالقة، حالقة الدِّين لا حالقة الشَّعر[1]. وكثيرًا ما يؤدِّي سب الأموات إلى إيذاء وإيغار صدور الأحياء من أبناء وأقارب.

وفي العهد النبوي أسلم كثير من أبناء عتاة المشركين، فإذا سُبُّوا آذى أبناءهم، فمن سب أبا جهل آذى ابنه عكرمة، ومن سب الوليد بن المغيرة آذى ابنه خالدا، ومن سب عتبة بن ربيعة آذى ابنه أبا حذيفة، إلخ. ولذا قال الحديث: «**لا تسبُّوا الأموات، فتؤذوا الأحياء**».

فهذه أسباب منع سبِّ الموتى، ولكن ما الحكم إذا كان الميت ظالمًا أو طاغية ترك وراءه مظالم؟

= في الأدب (٢٩٢/٤)، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٤٨١٩)، عن رديف رسول الله ﷺ.

(١) رواه أحمد (١٤١٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والبزار (٢٢٣٢)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٨٨) حسن لغيره. عن الزبير.

QaradawiBooks.com

هنا ذكر العلماء أنَّ سببَ الأموات لضرورة أو مصلحة شرعيَّة، كالتَّحذير من بدعهم وضلالاتهم، حتَّى لا يقتدي النَّاس بهم، وكجرح الرواة ـ في علوم الحديث ـ لابتناء أحكام الشرع على ما يروونه، فلزم بيان حالهم، والتعريف بهم، حتَّى لا يأخذ النَّاس دينهم إلَّا عن العدل الثقة، يقول النووي: وقد أجمعوا على جواز جرح المجروح من الرواة حيًّا وميتًا[1].

وقد أخبر النَّبيُّ ﷺ عن بعض من حضر معه بعض الغزوات، وقُتل في المعركة، وقد غل من الغنيمة شيئًا لا يستحقه قبل موته: «**إنَّ الشملة الَّتي غلَّها تشتعل عليه نارًا**»[2]. قال ذلك عليه الصلاة والسلام ليحذر أصحابه أن يعملوا مثل عمله.

فالأصل هو منع السَّببِّ للموتى، والجواز إنَّما هو استثناء لمصلحة شرعيَّة أو ضرورة تقدَّر بقدرها.

وبالله التوفيق.

(١) انظر: الأذكار للإمام النووي صـ ١٦٧، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، نشر دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، والفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمي صـ ١٠٧.

(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٢٣٤)، ومسلم في الإيمان (١١٥)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الحديث المزعوم أنَّه جمع فأوعى

س: رأيت بعض النَّاس يوزِّعون هذا الحديث، الَّذي يرويه عن رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه، ويقولون عنه: الحديث الَّذي جمع فأوعى، وهم يفعلون ذلك قربة إلى الله تبارك وتعالى، بنشر أحاديث نبيه بين النَّاس، وتوعيتهم بسُنَّته وهديه عليه الصلاة والسلام.

ونصُّ الحديث: عن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، جئت أسألك عمَّا يغنيني في الدُّنْيا والآخرة. فقال رسول الله ﷺ: «**سلْ عمَّا بدا لك**».

قال: أريد أن أكون أعلم الناس. فقال ﷺ: «**اتَّقِ الله تكنْ أعلمَ النَّاس**».

قال: أريد أن أكون أغنى النَّاس. فقال ﷺ: «**كُن قانعًا تكن أغنى النَّاس**».

قال: أحبُّ أن أكونَ أعدل الناس. فقال ﷺ: «**أَحِبَّ للناس ما تحبُّ لنفسك تكنْ أعدل الناس**».

قال: أحبَّ أن أكون خير الناس. فقال ﷺ: «**كُن نافعًا للنَّاس تكن خيرَ الناس**».

قال: أحبُّ أن أكون أخص النَّاس إلى الله. فقال ﷺ: «**أكثر ذكر الله تكن أخص النَّاس إلى الله**».

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قال: أحبُّ أن يكمل إيماني. فقال ﷺ: «**حَسِّنْ خُلقك يكمُلْ إيمانك**».

قال: أحبُّ أن أكون من المحسنين. فقال ﷺ: «**اعبدِ الله كأنَّك تراه وإن لم تكن تراه فإنَّه يراك؛ تكنْ من المحسنين**».

قال: أحبُّ أن أكون من المطيعين. فقال ﷺ: «**أدِّ فرائض الله تكنْ من المطيعين**».

قال: أحبُّ أن ألقى الله نقيًّا من الذنوب. فقال ﷺ: «**اغتسلْ من الجنابة متطهِّرًا تلقى الله نقيًّا من الذنوب**».

قال: أحبّ أن أُحشر يوم القيامة في النور. فقال ﷺ: «**لا تظلمْ أحدًا تُحشر يوم القيامة في النُّور**».

قال: أحبُّ أن يرحمني ربِّي يوم القيامة. فقال ﷺ: «**ارحمْ نفسك وارحمْ عباده يرحمْك ربُّك يوم القيامة**».

قال: أحبُّ أن تقلَّ ذنوبي. فقال ﷺ: «**أكثرْ من الاستغفار تقلَّ ذنوبُك**».

قال: أحبُّ أن أكون أكرم الناس. فقال ﷺ: «**لا تشكو من أمرك شيئًا إلى الخلق، تكنْ أكرمَ النَّاس**».

قال: أحبُّ أن أكون أقوى الناس. فقال ﷺ: «**توكَّلْ على الله تكنْ أقوى الناس**».

قال: أحبُّ أن يوسِّع الله عليَّ في الرزق. فقال ﷺ: «**دُمْ على الطهارة يوسِّع الله عليك في الرزق**».

قال: أحبُّ أن أكون من أحباب الله ورسوله. فقال ﷺ: «**أحبَّ ما أحبَّه الله ورسوله تكنْ من أحبابهم**».

QaradawiBooks.com

قال: أحــبُّ أن أكــون آمنًا من ســخط الله يــوم القيامــة. قال ﷺ: «**لا تغضبْ على أحدٍ من خلق الله تكنْ آمنًا من سخط الله يوم القيامة**».

قــال: أحبُّ أن تُســتجاب دعوتي. قــال ﷺ: «**اجتنــبْ أكلَ الحرام تُستجبْ دعوتك**».

قال: أحبُّ أن يســترني ربّي يــوم القيامة. قال ﷺ: «**اســترْ عيوب إخوانك، يسترُك الله يوم القيامة**».

قــال: ما الَّذي ينجِّي من الذنــوب؟ أو قال مــن الخطايا؟ قال ﷺ: «**الدموع والخضوع والأمراض**».

قال: أيُّ حســنةٍ أعظمُ عنــد الله تعالــى؟ قال ﷺ: «**حســنُ الخُلق والتواضع والصبر على البلاء**».

قال: أيُّ ســيئة أعظم عند الله تعالى؟ قال ﷺ: «**ســوء الخُلق والشُّحُّ المُطاع**».

قال: ما الَّذي يســكن غضب الــرب في الدُّنْيا والآخــرة؟ قال ﷺ: «**الصدقةُ الخفيَّة وصلة الرحم**».

قال: ما الَّذي يطفئ نار جهنم يوم القيامة؟ قال ﷺ: «**الصبرُ في الدُّنْيا على البلاء والمصائب**»[1] اهـ.

---

(١) قال المتقي الهندي في كنز العمال (٤٤١٥٤): قال الشيخ جلال الدين السيوطي: وجدت بخط الشيخ شمس الدين ابن القماح في مجموع له عن أبي العباس المستغفري قال: قصدت مصر أريد طلب العلم من الإمام أبي حامد المصري والتمست منه حديث خالد بن الوليد فأمرني بصوم ســنة، ثم عاودته في ذلك فأخبرني بإسناده عن مشــايخه إلى خالد بن الوليد: فذكر الحديث... إلخ ولم يعزه إلى مصدر من مصادر السنة. ولم يذكر لنا المستغفري رجال السند من عند شيخه أبي حامد المصري إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه.

QaradawiBooks.com

ولكن الناظر في الحديث بتأمُّل، يلمح فيه الافتعال، ولكن لا يستطيع المسلم العادي أن يحكم على الحديث بصحَّة أو ضعف أو وضع، حتَّى يسأل أهل العلم والاختصاص، كما علمنا الله تعالى حين قال: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣، والأنبياء: ٧].

لهذا لجأنا إلى فضيلتكم لتفتونا في هذا الحديث العجيب: أهو مقبول أم مردود؟

شكر الله لكم، وأثابكم من فضله آمين.

(ب. س. ل)

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فإنَّ الحديث المذكور مجهول النَّسب، لا خِطامَ له ولا زِمَام، لم يبيِّن لنا من ينشره على النَّاس: من أخرجه من أصحاب الكتب، وأين وجده هذا الَّذي يوزعه على النَّاس، وهذا لا يجوز.

وإذا كان النَّاس في عصرنا لا يقبلون الأطعمة المستوردة إلَّا إذا عرف منشؤها، وقُدِّمت شهادةٌ موثَّقة بذلك، فكذلك الأحاديث النبويَّة لا يقبل نشرها وتعميمها إلَّا إذا عُرف من رواها من أئمَّة الحديث، وأنَّها مقبولة للرواية، بحيث تكون صحيحة أو حسنة، إذا كانت من أحاديث الأحكام، وأجاز بعضهم رواية الأحاديث الضعيفة في التَّرغيب والتَّرهيب وفضائل الأعمال بشروط معروفة، وهي:

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١. أن يكون ضعفها خفيفًا، فلا تكون شديدة الضعف.

٢. أن تندرج تحت أمر كلِّيٍّ ثابت بالقرآن وصحاح السُّنة.

٣. ألَّا يُعتقد ثبوتها، بل يُعتقد الاحتياط.

وقد ضممنا إلى ذلك اعتبارات أخرى في كتابنا: «كيف نتعامل مع السُّنَّة النَّبويَّة؟».

أمَّا الحديث الموضوع (المكذوب على رسول الله) أو الحديث الَّذي لا أصل له، أي لا يعرف له سند، فلا يجوز روايته بحال إلَّا لبيان حاله، والتحذير منه.

وقد ذكر العلامة ابن حجر الهيتمي في «فتاواه الحديثية» أنَّه لا يجوز للخطيب في الجمعة أن يروي حديثًا لا يُبيِّن مخرجه ما لم يكن من العلماء الثقات الَّذين يعرفون الحديث ومصادره ودرجاته. ومن فعل ذلك من الخطباء يجب أن يُعزَّر ويؤدَّب من أولي الأمر، أو يُعزَل عن الخطابة[1].

وهذا الحديث يبدو فيه ما لحظه الأخ السَّائل من صنعة وافتعال، فالظاهر ـ والله أعلم ـ أنه من اختراع بعض الواعظين الجهال، الَّذين ركَّبوا هذه الأجوبة على تلك الأسئلة، وكثير منها مأخوذ من أحاديث ثابتة أو واردة.

مثل قوله: أريد أن أكون أغنى الناس! فقال: «**كُنْ قانعًا تكنْ أغنى النَّاس**».

(١) الفتاوى الحديثية صـ ٣٢.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فهذا مأخوذ من الحديث الَّذي رواه التِّرْمِذيّ عن أبي هُرَيْرة: «**ارضَ بما قسم الله لك؛ تكنْ أغنى النَّاس**»[١].

ومثل ذلك قوله: أريد أن يكمُل إيماني! فقال: «**حسِّن خُلقك يكملُ إيمانُك**».

فهو مأخوذ من حديث: «**أكمل المؤمنين إيمانًا: أحسنُهم خُلُقًا**»[٢].

ومثل ذلك قوله: أريد أن أكون من المحسنين! فقال: اعبُد الله كأنَّك تراه، فإنْ لم تكن تراه فإنَّه يراك، تكن من المحسنين.

فهو مأخوذ من الحديث الشهير، حين سأله جبريل عن الإحسان. فقال: «**الإحسانُ أن تعبدَ اللهَ كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك**»[٣].

ومثل قوله: أحِبُّ أن أكون خير النَّاس. فقال: «**كنْ نافعًا للنَّاس تكنْ خير الناس**». فهو مأخوذ من حديث: «**خير النَّاس أنفعهم للناس**»[٤].

ومثل قوله: أحبُّ أن يرحمني ربّي يوم القيامة. فقال: «**ارحمْ نفسَك وارحمْ عباده يرحمْك ربُّك يوم القيامة**».

فهو مأخوذ من حديث: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السَّماء**»[٥].

---

(١) رواه أحمد (٨٠٩٥)، وقال مخرِّجوه: حديث جيد. والترمذي في الزهد (٢٣٠٥)، وقال: حديث غريب. عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٢٤٦٧٧)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح لغيره. والترمذي في الإيمان (٢٦١٢)، وقال: صحيح. عن عائشة.

(٣) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (٥٧٨٧)، والقضاعي في الشهاب (١٢٣٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٨٩)، عن جابر.

(٥) رواه أحمد (٦٤٩٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الأدب (٤٩٤١)، والترمذي =

QaradawiBooks.com

ومثل قوله: أيُّ حسنةٍ أعظم عند الله تعالى؟ فقال: «**حُسن الخُلُق والتواضع والصبر على البلاء**».

فهو مقتبسٌ من حديث: «**أثقلُ شيءٍ في الميزان يوم القيامة خُلُق حَسَن**»[١] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

ومثل قوله: أحبُّ أن يسترني ربِّي يوم القيامة. فقال: «**استرْ عيوبَ إخوتِك؛ يسترْك ربُّك يوم القيامة**».

فهو مأخوذٌ من حديث: «**من ستر مسلمًا ستره الله في الدُّنْيا والآخرة**»[٢].

وبعض الأجوبة الأخرى في الحديث يمكن أن يلتمس لها أصل في السُّنَّة النبويَّة أو في القرآن الكريم، وبعضها قد يصعب التماس أصل له، مثل قوله: قال: أحبُّ ألقى الله نقيًّا من الذنوب! فقال: «**اغتسلْ من الجنابة متطهِّرًا، تلقَ اللهَ نقيًّا من الذنوب**»، إذ مجرَّد الاغتسال من الجنابة لا يجعل الإنسان نقيًّا من الذنوب، وقد رأينا الأبرار والفجار يشتركون في الاغتسال من الجنابة.

ومثله قوله: أحبُّ أن يوسع الله عليَّ في الرزق! فقال: «**دُمْ على الطهارة يوسِّع الله عليك في الرِّزْق**». فمجرد الطهارة ليست سببًا كافيًا لتوسعة الرزق.

= في البر والصلة (١٩٢٤)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في البر والصلة (١٥٩/٤)، وقال بعد أن ذكره مع أحاديث عدة في الباب: وهذه الأحاديث كلها صحيحة. ووافقه الذهبي. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٢٥)، عن عبد الله بن عمرو.

(١) رواه أحمد (٢٧٥٥٥)، وقال مخرجوه: حديث صحيح. وأبو داود في الأدب (٤٧٩٩)، والترمذي في البر والصلة (٢٠٠٢)، وقال: حسن صحيح. عن أبي الدرداء.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٠)، وأحمد (٧٤٢٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

المهمُّ أنَّ هذا الحديث بهذه الصورة مصنوعٌ مكذوب على رسول الله ﷺ، ولا يُعرَف له أصل أو رواية ـ فيما علمت ـ في أي كتاب من كتب الحديث.

ولو أنَّ صانعه جعله حوارًا بين مريد وشيخه؛ لكان في جملته مقبولًا، ويكون من كلام البشر غير المعصومين، فيؤخذ منه ويُترك.

أمَّا نسبته إلى الرسول الكريم فهو أمرٌ منكر، ولا يجوز روايته ولا نشره وتوزيعه على النَّاس بأي حال من الأحوال، ويجب أن يُعزَّر ويؤدَّب من يوزع مثل هذه الأوراق على النَّاس، فإنَّها بمثابة الأغذية الملوثة والفاسدة، إلَّا أنَّ الأغذية تضرُّ بالأجسام، وهذه تضرُّ بالعقول والقلوب.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حديث: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها»

س: نحن طلاب في الجامعة الإسلامية العالمية في كوالا لامبور بماليزيا، تلك الجامعة الَّتي طالما سعدت بحضوركم ومحاضراتكم. ولقائكم بطلابها وأساتذتها، ونحن ندرس في «كليَّة الوحي والمعارف الإنسانية» ونتتلمذ كثيرًا على كتبكم الَّتي نعتبرها من أهم مراجعنا لفهم الإسلام عقيدة وشريعة وحضارة، وكذلك فهم واقع الأمة وما تحتاج إليه من تجديد وإصلاح.

وكنا من قريب نتدارس في علم الحديث، وما فيه من صحيح وضعيف وموضوع، وأثير في مجلسنا حديث أخذ جدلًا طويلًا، فأكثرنا يرفضه، وأقلنا يحاول أن يلتمس طريقًا لقبوله، ووجدنا الأقدمين مختلفين كما اختلفنا، وهذا الحديث هو «**أنا مدينةُ العلم، وعليٌّ بابها**». فاتَّفقنا على أن نكتب إليك، لتفيدنا بعلمك، وتبصِّرنا بما تراه، وقد تعلَّمنا منك أمرين هامين:

الأول: ألَّا نقبل قولًا إلَّا بدليل، ولا دعوى بغير برهان، ولا بدَّ أن يكون الدليل قويًّا سالمًا من المعارض الشرعي والعقلي.

الثاني: الاعتدال والإنصاف حتَّى مع الخصوم والمخالفين، كما هو المنهج الإسلامي.

QaradawiBooks.com

نرجو ألا تضن علينا بالكتابة بما يشفي صدورنا، وتطمئن به قلوبنا، وألَّا تشغلك المشـاغل الكثيرة عن إجابتنا. داعين الله تعالى أن يمدَّ في عمرك، ويبارك في وقتك، وينفع أمة الإسـلام بعلمـك، ويجعلك من العلماء الربانيِّين المقبولين. إنَّه سميع مجيب.

مجموعة من طلبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فيسرُّني أن أشكر أبنائي وإخواني من طلبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، الَّتي أُكِنُّ لها كلَّ حب وتقدير، وطالما زرتها وحاضرت فيها.

حقائق مسَلَّمة:

وأودُّ أن أقرِّر هنا في بداية إجابتي جملة حقائق لا خلاف عليها، أو لا ينبغي أن يختلف عليها اثنان.

الأولى: أنَّ فضل سيدنا عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه ومنزلته في الإسلام من أوَّل يوم، مـن الأمور المتَّفـق عليها، ولا يخالف فيها مسـلم قطُّ، لا شيعيٌّ ولا سُـنِّي. فهو ابن الإسـلام البِكْر، وفارس الإسلام، وزوج فاطمة البتول، وابن عم الرسول.

الثانية: أنَّ منزلته رضي الله عنه في العلم والحكمة والبيان لا يماري فيها أحد، وقد رُوِيَ عنه من ذلك كثيـر، وإن اختلط فيه الحقّ بالباطل، والصحيح بالسقيم.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولا بدَّ من فرز ذلك وتمييزه بعضه من بعض، فلا يُرفض كله، ولا يُقبل كله. وعندنا ـ نحن المسلمين ـ المعايير المنهجية الَّتي تميزت بها أمتنا لنقد المرويات، ومعرفة مقبولِها من مردودها. وأعتقد أنَّ الصحيح والمقبول من علم سيدنا عليٍّ وحكمته شيءٌ كثير.

الثالثة: أنَّ ثبوت منزلة عليٍّ وفضله في العلم، لا يتعارض مع ثبوت فضل إخوانه من الصحابة رضي الله عنهم جميعًا، فربَّما كان منهم من يساويه، وربَّما كان منهم من يفضله، كما نرى ذلك في واقع الأمر، فهناك في باب الرواية من الصحابة من روَوْا عن النبيِّ ﷺ أضعاف ما روى علي رضي الله عنه، وخصوصًا السَّبعة المكثرين: أبو هُرَيْرة، وعائشة، وابن عمر، وابن عبَّاس، وأنس، وجابر، وأبو سعيد الخدري.

وفي باب الدراية والفتوى، رأينا منهم من هو أكثر منه فتوى، مثل عمر وابن مسعود وابن عبَّاس وغيرهم.

الرابعة: أنَّ دخول المبالغات والتهويلات في بيان فضائل الأشخاص، أو ذمِّ خصومهم، هو الَّذي يفسد الحقائق الكبيرة، في العلم وفي الدين وفي الحياة. ولذا يجب الحذر منها، والوقوف عند حد الاعتدال، والبعد عن الغلوّ والتفريط، الَّذي وقع فيه ـ للأسف ـ الشيعة وخصومهم.

الخامسة: أنَّ «الهوى المتَّبع» من المهلِكات الَّتي ورد التحذير منها، وكذلك (العصبيَّة العمياء) لقبيلة أو لحزب أو لفئة أو لشخص؛ من المهاوي السَّحيقة الَّتي مزَّقت شمل الأمة الواحدة، المجتمعة على العقيدة والشَّريعة والقبلة، لتصبح أُممًا يعادي بعضها بعضًا، بل يقاتل بعضها بعضًا، وقد أدَّت هذه العصبيَّة إلى الكذب والاختلاق لنصرة من يُتعصَّب له، أو من يُتعصَّب ضدَّه.

QaradawiBooks.com

وفي ضوء هذه الحقائق المسلمة ننظر إلى مقام سيدنا وحبيبنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفضله وجهاده وقربه من رسول الله ﷺ، ومصاهرته له، فنضعه في المكانة الَّتي تليق به، ولا نبخسه حقه، ونترضى عليه.

وقد أغناه الله تعالى بالحقِّ الثابت في مدحه والثناء عليه، عن اللجوء إلى الباطل في تعداد فضائله ومزاياه.

وفي هذا السِّياق جاء حديث: «**أنا مدينة العلم، وعليٌّ بابها، فمن أراد المدينة فليأتِ الباب**» أو «**أنا دار الحكمة**».

والحديث بوجهيه لم يروه أحد أصحاب الكتب المعتمدة، لا الصحيحان، ولا أصحاب الكتب السِّتَّة، ما عدا التِّرْمِذيّ الَّذي رواه عن علي بلفظ: «**أنا دار الحكمة وعليٌّ بابُها**» ثم قال: هذا حديثٌ غريب منكر[1]، فبين درجته عنده.

ولم يروه مالك في الموطأ، ولا أحمد في المسند، ولا أحد ممَّن التزم رواية الصحيح مثل: ابن خزيمة وابن حِبَّان.

بل قال ابن حِبَّان في كتابه «المجروحين» (٩٤/٢): هذا خبرٌ لا أصل له عن النبيِّ ﷺ، ولا شريك حدَّث به، ولا سلمة بن كُهَيل رواه، ولا الصُّنَابِحيِّ أسنده!

ولم يصحِّحه أحدٌ من أئمَّة الحديث غير الحاكم في «مستدركه»، وهو معروف بالتساهل وسَعة الخطو في التصحيح كما ذكر المحقِّقون.

---

(١) رواه الترمذي في المناقب (٣٧٢٣)، وقال في العلل الكبير (٦٩٩): سألت محمدًا ـ يعني البخاريَّ ـ عنه فلم يعرفه، وأنكر هذا الحديث.

QaradawiBooks.com

وقد رواه في المستدرك بسنده، عن ابن عبَّاس بلفظ: «**أنا مدينة العلم، وعليٌّ بابها، فمن أراد المدينة فليأتِ البـاب**»[١] وقال: صحيح الإسناد، وأبو الصلْت ـ راويه ـ ثقة مأمون. قال الذهبيُّ في تلخيصه: بل موضوع! قال: وأبو الصلتِ ثقة مأمون. قلت: لا والله لا ثقة ولا مأمون.

وقال الذهبي عن «أبي الصَّلْت» هذا في كتابه «الضعفاء والمتروكين»: اتَّهمه بالكذب غير واحد، قال أبو زُرعة: لم يكن ثقة. وقال ابن عديٍّ: متهم. وقال غيره: رافضي[٢].

وقال الحافظ في التقريب: صدوقٌ له مناكير، وكان يتشيَّع، وأفرط العقيلي فقال: كذَّاب[٣] اهـ.

وقد اضطرب قول ابن معين فيه على وجوه، ذكرها العلامة الألباني في السّلسلة الضعيفة والموضوعة في الكلام على حديث «**أنا مدينة العلم**»[٤].

وقد ذكر له الحاكم شاهدًا من حديث جابر، من طريق أحمد بن عبد الله بن يزيد الحرَّاني.

وعقَّب عليه الذهبي قائلًا: العجب من الحاكم وجرأته في تصحيح هذا وأمثاله من البواطيل، وأحمد هذا دجَّال كذَّاب[٥].

وذكره ابن الجوزي في الموضوعات، وبيَّن أنَّ طرقه كلَّها موضوعة[٦].

---

(١) رواه الحاكم في معرفة الصحابة (١٢٦/٣، ١٢٧).

(٢) ديوان أسماء الضعفاء والمتروكين للحافظ الذهبي صـ ٢٤٩، تحقيق حماد بن محمد الأنصاري، نشر مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط ٢، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

(٣) تقريب التهذيب لابن حجر (٤٠٧٠)، واسمه عبد السلام بن صالح بن سليمان أبو الصلت الهروي.

(٤) السلسلة الأحاديث الضعيفة (٥١٩/٦)، رقم (٢٩٥٥).

(٥) المستدرك ومعه التلخيص للذهبي (١٢٧/٢).

(٦) الموضوعات لابن الجوزي (٣٤٩/١) وما بعدها، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، نشر المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط ١، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

QaradawiBooks.com

وكذلك القزويني ذكر أنَّه موضوع.

وقال أبو زرعة: كم خلق افتضحوا فيه[١].

وقال أبو حاتم ويحيى بن سعيد: لا أصل له.

ونقل السَّخاوي في المقاصد الحسنة: عن الدارقطني في العلل: أنه حديث مضطرب غير ثابت[٢].

ونقل الخطيب في تاريخ بغداد عن يحيى بن مَعِين أنه قال: كذب لا أصل له[٣].

وأشار إلى هذا ابن دقيق العيد، بقوله: هذا الحديث لم يُثبتوه، وقيل: إنَّه باطل، وهو مشعر بتوقفه فيما ذهبوا إليه من الحكم بكذبه[٤].

دفاع الحافظ العَلَائي عن الحديث:

وصرَّح العَلَائي بالتوقف في الحكم عليه بذلك، فقال: وعندي فيه نظر، ثم بين ما يشهد لكون أبي معاوية راوي حديث ابن عبَّاس حدَّث به، فزال المحذور ممَّن هو دونه، قال: وأبو معاوية ثقة حافظ محتج بأفراده، كابن عُيَيْنة وغيره، فمن حكم على الحديث مع ذلك بالكذب، فقد أخطأ، قال: وليس هو من الألفاظ المنكرة الَّتي تأباها العقول، بل هو كحديث: «**أرحم أُمَّتي بأُمَّتي...**» (أي أبو بكر) وهو صنيعٌ معتمد، فليس

(١) الضعفاء لأبي زرعة الرازي (٥١٩/٢)، تحقيق سعدي بن مهدي الهاشمي، نشر الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

(٢) المقاصد الحسنة للسخاوي (١٨٩).

(٣) سؤالات ابن الجنيد لابن معين (٥١)، تحقيق أحمد محمد نور سيف، نشر مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، وتاريخ بغداد للخطيب (٣١٥/١٢).

(٤) كشف الخفاء للعجلوني (٢٣٢).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

هذا الحديث بكذب، خصوصًا وقد أخرجه الدَّيلمي في مسنده بسندٍ ضعيف جدًّا، عن ابن عبَّاس مرفوعًا: «**عليٌّ بن أبي طالب بابُ حِطَّة، فمن دخل فيه كان مؤمنًا، ومن خرج منه كان كافرًا**»[١].

ومن حديث أبي ذرٍّ رفعه: «**عليٌّ بابُ علمي، ومبيِّنٌ لأُمَّتي ما أُرسلتُ به من بعدي، حبُّه إيمان، وبغضُه نفاق، والنَّظرُ إليه رأفة**»[٢].

ومن حديث ابن عبَّاس رفعه: «**أنا ميزان العلم، وعليٌّ كِفَّتاه، والحسنُ والحسين خيوطه...**» الحديث[٣].

وأورد صاحب الفردوس وتبعه ابنه المذكور بلا إسناد عن ابن مسعودٍ رَفَعه: «**أنا مدينة العلم، وأبو بكر أساسها، وعمر حيطانها، وعثمان سقفها، وعليٌّ بابها!**»[٤].

وعن أنس مرفوعًا: «**أنا مدينة العلم، وعليٌّ بابها، ومعاويةُ حَلْقتها**»[٥].

وبالجملة فكلُّها ضعيفة، وألفاظ أكثرها ركيكة، وأحسنُها حديث ابن عبَّاس، بل هو حسن، وقد روى التِّرْمِذيّ أيضًا والنسائي، وابن ماجه، وغيرهم من حديث حُبْشي بن جُنَادة مرفوعًا: «**عليٌّ منِّي، وأنا من عليٍّ، لا يؤدِّي عني إلَّا أنا أو عليٌّ**»[٦].

---

(١) الفردوس بمأثور الخطاب (٤١٧٩)، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

(٢) المصدر السابق (٤١٨١).

(٣) المصدر السابق (١٠٧).

(٤) المصدر السابق (١٠٥).

(٥) المصدر السابق (١٠٦).

(٦) رواه الترمذي في المناقب (٣٧١٩)، وقال: حسن غريب صحيح. وابن ماجه في المقدمة (١١٩)، والنسائي في الكبرى في المناقب (٨٠٩١)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٩٣١).

QaradawiBooks.com

قال السَّخَاوي: وليس في هذا كله ما يقدح في إجماع أهل السُّنة، من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، علـــى أن أفضل الصحابة بعد النَّبيِّ ﷺ على الإطلاق، أبو بكر؛ ثم عمر رضي الله عنهما؛ وقد قال ابن عمر رضي الله عنهما: كنَّا نقول: ورسول الله ﷺ حي: أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر؛ وعمر وعثمان؛ فيسمع ذلك رسول الله ﷺ، فلا ينكره[١]. بل ثبت عن علي نفسه أنَّه قال: خيرُ النَّاس بعدَ رســول الله ﷺ: أبو بكر ثم عمر ثم رجل آخر. فقال له ابنه محمَّد بن الحنفيَّة؛ ثم أنت يا أبتِ. فكان يقول: ما أبوك إلَّا رجل من المسلمين[٢] رضي الله عنهم، وعن سائر الصحابة أجمعين[٣].

مناقشة الحافظ العَلائي في تصحيح الحديث:

ومن حقِّنا أن نناقش الحافظ العلائـــي فيما ذهب إليه من الدفاع عن الحديث، وأنَّه لا يصل إلى مرتبة الموضـــوع، فإنَّه من أفراد أبي معاوية الضرير، ومثله يقبل ما انفرد به. وهنا نذكر جملة نقاط:

الأولى: أنَّ ما تفرَّد به الثقة من زيادة في حديث يعتبر شـــاذًّا بمجرد خلافه لمن هو أوثق منه، فكيف إذا خالف كلَّ الثقات في عصره، وانفرد بحديث دونهم.

الثانية: أنَّهم قالوا عن أبي معاوية أنه كان يروي هذا الحديث قديمًا، ثم كفَّ عنه، ولم يعد يرويه.

الثالثة: ما قالـــه العلائي من أنَّ الحديث ليس من الألفـــاظ المنكرة الَّتي

---

(١) رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٦٥٥) بلفظ: كنا نخيِّر بين الناس في زمن النبي ﷺ، فنخيِّر أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم.

(٢) رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٦٧١).

(٣) المقاصد الحسنة صـ ١٩٠.

QaradawiBooks.com

تأباها العقول، بل هو كحديث: «**أرحم أمتي بأُمَّتي أبو بكر**»: قول غير مسلم، فمتن الحديث يتضمَّن مقولة غير مقبولة شرعًا وواقعًا لمن يحسن تدبُّره، ويتأمَّل في ألفاظه. وقد جلَّى ذلك بأوضح بيان: شيخ الإسلام ابن تيمية، الَّذي عرض للحديث في كتابه الشهير «منهاج السُّنَّة النبويَّة» بعد أن ضعف حديثًا قبله في مناقب عليٍّ، ثم قال: وحديث: «**أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها**». أضعف وأوهى. ولهذا إنَّما يعد في الموضوعات، وإن رواه التِّرْمِذيّ[١].

وذكره ابن الجَوزي في الموضوعات وبين أن سائر طرقه موضوعة[٢]. والكذب يعرف من نفس متنه، فإنَّ النَّبيَّ ﷺ إذا كان مدينة العلم، ولم يكن لها إلَّا باب واحد، ولم يبلغ عنه العلم إلَّا واحد، فسد أمر الإسلام.

ولهذا اتَّفق المسلمون على أنَّه لا يجوز أن يكون المبلِّغ عنه العلم واحدًا، بل يجب أن يكون المبلِّغون أهل التواتر، الَّذين يحصل العلم بخبرهم للغائب.

وخبر الواحد لا يفيد العلم إلَّا بقرائن، وتلك قد تكون منتفية أو خفية عن أكثر النَّاس، فلا يحصل لهم العلم بالقرآن والسنن المتواترة[٣].

ثم إنَّ هذا خلاف المعلوم بالتواتر، فإنَّ جميع مدائن الإسلام بلغهم العلم عن الرسول من غير عليٍّ، أمَّا أهل المدينة ومكَّة فالأمر فيهما ظاهر، وكذلك الشَّام والبصرة، فإنَّ هؤلاء لم يكونوا يروون عن عليٍّ إلَّا شيئًا قليلًا. وإنَّما كان غالب علمه في الكوفة، ومع هذا فأهل الكوفة كانوا يعلمون القرآن والسُّنَّة قبل أن يتولَّى عثمان، فضلًا عن عليٍّ.

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٥١٥/٧).

(٢) الموضوعات لابن الجوزي (٣٤٩/١ ـ ٣٥٥).

(٣) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٥١٥/٧، ٥١٦).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وفقهاء أهل المدينة تعلموا الدين في خلافة عمر، وتعليم معاذ لأهل اليمن ومقامه فيهم أكثر من علي. ولهـذا روى أهل اليمن عن معاذ بن جبل أكثر ممَّـا روَوْا عن علي. وشـريح وغيره من أكابـر التابعين إنَّما تفقَّهوا على معاذ بن جبل. ولما قَدَم علي الكوفة كان شريح فيها قاضيًا، وهو وعَبِيدة السَّلْماني تفقَّها على غيره، فانتشر علم الإسلام في المدائن قبل أن يَقدَم عليٌّ الكوفة[1].

وقد روَوْا أنَّ عليًّا رضي الله عنه لما قدم الكوفة وجد فيها عددًا من تلاميذ ابن مسعود من الفقهاء الَّذين يُؤخذ عنهم العلم، فقال: رحم الله ابنَ أمِّ عبدٍ، لقد ملأ هذه القرية علمًا!

أقوال أهل الجرح والتعديل في أبي الصَّلْت:

ومن واجبنا هنا أن نستكمل البحث ببيان حقيقة أبي الصَّلْت ومنزلته من العدالة والصـدق والضبط عند علماء الجـرح والتعديل، الَّذين هم المرجع في تقييم الرجال.

وقد ذكر الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» في ترجمة أبي الصَّلْت عبد السَّـلام بن صالح الهَـرَوي (ت: ٢٣٦هـ) ـ وهو العمـدة في رواية الحديث: «**أنا مدينة العلم**» عند الحاكم ـ أخبارًا وفيرة تكشـف لنا كثيرًا من شخصيته واتجاهه.

من ذلك ما نقله من طريق الخطيب البغدادي عن أبي بكر المروذي: سُـئل أبو عبد الله (يعني أحمد بن حنبل) عن أبي الصلت، فقال: روى أحاديث مناكير، مثل «**أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها**». قال: ما سمعنا بهذا.

(١) منهاج السنة (٥١٦/٧، ٥١٧).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قيل له: هذا الَّذي يُنكر عليه؟ قال: غير هذا، أما هذا فما سمعنا به[١].

روى عن عبد الرزاق أحاديث[٢] لا نعرفها ولم نسمعها.

قيل لأبي عبد الله: قد كان عند عبد الرزَّاق من هذه الأحاديث الرديئة؟ قال: لم أسمع منها شيئًا.

وقال عمر بن الحسن بن عليِّ بن مالك، عن أبيه: سألت يحيى بن مَعِين عن أبي الصَّلْت الهروي، فقال: ثقة صدوق إلَّا أنه يتشيَّع.

وقال إبراهيم بن عبد الله بن الجُنَيد: سألت يحيى بن مَعِين عن أبي الصَّلْت الهروي، فقال: قد سمع وما أعرفه بالكذب.

قلت: فحديث الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عبَّاس؟ فقال: ما سمعت به قط، وما بلغني إلَّا عنه.

وقال مرَّة أخرى: سمعت يحيى وذكر أبا الصَّلْت الهروي.

فقال: لم يكن أبو الصَّلْت عندنا من أهل الكذب، وهذه الأحاديث الَّتي يرويها ما نعرفها.

وقال عبد الخالق بن منصور: سألت يحيى بن مَعِينٍ عن أبي الصَّلت، فقال: ما أعرفه.

فقلت: إنَّه يروي حديث الأعمش عن مجاهد، عن ابن عبَّاس: «**أنا مدينة العالم وعليٌّ بابها**» فقال: ما هذا الحديث بشيء.

---

(١) انظر: تهذيب الكمال للمزي (١٨/٧٣ ـ ٨٢)، تحقيق أ. د. بشار عواد معروف، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

(٢) في الأصل (واحدًا) ويبدو أنها محرفة عن كلمة (أحاديث) كما يبدو من السياق.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

قال الحافظ أبو بكر بن ثابت (يعني: الخطيب البغدادي): أحسب عبد الخالق سأل يحيى عن حال أبي الصَّلت قديمًا، ولم يكن يحيى إذ ذاك يعرفه، ثم عرفه بعد، فأجاب إبراهيم بن الجُنَيد عن حاله.

وأمَّا حديثُ الأعمش، فإنَّ أبا الصَّلْت كان يرويه عنه، فأنكره أحمدُ بن حنبل ويحيى بن مَعِين من حديث أبي معاوية، ثم بحث يحيى عنه، فوجد غير أبي الصَّلْت قد رواه عن أبي معاوية.

وقال عبَّاس بن محمَّد الدُّوري: سمعت يحيى بن مَعِين يوثق أبا الصَّلْت عبد السَّلام بن صالح، فقلت، أو قيل له: إنَّه حدَّث عن أبي معاوية، عن الأعمش «**أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها**» فقال: ما تريدون من هذا المسكين، أليس قد حدَّث به محمَّد بن جعفر الفَيْدي، عن أبي معاوية، هذا أو نحوه.

وقال أحمد بن محمَّد بن القاسم بن مُحْرِز: سألت يحيى بن مَعِين عن أبي الصَّلْت الهَرَوي، فقال: ليس ممَّن يكذب.

فقيل له في حديث أبي معاوية عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عبَّاس: «**أنا مدينة العلم وعلي بابها**»، فقال: هو من حديث أبي معاوية، أخبرني ابن نُمَير، قال: حدث به أبو معاوية قديمًا ثم كفَّ عنه.

وكان أبو الصَّلْت رجلًا موسرًا، يطلب هذه الأحاديث ويكرم المشايخ، وكانوا يحدِّثونه بها.

وقال عبد المؤمن بن خلف النسفي: سألت أبا علي صالح بن محمَّد عن أبي الصَّلْت الهروي، فقال: رأيت يحيى بن مَعِين يحسن القول فيه، ورأيت يحيى بن مَعِين عنده، وسئل عن الحديث الَّذي روى عن أبي معاوية، حديث علي: «مدينة العلم» فقال: رواه أيضًا الفَيْدي. قلت: ما اسمه؟ قال: محمَّد بن جعفر.

QaradawiBooks.com

وقال زكريا بن يحيى السَّاجي: يُحدث بمناكير، هو عندهم ضعيف.

وقال النَّسائي: ليس بثقة.

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سألتُ أبي عنه، فقال: لم يكن عندي بصَدوق، وهو ضعيف، ولم يحدِّثني عنه.

وأمَّا أبو زُرعة فأمر أن يضرب على حديث أبي الصَّلْت، وقال: لا أحدِّث عنه ولا أرضاه.

وقال إبراهيم بن يعقوب الجُوزْجاني: كان أبو الصَّلْت الهروي زائغا عن الحقِّ، مائلًا عن القصد، سمعت من حدَّثني عن بعض الأئمَّة أنَّه قال فيه: هو أكذب من رُوث حِمَار، الدجَّال، وكان قديمًا متلوِّثًا في الأقذار.

وقال أبو أحمد بن عدي: له أحاديث مناكير في فضل أهل البيت، وهو متهم فيها.

وقال أبو بكر البرقاني: عن أبي الحسن الدارقطني، كان رافضيًّا خبيثًا. قال لي دعلج: إنَّه سمع أبا سعد الهروي الزاهد وقيل له: ما تقول في عبد السَّلَام بن صالح؟ فقال: نُعَيْم بن الهَيْصَم ثقة.

فقيل: إنَّما سألتك عن عبد السَّلام؟ فقال: نُعيم ثقة.

لم يزد على هذا.

قال أبو الحسن: وروي عن جعفر بن محمَّد الحديث، عن آبائه، عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**الإيمان إقرار بالقول، وعمل بالجوارح...**»[1].

وهو متَّهم بوضعه، لم يحدِّث به إلَّا من سرقه منه، فهو الابتداء في هذا الحديث.

---

(١) رواه ابن جرير في تهذيب الآثار مسند ابن عباس (١٠٢٩).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مصورة
QaradawiBooks.com

قال أبو بكر البُرْقاني: وحكى لنا أبو الحسن أنه سمعه يقول: كلبٌ للعلويَّة خيرٌ من جميع بني أُمَيَّة.

فقيل: فيهم عثمان؟ فقال: فيهم عثمان. انتهى.

وأعتقد أن رجلًا قيل فيه كلُّ هذا من أئمَّة كبار؛ ليس أهلًا لأن يؤخذ منه حديث مثل الحديث الَّذي معنا: «**أنا مدينة العلم**».

بين المتقدِّمين والمتأخِّرين:

والناظر في تراثنا العلمي ـ وبخاصَّة التراث الحديثي الضخم ـ يجد فرقًا شاسعًا بين النظرة النقدية عند المتقدِّمين، وبين النظرة النقدية عند المتأخِّرين. فالمتقدِّمون مثل الإمام أحمد، وابن مَعِين، وابن مَهْدِيّ، وابن المَدِيني، والبخاري، ومسلم، وأبي حاتم، وأبي زُرعة، ويحيى القطَّان، والدارقُطْني، وابن حِبَّان، وأمثالهم؛ لا يتحرَّجون من ردِّ الحديث إذا لم يستجمع شروط الصحة، ولا يتأثَّمون من حكم عليه بالوضع أو البطلان أو الإنكار (أي قولهم: منكر) أو غير ذلك من العبارات. ومثل هؤلاء من جاء بعد ذلك من المحقِّقين أمثال: ابن الجوزي، وابن تيمية، وابن القيِّم، والذهبي، وابن كَثِير وأمثالهم.

على حين نجد المتأخِّرين ممَّن جاؤوا بعد ذلك يعِزُّ عليهم أن يحكموا على حديث بالوضع والافتراء، أو بأنَّه باطل، أو لا أصل له، إلى غير ذلك من العبارات القويَّة المعبِّرة، ويتحاملون على تقوية هذا النوع من الأحاديث بتعدُّد الطُرق الَّتي قالوا: إنَّها يقوي بعضها بعضًا، لينتقلوا بالحديث من مرتبة ضعيف جدًّا، أو واهٍ، أو موضوع مكذوب، إلى درجة حسن لغيره، أو على الأقلِّ درجة ضعيف لا مكذوب.

QaradawiBooks.com

ومن هـؤلاء: الحافظ الكبير، شـيخ الإسـلام في عصـره، وفخر المحدثين، الَّذي يعبـر عنه كثيرون بأنَّه (خاتمـة الحفَّاظ) وهو العلامة الشهير: الحافظ ابن حجر العسقلاني؛ شارح البخاري، وصاحب الكتب الَّتي شـرَّقت وغربت، والَّـذي لا يرتاب عالم في غزارة علمه، وسـعة اطلاعه، ونزاهته وإخلاصه.

وبعده الحافظ السُّيوطي، ومعاصره الحافظ السَّخاوي، وغيرهم من الحفَّاظ الَّذين شغلوا بالحديث وعلومه ومصادره، وكان كلُّ واحد منهم كأنَّه مكتبة متنقلة في علوم الحديث.

ويبدو أن ملكة الحفظ الهائلة أثَّـرت على ملكة النقد، فغلب عليهم تمشـية بعض الأحاديث الَّتي كان يرفضها من قبلهـم، أو يرفض مثلها الأئمَّة النقاد.

فهؤلاء من الصعـب عليهـم أن يحكموا على حديـث بالوضع أو البطلان، بل هم يحاولون أن يجدوا له مخرجًا ينقله إلى درجة الضعيف، بل الحسن المحتجِّ به، ولو بكونه حسنًا لغيره.

ومطيَّتهم الذلولة في ذلك تعدُّد طرق الحديث، الَّتي يأخذون منها أنَّ للحديث أصلًا، وهذا ليس دائمًا مسلَّمًا.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حديث: «لا سبْقَ إلَّا في خفٍّ»

س: قرأت ومجموعة من طلاب العلم حديث: «**لا سبق إلَّا في خفٍّ أو حافر أو نصْـــل**» واحتدم الخلاف بيننا في ثبوت هذا الحديث أو عدم ثبوته، كما تباينت وجهات النظر في دلالة هذا الحديث.

وقد رأينا أن نرسل لفضيلتكم بهذا السُّؤال لبيان صحَّة هذا الحديث ومدى ثبوته، وإن ثبت هذا الحديث أو صحَّ سندًا، فما هي دلالته، وهل تقف دلالته على هذه الأشياء المذكورة في الحديث فقط؟

سائلين الله أن ينفع بكم وبعلمكم، وأن يسدد على طريق الحقّ خطاكم.

عدد من طلاب العلم

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

أمَّا من ناحية ثبوته، فهو لم يرد فـــي أحد الصحيحين. وعدم وروده في أحد هذين المصدرين الأساســيَّين يضع علامة استفهام أمام الباحث المتجرِّد للحقِّ: لماذا أعرض عنه الشيخان؟ لا بدَّ أنه لم يصحَّ على شرط واحد منهما.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

نظرة في سند الحديث:

إنَّما أخرجه أحمد وأصحاب السُّنن الأربعة[١] من طريق راوٍ هو العمدة في هذا الحديث، وهو نافع بن أبي نافع، والعجيب أنَّ هذه الكتب لم تروِ له حديثًا غير هذا الحديث.

صحيح أنَّ الدُّوري نقل عن يحيى بن مَعِين: أنَّه ثقة، وذكره ابن حِبَّان في الثقات كما في «تهذيب الكمال»[٢]، ولكنَّ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» نقل عن ابن المَدِيني أنَّه قال عنه: مجهول[٣].

وقد رُوِيَ الحديث بأسانيد أخرى كلِّها ضعيفة[٤].

وكذلك نجد ابن أبي شَيْبة أخرج الحديث في مصنَّفه موقوفًا على أبي هُرَيْرة[٥].

وكذلك أخرجه البخاري في التاريخ الكبير موقوفًا[٦].

وكذلك النَّسائي في إحدى رواياته[٧].

ومن هنا أعلَّه الدارقطني بالوقف[٨].

---

(١) رواه أحمد (١٠١٣٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٢٥٧٤)، والترمذي (١٧٠٠)، كلاهما في الجهاد، والنسائي في الخيل (٣٥٨٥).

(٢) ثقات ابن حبان (٤٦٨/٥)، وتهذيب الكمال (٢٩٤/٢٩).

(٣) تهذيب التهذيب (٤١١/١٠).

(٤) رواه أحمد (٧٤٨٢، ٨٩٩٣)، وقال مخرجوه في كلا الموضعين: حديث صحيح. وابن ماجه في الجهاد (٢٨٧٨)، والنسائي في الخيل (٣٥٨٩)، من طريق أبو الحكم مولى الليثيين. قال الذهبي في ميزان الاعتدال (٩٥١١): لا يعرف. وقال الحافظ في التقريب (٨٠٦٠): مقبول.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في السير (٣٤٢٤٩).

(٦) التاريخ الكبير للبخاري (٢٧٩٨)، نشر دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الهند.

(٧) رواه النسائي في الخيل (٣٥٨٧).

(٨) علل الدارقطني (١٧٧٧، ٢٢٥١).

QaradawiBooks.com

فهذه هي قيمة الحديث الَّذي هو العمدة في الاستدلال من حيث سنده وثبوته.

نظرة في دلالة الحديث:

فإذا نظرنا في الحديث من حيث دلالته مسلمين بثبوته، نجد أن الَّذين أخذوا منه تحريم دخول العوض المالي على ما عدا هذه الثلاث (الخيل والإبل والسهام) وما في معناها؛ إنَّما أخذوها من اعتبارهم الحصر الَّذي تضمَّنه الحديث حصرًا حقيقيًّا. فكلُّ ما عدا هذه الثلاث المذكورة لا يجوز أن يدخل فيها السَّبق: أي المال المرصود للسابق، وبتعبير عصرنا: الجائزة.

وتضييقنا في منع الجوائز إلَّا في هذه الثلاث: يسدّ علينا أبوابًا كثيرة في إعطاء الحوافز للمتسابقين في ميادين شتَّى، بعضها رياضية، وبعضها ثقافية، وبعضها دينية، كالمتسابقين في حفظ القرآن.

ولقد انتفعنا أيام الطلب ـ في المراحل الابتدائية والثانوية ـ بما رصده أهل الخير لأوائل الطلبة في الأزهر، كما انتفعنا أيام الدراسة العالية بما كنَّا ندخله من مسابقات علمية في بعض الكتب النافعة، يُعطى فيها الأول والثاني جوائز كانت لها قيمتها وأثرها في سدِّ حاجاتنا.

ولذا نرى: أنَّ منع الجوائز أو العوض المالي إلَّا في الثلاث المذكورة في الحديث فيه تعسير وتشديد على عباد الله تعالى. وفيه من ناحية أخرى تعطيل لمنافع ومصالح مهمة تأتي للأمة، عن طريق التشجيع على التنافس والتسابق في أمور تجلب الخير على المجتمع، وذلك عن طريق الحوافز الماديَّة، والجوائز المالية.

QaradawiBooks.com

ولذا كان علينا أن ننظر في دلالة هذا الحديث الواحد ـ على افتراض ثبوتـه ـ نظرة من أفق أوســع، على أساس أنَّ هذا الحصر الَّذي دلَّ عليه الاستثناء إضافيٌّ لا حقيقي.

ومعناه: لا سبق في ميدان الجهاد والقتال إلَّا في هذه الأمور الثلاثة، أو أنَّ هذه الأمور الثلاثة لا يراد بها الحصر، بل يلحق بها رابع وخامس وسادس، كما قال الإمام الغزالي في الردِّ على من منعوا اللهو فيما عدا الأمور الثلاثة الَّتي جاء بها حديث عقبة بن عامر مرفوعًا: «**كلُّ لهوٍ يلهو به المسلم فهو باطل، إلَّا ثلاثة: رميُه بســهمه، وملاعبته امرأته، وتأديبه فرسه**»[(١)]، وجعلوا هذا الحديث من أدلَّتهم على تحريم الغناء؛ لأنَّه خارج عن الثلاثة المذكورة، فهو باطل، وهو إذن حرام.

قال الغزالي: فقوله «باطل» لا يــدلُّ على التحريم بل يدلُّ على عدم الفائدة، وقد يســلم ذلك. على أن التلهي بالنظر إلى الحبشة خارج عن هذه الثلاثــة وليس بحرام، بل يلحق بالمحصور غير المحصور قياســا؛ كقوله ﷺ: «**لا يحلُّ دم امرئ مســلم إلَّا بإحدى ثلاث**»[(٢)] فإنَّه يلحق به رابع وخامس. فكذلك ملاعبة امرأته لا فائدة له إلَّا التلذُّذ. وفي هذا دليل على أن التفرُّج في البساتين وســماع أصوات الطيور وأنواع المداعبات ممَّا يلهــو به الرجل لا يحرم عليه شــيء منهــا، وإن جــاز وصفه بأنَّه باطل[(٣)]. والحمد لله أولًا وآخرًا.

---

(١) رواه أحمد (١٧٣٢١)، وقال مخرجوه: حسن بمجموع طرقه وشواهده. وأبو داود في الجهاد (٢٥١٣)، والنســائي في الخيل (٣٥٧٨)، وابن ماجه في الجهاد (٢٨١١)، ووصفه العراقي في تخريج الإحياء صـ ٧٥٨ بأنه مضطرب.

(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الديات (٦٨٧٨)، ومسلم في القسامة (١٦٧٦)، عن ابن مسعود.

(٣) إحياء علوم الدين (٢/٢٨٥).

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حديث: «الأئمَّة من قريش»

س: ما هو رأي فضيلتكم في الأحاديث الَّتي تقتضي بأنَّ «**الأئمَّة من قريش**»، أولًا: من حيث السَّـــند، وثانيًا: من حيث المتن؟ وهل القرشيَّة شـــرط في الإمامة؟ ونحن نرى معظم أمراء عصرنا من غير قريش، فهل إمارة هؤلاء باطلة، وإن اختارهم الشعب بإرادته الحُرَّة؟

نرجو من فضيلتكم البيان الَّذي عهدناه منكم، وجزاكم الله خيرًا.

(ع. أ. ع)

مدينة حلب الشهباء

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فهذا الحديث ورد مرفوعًا عن جماعة مـــن الصحابة منهم: أنس بن مالك، وأبو هُرَيْرة، وعلي بن أبي طالب، وأبو بَرْزة الأســـلمي وغيرهم، حتَّى قال الحافظ ابن حجر: قـــد جمعت طرقه في جزء ضخم، عن نحو أربعين صحابيًّا[1].

(١) فتح الباري (٣٢/٧).

QaradawiBooks.com

ألفاظ الحديث وطرقه ومدى صحته:

وقد روي بألفاظ عدة منها: «**الأئمَّة من قريش**»، و«**الأمراء من قريش**»، و«**الخلافة في قريش**»، و«**الملك في قريش**»، و«**لا يزال هذا الأمر في قريشٍ ما بقي في النَّاس اثنان**».

وبعض طرق الحديث صحيحة الإسناد لا مطعن فيها، وبعضها حسنة لذاتها، وبعضها صحيحة لغيرها، وبعضها روي مرفوعًا وموقوفًا، ورجح الموقوف.

فإذا أخذنا حديث: «**الأئمَّة من قريش**» بهذا اللفظ: وجدناه قد ورد من طريق أنس، وعلي، وأبي برزة، من عدة طرق منها:

ما رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (٢٢٤٧) والبزار في الزوائد (١٥٧٨) وأبو يعلى (٣٦٤٤) وأبو نعيم في الحلية (١٧١/٣) والبيهقي في السّنن (١٤٤/٨) وقال الألباني في (الإرواء: ٥٢٠): إسناده صحيح على شرط السِّتَّة.

ومنها ما رواه الحاكم (٥٠١/٤) والبيهقي (١٤٤/٨) عن طريق الصعق بن الحزن عن علي بن الحكم عن أنس. وصحَّحه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وقال الألباني: إنَّما هو على شرط مسلم، فإنَّ الصَّعق لم يُخرِّج له البخاري إلَّا خارج الصحيح[1].

قال مخرِّجو المسند: إسناده حسن، ورواه أحمد برقم (١٢٣٠٧، ١٢٩٠٠) من طريق بكير بن وهب، وقد وثقه جماعة، واعتبره الأكثرون

(١) انظر: إرواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل للألباني (٢٩٨/٢ ـ ٣٠١)، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

QaradawiBooks.com

مجهولًا فالإسناد ضعيف، ولكن الحديث صحيح بشواهده وطرقه، ذكر ذلك مخرِّجو المسند (الشيخ شعيب ورفقاؤه).

وانظر هذا الحديث في مسند أبي هُرَيْرة: (٧٦٥٣ و٧٨٦١) وبعضها بلفظ: «**إنَّ لي على قريش حقًّا، وإنَّ لقريش عليكم حقًّا، ما حكموا فعدلوا، وأْتمنوا فأدُّوا، واسترحموا فرحموا**». قال مخرِّجو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخَيْن. ولكن ليس فيه إلزام أن يكون الأئمَّة أو الأمراء منهم. وإنَّما لهم الحقُّ إذا حكموا فوفوا بالشروط.

وانظر: السُّنة لابن أبي عاصم بتحقيق الألباني، ففيه عن عمرو بن العاص مرفوعًا: «**قريش ولاة النَّاس في الخير والشرِّ إلى يوم القيامة**» الحديث (١١١٠) إسناده صحيح على شرط مسلم[١]، وعن معاوية: «**هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلَّا كبَّه الله على وجهه ما أقاموا الدِّين**». الحديث (١١١٢)، وقد رواه البخاري (٣٥٠٠) كما روى الشيخان عن ابن عمر: «**لا يزال هذا الأمرُ في قريش ما بقي منهم اثنان**»[٢].

الموقف من الحديث:

موقف العلماء من هذا الحديث: فمن النَّاس من رده، ولم يقبله بإطلاق، بغير منطق علمي، أو بحث في الأسانيد، ومدى قوَّتها وضعفها؛ إلَّا استبعاد ذلك.

ومنهم من حاول أن يضعِّف أسانيده، مع أنَّ فيها ما هو صحيح، وما ورد في صحيحي البخاري ومسلم، واستند إلى ما جاء عن عمر:

(١) رواه أحمد (١٧٨٠٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح.

(٢) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٠١)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٠).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

«إن أدركني أجلي وأبو عُبَيدة حيٌّ استخلفته، فإن أدركني أجلي بعده استخلفت معاذ بن جبل»[١]. ومعاذ أنصاري من الخزرج، وليس من قريش[٢].

ومنهم من مال إلى أنَّ النَّصَّ النبوي في غير التعبديَّات، لا بدَّ أن يُبحث عن المقصود منه، وعما يحمل من علَّة هي سبب الحكم، يبقى ببقائها، ويزول بعدمها. وهو ما فعله حكيم المؤرخين: ابن خلدون، فقد فسر الحديث في مقدمته بأنَّه ﷺ، راعى ما كان لقريش في عصره من القوة والعصبيَّة، الَّتي يرى ابن خلدون أن عليها تقوم الخلافة أو الملك، قال: فإذا ثبت أنَّ اشتراط القرشية إنَّما هو لدفع التنازع بما كان لهم من العصبيَّة والغلب، علمنا أنَّ ذلك إنَّما هو من الكفاية، فرددناه إليها، وطردنا العلَّة المشتملة على المقصود من القرشية، وهي وجود العصبيَّة، فاشترطنا في القائم بأمور المسلمين أن يكون من قومٍ أولي عصبيَّة على من معها لعصرها ليستتبعوا من سواهم، وتجتمع الكلمة على حسن الحماية، إلخ[٣].

وقد تغيَّرت فكرة «العصبيَّة» الَّتي يستند إليها الخليفة أو رئيس الدولة في عصرنا إلى فكرة «المساندة الشعبيَّة» الَّتي تمثَّلها «الأغلبيَّة» الَّتي تختار قائدها بانتخاب حرٍّ نزيه.

وأنا مع ابن خلدون في تأويل هذا الحديث، وأنَّ النَّصَّ فيه على قريش لما كان لها من المكانة والمنزلة في العرب، كما قال سيدنا

(١) رواه أحمد (١٠٨)، وقال مخرجوه: حسن لغيره. وقال الهيثمي المجمع (١٤٩١٢): هو مرسل، راشد وشريح لم يدركا عمر. وقال ابن حجر في فتح الباري (١١٩/١٣): إسناده رجاله ثقات.
(٢) انظر: فيض القدير (١٩٠/٣).
(٣) انظر: مقدمة ابن خلدون (٣٧١/١)، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، نشر دار يعرب، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

أبو بكر للأنصار: إنَّ العرب لا تَدِين إلَّا لهذا الحي من قريش[١]. ولكنَّ الأوضاع تغيَّرت، وأُمَّة الإسلام قد اتَّسعت، وأصبحت هناك عوامل أخرى مؤثرة في اختيار من يجتمع عليه النَّاس، أهمُّها أنْ ترتضيه الأغلبية باختيار حرٍّ، لا أثر فيه لتزييف ولا تدليس، وهذا ما يتَّفق مع مبدأ الشورى، ومبدأ البيعة والاختيار بالتراضي. ولا يمنع الإسلام من اتخاذ الانتخاب وسيلة لهذا الغرض. ولهذا أصل في السُّنة، وهو أنَّ النَّبيَّ ﷺ وكَلَ إلى كلِّ جماعة: أن تختار نقيبها الَّذي ينوب عنها، ويتحدث باسمها.

وبالله التوفيق.

(١) رواه البخاري في الحدود (٦٨٣٠).

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حديث: قاطع السِّدر في النار

س: كنَّا في مجلس علم فجاء ذكر الحديث الَّذي رواه أبو داود مرفوعًا: «**من قطع سِدْرة صَوَّبَ على رأسه في النار**».

وتوقَّف بعضنا في معناه وقالوا: إنَّ بعض العلماء حمله على من قطع سدر الحرم؛ لأنَّ من المقرَّر شرعًا أن شجره لا يقطع وقطعه محرم، فهل هذا التفسير صحيح، أو إن لفضيلتكم رأيًا في معنى الحديث؟ فكتبت إليكم راجيًا أنْ تفيدونا بما عندكم من علم، ولا سيَّما عند الاختلاف ومسيس الحاجة إلى البيان والمعرفة.

شكر الله لكم وجزاكم عن العلم وطلابه، وعن الدين وأهله خيرًا.

عبد العزيز إسماعيل

الجامعة الإسلامية في إسلام آباد

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فقد روى أبو داود في سننه هذا الحديث بسنده في كتاب «الأدب» برقم (٥٢٣٩) عن عبد الله بن حُبْشي، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**من قطع سِدْرة**

QaradawiBooks.com

صوَّب الله رأسَه في النَّار». وسكت عنه هو والمُنْذري، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٤٣٦٤)، وصحيح الجامع الصغير وزيادته (٦٤٧٦)، كما صحَّحه في السِّلسلة الصحيحة برقم (٦١٤)، كذا روى الحافظ البيهقي في سننه الكبرى (١٤١/٦)، بسنده عن معاوية بن حيدة مرفوعًا: «**قاطع السِّدر يصوِّب الله رأسه في النَّار**». وصحَّحه الألباني أيضًا في صحيح الجامع الصغير برقم (٤٢٩٩)، وهو أيضًا في سلسلته الصحيحة برقم (٦١٤، ٦١٥)، والسدرة: شجرة السّدر، وهو الَّذي يسميه العامَّة النبق، وجمعها: سدر.

وفي القرآن في الحديث عن الجنَّة وما فيها: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٨].

والمعروف: أنَّ السِّدر من أشجار البوادي والصحاري، وهو معروف عند العرب، ينتفعون بثمره، كما ينتفعون بظله.

وقد كتب علامة المصريين في زمنه الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي رسالة لطيفة سمَّاها «رفع الخِدْر عن قطع السِّدر» ضمنها كتابه «الحاوي للفتاوي»[(١)].

وذكر ممَّن أخرجه الطبراني في الأوسط[(٢)] عن عبد الله بن حُبْشي بلفظ أبي داود إلَّا أنه قال: يعني: من سِدْر الحرم.

ولا أدري من صاحب هذا التفسير من الرواة؛ وكأنَّهم استكثروا هذا الوعيد على مجرّد قطع السّدر: أن يصوِّب الله رأسه في النار، أو يصبَّ على رأسه العذاب صبًّا، كما في حديث آخر.

---

(١) انظر: الحاوي للفتاوي للسيوطي (٦٤/٢)، نشر دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٢٤٤١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٦٩٨): رجاله ثقات.

QaradawiBooks.com

وأخرج البيهقي من طريق جعفر بن محمَّد بـــن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي، قال: قال رســـول الله ﷺ: «**اخرُجْ فأذِّنْ فـــي النَّاس** (أي أعلمهم) **من الله لا من رسوله: لعن الله قاطع السّدر**»[١].

قال السُّيوطي: والأولى عندي في تأويل الحديث: أنه محمول على سدر الحرم، كما في رواية الطبراني. وقال ابن الأثير في «النهاية»: أراد به ســـدر مكَّة لأنَّها حرم، وقيل: ســـدر المدينة، نهى عن قطعه ليكون أُنسًا وظلًّا لمن يهاجر إليها. وقيل: أراد: السِّدر الَّذي يكون في الفلاة، يستظل به أبناء السّـــبيل والحيوان، أو في ملك الإنســـان فيتحامـــل عليه ظالم فيقطعه بغير حقٍّ[٢] اهـ.

وأولى الأقوال عندي بالصواب: ما فسَّـــر الحديث به الإمام أبو داود مُخرج الحديث وراويه، فقد قـــال بعد أن روى الحديث بنصه: يعني من قطع سِدْرة في فَلاة؛ يســـتظلُّ بها ابن السَّبيل والبهائم، عبثا وظلما، بغير حقٍّ يكون له فيها؛ صوَّب الله رأسَه في النَّار[٣].

وهذا توجيه ســـليم، وهو يتطابق مع التوجهات العالمية المعاصرة في تشـــديد الحرص على ســـلامة البيئة، والمحافظة علـــى مكوناتها الحيوانية والنباتية، ومنها أشـــجار البرية، وأشجار الغابات، وإن كانت لا تثمر، فما بالك إذا كانت تثمر مثل السِّدر؟ وذلك لما فيها من حفظ التوازن البيئـــي، فضلًا عمَّا فيها من نفع كبير للإنســـان والحيوان، ولا سيَّما المسافرين وأبناء السَّبيل، فلا يجوز أن تقطع هذه الأشجار عبثًا أو

(١) رواه البيهقي في المزارعة (١٤٠/٦).
(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير مادة (س. د. ر)، والحاوي للفتاوي للسيوطي (٦٨/٢).
(٣) انظر: سنن أبى داود (٥٢٣٩).

QaradawiBooks.com

عدوانًا، بل لا تقطع إلَّا بقدر وحساب، بحيث يغرس مكانها غيرها ممَّا يقوم بوظيفتها[١].

ومثل هذا: حديث: «**مَنْ قتل عصفورًا عبثًا، عجَّ إلى الله يوم القيامة، يقول: يا ربِّ، إن فلانًا قتلني عبثًا، ولم يقتلْني منفعةً**»[٢].

والحديث يدلُّ دلالة قوية على احترام كلِّ ذي رُوح من الطير والحيوان، ومنع قتله لغير منفعة أو حاجة معتبرة، كما يرشد إلى المحافظة على مكونات البيئة وموارد الثروة، وعدم تبديدها باللهو والعبث، أي لغير منفعة اقتصاديَّة.

فهذا كله داخل في بؤرة الاهتمام العالمي بالبيئة ومفرداتها المختلفة، وإن كانت تبدو هينة في نظرنا، ولكن القليل يجر الكثير.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) انظر كتابنا: رعاية البيئة في شريعة الإسلام صـ ٩٩، ١٠٠، نشر دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

(٢) رواه أحمد (١٩٤٧٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والنسائي في الضحايا (٤٤٤٦)، وابن حبان في الذبائح (٥٨٩٤)، وضعَّفه الألباني في تخريج الحلال والحرام (٤٦)، عن الشريد بن سويد.

QaradawiBooks.com

حديث: «من آذى ذميًّا فقد آذاني»

س: سمعتُ من خطباء المساجد في مناسبات كثيرة حديثًا، يسندونه إلى النَّبيِّ ﷺ يقول: «**من آذى ذميًّا فقد آذاني**». ولكنِّي في حديث تلفزيوني سمعتُ متحدِّثًا ينفي هذا الحديث، ويقول: هو كذب على رسول الله ﷺ، ونريد أن نسأل سماحتكم: عن مدى صحَّة هذا الحديث أو عدم صحته، كما عودتمونا أن تؤيدوا أقوالكم بالأدلَّة الشرعيَّة الصحيحة.

علي أحمد علي

القاهرة

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

هذا الحديث بهذا اللفظ المذكور لم تثبت صحته إلى النَّبيِّ ﷺ، عند أهل العلم، الخبراء بهذا الشأن، أعني بشأن الحديث النبوي وعلومه. وقد ذكره الإمام ابن القيِّم في كتابه «**المنار المنيف في الصحيح والضعيف**»[1]

(١) انظر: المنار المنيف لابن القيم (٢٧٨)، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، نشر مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط١، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

QaradawiBooks.com

باعتباره من الأحاديث الباطلة. ولكنَّ محقِّق الكتاب ومعلِّق حواشيه العلَّامة الشيخ عبد الفتاح أبا غدَّة رَحِمَهُ اللَّهُ، علَّق عليه تعليقًا ضافيًا نافعًا، نسجِّله هنا، ليستفيد منه الأخ السَّائل ومن على شاكلته، وأن عدم ثبوت الحديث بلفظ معين لا ينفي أن يكون معناه صحيحًا، قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدَّة:

لعل الحكم عليه بالوضع بالنظر إلى هذا اللفظ؛ إذ هذا المعنى ثابت، فقد روى أبو داود في سننه في كتاب الخراج في «باب تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا في التجارات» (٢٣١/٣) عن صفوان بن سُلَيم، عن عدَّة من «أبناء»[١] أصحاب رسول الله ﷺ، عن آبائهم دِنْيَة، عن رسول الله ﷺ قال: «**أَلَا من ظلم معاهدًا، أو انتقصه، أو كلَّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيِّب نفس، فأنا خصمه يوم القيامة**»[٢].

قال الحافظ العراقي في حاشيته على «مقدمة ابن الصلاح» ونقله السّيوطي في «اللآلئ المصنوعة» (١٤٠/٢، ١٤١): «إسناده جيِّد، وإن كان فيه من لم يسم فإنَّهم عدة من أبناء الصحابة، يبلغون حدَّ التواتر، الَّذي لا يشترط فيه العدالة، فقد رويناه في «السنن الكبرى» للبيهقي فقال في روايته: «عن ثلاثين من أبناء الصحابة».

وقال الحافظ السّخاوي في «المقاصد الحسنة» صـ ٣٩٢، في حديث أبي داود هذا: سنده لا بأس به، ولا يضره جهالة من لم يُسمَّ من أبناء الصحابة، فإنَّهم عدد ينجبر به جهالتهم، ولذا سكت عليه أبو داود، وهو

(١) سقطت كلمة (أبناء) من تعليق المحقق، فلتتدارك.

(٢) رواه أبو داود في الخراج والإمارة (٣٠٥٢)، والبيهقي في الجزية (٢٠٥/٩)، وجود إسناد أبي داود العراقي في التبصرة والتذكرة (٧٧/٢)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٢٦٢٦).

QaradawiBooks.com

عند البيهقي من هذا الوجه، وقال: «عن ثلاثين من أبناء صحابة رسول الله ﷺ دِنْيَة». وذكره باللفظ المذكور، سوى آخره فلفظه: «**فأنا حجيجه يوم القيامة**»، وأشار رسول الله ﷺ بأصبعه إلى صدره». وله شواهد بينتها في جزء أفردته لهذا الحديث». انتهى كلام السَّخاوي.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض أجوبته وفتاواه، الَّتي نشرت تحت عنوان «مجموعة الرسائل والمسائل»، وطبعت بالقاهرة بمطبعة المنار، في خمسة أجزاء لطيفة سنة ١٣٤١هـ، قال رحمه الله تعالى في (٢٢٨/١): «وأمَّا ما يرويه بعض العامَّة عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**من آذى ذميًّا فقد آذاني**»، فهذا كذب عن رسول الله ﷺ، لم يروه أحد من أهل العلم. ولكن في «سنن أبي داود» عن العِرْباض بن سَارِيَة، عن النبيِّ ﷺ قال: «**إن الله لم يُحِلَّ لكم أن تدخلوا بيوتَ أهل الكتاب إلَّا بإذن، ولا ضربَ نسائهم، ولا أكلَ ثمارهم، إذا أعطوكم الَّذي عليهم**»[١]. وعن صفوان بن سليم: «**ألا من ظلم معاهدًا...**» وساق حديث أبي داود بتمامه. فتبيَّن من هذا أن الحكم ببطلان حديث: «**مَن آذى ذميًّا فقد آذاني**» راجع إلى اللفظ المذكور، والله تعالى أعلم[٢]. انتهى.

(١) رواه أبو داود في الخراج (٣٠٥٠)، والبيهقي في الجزية (٢٠٤/٩).

(٢) من تعليق أبي غدة على المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم على الحديث (٢٧٨) صـ ١٢٣، ١٢٤.

QaradawiBooks.com

أحاديث: الاكتحال والتوسعة على العيال في عاشوراء

س: هل ورد في يوم عاشـــوراء شيء يستحب عمله غير الصيام، من تزين واكتحال، وتوسعة على العيال؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

لم يصح عن رســول الله في يوم عاشــوراء شــيء غير الصوم، أما التوســعة على العيال، ففيها حديث تكلموا فيه كثيرًا: «من وســع على عياله في يوم عاشــوراء وســع الله عليه الســنة كلها»[1]. رواه الطبراني والبيهقي، وقد طال كلام العلماء وكثر حول الحديث، فمنهم من عدَّه في الموضوعات، ومنهم من لم يصل به إلى الوضع، بل اعتبره ضعيفًا فقط، ومنهم من قوّاه بتعدد طرقه.

فقد قال البيهقي بعد أن ذكره من عدة طرق: هذه الأسانيد وإن كانت ضعيفة فهي إذا ضم بعضها إلى بعض أخذت قوة. اهـ.

(١) رواه الطبراني (٧٧/١٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٥١٣)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

وحاول العراقي وغيره الدفاع عنه، وإثبات حسنه لغيره! ورمز له السيوطي في الجامع الصغير بعلامة الصحيح. والسيوطي[١] قد يتساهل في مثل هذه الأحاديث.

وفي هذا القول نظر؛ فقد جزم ابن الجوزي في (الموضوعات)[٢]، وابن تيمية في (منهاج السنة)[٣] وغيرهما بأَن الحديث موضوع.

وكثير من المتأَخرين يعزُّ عليهم أَن يحكموا بالوضع على حديث!

والحق عندي ما قاله المحقق ابن القيم[٤] عن أحاديث الاكتحال والتزين والتوسعة يوم عاشوراء والصلاة فيه، قال: لا يصح منها شيء ولا حديث واحد، ولا يثبت عن النبي ﷺ فيه شيء غير أحاديث صيامه، وما عداها باطل، وأمثل ما فيها حديث: «من وسَّع على عياله ...» إلخ. قال الإمام أحمد: لا يصحُّ هذا الحديث ... وأهل السنة يفعلون فيه ما أمر به النبي ﷺ من الصوم، ويجتنبون ما أمر به الشيطان من البدع. اهـ.

وأما الاكتحال فقد روى الحاكم فيه حديثًا مرفوعًا عن ابن عباس: «من اكتحل بالإثمد يوم عاشوراء لم ترمد عينه أبدًا»[٥]. وقال الحاكم:

---

(١) انظر: فيض القدير (٣٣٥/٦، ٣٣٦)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

(٢) الموضوعات (٢٠٣/٢)، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، نشر المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط١، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

(٣) منهاج السنة (١٥١/٨)، تحقيق محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

(٤) المنار المنيف لابن القيم صـ ١١١ـ١١٣.

(٥) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣٥١٧)، وقال: لم أر ذلك في رواية غيره، عن جويبر، وجويبر ضعيف، والضحاك لم يلق ابن عباس.

QaradawiBooks.com

إنه منكر[١]، وقال السخاوي: بل هو موضوع، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات[٢].

قال الحاكم: والاكتحال يوم عاشوراء لم يرد عن النبي فيه أثر، وهو بدعة ابتدعها قتلة الحسين رضي الله عنه[٣].

والذي يترجَّح لي أن الحديث مما وضعه بعض الجهال من أهل السنَّة في الرد على مبالغات الشيعة في جعل يوم عاشوراء يوم حزن وحداد، فجعله هؤلاءِ يوم اكتحال واغتسال، وتوسعة على العيال!! وكثير من المفاهيم المغلوطة، والبدع المنكرة المنتشرة بين جماهير المسلمين، ترجع إلى أحاديث ضعيفة، راجت في عصور التخلف بينهم، وتمكَّنت من عقولهم وقلوبهم، وطاردت الأَحاديث الصحاح التي يجب أَن تكون ـ بجوار القرآن الكريم ـ أساس الفهم والسلوك.

وكان أجدر بالفريقين أن يقفوا عند حدود الله، ويتخلصوا من التعصب المُصم المُعمي، الذي فرقهم شيعًا وأحزابًا، وأن يعتصموا بحبل الله جميعًا ولا يتفرقوا ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

والله ولي التوفيق.

---

(١) الموضوعات لابن الجوزي (٢/٢٠٣ ـ ٢٠٤).

(٢) المقاصد الحسنة للسخاوي (١٠٨٥)، تحقيق محمد عثمان الخشت، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

(٣) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٢/٢٠٤).

QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

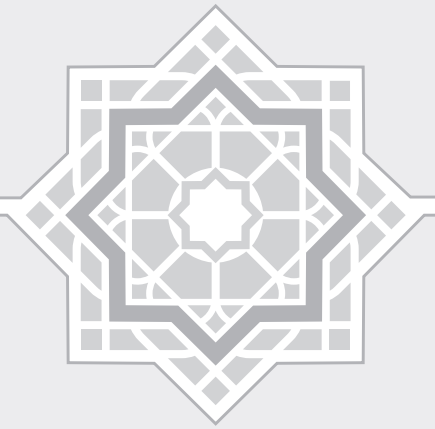

نقـد الحديـث

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

نقد الحديث بين السَّند والمتن أو بين الشكل والمضمون

س: كنَّا مجموعة من الجامعيين المثقفين ثقافة «مدنية» كما يطلقون عليها، أعني أنَّنا من خريجي الجامعات الحديثة، لا من خريجي الأزهر الشريف، وكلياته العريقة، وكنا نتحدث في أمور الدين، حيث إنَّ معظمنا من المتدينين، الَّذين يحرصون على أداء الفرائض، واجتناب المحرمات. وانجر الكلام إلى الأحاديث النبوية، وما دخل عليها من الأكاذيب والأحاديث الموضوعة، الَّتي حُشيت بها بعض الكتب، ونقلها بعض رجال الحديث، فشوهت جمال الإسلام.

وانتهى بحثنا إلى أنَّ على المسلم أن يعمل عقله في معنى أي حديث يجده، فإذا لم ينسجم مع مقتضى العقل رده وأنكره، ولا حرج عليه؛ لأنَّ الإسلام لا يأتي بما يرده العقل، أو يناقض ما يقرره العلم.

وكان معنا بعض الزملاء الَّذين لهم دراية بعلم الدين أكثر منا، فقال: إنَّ الحديث يجب أن ينظر إليه من ناحية سنده، أي سلسلة رواته الَّذين رووه، والنظر في مدى قبوله أو رده، ولا يجوز النظر إلى المعنى، الَّذي قد يخفى على عقولنا القاصرة، فيترتب على ذلك أن نردُّ الحديث الصحيح بغير حُجَّة معتبرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أرجو أن تفصل بينَنا في هذه المسألة المهمَّة، حتَّى لا تزلَّ أقدامنا، ونقول في الدين بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. أثابكم الله.

(ع. ص. ل)
القاهرة

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

جدير بالمسلم أن يهتمَّ بأمر دينه، فالدين هو جوهر الوجود، وروح الكون، والقضية الدينية هي قضية الإنسان الأولى، وهي القضية المصيرية حقًّا، لأنَّها تتعلق بالأزل والأبد، بالخلود في الجنة، أو الخلود في النار.

وجميل بالمثقِّفين من أبناء الإسلام إذا جلسوا، بعضهم إلى بعض أن يتحدَّثوا في أمور الدين، ويبحثوا فيها، فليس الدين حكرًا على أصحاب الثقافة الدينية وحدهم، بل إن فرضًا على كلِّ مسلم أن يعرف من دينه ما يصحِّح عقيدته، ويضبط عبادته، ويقوِّم سلوكه، ويقف به عند حدود الله في أمره ونهيه، وحلاله وحرامه.

ولكن غير الجميل أن يخوض المسلم في خبايا العلم ومشكلاته، دون دليل يهديه من أهل الاختصاص الثقات، فمن المقرَّر المتَّفق عليه بين العقلاء: أنَّ لكلِّ فنٍّ رجاله ولكل علم أهله، الَّذين يرجع إليهم عند الاختلاف، ويحتكم إليهم عند التنازع، وهم الَّذين أشار إليهم القرآن

QaradawiBooks.com

بقوله: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

والقضية الَّتي بحث فيها السَّائل وزملاؤه، وهي معرفة صحَّة الحديث أو ضعفه، وهل يُنظر فيها إلى السَّند أو إلى المتن، أو إلى كليهما؟ قضية علمية دقيقة، لا يقدر على الحكم فيها من كان حظه من الثقافة الإسلامية الأصيلة حظًّا متواضعا، بل ليس كلّ من درس علم الدين وحصل على شهادة من كلية دينية، قادرا على ذلك، إنَّما يقدر عليها من رسخت قدمه في علوم الشَّريعة عامَّة، وفي علوم الحديث خاصة، ولم يكن من الحرفيين الجامدين على القديم، ولا المتعجِّلين المبهورين بالجديد.

ولقد عرَّف علماء السُّنة المختصَّون الحديثَ الصحيحَ بتعريفٍ جامعٍ مانع، وهو: ما اتَّصل سندُه بروايةِ عدلٍ تامِّ الضبط، من أوَّل السَّند إلى منتهاه، وسلم من الشُّذوذ والعلَّة.

فأوَّل ما ينبغي النظر فيه ـ بالنسبة لعالم الحديث ـ هو السَّند، ونعني بالسند: سلسلة الرواة من آخر راوٍ إلى الصحابي الَّذي روى الحديث عن النبيِّ ﷺ.

والصحابة في نظر أهل السُّنَّة وجمهور المسلمين كلُّهم عدول عدَّلهم الله تعالى في كتابه، في آيات كريمة متلوَّة إلى ما شاء الله، وعدَّلهم رسول الله ﷺ في أحاديث صحيحة موفورة مشهورة.

فإذا ثبتت الصُّحبة فلا كلام في الصحابي، إنَّما البحث عمن دونه من الرُّواة، فلا بدَّ من معرفة كلِّ واحد منهم: معرفة شخصه وعينه، ومعرفة حياته وسيرته، وشيوخه وتلاميذه، وميلاده ووفاته، ولهذا نشأ ونما «علم

QaradawiBooks.com

الرجال» وعلم «الجرح والتعديل» وأُلِّفت في ذلك كتبٌ جمَّة، لتقويم الرواة توثيقًا أو تضعيفًا.

وضعف حلقة واحدة من سلسلة السَّند، يجعل الحديث كلَّه مردودًا؛ سواء كان هذا الضعف من جهة عدالة الراوي أو أمانته، أم ناحية حفظه وضبطه، ولكي يكون الحديث في مرتبة «الصحيح» لا بدَّ أن يكون حفظ الراوي في درجة «ممتاز» أو «جيد جدًّا» بتعبير عصرنا. فإذا نزل إلى درجة «جيد» أو «مقبول»، فالحديث «حسن» فقط، وهو معتبَر لدى العلماء، ولكنَّه دون الصحيح، وهذا له أهمية عند التعارض.

ولا بدَّ أن يكون السَّند متَّصلًا من مَبدئه إلى مُنتهاه، فلو كان هناك حلقة مفقودة أو منقطعة في أوَّل السّلسلة أو وسطها أو آخرها، فإن الحديث ينزل إلى درجة الضعف، فإذا كان هناك أكثر من حلقة مفقودة فإنَّ الضعف يزداد، و«الانقطاع في السَّند» يعرفه أهل الاختصاص بدلائل كثيرة مبسوطة في مواضعها من كتب العلم المتخصِّصة.

ولا بدَّ لكي يكون الحديث صحيحًا أن يسلم من أمرين هما:

١ ـ الشُّذوذ.

٢ ـ والعلَّة.

والمراد بالشُّذوذ: أن يروي الراوي الثِّقة حديثًا يخالف فيه من هو أوثق منه، وهذا يعرف بمقارنة الروايات بعضها ببعض[1].

(١) نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر لابن حجر العسقلاني (٥٨/١)، تحقيق نور الدين عتر، نشر مطبعة الصباح، دمشق، ط ٣، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م. وتدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي (٤٠١/١).

QaradawiBooks.com

وهذا أمر يتعلَّق بمعنى الحديث ومتنه في الغالب.

فإذا انفرد الثِّقة بحديث أو بزيادة فيه أو نقص منه، مخالفًا راويًا أوثق منه، أو عددًا من الرواة الثِّقات؛ فإنَّ حديثه يحكم عليه بالضعف من أجل هذا الانفراد، أو الشذوذ[١].

وأمَّا العلَّة: فهي أمرٌ خفيٌّ قد يكون في متن الحديث، أو في سنده لا يطلع عليه إلَّا أهل البصيرة من جهابذة الحديث ونقاده، الَّذين يكتشفون العلل المستورة، كما يكتشف الطبيب الحاذق العلة الكامنة في بدن ظاهره الصحة والسلامة[٢].

والظاهر من مسلك علماء الحديث أنَّهم ركزوا على السَّند أكثر من تركيزهم على المتن. وهذا له سببه المعروف.

ولكن ليس معنى هذا أنَّهم أهملوا المتن تمامًا، كما يتوهم بعض الَّذين لم يتعمقوا في علوم الحديث، فكثيرا ما تكلموا عن المتون وردوها لمخالفتها لقواطع القرآن، أو السُّنَّة، أو العقل، أو الحسِّ، أو التاريخ، أو غير ذلك، وقد اعتبروا من علامات وضع الحديث وكذبه، أمورًا تتعلق بالراوي، وأمورًا تتعلق بالمرويِّ، أي بنصِّ الحديث.

فممَّا يتعلَّق بالمرويِّ: أن يكون ركيك اللفظ، غير جارٍ على أساليب العربية وقواعدها.

---

(١) المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي لابن جماعة صـ ٥٠، تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان، نشر دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٠٦هـ، والباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث لابن كثير صـ ٥٦، تحقيق أحمد محمد شاكر، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢.

(٢) المصدر السابق صـ ٦٣ ـ ٦٥.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أو يكون ركيك المعنى، لا يليق أن يصدر مثله من مشكاة النبوة مثل «الباذنجان شـفاءٌ من كلِّ داء» أو «قُدِّس العَدَس على لسان سبعين نبيًّا» ونحو ذلك.

أو يكون مناقضًا لصريح العقل.

أو يكون مناقضًا للواقع المُحَسِّ والمشاهدة.

أو يكون مناقضًا لحقائق الدين الثابتة بالقرآن أو بمتواتر السُّنة.

أو يكون منافيًا لحقائق التاريخ الثابتة.

قال ابن الجوزي: «ما أحسـن قول القائل: كلّ حديث رأيته يخالف المعقول، أو يناقض الأصول، فاعلم أنه موضوع، فلا تتكلف اعتباره!»[1]. وقد أجاد في ذلك الداعية الفقيه الدكتور مصطفى السّـباعي رَحِمَهُ اللَّهُ، في كتابه «السُّنَّة ومكانتها في التشريع».

بل أريد أن أقول: إنَّ البحث في السَّند ليس منفصلًا عن البحث في المتن؛ فإنَّهم كثيرًا ما ينظرون إلى الـرواة من خلال مجموع ما يروونه، فإذا وجدوا راويًا ينفـرد برواية «الغرائب» مـن الأحاديث، نزلوا به إلى منزلة «الضعفـاء» أو «المتروكين»، وقالوا في مثله: يـروي الغرائب، أو لا يتابع على حديثه. وكثيرا ما يسـردون هذه الأحاديث الَّتي انفرد بها، تنبيها عليها، وتحذيرًا منهـا، كما نجد ذلك في كتـاب «الكامل» لابن عدي، و«الميزان» للذهبي.

وهناك أنواع من الحديث الضعيف، يكون سبب ضعفها مشتركًا بين المتن والسند، مثل:

(١) الموضوعات لابن الجوزي (١/١٠٦).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المضطرب، والمقلوب، والمعلَّل، والشـاذَّ، والمنكر، والمصحف، والمحرف.

ومن أنواع علـوم الحديث: ما يتعلـق بالمتن وحـده، مثل معرفة: «المرفوع» و«الموقوف»، و«المقطوع».

ومنها: معرفة الحديث الإلهي أو القدسي.

ومنها معرفة «المدرج»، و«علم غريب الحديث».

وفيه كتب جمَّة، ومثل «علم مختلف الحديث»، وقد برع فيه الإمام الشـافعي، وألف فيه الإمـام ابن قتيبة كتابـه الشـهير «تأويل مختلف الحديث»، كما ألَّف الإمـام أبو جعفر الطحاوي كتابه الكبير «مشـكل الآثار»، وقد طبع في أربع مجلدات، وألف الإمام ابن الجوزي «مشكل الصحيحين» وغيرها كثير.

وقبل ذلك «علم ناسـخ الحديث ومنسوخه». ومن أشهر ما ألف فيه كتاب العلامـة الحازمي «الاعتبار في الناسـخ والمنسـوخ من الآثار»، ولأبي الفرج ابن الجوزي رسالة لطيفة في ذلك.

ومن هنا نقول: إنَّ البحث في متن الحديث مقبول بل مطلوب، وإنَّ الحديث الَّذي يرفضه العقل مردود بلا شكٍّ.

بيد أنَّ الأمر المهم هنا، هو: من الَّذي ينظر في متن الحديث ليعرف مدى قبوله من عدمه؟ ومـن الَّذي يقول: إن هذا الحديث يرفضه العقل، فهو ضعيف؟

إنَّ إعطاء هذا الحقِّ لكلِّ من هبَّ ودبَّ من النَّاس، غير مقبول شرعًا ولا عقلًا، وإنَّما يجب أن يعطى هذا للثقات من أهل الاختصاص، وهم

QaradawiBooks.com

الَّذين جاء في مثلهم قولــه تعالى: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ [النساء: ٨٣].

فكم من حديث ينكر ظاهره لأوَّل وهلة، وله تأويل ســائغ عند أهل العلم، ممَّن الواجب مراجعتهم فيه.

ومــن المعروف أن اللغــة فيها الحقيقــة والمجاز، وفيهــا الصريح والكناية، فلا يحســن ردُّ الحديث بحمله علــى الحقيقة، مع أنَّه يحتمل المجاز أو الكناية.

وقد وضَّحت ذلــك في كتابي «كيف نتعامل مع السّــنة» وذكرت له أمثلة غير قليلة.

وبعض النَّاس يتسرَّع في ردِّ الحديث الَّذي ثبتت صحته عند العلماء، بدعوى أنَّه يناقض صريح العقــل، أو يناقض مقررات العلم، أو يعارض ثوابت الدين.

فإذا دقَّقت النظر في دعواه لم تجدها تقوم على ســاقَين، ووجدتها كلامًا بلا بيِّنة.

وقد تجد ما ادَّعى أنَّه صريــح العقل ليس إلَّا وهمًــا توهَّمه صاحب الدعوى، فالحديث مناقضٌ لعقله هو، ليس للعقل المجرد، أو العقل العام.

والمدرسة العقليَّة كثيرًا ما تجترئ على رد الأحاديث الثابتة، دون حجة مقنعة، كما فعلت المعتزلة في ردِّ أحاديث الشفاعة، أو أحاديث رؤية الله في الآخرة، ورد بعضهم أحاديث ســؤال القبر وما يعقبه من نعيم وعذاب[1]. وكثيرًا ما يكون استبعاد وقوع الشيء ـ لاستحالته في

(١) انظر كتابنا: المرجعية العليا في الإســلام للقرآن والسنة صـ ١٣٢ ـ ١٥٤، فصل رد الأحاديث الصحاح، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٤، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

QaradawiBooks.com

العادة ـ سببا في رد الحديث، واستحالة الشيء عادة لا توجب استحالته عقلًا. وأصل الدين قائم على الإيمان بالغيب، فلا ينبغي أن يستبعد شيء صحَّ به النقل عن المعصوم، ما دام في دائرة الإمكان، وهي دائرة رحبة.

ومن النَّاس من ردَّ الحديث الصحيح لظنه أنه مخالف لمقررات العلم، وبالبحث يتبيَّن أن ما ظنه من المقررات العلمية القطعيَّة: ليس إلَّا نظريات ظنيَّة، أو آراء افتراضية، أو تخمينيَّة.

كما تجلَّى ذلك في آراء دارون في «نظريته في النشوء والارتقاء» أو «نظرية التطوُّر».

وكذلك كثير من النظريات الَّتي تفسر بعض الظواهر في علوم النفس والاجتماع.

والعلوم الإنسانية والاجتماعيَّة بصفة عامَّة، فهذه العلوم كلها «علوم ظنيَّة» ولا ترقى إلى مرتبة القطع واليقين، كما أكَّد ذلك أهل الاختصاص المنصفون، ولهذا تتغير النظريات والآراء في هذه العلوم من عصر إلى آخر، بل من بيئة ـ في العصر الواحد ـ إلى أخرى، بل من عالم باحث إلى آخر.

وبعض النَّاس ردَّ الحديث الصحيح؛ لأنَّه في نظره معارض للكتاب ولما ثبت من الدين بنصوص أخرى.

فإذا تأمَّلت ما ذكره لم تجد تعارضًا حقيقيًّا، يستوجب ردَّ الصحيح، وفي السِّتينيات اجترأ أحد الكتاب في إحدى المجلات الذائعة الانتشار على رد حديث في صحيح البخاري؛ لأنَّه رآه ـ في ظنه ـ مخالفا للقرآن، ولم يكن الأمر كما زعم، والحديث صحيح، وإنَّما الخطأ في فهمه.

QaradawiBooks.com

ابن القيِّم يربط بين السّند والمتن:

وقد ذكر الإمام المحقق ابن القيِّم في كتابه «المنار المنيف في الصحيح والضعيف» أنه سئل: هل يمكن معرفة الحديث الموضوع بضابط، من غير أن ينظر في سنده؟

وأجاب ابن القيِّم عن هذا السُّؤال إجابة مستفيضة مفصَّلة استغرقت جُلَّ كتابه.

قال في مطلعها: «هذا سؤالٌ عظيم القدر، وإنَّما يعلم ذلك من تضلَّع في معرفة السُّنن الصحيحة، واختلطت بلحمه ودمه، وصار له فيها ملكة، وصار له اختصاص شديد بمعرفة السُّنن والآثار، ومعرفة سيرة رسول الله ﷺ وهديه، فيما يأمر به وينهى عنه، ويخبر عنه ويدعو إليه، ويحبه ويكرهه، ويشرعه للأمة؛ بحيث كأنَّه مخالط للرسول ﷺ كواحد من أصحابه.

فمثل هذا: يعرف من أحوال الرسول ﷺ وهديه وكلامه وما يجوز أن يخبر به وما لا يجوز: ما لا يعرفه غيره، وهذا شأن كلِّ متَّبع مع متبوعه، فإنَّ للأخصِّ به الحريص على تتبُّع أقواله وأفعاله من العلم بها والتمييز بين ما يصحُّ أن يُنسب إليه وما لا يصحُّ: ما ليس لمن لا يكون كذلك، وهذا شأن المقلِّدين مع أئمَّتهم، يعرفون أقوالهم ونصوصهم ومذاهبهم، والله أعلم.

فمن ذلك: ما روى جعفر بن جَسْر، عن أبيه، عن ثابت عن أنس ـ يرفعه ـ «**من قال: سبحان الله وبحمده، غرس الله له ألف ألف نخلة في الجنة، أصلها من ذهب...**».

وجعفر هذا: هو جعفر بن جَسْر بن فَرْقَد، أبو سليمان القصَّاب البصري. قال ابن عدي: أحاديثه مناكير. وقال الأزدي: يتكلمون فيه.

نسخة مجانية غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

وأما أبوه فقال يحيى بن معين: لا شيء، ولا يكتب حديثه. وقال النَّسائي والدارقطني: ضعيف. وقال ابن حِبَّان: خرج من حد العدالة. وقال ابن عديٍّ: عامَّة أحاديثه غير محفوظة.

ومن ذلك: ما رواه ابن مَنْدَهْ من حديث أحمد بن عبد الله الجُوَيْبَاري الكذَّاب، عن شقيقٍ، عن إبراهيم بن أدهم، عن يزيدَ بن أبي زياد، عن أويسٍ القرني، عن عمر وعليٍّ رضي الله تعالى عنهم، عن النبيِّ ﷺ قال:

«**من دعا بهذه الأسماء: اللهمَّ أنت حيٌّ لا تموت، وغالب لا تُغلب، وبصيرٌ لا ترتاب، وسميعٌ لا تشكُّ، وصادق لا تكذب، وصمد لا تطعم، وعالم لا تعلم... إلى أن قال: فوالَّذي بعثني بالحق، لو دُعِيَ بهذه الدعوات على صفائح الحديد لذابت، وعلى ماء جارٍ لسكن، ومن دعا عند منامه بها بُعث بكلّ حرف منها سبعمائة ألف ملك يسبحون له ويستغفرون له**».

وتابعه كذَّاب آخر، وهو الحسين بن داود البَلْخي، عن شَقِيق. وروى جملة منه كذَّاب آخر، هو سليمان بن عيسى، عن الثَّوري، عن إبراهيم بن أدهم. وهذا وأمثاله: ممَّا لا يرتاب من له أدنى معرفة بالرسول ﷺ وكلامه: أنَّه موضوع مختلَق وإفكٌ مفترًى عليه».

وذكر ابن القيِّم جملة من الأحاديث الَّتي تتضمن مبالغات ممجوجة، ثم قال: «وهذا باب واسع جدًّا، وإنَّما ذكرنا منه جزءًا يسيرًا؛ ليعرف به أنَّ هذه الأحاديث وأمثالها، ممَّا فيه هذه المجازفات القبيحة الباردة، كلُّها كذبٌ على رسول الله ﷺ، فقد اعتنى بها كثير من الجُهَّال بالحديث، من المنتسبين إلى الزُّهد والفقر، وكثير من المنتسبين إلى الفقه!

والأحاديث الموضوعة عليها ظُلمة وركاكة، ومجازفات باردة تنادي على وضعها واختلاقها على رسول الله ﷺ، مثل حديث:

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

«**من صلَّى الضحى كذا وكذا ركعة؛ أعطي ثواب سبعين نبيًّا**».

وكأنَّ هـذا الكذَّاب الخبيث لـم يعلم أنَّ غير النَّبـيِّ لو صلَّى عمر نوح عليه السلام؛ لم يعط ثواب نبي واحد.

وكقوله: «من اغتسل يوم الجمعة بنية وحسبة، كتب الله له بكلّ شعرة نورا يوم القيامة، ورفع له بكلّ قطرة درجة في الجنة من الدر والياقوت والزبرجد، بين كلِّ درجتين مسيرة مائة عام...»[1].

ضوابط كليَّة موضوعيَّة لمعرفة الحديث المكذوب:

قال: ونحن ننبه على أمور كلية، يعرف بها كون الحديث موضوعًا:

١ ـ المجازفات والمبالغات:

فمنها: اشـتماله على أمثال هـذه المجازفات الَّتـي لا يقول مثلها رسول الله ﷺ، وهي كثيرة جدًّا، كقوله في الحديث المكذوب: «**من قال لا إله إلَّا الله: خلق الله من تلك الكلمة طائرًا له سبعون ألف لسان، لكلِّ لسان سبعون ألف لغة، يسـتغفرون الله له، ومن فعل كذا وكذا أُعْطِيَ في الجنَّة سبعين ألف مدينة، في كلّ مدينة سبعون ألف قصر، في كلّ قصر سبعون ألف حوراء**».

وأمثال هذه المجازفات الباردة، الَّتي لا يخلو حال واضعها من أحد أمرين: إمَّا أن يكون في غاية الجهل والحُمق، وإمَّا أن يكون زنديقًا قصد التنقيص بالرسول ﷺ؛ بإضافة مثل هذه الكلمات إليه.

---

(١) رواه ابن الجوزي في الموضوعات (١٠٢/٢)، وقال: هذا حديث موضوع. وقد أبدع من وضعه وزاد في حد البرودة. وعمر ابن صبح أهل أن يُنسـب إليه وضعه. قال ابن حبان: كان يضع الحديث على الثقات، لا يحل كتب حديثه إلا على التعجب. قال يحيى: وبشـير بن زاذان ليس بشيء. وقال ابن عدي: ضعيف يحدث عن الضعفاء. ومحمد بن جعفر ليس بشيء.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٢ ـ تكذيب الحس والمشاهدة للحديث:

ومنها: تكذيب الحس له، كحديث: «**الباذنجان لِمَا أُكِلَ له**»، و«**الباذنجان شفاءٌ من كلِّ داء**» قبَّح الله واضعهما. فإنَّ هذا لو قاله يوحنَّس أمهر الأطباء، لسخر النَّاس منه، ولو أُكل الباذنجان للحُمَّى والسوداء الغالبة، وكثير من الأمراض لم يزدها إلَّا شدة، ولو أكله فقير ليستغني، لم يفده الغِنى، أو جاهل ليتعلَّم لم يفده العلم.

وكذلك حديث: «**إذا عَطِسَ الرجلُ عند الحديث، فهو دليل صدقه**». وهذا، وإن صحَّح بعض النَّاس سنده، فالحسُّ يشهد بوضعه، لأنَّا نشاهد العطاس والكذب يعمل عمله! ولو عطس مائةُ ألف رجل عند حديث يُروى عن النبيِّ ﷺ، لم يُحكم بصحَّته بالعُطاس، ولو عطسوا عند شهادة زُور لم تُصدَّق.

وكذلك حديث: «**عليكم بالعَدس، فإنَّه مبارك يرقِّق القلب، ويكثر الدَّمعة، قُدِّس فيه سبعون نبيًّا**». وقد سُئل عبد الله بن المبارك عن هذا الحديث؟ وقيل له: إنَّه يروى عنك! فقال: وعنِّي أيضًا؟!

أرفع شيء في العدس أنه شهوة اليهود، ولو قُدِّس فيه نبيٌّ واحد لكان شفاء من الأدواء، فكيف بسبعين نبيًّا؟ وقد سماه الله تعالى: ﴿أَدْنَىٰٓ﴾ [البقرة: ٦١]. ونعى على من اختاره على المن والسلوى، وجعله قرين الثوم والبصل. أفترى أنبياء بني إسرائيل قدسوا فيه لهذه العلة والمضارُّ الَّتي فيه، من تهييج السَّوداء، والنفْخ، والرياح الغليظة، وضيق النفس، والدم الفاسد، وغير ذلك من المضارِّ المحسوسة!

ويشبه أن يكون هذا الحديث من وضع الَّذين اختاروه على المنِّ والسلوى أو أشباههم.

QaradawiBooks.com

ومن ذلك حديث: «**إن الله خلق السَّماوات والأرض يوم عاشوراء**».

وحديث: «**اشربوا على الطعام تشبعوا**»؛ فإنَّ الشراب على الطعام يفسده، ويمنع من استقراره في المعدة، ومن كمال نضجه.

ومن ذلك الحديث: «**أكذب النَّاسِ الصبَّاغون والصوَّاغون**»[1].

والحسُّ يردُّ هذا الحديث؛ فإنَّ الكذب في غيرهم أضعافه فيهم، كالرافضة؛ فإنَّهم أكذب خلق الله، والكُهَّان، والطرائقيِّين، والمنجمين.

٣ ـ كونه ممَّا يسخر منه:

ومنها: سماجه الحديث، وكونه ممَّا يسخر منه، كحديث: «لو كان الأرز رجلًا لكان حليمًا، ما أكله جائع إلَّا أشبعه». فهذا من السّمج البارد، الَّذي يُصان عنه كلام العقلاء؛ فضلًا عن كلام سيد الأنبياء.

وحديث: «**الجَوْز دواء، والجبنُ داء، فإذا صار في الجوف صار شفاء**».

فلعن الله واضعه على رسول الله ﷺ.

وحديث: «**لو يعلم النَّاس ما في الحُلْبة** ـ هي حب نبت معروف ـ **لاشتروها بوزنها ذهبًا**».

وحديث: «**أحضروا موائدَكم البَقْل، فإنَّه مَطْردة للشيطان**».

وحديث: «**ما من ورقةِ هَنْدُباء إلَّا وعليها قطرةٌ من ماء الجنَّة**».

---

(١) رواه أحمد (٨٣٠٢)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف. وابن ماجه في التجارات (٢١٥٢)، وقال ابن حجر في فتح الباري (٣١٧/٤): حديث مضطرب الإسناد. وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٩/٣): هذا إسناد فيه فرقد السبخي وهو ضعيف وعمرو بن هارون كذبه ابن معين وغيره.

QaradawiBooks.com

وحديث: «**بئســت البقلةُ الجرجير، من أكل منها ليلًا بات ونفسُه تنازعه، ويضرب عِرْق الجُــذام في أنفه، كلوها نهــارًا، وكفُّوا عنها ليلًا**».

وحديث: «**فضل دهن البنفسج على الأدهان، كفضل أهل البيت على سائر الخلْق**»[(١)] إلخ[(٢)].

٤ ـ مناقضة الحديث للصحيح الثابت من السُّنة:

ومنها: مناقضته لما جاءت به السُّنَّة الصريحة مناقضة بينة.

فكلُّ حديث يشتمل على فساد، أو ظلم، أو عبث، أو مدح باطل، أو ذم حق، أو نحو ذلك، فرسول الله ﷺ منه بريء.

ومن هذا الباب: أحاديث مدح من اسمه محمَّد أو أحمد، وأن كلّ من يسمى بهذه الأسماء لا يدخل النار.

وهذا مناقض لمــا هو معلوم مــن دينه ﷺ: أن النَّــار لا يجار منها بالأسماء والألقاب، وإنَّما النجاة منها بالإيمان والأعمال الصالحة.

ومن هذا الباب: أحاديث كثيــرة علَّقت النجاة من النَّــار بها، وأنَّها لا تمسَّ من فعل ذلك، وغايتها: أن تكون من صغار الحسنات، والمعلوم من دينــه ﷺ خلاف ذلــك، وأنَّــه إنَّما ضمــن النجاة منهــا لمن حقق التوحيد[(٣)].

---

(١) رواه الطبراني (١٣٠/٣). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٨٧٢): وفيه أرطاة بن الأشعث، وهو متهم بالوضع.

(٢) انظر: المنار المنيف لابن القيم صـ ٥٠ ـ ٥٤.

(٣) المرجع السابق صـ ٥٧.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٥ ـ تكذيب الشواهد له:

ومنها: أن يدَّعى على النَّبيِّ ﷺ، أنَّه فعل أمرًا ظاهرًا بمحضر من الصحابة كلهم، وأنهم اتفقوا على كتمانه ولم ينقلوه، كما يزعم أكذب الطوائف: أنَّه ﷺ أخذ بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمحضر من الصحابة كلهم، وهم راجعون من حجة الوداع، فأقامه بينهم حتَّى عرفه الجميع. ثم قال: «هذا وصيي وأخي، والخليفة من بعدي، فاسمعوا له وأطيعوا»، ثم اتّفق الكل على كتمان ذلك وتغييره ومخالفته، فلعنة الله على الكاذبين.

وكذلك روايتهم: أنَّ الشمس رُدَّت لعليٍّ بعد العصر والنَّاس يشاهدونها، ولا يشتهر ذلك أعظم اشتهار، ولا يعرفه إلَّا أسماءُ بنت عُمَيس!

٦ ـ بطلانه في نفسه لمناقضته العقل:

ومنها: أن يكون الحديث باطلًا في نفسه، فيدل بطلانه على أنَّه ليس من كلام الرسول ﷺ.

كحديث: «**المجرَّة الَّتي في السَّماء من عَرَق الأفعى الَّتي تحت العرش**»[1].

وحديث: «**إذا غضب الله تعالى أنزل الوحيَ بالفارسية، وإذا رضي أنزله بالعربية**».

(١) رواه الطبراني في الكبير (٦٧/٢٠)، والأوسط (٦٧٦٠). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٣٨٣): فيه فضل بن مختار، وهو ضعيف. وقال الشيخ الألباني في الضعيفة (٢٨٤): موضوع.

QaradawiBooks.com

٧ ـ ألَّا يشبه كلام النبوَّة وهدايتها:

ومنها: أن يكون كلامه لا يشبه كلام الأنبياء، فضلًا عن كلام رسول الله ﷺ، الَّذي هو وحي يُوحَى، كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ** ﴾ [النجم: ٣، ٤]، أي وما نطقه إلَّا وحي يُوحى، فيكون الحديث ممَّا لا يشبه الوحي، بل لا يشبه كلام الصحابة.

كحديث: «**ثلاثةٌ تزيد في البصر: النَّظر إلى الخُضْرة، والماء الجاري، والوجه الحسن**»[(١)].

وهذا الكلام ممَّا يجِلُّ عنه أبو هُرَيْرة وابن عبَّاس، بل سعيد بن المسيَّب والحسن، بل أحمد ومالك رحمهم الله.

وحديث: «**النظر إلى الوجْه الحسنِ يجلو البصر**»[(٢)]. هذا ونحوه من وضع بعض الزنادقة.

وحديث: «**عليكم بالوجوه المِلاح، والحدق السُّود، فإنَّ الله يستحيي أن يعذِّب مليحًا بالنَّار**». فلعنة الله على واضعه الخبيث[(٣)].

وكلُّ حديث فيه ذكر حِسان الوجوه، أو الثناء عليهم، أو الأمر بالنظر إليهم، أو التماس الحوائج منهم، أو أنَّ النَّار لا تمسُّهم: فكذب مختلق، وإفك مفترى.

٨ ـ ومنها: أن يكون الحديث بوصف الأطباء والطرقية أشبه وأليق.

---

(١) رواه أبو نعيم الأصفهاني في الطب النبوي (١٣٥)، وقال الألباني في الضعيفة (١٣٤): موضوع.

(٢) رواه ابن عساكر في معجمه (٥٧٦)، وقال الألباني في الضعيفة (١٣٢): موضوع.

(٣) رواه ابن الجوزي في الموضوعات (١٦١/١)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

كحديث: «**الهريسة تشدُّ الظهر**».

وكحديث: «**أكل السَّمك يُوهن الجسد**».

وحديث الذي شكا إلى النَّبيِّ ﷺ قلَّة الولد، فأمره أن يأكل البَيْض والبَصَل.

وحديث: «**أتاني جبريل بهَرِيسة من الجنَّة، فأكلتها، فأعطيتُ قوة أربعين رجلًا في الجِمَاع**»[١].

وحديث: «**المؤمن حُلو يحبُّ الحلاوة**»[٢].

٩ ـ اشتماله على تحديد تواريخ معينة:

ومنها: أن يكون في الحديث تاريخ كذا وكذا، مثل قوله:

إذا كان سَنَة كذا وكذا؛ وقع كَيْت وكَيْتَ، وإذا كان شهر كذا وكذا: وقع كَيْت وكيت[٣].

كقول الكذَّاب الأشرِّ: «إذا انكسف القمر في المحرَّم كان الغلاء والقتال وشغل السّلطان، وإذا انكسف في صفر كان كذا وكذا». واستمرَّ الكذَّاب في الشهور كلِّها، وأحاديث هذا الباب كلُّها كذبٌ مفترًى[٤].

---

(١) رواه ابن حبان في المجروحين (٩٩٨) في ترجمة محمد بن الحجاج الواسطي اللخمي، يروي الموضوعات عن الأثبات لا تحل الرواية عنه ولا الاحتجاج به.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٥٥٣٤)، عن أبي أمامة، ثم قال: متن الحديث منكر وفي إسناده من هو مجهول.

(٣) قال الخلال: حديث ليس له أصل. انظر: المنتخب من علل الخلال لابن قدامة (١٩٨)، تحقيق أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، نشر دار الراية.

(٤) انظر: المنار المنيف صـ ٥٧ ـ ٦٤.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١٠ ـ مخالفته لصريح القرآن:

ومنها: مخالفة الحديث صريح القرآن: كحديث مقدار الدنيا: «وأنها سبعة آلاف سنة ونحن في الألف السّابعة».

وهذا من أبين الكذب، لأنَّه لو كان صحيحًا لكان كلُّ أحد عالمًا أنَّه قد بقي للقيامة من وقتنا هذا مائتان وأحد وخمسون سنة[١]. والله تعالى يقول: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

وقال النَّبيّ ﷺ: «**لا يعلم متى تقوم السَّاعة إلَّا الله**»[٢].

ومن ذلك: الحديث الَّذي يُروى في الصخرة: «أنَّها عرش الله الأدنى»، تعالى الله عن كذب المفترين.

ولما سمع عروة بن الزبير هذا، قال: سبحان الله، يقول الله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وتكون الصخرة عرشه الأدنى؟!

١١ ـ سماجه المعاني ومناقضتها لمبادئ الإسلام:

ومنها: ركاكة ألفاظ الحديث وسماجتها، بحيث يمجُّها السَّمع، ويدفعها الطبع، ويسمج معناها للفطن.

كحديث: «**أربع لا تشبع من أربع: أنثى من ذكر، وأرض من مطر، وعين من نظر، وأذنٌ من خبر**».

---

(١) يستفاد من هذا أن الإمام ابن القيم ألف هذا الكتاب في سنة ٧٤٩هـ، قبل وفاته سنة ٧٥١هـ بنحو ثلاث سنوات، رحمه الله تعالى وأكرمه برضوانه.

(٢) جزء من حديث رواه البخاري في التوحيد (٧٣٧٩)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

وحديث ذم الحاكَة، والأساكفة، والصوَّاغين، أو صنعة من الصنائع المباحة، كذب على رسول الله ﷺ، إذ لا يذمُّ الله ورسوله الصنائع المباحة.

وحديث: «**إنَّ لله ملكًا من حجارة، يقال له: عمارة، ينزل على حمار من حجارة كلَّ يوم، فيسعِّر الأسعار ثم يعرج**».

ومنها: أحاديث ذمِّ الحبشة والسُّودان، كلها كذب.

كحديث: «**الزَّنْجي إذا شبع زنى، وإذا جاع سرق**»[(١)].

وحديث: «**إيَّاكم والزَّنجْي فإنَّه خلق مشوَّه**».

وحديث: «**دعوني من السُّودان، إنَّما الأسود لبطنه وفرجه**»[(٢)].

وحديث: رأى طعامًا فقال: «**لمن هذا؟**». قال العباس: للحبشة أطعمهم. قال: «**لا تفعل، إنهم إن جاعوا سرقوا، وإن شبعوا زنوا**».

ومنها: أحاديث ذمِّ الترك، وأحاديث ذمِّ الخصيان، وأحاديث ذمِّ المماليك.

كحديث: «**لو علم الله في الخصيان خيرًا لأخرج من أصلابهم ذريَّة يعبدون الله**».

وحديث: «**شرُّ المال في آخر الزمان: المماليك**».

---

(١) أورده ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ (٣١١٧)، وقال: فيه عنبسة بن سعيد القطان البصري، وهو ضعيف جدًّا. تحقيق د. عبد الرحمن الفريوائي، نشر دار السلف، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

(٢) رواه الطبراني (١٩١/١١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٢٠٥): رواه الطبراني، وفيه محمد بن زكريا الغلابي، وهو ضعيف جدًّا، وقد وثقه ابن حبان وقال: يعتبر بحديثه إذا روى عن ثقة.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

أحاديث المبالغات في فضائل الصحابة والأئمَّة والبلدان أو ذمها:

ومما وضعه جهلة المنتسبين إلى السُّنة في فضائل الصديق رضي الله عنه:

حديث: «**إنَّ الله يتجلَّى للنَّاس عامَّة يوم القيامة، ولأبي بكر خاصَّة**».

وحديث: «**ما صبَّ اللهُ في صدري شيئًا، إلَّا صببتُه في صدر أبي بكر**».

وحديث: «**كان إذا اشتاق إلى الجنَّة قبَّل شَيْبة أبي بكر**».

وحديث: «**أنا وأبو بكر كفَرَسَيْ رِهان**».

وحديث: «**إنَّ الله لما اختار الأرواح، اختار روح أبي بكر**».

وحديث عمر: كان رسول الله ﷺ وأبو بكر يتحدَّثان، وكنت كالزَّنجي بينهما.

وحديث: «**لو حدثتكم بفضائلِ عُمَرَ عُمْرَ نوحٍ في قومه، ما فنيت، وإن عُمَر حسنةٌ من حسنات أبي بكر**».

وحديث: «**ما سبقكم أبو بكرٍ بكثرة صوم ولا صلاة، وإنَّما سبقكم بشيءٍ وقر في صدره**». وهذا من كلام أبي بكر بن عيَّاش.

وأما ما وضعه الرافضة في فضائل عليٍّ، فأكثر من أن يعد. قال الحافظ أبو يعلى الخليلي في كتاب «الإرشاد»: وضعت الرافضة في فضائل عليٍّ رضي الله عنه وأهل البيت نحو ثلاثمائة ألف حديث.

ولا تستبعد هذا، فإنَّك لو تتبَّعت ما عندهم من ذلك لوجدتَ الأمر كما قال.

ومن ذلك: ما وضعه بعض جهلة أهل السُّنَّة في فضائل معاوية بن أبي سفيان. قال إسحاق بن راهويه: لا يصحَّ في فضل معاوية بن أبي سفيان عن النبيِّ ﷺ شيء.

QaradawiBooks.com

قلتُ (أي ابـــن القيِّـــم): ومراده ومـــراد من قال ذلـــك من أهل الحديث: إنَّـــه لم يصحَّ حديث في مناقبـــه بخصوصه، وإلا فما صحَّ عندهم فـــي مناقـــب الصحابـــة علـــى العمـــوم، ومناقـــب قريش، فمعاوية رضي الله عنه داخل فيه.

ومن ذلك: ما وضعه الكذَّابون في مناقب أبي حنيفة، والشافعي على التنصيص على اسميهما.

وما وضعه الكذَّابون أيضًا في ذمِّهما عن رســـول الله ﷺ. وما يُروى من ذلك كله كذبٌ مختلَق.

ومن ذلك: الأحاديث في ذمِّ معاوية، وكلُّ حديث في ذمِّه فهو كذب.

وكلُّ حديث في ذمِّ عمرو بن العاص، فهو كذب.

وكلُّ حديث في ذمِّ بني أُمَيَّة، فهو كذب.

وكلُّ حديثٍ في مدح المنصور والسفَّاح والرشيد، فهو كذب.

وكلُّ حديث في مدحِ بغـــداد أو ذمِّها، والبصـــرة، والكوفة، ومرو، وعسقلان، والإسكندرية، ونَصِيبِين، وأنطاكية: فهو كذب.

وكلُّ حديثٍ في تحريم ولد العباس على النَّار، فهو كذب.

وكذا كلُّ حديثٍ في ذكر الخلافة في ولد العباس، فهو كذب.

وكلُّ حديث في مدح أهل خراســـان الخارجين مع عبد الله بن عليٍّ ولد العباس، فهو كذب.

وكلُّ حديثٍ فيه أنَّ مدينة كذا وكذا من مدن الجنة، أو من مدن النار، فهو كذب.

QaradawiBooks.com

وحديث عدد الخلفاء من ولد العباس كذب.

وكذلك أحاديث ذمِّ الوليد، وذم مَرْوان بن الحَكَم.

وحديث ذمِّ أبي موسى (الأشعريِّ) من أقبح الكذب[1] اهـ.

وبهذا البيان الجامع تسقط المقولة الَّتي تزعم أنَّ علماء السُّنَّة لم يلقوا بالًا لمضمون الحديث، وإنَّما كان كلُّ بحثهم في سند الحديث ورجاله.

ومن كلمات ابن القيِّم في بعض كتبه عندما ضعَّف بعض الأحاديث: لو كان سند هذا الحديث مثل الشمس لوجب ردُّه، وما ذاك إلَّا من جهة المعنى المناقض للعقل أو النقل.

كلُّ ما نؤكِّده هنا أنَّ هذا الحقّ ـ حقُّ النقد للمتون والمضامين ـ لا يمنح لكلِّ مَن هبَّ ودَرَج من النَّاس. فما أكثر الأدعياء المتطاولين! وما أكثر الجرآء بغير حق والمتعالين بغير سلطان مبين!

وقد بلوناهم، فلم نجد عند أحسنهم إلَّا القليل من العلم، والكثير من الادَّعاء والانتفاش، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله. هدى الله الجميع.

(١) المنار المنيف صـ ٨٠ ـ ١١٧.

QaradawiBooks.com

الإمام رشيد رضا وحديث سحر النَّبيِّ ﷺ

س: أنا طالب علم يحبُّ أن يستزيد من المعرفة، ويعطي العلماء حقهم من التقدير والتوقير، وخصوصًا الَّذين كان لهم حظّ وافر في تنوير العقول، وإيقاظ الوعي الإسلامي، وتحريك الهمم والعزائم، للنهوض بالأمة الإسلامية، وإخراجها من حالة الجمود والموات، الَّتي ظلت عليها مدة طويلة في الأزمنة الأخيرة.

ومن هؤلاء العلامة السَّيد رشيد رضا، وقد كنَّا نعده من دعاة السَّلف، ومن المدافعين عن السُّنَّة، والمقاومين للبدع والضلالات، ولكن علمت أخيرًا أنه كذَّب حديثًا من أحاديث صحيح البخاري، وهو حديث سحر اليهود للنَّبيِّ ﷺ؛ تبعا لشيخه الشيخ محمَّد عبده، الَّذي وافق المعتزلة في إنكاره لهذا الحديث.

ومن قراءتي لكتبكم لمست أنَّكم من المعجبين بالشيخ رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ، فما تفسيركم لهذا الموقف منه؟ وقبل ذلك هل هذا هو موقفه من الحديث فعلا؟ وكيف يعتبر إماما في الدين من ينكر أحاديث الصحيحين أو أحدهما؟

أرجو بيان ذلك تفصيلًا، بارك الله في جهودكم وأيدكم بتوفيقه.

طالب علم

QaradawiBooks.com

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

شكر الله للأخ السَّائل حسن تأنيه وتثبته فيما يُنقل إليه، وحرصه على المعرفة، ورغبته في الاستزادة من العلم، فقد قال الله تعالى لرسوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

وشكر الله له كذلك تقديره وتوقيره للرجال الكبار، الَّذين قاموا بدور بارز في إحياء هذه الأمة، وتجديد دينها، وإيقاظ وعيها، فهذه فضيلة طيبة يجب أن يثبت عليها، ويعض عليها بالنواجذ، فإنِّي أرى كثيرين ـ للأسف ـ لا هم لهم إلَّا هدم القمم، وتشويه الأبطال والعظماء، في تراثنا وفي حاضرنا، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله.

وشكر الله له بعد ذلك حسن ظنه بي، وأرجو أن أكون أهلًا لذلك، وأن أقول كلمة إنصاف في شأن الشيخ رشيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وجزاه عن دينه وأمته خيرًا.

وأنا لا أنكر أنِّي من أشدِّ المعجبين بالشيخ رشيد، وأعتبره أحد مجدِّدي الإسلام، وواحدًا من أعلامه الراسخين في العلم، المستقلين في الفكر، المجتهدين في الدين، وقد كان لمجلته «المنار» وتفسيره، وكتبه، وفتاويه، أثر لا يجحد في تنبيه الأمة الإسلامية من غفلتها، وتحريرها من أغلال التقليد الَّتي وضعتها في أعناقها، والعمل على إعادتها إلى الينابيع الصافية من كتاب ربِّها، وسُنَّة نبيِّها، وهَدْي سلفها الصالح في خير القرون، وتنقية الدين ممَّا شابه وعلق به على مرِّ العصور، من البدع

QaradawiBooks.com

والزوائد والانحرافات، الَّتي كدَّرت صفاءه، ولوَّثت نقاءه، والدعوة إلى الإسلام، بوصفه عقيدة وشريعة وحضارة.

فهو في طليعة دعاة السَّـلفية، وأنصار السُّنة المحمَّدية، الَّذين أحيوا علوم السَّـلف ونوَّهوا بها، وناصروا المدرسة السَّـلفية بالعقل والنقل، وبالبيِّنات الَّتي تخاطب العقل المعاصر، وبالحجج الَّتي تدحض شبهات الخصوم، وافتراءات الأعداء، وتدعو إلى الإسـلام في شـمول وتكامل وتوازن، كما أنزله الله في كتابه، وبعث به رسوله ﷺ.

ولا يعني هذا أنَّ الشيخ رشيدًا مبرأ من كلِّ عيب، أو معصوم من كلِّ خطأ، فهذا ما لم يقُلْه عن نفسه، وما لا نقوله نحن عنه. وقد عاش عمره يحارب الَّذين يقدسـون شـيوخهم، إلى حد يـكاد يجعلهم معصومين لا يخطئون في قول أو فعل.

وأحبَّ أن أبادر فأقول للأخ السَّـائل الكريم: هب أنّ الإمام المجدد السَّيد محمَّد رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ، هفا هذه الهفوة الَّتي تذكرها، وهي إنكاره لحديث من أحاديث الصحيحين أو أحدهما، وانتقاده لسنده أو متنه، فهل يوجب هـذا أن نجحد فضله، ونعزلـه عن منصب الإمامـة في الدين، والاجتهاد فيه لزلة يزلها فكره وقلمـه، أو لعثرة تنزلق فيها قدمه؟! وأيُّ امرئٍ يسلم من العثرات؟ وأيُّ عالم تخلو صفحته من زلات؟

وقديمًا قيل: لكلِّ عالمٍ هفوة، ولكلِّ جواد كبوة، ولكلِّ سيف نبوة.

وقالوا: الكامل من عدت سقطاته، وأحصيت زلاته.

وقال الشاعر العربي:

ومَن ذَا الَّذي تُرضى سَجايَاه كلُّها كفَى المرءَ نُبـلًا أن تُعدَّ معايبُه[1]

(١) هو يزيد بن خالد المهلبي، انظر: خزانة الأدب وغاية الأرب للحموي (٤٥٦/١).

QaradawiBooks.com

الأمر المهم في ذلك ألا يكــون رده للحديث المروي في الصحيح لهوى متبع، ســواء كان هوى النفس أم هوى الغير، ممَّن حذَّر الله منهم في مثل قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثيــة: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

وكم رأينا من الأئمَّة المتبوعين والمقبوليــن في الأمة من رد حديثًا ثابتًا عند غيره، ولم يثبت عنده؛ لعلة رآها. وربما رُوي هذا الحديث بعد في أحد الصحيحين، أو في كليهما. ولم ينقص هذا من قدر هؤلاء، ولم يخدش من إمامتهم شيئًا.

وقد رأينا أم المؤمنين عائشــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تردُّ بعض الأحاديث الَّتي تسمعها من بعــض الصحابة، حين رأتهــا تخالف القرآن في رأيهــا، أو تخالف ما سمعته هي من النَّبيِّ ﷺ، ولم يزدها هذا إلَّا فضلًا ورفعة عند الأمة.

ثم إنَّه لا يجوز أن يقال فيمن رد حديثًــا أو حديثين من البخاري أو مسلم أو كليهما: إنَّه رد أحاديث الصحيحين أو كذَّبهما، فهذا تصوير غير صحيح للقضية، واتهام في غير موضعه.

هذا كله من ناحية المبدأ أو الشــكل، أمَّا مــن ناحية الموضوع، فإنَّ الشيخ رشــيدًا لم يكذب الحديث المروي في السِّــحر ولم ينكره، تبعًا لشــيخه الإمام محمَّد عبده، فقد كان السّيد رشــيد رغم إعجابه بعبقرية شــيخه، وإيمانه بقــوة دينه وحبه لله ولرســوله؛ مســتقلًا فــي تفكيره واجتهاداته، وقد اســتفاد من عقلانية شيخه، وثورة فكره، ولكنَّه ضبطها بتبحُّره في السُّنة وتراث السَّلف.

والناظر في شخصيات المدرسة التجديديَّة الإحيائيَّة الإسلاميَّة، الَّتي

QaradawiBooks.com

بدأت بجمال الدين الأفغاني، يجد أنَّ أوَّلها وهو السَّيد جمال الدين كان أكثرها انطلاقًا، وأقلّها انضباطًا بقيود الشـرع، وضوابط الكتاب والسُّنَّة، فقـد كان أقلهم حظًّا من التبحُّـر في علوم الشَّـريعة ومصادرها، ونجد تلميذه وصديقه الأستاذ الإمام محمَّد عبده أقرب إلى الالتزام والانضباط منه؛ لأنَّه أكثر علمًا بالشـرع، وأكثـر تبحرًا في معارفـه بحكم تكوينه الأزهري الأصيل، ونجد تلميذه الأسـتاذ الإمام رشيد رضا أكثر التزامًا، وانضباطًا من شيخه، وشيخ شيخه من باب أولى.

فقد أتيح لـه أن يطلع على آثار المدرسـة السَّـلفية التجديدية الكبرى المتمثلة في شـيخ الإسـلام ابن تيمية وتلاميذه، ومن خلالهـا اطلع على التراث السَّلفي الضخم، واستطاع أن ينهل منه، وينتفع به في دعوته للإصلاح والتجديد. فالسـيد جمال الدين أقرب إلى عقليَّة «الفلاسفة»، أعني: فلاسفة المدرسة المشائية الإسلامية من أمثال الكندي والفارابي وابن سينا، وغيرهم.

والإمام محمَّد عبده أقرب إلى عقليَّة المتكلِّمين من أمثال الباقلاني وإمام الحرمين والغزالي وغيرهم.

والسـيد رشـيد أقرب إلى عقليَّة «فقهاء المحدثيـن» الجامعين بين المعقول والمنقول، أمثال الإمام محمَّد بن إدريس الشـافعي وابن دقيق العيد، وابن تيمية وابن القيِّم وابن الوزير وأمثالهم.

وقول السّـائل: إنَّ الشـيخ محمَّد عبده أنكر حديث السِّـحر، تبعًا للمعتزلة في ذلك، غير مسلَّم على إطلاقه.

فليس المعتزلة وحدهم هم الَّذين أنكروا حديث السِّـحر، فقد أنكره بعض أهل السّـنة أيضًا، مثل الإمام أبي بكر الـرازي الحنفي المعروف بالجصاص، صاحب كتاب: «أحكام القرآن» وبعض المتكلمين.

QaradawiBooks.com

ولكن جمهور علماء أهل السُّـنَّة أثبتوا الحديـث، لروايته من طرق صحيحـة، وكان لهم فـي توجيهه تأويلات شـتَّى، كلهـا تؤكد عصمة النَّبيِّ ﷺ وتنفي عنه ما لا يليق به، كما حفلت بذلك كتب الشروح.

ولم يخرج صاحب المنار السّيد رشـيد عن خطهم في الجملة، بل أثبت الحديث، وأوله التأويل اللائق بمنصب النبوة، ومقتضى العصمة.

نصُّ الحديث وكلام الشـراح عليه:

ويحسن بنا أن نسوق نصَّ الحديث كما رواه البخاري، ونسوق رأي بعض الشـراح فيه، ثم نختم برأي الشيخ رشـيد الَّذي خطه بقلمه في تفسير سورة «الفلق» ورده فيه على من اتهمه بتكذيب البخاري.

قال الإمام محمَّد بن إسـماعيل البخاري: حدَّثنا إبراهيم بن موسـى، أخبرنا عيسى بن يونس، عن هشـام، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سَحر رسـولَ الله ﷺ رجلٌ من بني زُرَيـق، يقال له لَبِيد بـن الأعصم، حتَّى كان رسول الله ﷺ يُخيَّل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله حتَّى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي، لكنَّه دعا ودعا ثم قال: «**يا عائشة، أشعرتِ أنَّ الله أفتاني فيما اسفتيتُه فيه**[1]**؟ أتاني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه: ما وجعُ الرجل؟ فقال: مطبوب**[2]**. قال: من طبَّه؟ قال: لَبِيد بن الأعصم. قال: في أي شيء؟ قال: في مُشْط**[3] **ومُشاطة**[4]**،**

(١) أي: أجابني فيما دعوته فيه.

(٢) مطبوب: أي مسحور، يقال: طُب بضم الطاء إذا سُحر، كنُّوا عن الطب تفاؤلًا.

(٣) المشط: معروف، وهو ما يسرح به شعر الرأس أو اللحية.

(٤) المُشاطة: ما يخرج من الشعر الذي يسقط من الرأس إذا سرح بالمشط، وكذا اللحية. كما قال ابن قتيبة في غريب الحديـث (٤١٨/١)، تحقيق د. عبد الله الجبوري، نشـر مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٩٧هـ.

QaradawiBooks.com

وجُفِّ طَلْـعِ نَخْلَةٍ ذَكَـرٍ[١]. **قال: وأين هو؟ قـال: في بئـر ذَرْوان**». فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه. فجاء فقال: «**يا عائشةُ، كأنَّ ماءَها نُقاعة الحناء**[٢]**، وكأنَّ رؤوس نخلها رؤوس الشياطين**»[٣]. قلت: يا رسول الله، أفلا استخرجته؟ قال: «**قد عافاني اللهُ، فكرهتُ أن أثير على النَّاس فيه شرًّا**». فأمر بها فدفنتُ[٤].

قال الحافظ ابن حجر في شـرح الحديث في «الفتـح»: قوله «باب السَّحر». قال الراغب وغيره: السّحر يطلق على معان:

أحدهـا: ما لطف ودقَّ، ومنه سـحرت الصبيَّ خادعته واستملته، وكل من استمال شيئًا فقد سحر، ومنه قول الأطباء: الطبيعة ساحرة، ومنه قوله تعالى: ﴿**بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ**﴾ [الحجر: ١٥]، أي مصروفون عن المعرفة، ومنه حديث: «**إن من البيان لسـحرًا**»[٥]، وسـيأتي قريبا في باب مفرد.

الثاني: ما يقع بخداع وتخييلات لا حقيقة لها، نحو ما يفعله المشعوذ من صرف الأبصار عمَّـا يتعاطاه بخفة يده، وإلى ذلك الإشـارة بقوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦].

وقوله تعالى: ﴿**قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ**﴾ [الأعراف: ١١٦]. ومن هنا سمَّوا موسى ساحرًا، وقد يسـتعين في ذلك بما يكون فيه خاصية بالحجر الَّذي يجـذب الحـديد المسمى المغناطيس.

---

(١) وهو الغشاء الذي يكون على الطلع.

(٢) أي أن لون مائها أحمر، كالماء الذي ينقع فيه الحناء.

(٣) تشبيه يراد منه التقبيح؛ لأن كل ما ينسب إلى الشيطان مستقبح شرعًا وعرفًا.

(٤) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٦٣)، ومسلم في السلام (٢١٨٩).

(٥) رواه البخاري في الطب (٥٧٦٧)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

الثالث: ما يحصل بمعاونة الشياطين بضرب من التقرب إليهم، وإلى ذلك الإشارة قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الرابع: ما يحصل بمخاطبة الكواكب واستنزال روحانيَّاتها بزعمهم.

قال ابن حزم: ومنه ما يوجد من الطلسمات، كالطابع المنقوش فيه صورة عقرب في وقت كون القمر في العقرب، فينفع إمساكه من لدغة العقرب، وكالمشاهد ببعض بلاد الغرب وهي سرقسطة فإنَّها لا يدخلها ثعبان قط إلَّا إن كان بغير إرادته، وقد يجمع بعضهم بين الأمرين الأخيرين، كالاستعانة بالشياطين، ومخاطبة الكواكب فيكون ذلك أقوى بزعمهم[1].

قال أبو بكر الرازي في «الأحكام» له: كان أهل بابل قوما صابئين، يعبدون الكواكب السَّبعة ويسمُّونها آلهة، ويعتقدون أنَّها الفعَّالة لكلّ ما في العالم، وعملوا أوثانًا على أسمائها، ولكلٍّ واحدٍ هيكلٌ فيه صنمه، يتقرب إليه بما يوافقه بزعمهم من أدعية وبخور، وهم الَّذين بُعث إليهم إبراهيم عليه السلام، وكانت علومهم أحكام النجوم، ومع ذلك فكان السّحرة منهم يستعملون سائر وجوه السّحر وينسبونها إلى فعل الكواكب، لئلَّا يبحث عنها وينكشف تمويههم.

ثم السِّحر يُطلق ويُراد به الآلة الَّتي يسحر بها، ويُطلق ويُراد به فعل السَّاحر، والآلة تارة تكون معنى من المعاني فقط كالرُّقى والنفْث في العُقَد، وتارة تكون بالمحسوسات كتصوير الصُّور على صورة المسحور، وتارة بجمع الأمرين الحسِّي والمعنويِّ وهو أبلغ.

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/٥).

QaradawiBooks.com

واختلف في السِّحر فقيل: هو تخييل فقط ولا حقيقة له، وهذا اختيار أبي جعفر الإِسْتَرْاباذِي من الشافعية، وأبي بكر الرازي من الحنفيَّة، وابن حزم الظاهري وطائفة.

قال النووي: والصحيح أنَّ له حقيقة، وبه قطع الجمهور، وعليه عامَّة العلماء، ويدل عليه الكتاب والسُّـنَّة الصحيحة المشهورة[١]. لكنَّ مَحَلَّ النزاع هل يقع بالسِّحر انقلاب عليه أو لا؟ فمن قال: إنَّه تخييل فقط منع ذلك، ومن قال: إنَّ له حقيقـة، اختلفوا: هل له تأثيـر فقط بحيث يُغيِّر المِزَاج فيكـون نوعًا من الأمراض، أو ينتهي إلـى الإحالة بحيث يصير الجماد حيوانًا مثلًا وعكسه؟

فالذي عليه الجمهور هو الأوَّل، وذهبت طائفة قليلة إلى الثاني. فإن كان بالنظر إلى القدرة الإلهية فمسـلم، وإن كان بالنظر إلى الواقع فهو محل خلاف، فإنَّ كثيرًا ممَّن يدَّعي ذلك لا يستطيع إقامة البرهان عليه.

وقال الخطَّابي: إنَّ قومًا أنكروا السِّحر مطلقًا[٢]. وكأنَّه عنى القائلين بأنَّه تخـييل فقـط، وإلَّا فهي مكابرة.

وقال المازِري[٣]: جمهور العلماء على إثبات السِّحر، وأنَّ له حقيقة، ونفـى بعضهم حقيقته، وأضـاف ما يقع منه إلى خيـالات باطلة، وهو مردودٌ لورود النقل بإثبات السِّحر، ولأنَّ العقل لا ينكر أنَّ الله قد يخرق العادة عند نطق السَّاحر بكلام ملفَّق، أو تركيب أجسام، أو مزْجٍ بين قوى

(١) روضة الطالبين وعمدة المفتين للنووي (٣٤٦/٩)، نشـر المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

(٢) أعلام الحديث للخطابي (١٥٠٠/٢)، نشر جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

(٣) انظر: المُعْلم بفوائد مسلم للمازري (١٥٨/٣)، نشر الدار التونسية، عام ١٩٩١م.

QaradawiBooks.com

على ترتيب مخصوص، ونظير ذلك ما يقع من حذَّاق الأطباء من مزْج بعض العقاقير ببعض حتَّى الضّار منها بمفرده، فيصير بالتركيب نافعًا.

وقيل: لا يزيد تأثير السِّحر على ما ذكر الله تعالى في قوله: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢]. لكون المقام مقام تهويل، فلو جاز أن يقع به أكثر من ذلك لذكره.

وقال المازِري: والصحيحُ من جهة العقل أنَّه يجوز أن يقع به أكثر من ذلك، قال: والآية ليست نصًّا في منع الزيادة، ولو قلنا: إنَّها ظاهرة في ذلك. ثم قال: والفرق بين السِّحر والمعجزة والكرامة: أن السِّحر يكون بمعاناة أقوال وأفعال حتَّى يتمُّ للساحر ما يريد، والكرامة لا تحتاج إلى ذلك، بل إنَّما تقع غالبًا اتفاقًا، وأمَّا المعجزة فتمتاز عن الكرامة بالتحدِّي.

ونقل النَّوَوي في زيادات الرَّوضة عن المتولي نحو ذلك، وينبغي أن يعتبر بحال من يقع الخارق منه، فإن كان متمسِّكًا بالشَّريعة، متجنِّبًا للموبقات، فالَّذي يظهر على يده من الخوارق كرامة، وإلا فهو سحر؛ لأنَّه ينشأ عن أحد أنواعه كإعانة الشياطين.

وقال القرطبي: السِّحر حِيَل صناعية يُتوصَّل إليها بالاكتساب، غير أنَّها لدقَّتها لا يَتوصَّل إليها إلَّا آحاد النَّاس، ومادَّته الوقوف على خواصّ الأشياء والعلم بوجوه تركيبها وأوقاته، وأكثرها تخييلاتٌ بغير حقيقة، وإيهاماتٌ بغير ثبوت، فيعظم عند من لا يعرف ذلك كما قال الله تعالى عن سحرة فرعون: ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦].

مع أنَّ حبالهم وعصيَّهم لم تخرج عن كونها حبالًا وعصيًّا. ثم قال: والحقُّ أنَّ لبعض أصناف السِّحر تأثيرًا في القلوب، كالحبِّ والبغض،

QaradawiBooks.com

وإلقاء الخير والشـــرِّ، وفي الأبدان بالألم والســـقم، وإنَّمـــا المنكور أنَّ الجماد ينقلب حيوانًا أو عكسه بسِحْر السَّاحر ونحو ذلك.

قوله: «ســـحر النَّبـــيَّ ﷺ رجلٌ مـــن بني زُرَيـــق، يقال لـــه: لَبِيد بن الأعصم»، ووقـــع في رواية عبـــد الله بن نمير عن هشـــام بن عروة عند مسلم: سُـــحِرَ النَّبيُّ ﷺ يهودي من يهود بني زُريق. ووقع في رواية ابن عُيَيْنة: رجلٌ من يهود بني زُرَيْق حليف اليهود وكان منافقًا. ويُجمع بينهما بأنَّ من أطلق أنَّه يهـــودي نظر إلى ما في نفس الأمـــر، ومن أطلق عليه منافقًا نظر إلى ظاهر أمره.

وقال ابن الجوزي: هذا يدلُّ على أنه كان أسلم نفاقًا وهو واضح[1]، وقد حكى عياض في «الشفاء» أنه كان أسلم.

ويحتمل أن يكون قيل له: يهودي، لكونـــه كان من حلفائهم، لا أنَّه كان على دينهم. وبنو زُرَيق بطن من الأنصار مشهور من الخزرج، وكان بين كثير من الأنصـــار وبين كثير من اليهود قبل الإســـلام حلفٌ وإخاء ووُدٌّ، فلما جاء الإسلام ودخل الأنصار فيه تبرؤوا منهم.

قوله: «حتى كان رســـول الله ﷺ يُخيَّل إليه أنه كان يفعل الشـــيء وما فعله». قال المازِري: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث، وزعموا أنَّه يحطُّ منصب النبوَّة ويشـــكِّك فيها، قالوا: وكل ما أدَّى إلـــى ذلك فهو باطل، وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع؛ إذ يحتمل على هذا أن يخيَّل إليه أنَّه يرى جبريل وليس هو ثَمَّ، وأنَّه يُوحَى إليه بشـــيء ولم يُوحَ إليه بشيء. وقال المازري: وهذا كله مردود؛ لأنَّ الدليل قد قام

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (٣٤٠/٤)، تحقيق علي حسين البواب، نشر دار الوطن، الرياض.

QaradawiBooks.com

على صدق النَّبيِّ ﷺ، فيما يُبلِّغه عن الله تعالى، وعلى عصمته في التبليغ، والمعجزات شاهدات بتصديقه، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل. وأمَّا ما يتعلق ببعض أمور الدُّنْيا الَّتي لم يبعث لأجلها، ولا كانت الرسالة من أجلها، فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمراض، فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدُّنْيا ما لا حقيقة له، مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين، قال: وقد قال بعض الناس: إنَّ المراد بالحديث أنَّه كان ﷺ يخيل إليه أنَّه وطئ زوجاته ولم يكن وطأهنَّ. وهذا كثير ما يقع تخيُّله للإنسان في المنام، فلا يبعد أن يُخيَّل إليه في اليقظة.

قلتُ (القائل ابن حجر): وهذا قد ورد صريحًا في رواية ابن عُيَيْنة في الباب الَّذي يلي هذا، ولفظه:

«حتى كان يرى أنه يأتي النساءَ ولا يأتيهن»[١]. وفي رواية الحُمَيدي «أنه يأتي أهله ولا يأتيهم»[٢].

قال الدَّاوُدي: «يُرى» بضم أوله أي يظنُّ، وقال ابن التين: ضُبِطَت «يَرَى» بفتح أوله.

قلتُ (ابن حجر): وهو من الرأي لا من الرؤية، فيرجع إلى معنى الظن.

وفي مرسل يحيى بن يعمُر عند عبد الرزَّاق: «سُحِرَ النَّبيُّ ﷺ عن عائشة، حتَّى أنكر بصره»[٣]، وعنده في مرسل سعيد بن المسيّب «حتى كاد ينكر بصره»[٤].

(١) رواه البخاري في الطب (٥٧٦٥).
(٢) رواه الحميدي في مسنده (٢٦١).
(٣) ذكره عبد الرزاق في جامع معمر (١٩٧٦٣)، من قول عبد الرزاق.
(٤) رواه عبد الرزاق في جامع معمر (١٩٧٦٤).

QaradawiBooks.com

قال عِيَاض: فظهر بهذا أن السِّحر إنَّما تسلَّط على جسده، وظواهر جوارحه لا على تمييزه ومعتقده[١].

قلتُ (ابن حجر): ووقع في مرسل عبد الرحمن بن كعب عند ابن سعد: «فقالت أختُ لَبِيد بن الأعصم: إن يكن نبيًّا فسيُخْبَر، وإلا فسيذهله هذا السِّحر حتَّى يذهب عقله»[٢]. قلتُ: فوقع الشقُّ الأول كما في هذا الحديث الصحيح.

وقد قال بعض العلماء: لا يلزم من أنَّه كان يظنَّ أنَّه فعلَ الشيء ولم يكن فعله أن يجزم بفعله ذلك، وإنَّما يكون ذلك من جنس الخاطر، يخطر ولا يثبت، فلا يبقى على هذا للملحد حجَّة.

وقال عِيَاض: يحتمل أن يكون المراد بالتخييل المذكور أنه يظهر له من نشاطه ما ألفه من سباق عادته من الاقتدار على الوطء، فإذا دنا من المرأة فتر عن ذلك، كما هو شأن «المعقود»[٣].

ويكون قوله في الرواية الأخرى: «حتى كاد ينكر بصرَه» أي صار كالذي أنكر بصره، بحيث إنَّه إذا رأى الشيء يُخيَّل أنَّه على غير صفته، فإذا تأمَّله عرف حقيقته. ويؤيِّد جميع ما تقدَّم أنَّه لم ينقل عنه في خبر من الأخبار: أنه قال قولا فكان بخلاف ما أخبر به.

وقال المهلَّب: صون النَّبيِّ ﷺ من الشياطين لا يمنع إرادتهم كيده، فقد مضى في الصحيح أنَّ شيطانًا أراد أن يفسد عليه صلاتَه، فأمكنه الله

(١) إكمال المُعْلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٨٨/٧)، تحقيق د. يحيى إسماعيل، نشر دار الوفاء، مصر، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

(٢) الطبقات الكبرى (١٩٨/٢).

(٣) المعقود: ويُسمَّى عرفًا المربوط، وهو من حبسه السحر عن القدرة على الاتصال بزوجته.

QaradawiBooks.com

منه، فكذلك السِّـحر، ما ناله من ضرره ما يدخل نقصًـا على ما يتعلَّق بالتبليـغ، بل هو من جنس مـا كان يناله من ضرر سـائر الأمراض من ضعف عن الكلام، أو عجز عن بعض الفعل، أو حدوث تخيُّل لا يستمرُّ، بل يزول ويبطل الله كيد الشياطين.

واسـتدلَّ ابن القصَّار على أنَّ الَّذي أصابـه كان من جنس المرض بقوله في آخر الحديث: «**أمَّا أنا فقد شـفاني الله**». وفي الاستدلال بذلك نظر، لكن يؤيِّد المدَّعي أنَّ في رواية عمرة عن عائشـة عند البيـهقي في الدلائل: «فكان يدور ولا يدري ما وجـعـه»[١]، وفي حديث ابن عبَّاس عند ابن سـعد: «مرض النَّبيُّ ﷺ، وأُخذ عن النسـاء والطـعام والشـراب، فهـبط عليه مَلَكان» الحديث[٢].

قوله: «وهو عندي لكنَّه دعا ودعا» كذا وقع، وفي الرواية الماضية في بدء الخـلـق «حتـى كان ذات يوم دعا ودعـا»، وكذا علَّقـه المصنِّف لعيسـى بن يونس في الدعوات، ومثله في رواية الليث. قال الكرماني: يحتمل أن يكون هذا الاسـتدراك من قولها «عندي» أي لم يكن مشتغلًا بي، بل اشـتغل بالدعاء، ويحتمل أن يكون من التخيُّل، أي كان السِّحر أضرَّه في بدنـه لا في عقله وفهمه؛ بحيث إنَّه توجـه إلى الله ودعا على الوضع الصحيح والقانون المستقيم.

ووقع في رواية ابن نُمَير عند مسـلم: «فدعا، ثم دعـا، ثم دعا»[٣]. وهذا هو المعهود منه أنه كان يُكرِّر الدعاء ثلاثًا. وفي رواية وُهَيْب عند أحمد وابن سعد: فرأيته يدعو.

---

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٩٢/٧)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

(٢) الطبقات الكبرى (١٩٨/٢).

(٣) رواه مسلم في السلام (٢١٨٩).

QaradawiBooks.com

قال النووي: فيه استحباب الدعاء عند حصول الأمور المكروهات وتكريره والالتجاء إلى الله تعالى في دفع ذلك[١].

قلتُ (ابن حجر): سلك النَّبيُّ ﷺ في هذه القصة مسلكي التفويض وتعاطي الأسباب، ففي أوَّل الأمر فوَّض وسلم لأمر ربه، فاحتسب الأجر في صبره على بلائه، ثم لما تمادى ذلك وخشي من تماديه أن يضعفه عن فنون عبادته، جنح إلى التداوي، ثم إلى الدعاء، وكل من المقامين غاية في الكمال.

قوله: «قلتُ: يا رسول الله أفلا استخرجته؟». في رواية أبي أسامة: «فقال: «**لا**». ووقع في رواية ابن عُيَيْنة أنَّه استخرجه، وأنَّ سؤال عائشة إنَّما وقع عن النشرة فأجابها بـ «**لا**». وسيأتي بسط القول فيه بعد باب.

قوله: «**فكرهت أن أثير على النَّاس فيه شرًّا**» في رواية الكُشْمَيْهني: «سوءًا»، ووقع في رواية أبي أسامة «**أن أُثَوِّر**» بفتح المثلثة وتشديد الواو وهما بمعنى، والمراد بالنَّاس التعميم في الموجودين.

قال النووي: خشي من إخراجه وإشاعته ضررا على المسلمين من تذكر السّحر وتعلمه ونحو ذلك، وهو من باب ترك المصلحة خوف المفسدة[٢].

ووقع في رواية ابن نمير «**على أُمَّتي**» وهو قابل أيضًا للتعميم؛ لأنَّ الأمَّة تطلق على أمة الإجابة وأمة الدعوة وعلى ما هو أعم، وهو يرد على من زعم أنَّ المراد بالنَّاس هنا لبيد بن الأعصم؛ لأنَّه كان منافقا فأراد ﷺ ألَّا يثير عليه شرًّا؛ لأنَّه كان يؤثر الإغضاء عمَّن يظهر الإسلام، ولو صدر

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١٧٦/١٤)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ.

(٢) المصدر السابق (١٧٨/١٤).

QaradawiBooks.com

منه ما صدر، وقد وقع أيضًا في رواية ابـــن عُيَيْنة، وكرهت أن أثير على أحد من النَّاس شرًّا.

نعم، وقع في حديث عمرة عن عائشـة، فقـيل: يا رسول الله لو قتلته. قال: «**ما وراءه من عذاب الله أشـد**»، وفي رواية عمرة: فأخـذه النَّبيُّ ﷺ، فاعترف، فعـفا عنه. وفي حديث زيد بن أرقـم: فما ذكـر رسـول الله ﷺ لذلك اليهودي شيـئا ممَّا صـنع به، ولا رآه في وجهه[١].

وفي مرســل عمر بن الحكم: فقال له: «**ما حملك على هذا؟**». قال: حبُّ الدنانير[٢].

وقد تقدَّم في كتاب الجزية قول ابن شهاب: إنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يقتله[٣].

وأخرج ابن سعد من مرســل عكرمة أيضًا أنه لم يقـتله، ونقل عن الواقـــدي أن ذلك أصـح من روايــة من قال إنَّه قـتلــه، ومن ثم حكى عـياض في «الشـفاء» قولـين: هل قتل، أم لم يقتل؟

وقال القرطبي: لا حجَّة على مالك (أي في قوله بقتل السَّـــاحر) من هذه القصة؛ لأنَّ ترك قتل لَبِيد بن الأعصم كان لخشية أن يثير بسبب قتله فتنة، أو لئلَّا ينفر النَّاس من الدخول في الإسلام، وهو من جنس ما رعاه النَّبيُّ ﷺ من منع قتل المنافقين؛ حيث قال: «**لا يتحدَّث النَّاس أن محمدًا يقتل أصحابه**»[٤]. انتهى.

---

(١) رواه أحمد (١٩٢٦٧)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح بغير هذه السياقة. والنسائي في تحريم الدم (٤٠٨٠).

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١٩٧/٢).

(٣) علقه البخاري قبل حديث رقم (٣١٧٥) فقال: وقال ابن وهب أخبرني يونس، عن ابن شهاب...

(٤) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٩٠٥)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٤)، عن جابر بن عبد الله. انظر: فتح الباري لابن حجر (٢٢٢/١٠ ـ ٢٣١).

QaradawiBooks.com

هذا بعض ما ذكره الشراح حول حديث سحر اليهود للنَّبيِّ ﷺ وهو يبين مدى ما أثاره الحديث من استشكالات، ومدى اهتمام العلماء بمواجهتها ببينات النقل والعقل.

فلا عجب أن يكون هذا الحديث مثار اهتمام لدى العقل الحديث، وخصوصًا بعد التقائه بعقول الآخرين، وتعرفه على أفكارهم.

كلام العلامة الشيخ رشيد رضا:

ومن هنا تكلم فيه العلَّامة رشيد رضا، لا كلام النافي له أو المكذِّب، بل كلام من يصدِّق به ويؤوِّله أحسن تأويل، يُقنع أهلَ العقل والنظر، ولا يردُّه أهلُ النقل والأثر.

وإليك ما ذكره في نهاية تفسير سورة الفلق، من قصار السّور تحت عنوان: علاوة لتفسير السّورة في حديث سحر منافق من أشرار اليهود للنَّبيِّ ﷺ.

وبعد أن ذكر رواية الشيخين للحديث من طريق عائشة رضي الله عنها وهي الَّتي أوردناها من قبل أشار إلى الرواية الأخرى، حيث قال: وفي رواية الشيخين: كان ﷺ سُحر حتَّى كان يرى أنَّه يأتي النساء ولا يأتيهن بنحوه، وفيه: سحره رجل من بني زُرَيق حليف اليهود كان منافقًا[1]، وعن زيد بن أرقم: سَحَر النبيَّ ﷺ رجلٌ من اليهود فاشتكى لذلك أياما، فأتاه جبريل، فقال: إنَّ رجلًا من اليهود سحرك، عَقَدَ لك عُقَدًا في بئر كذا وكذا. فأرسل ﷺ فاستخرجها فحلَّها، فقام كأنَّما أُنْشِط من عقال، فما ذكر ذلك لذلك اليهودي، ولا رآه في وجهه قطُّ. رواه

(١) بنو زريق: بطن من الخزرج، فهو على هذه الرواية يهودي بالحلف لا بالنسب.

QaradawiBooks.com

النَّسائي[1]. والأيام جمع قلَّة، ولكنْ بالغ بعض الرواة في غير الصحيحين فجعلوها أشهرًا.

قال السَّيد رشيد: فهذا الحديث صريح في أنَّ المراد من السِّحر فيه خاصٌّ بمسألة مباشرة النساء، ولكنْ فَهِمَ أكثر العلماء أنه ﷺ سُحر سحرًا أثَّر في عقله، كما أثَّر في جسده. فأنكره بعضهم، وبالغوا في إنكاره، وعدوه مطعنا في النبوة، ومنافيا للعصمة؛ لقول عائشة: حتَّى إنَّه كان يُخيل إليه أنه فعل الشيء، ولم يكن فعله. فعظمت هذه الرواية على علماء المعقول، وعدوها مخالفة للقطعي في النقل، وهو ما حكاه الله تعالى عن المشركين من طعنهم فيه، كعادة أمثالهم في رسلهم بقولهم: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾، وتفنيده تعالى لهم بقوله: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٨، ٩]. ومخالفة للقطعي في العقل من عصمة النَّبيّ ﷺ من كلّ ما ينافي النبوة والثقة بها؛ إذ يدخل في ذلك التخييل ما هو من التشريع، ومخالفة لعلم النفس الَّذي يعلم منه: أنّ الأنفس السَّافلة الخبيثة لا تؤثر في الأنفس العالية الطاهرة، فأنكر صحَّة الرواية بعض العلماء، وأقدم من عرفنا ذلك عنهم من المفسرين الفقهاء: أبو بكر الجصاص في كتابه «أحكام القرآن» وآخرهم: شيخنا الأستاذ الإمام في تفسير «جزء عم».

وقد أطال شيخنا في هذا وبالغ فيه. وبنى إنكاره له على القاعدة المتفق عليها عند علماء العقائد وأصول الفقه، في معارضة الظَّنِّي للقطعي؛ إذ الحديث آحادي، وهو يفيد الظنَّ، فيُرَدُّ بالقطعي عقلًا ونقلًا، وهو ما ذكرناه آنفًا، وقد اتَّفقوا على أن أحاديث الآحاد لا يحتج بها في

(١) سبق تخريجه صـ٥٧٠.

QaradawiBooks.com

أصول العقائد. وقال: إنَّ كونه يفيد الظنَّ خاصٌ بمن صحَّ عنده، وإنَّ له أنْ يتأوَّلـه أو يفوِّض الأمر فيـه. على قاعدتهم الأخـرى في النُّصوص المعارضة للعقل. ولعَمْري إنِّ ما نعرفه عن شيخنا محمَّد عبده قدَّس الله روحه، من إجلاله وإكباره لشأن محمَّد رسول الله وخاتم النبيِّين في نفسه الزكيَّة، وروحه القدسـية، وعلو مداركه العقليَّة، ممَّا لم نعرف مثله عن أحد من العلمـاء العقليين، كفلاسـفة المسـلمين ومتكلِّميهم، ولا من العلماء الروحيين، كالصُّوفيَّة، ولا من علمـاء النقل، كجامعي الروايات الكثيرة في معجزاته ﷺ. وحسـبك منها تلك الأثارة البليغة في رسـالة التوحـيد، بل كان يقـول: إن روحه ﷺ كانت منطـوية على جملة هـداية الدين، ومدارك التشريع، الَّتي فصلت في كـتاب الله تعالى وسنته تفصيلًا تامًّا، كما نقـلناه عنه في تاريخه.

وأجاب عن الرواية المحدثون المصححـون لها علمًا والمقلدون لهم بأنَّ غاية ما تدلُّ عليه: أن ذلك السِّحر إنَّما أثر في بدنه دون روحه وعقله، فكان تأثيـره من الأعـراض الجسـدية، كالأمـراض الَّتي لـم يعصم الأنبياء عليهم السلام منها.

وقد محصت هذه المسـألة مرارًا، آخرها في الرد على مجلة الأزهر (نور الإسلام) في زعمها المفترى أنَّني كذَّبت حديث البخاري في سحر النَّبيِّ ﷺ، فبيَّنت: أن الحديث الصحيح في المسألة عن عائشة رضي الله عنها تُوهِم عبارة بعض رواياته ما هو أعمُّ من المعنى الخاصِّ الَّذي أرادته منه، وهو مباشـرة الزوجية بينه ﷺ وبينها، فقولها: كان يُخيَّل إليه أنَّه يفعل الشيء وهو لم يفعله كنايـة عن هذا الشـيء الخاص، لا عامّ في كلِّ شـيء، فلا يدخل فيه شيء من أمور التشريع، ولا غير غشيان الزوجية من الأمور العقليَّة، أو الأمراض البدنيـة، فضلًا عمَّا كان يريده الَّذين يرمون الأنبياء

QaradawiBooks.com

بسحر الجنون؛ لأنَّ أمورهم فوق المعقول عند أولئك الكافرين، فالمسألة محصورة فيما يسمُّونه حتَّى الآن «الربط» أو «العَقْد» أي عقد الرجل المانع من مباشرة زوجته فقط.

وبينت أيضًا: أنَّ الرواية في أصح أسانيدها عند الشيخين عن هشام عن أبيه عن عائشة فيها علَّة من علل الحديث الخفية الَّتي يشترط في صحَّة الحديث السّلامة منها، وهي أن بعض منكري الحديث أعلوه بهشام هذا، وألف بعضهم كتابا خاصا فيه، محتجا بقول بعض علماء الجرح والتعديل: إنَّه كان في العراق يرسل عن أبيه عروة بن الزبير ما سمعه من غيره، وعروة هو راوية عائشة الثقة، وهي خالته. وقال ابن خراش: كان مالك لا يرضاه، يعني هشامًا، وقد نقم منه حديثه لأهل العراق، وقال ابن القطَّان: تغير قبل موته. ولا شكّ أن تعديل الجماعة له ومنهم الشيخان خاص بما رواه قبل تغيره، فهذا عذر من طعن في روايته لهذا الحديث الَّذي أنكروا متنه بما علمت، والأمر فيه أهون ممَّا قالوا[1]. فالتحقيق أنَّه خاصٌّ بمسألة الزوجية، كما جاء التصريح به في الرواية الثانية كما تقدم، ولا يعتد بغير هذا.

أمَّا ما رواه البيهقي في دلائل النبوة، عن ابن عبَّاس في مرضه ﷺ، وأنَّه كان شديدا، وأنَّه كان سحرا في بئر تحت صخرة في رَكِيَّة[2]، وأنهم أخرجوها فأحرقوها، فإذا فيها وَتَرٌ فيه إحدى عشرة عقدة، وأنزلت عليه هاتان السّورتان يعني المعوذتين، فجعل كلَّما قرأ آية انحلت عقدة[3] انتهى ملخصًا.

---

(١) تفسير الفاتحة للشيخ رشيد رضا صـ ١٠٨ ـ ١١١، نشر الزهراء للإعلام العربي ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

(٢) والركي: جنس للركية، وهي البئر، وقيل: ولا يُقال للبئر ركي، إلا إذا كان فيه ماء، وجمعها ركايا. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير مادة (ر. ك. ا).

(٣) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٦/٢٤٦).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فهذا حديث باطل مخالف لحديث الصحيحين في المسألة، ولروايات نزول السّورتين بمكَّة، وهو من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبَّاس، والكلبي هذا متهم بالكذب، وطريقه أوهى الطرق عن ابن عبَّاس، واسمه محمَّد بن السَّائب.

وأمَّا ما رواه أبو نعيم في «الدلائل»، عن أنس قال: صنعت اليهود للنَّبيِّ ﷺ شيئًا فأصابه من ذلك وجع شديد، فدخل عليه أصحابه فظنوا أنه ألم به، فأتاه جبريل بالمعوذتين فعوذه بهما، فخرج إلى أصحابه صحيحًا، فهو من طريق أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، وهما ضعيفان. وليس في متنه ذكر السِّحر ولا أن المعوذتين نزلتا في ذلك الوقت، ولا في أي شيء من روايات الصحيحين. فالاستدلال به على أنَّهما مدنيتان ضعيف، فالحق أنَّهما مكيتان كما تقدم. اهـ.

تقييم قول السَّيد رشيد رضا:

هذا هو كلام العلامة السّيد رشيد رحمه الله تعالى في الحديث وتأويله، وهو كلام عالم فقيه، جار على نهج المحدثين الأصلاء، في الجرح والتعديل، والشرح والتعليل، وهو كلام إمام مصلح، حريص على البناء لا الهدم، وعلى التجديد لا التبديد، يعرف قدر السَّلف، ولا ينكر حق الخلف. يخالف شيخه، ولكنَّه يدافع عنه، ويؤكد مقدار حبِّه وتوقيره لرسول الله ﷺ، وهذا هو العدل والإنصاف. فرضي الله عن الشيخ رشيد، وجزاه عن الإسلام وأمته خيرًا، وأثابه على كلِّ ما اجتهد فيه، أخطأ أو أصاب: أجرًا أو أجرين. آمين.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

السيـرة النبويـة

QaradawiBooks.com

أيُّ الرأيين أصحُّ في أُمِّيَّة النَّبيِّ ورفع اليدين في الصلاة ونصاب الزروع والثمار؟

س: اختلف عالمان من العلماء عندنا في عدة مسائل إسلامية، فالرجاء من فضيلتكم أن تفيدونا بإيضاح الحقِّ والصواب في ضوء الكتاب والسُّنَّة.

يقول الشيخ عبد السَّلام ديانت ابن القاضي محمَّد ديانت:

١ ـ إنَّ النَّبيَّ ﷺ كان في البداية أميًّا لا يعرف الكتابة، أما بعد فترة فقد علمه الله الكتابة والقراءة، حتَّى كتب تعاويذ بيده.

٢ ـ كان رفع اليدين في الصلاة مشروعًا في أوَّل الإسلام، لأنَّ المنافقين كانوا يحملون معهم أصنامًا إلى الصلاة، فالرفع كان مشروعًا لتبيين أمرهم، أما بعد فترة فقد نُسخ رفع اليدين، وصار حكمه منسوخًا إلى الأبد.

٣ ـ أنّ العُشر يجب فيما أخرجته الأرض قليلًا كان أو كثيرًا، وما جاء في السّنة مقدار معين. أما الخمسة أوسق الَّتي جاءت في الحديث، فهي للتجَّار الَّذين يشترون الزرع. انتهى كلام الشيخ عبد السَّلام.

وقد خالف هذا الشيخ عالم آخر من العلماء وهو الشيخ عبد الله ريكي، وهو يقول:

١ ـ إنَّ النَّبيَّ ﷺ كان أُميًّا إلى أن انتقل إلى رحمة ربه، ولا بأس بالأُمِّيَّة، ولا تعد الأُمِّيَّة نقصًا في رسالته.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٢ ـ رفع اليدين في الصلاة سُنَّة، وليست بمنسوخة ويعمل بهذه السُّنَّة إلى يوم القيامة.

٣ ـ العشر لا يجب في أقلِّ من خمسة أوسق، وهي ما يقارب (٦٥٠) كيلو جرام وقيل (٦٦٥).

نرجو البيان الشافي، نفع الله بكم، وجزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

فالذي أراه وأرجِّحه في ضوء الأدلَّة الشرعيَّة، هو رأي العالم الثاني، وغفر الله للعالم الأول، وإن وافق في آرائه هذه بعض العلماء السَّابقين؛ ولكن بعض تعليلاته لم تُعرف من قبل، وليست مقبولة منطقيًّا، ونرجو له أن يرجع إلى الحقِّ إذا تبيَّن له.

١ ـ أمية النَّبيِّ ﷺ:

أمَّا أُمِّية النبيِّ، فلا ريب أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان «أميًّا» من بداية حياته إلى نهاية العهد المكي، والصحيح أنَّه ظلَّ أميًّا إلى نهاية حياته، فعاش ومات أميًّا، والأميَّة معجزة بالنسبة إليه، وصفة نقص؛ بالنسبة لنا.

وقد دلَّت على أُمِّيَّته النُّصوص المتوافرة، وحقائق السّيرة والتاريخ.

فأمَّا النُّصوص، فقد قال تعالى في أهل الكتاب: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

QaradawiBooks.com

وقال: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [الجمعة: ٢].

والأمِّيُّ في هذه الآيات له معنيان:

الأول: من لا يقرأ ولا يكتب.

والثاني: من ليس له كتاب ديني مثل التوراة والإنجيل.

وهذا المعنى الثاني محتمل في هذه الآيات، ولكن يرجح المعنى الأول آية كريمة وحديث شريف.

فأما الآية فقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

فقوله: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ﴾ نفي للقراءة، وقوله: ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ نفي للكتابة.

وقوله: ﴿إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ بيان للعلة الَّتي جعله الله من أجلها أميًّا لا يقرأ ولا يكتب، حتَّى لا يرتاب ويتشكك المبطلون، ويقولوا: إنَّما قرأ كتب الأقدمين وجاء منها بهذه الأشياء. فأميته المحققة نفت هذه الريبة بلا نزاع.

وأما الحديث الشريف، فما رواه الشيخان عن ابن عمر أنه ﷺ قال: «**نحن أُمَّة أُمِّيَّة، لا نكتبُ ولا نحسُب**»[1]. فقد فُسِّر أُمِّيَّة الأُمَّة بنفي الكتابة

(١) سبق تخريجه صـ ٢٣٣.

QaradawiBooks.com

والحســـاب عنها، وهذا تعريف معتبر عند الكثيرين من التربويين اليوم للأمِّيِّ: وأنَّه هو الَّذي لا يكتب ولا يحسُب، أي لا يعرف الحساب.

وهذه الأُمِّيَّة ـ كما قلنا ـ مأثرة ومعجزة للنَّبيِّ ﷺ إذ كيف يصدر عن هذا الأميِّ كلَّ هذه العلــوم النافعة، وهذه الحكـــم البالغة، وهذه الكلم الجامعـــة، وهـــذه التشـــريعات العادلة، وهـــذه الآداب الباهـــرة، وهذه التوجيهات الرشيدة.

وقد قال البُوصِيري رَحِمَهُ اللَّهُ في بردته:

كفـــاكَ بالعلمِ في الأمـــيِّ مُعْجزةً في الجاهليَّةِ والتأديبِ في اليُتُمِ[1]!

وقد توهَّم بعض العلماء أنَّ النَّبيَّ عليه السلام في آخر حياته عرف الكتابة، بدليل أنَّه محا اسمه عليه الصلاة والسلام من وثيقة صلح الحديبية؛ حين رفض عليٌّ رضي الله عنه أن يمحوَها.

ولا يســـتبعد من فعله عليه الصلاة والسلام أنه يعـــرف صورة اســـمه وصفته «محمَّد رسول الله» ويمحو الكلمة الَّتي بعد الاسم، أو يكون معنى «محاها» أنه أمر بمحوها، كما يقال: كتب السّـــلطان لفلان بكـــذا، أي أمر به، وكما نقول: بنى أبو جعفر المنصور مدينة بغداد، والمراد: أمر ببنائها.

وممن ذهب إلى أنَّه عليه السلام عرف الكتابة فـــي أواخر حياته: أبو الوليد الباجي، أحد أعلام المالكية المغاربة، وشارح «الموطأ»، ولما قال ذلك طُعن فيـــه ورُمي بالزَّندقة، وسُـــبَّ علـــى المنابر، وقد دافع عن نفسِـــه بالمناظرة، والكتابة إلى علماء الأطراف[2].

---

(١) انظر: البردة مع شرح الباجوري صـ ٦٥، نشر مكتبة الصفا، درب الأتراك، القاهرة.

(٢) سير أعلام النبلاء (٥٤٠/١٨)، وانظر التعليق النفيس للذهبي على القصة.

QaradawiBooks.com

وجلُّ ما اعتمد عليه الباجي ومـــن وافقه أو وافقهم: حديث البخاري ومسلم في صلح الحُدَيبية، وفيه: فأخذ رسول الله الكتاب، وليس يحسن يكتب، فكتب: «**هذا ما قاضى عليه محمَّد بن عبد الله**» الحديث[١].

والحديث يعلن صراحة أنه «**ليس يُحسِـــن يكتب**». وأمَّا كتابته: هذا ما قضى عليـــه محمَّد بن عبـــد الله. بدلًا ممَّـــا كان كتبه علـــي: محمَّد رسول الله. فلا يدلُّ على أكثر من معرفته ببعض الكلمات مثل «**محمد بن عبد الله**» ولكنَّ هذه المعرفة محدودة لا تنقله من أميٍّ إلى كاتب.

وقد رُوِيَت لنا حياته وســـيرته ﷺ مفصَّلة، فلـــم يعرف أنه كتب إلى ملك أو أمير أو ما هو دون ذلك، أو كتب شيئًا من القرآن المنزل عليه.

وممَّا اســـتدلُّوا به، ما رواه ابن ماجه مرفوعًا: «**رأيت ليلة أسري بي مكتوبًا على باب الجنة: الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر**»[٢]. والقدرة على القراءة فرع الكتابة.

والحديث ممَّا تفرد به ابن ماجه عن أصحاب السُّنن، وذكر البُوصيري في زوائد ابن ماجه، أن في إسناده راويًا ضعيفًا، وقال الشيخ الألباني في ضعيف الجامع الصغيـــر: ضعيف جدًّا[٣]، فلا يعـــوَّل عليه. علـــى أنَّ المتن مخالف للعقل؛ إذ كيف يكون القرض الَّذي يرد أفضل من الصدقة الَّتي لا ترد.

---

(١) متَّفقٌ عليـــه: رواه البخاري في الصلح (٢٦٩٩)، ومســـلم في الجهاد والســـير (١٧٨٣)، عن البراء بن عازب.

(٢) رواه ابن ماجه في الصدقات (٢٤٣١)، والطبراني في الأوســـط (٦٧١٩)، وقال البوصيري في زوائد ابن ماجه (٦٩/٣ ـ ٧٠): في إســـناده خالد بن يزيد ضعفه أحمد وابن معين وأبو داود والنســـائي وأبو زرعة والدارقطني وغيرهم، ووثقـــه أحمد بن صالح المعـــري وأبو زرعة الدمشقي وقال ابن حبان هو من فقهاء الشام كان صدوقًا في الرواية ولكنَّه كان يخطئ كثيرًا.

(٣) ضعيف الجامع الصغير (٣٠٨٣).

QaradawiBooks.com

على أنَّ الحديث يمكن تأويله.

وقد ألَّف الشيخ أحمد بن حجر قاضي المحكمة الشرعيَّة الأولى في قطر كتابًا فنَّد فيه دعاوى القائلين بمعرفته للكتابة، سماه «الرد الوافر على من نفى أُمِّيَّة سيد الأوائل والأواخر». فليُرجع إليه.

وأمَّا ما قيل من أنَّه ﷺ كتب تعاويذ بيده، فهذا لم يثبت عنه ﷺ، وإنَّما كان يستعيذ بالله تعالى، وصحَّت عنه استعاذات كثيرة وفيرة، وكان يعوِّذ بعض النَّاس ـ وخصوصًا الأطفال ـ بالله تبارك وتعالى، كما كان يقول للحسن والحسين: «**أعيذكما بكلمات الله التامَّة، من كلِّ شيطان وهامَّة، ومن كلِّ عين لامَّة**»[1].

ولا أعرف مصدرًا معتمدًا قال: إنَّه عليه الصلاة والسلام كتب تعاويذ بيده. وكأنَّما يريد هذا القائل أنَّ يضمه عليه الصلاة والسلام إلى زمرة الَّذين يروِّجون هذه الأشياء بين العوامِّ، وهو عليه الصلاة والسلام قد أعلن حربًا على الَّذين يتاجرون بالكهانة والعرافة، والتمائم والرُّقى الشركيَّة ونحوها. كما صحَّت بذلك الأحاديث.

٢ ـ رفع اليدين في الصلاة

رفع اليدين في الصلاة متَّفق عليه بين جميع المذاهب في تكبيرة الإحرام، ومختلف فيه في التكبير عند الركوع، وعند الرفع منه، وعند القيام إلى الركعة الثالثة.

فالحنفيُّون يرون أنَّه لا يشرع رفع اليدين فيما عدا تكبيرة الإحرام، اتِّباعًا لما رواه ابن مسعود رضي الله عنه، في وصف صلاة الرسول ﷺ[2].

---

(١) سبق تخريجه صـ ١٧٧.

(٢) رواه أحمد (٣٦٨١)، وقال مخرجوه: رجاله ثقات. وأبو داود (٧٤٨)، والترمذي (٢٥٧)، =

QaradawiBooks.com

والجمهور يرون أنَّ رفع اليَدَيْن سُـنة عند الركـوع وعند الرفع منه، خلافًا للأحناف، ودليلهم على ذلك ما رواه عدد من الصحابة في وصف صلاة الرسول ﷺ[1].

ولا أعرف للتعليل الَّذي ذكره الأخ في سؤاله أصلًا، ولا وجهًا. والمنافقون إنَّما كانوا في المدينة، ولم ينقل قط أنَّهم كانوا يحملون الأصنام معهم إلـى الصلاة، كلُّ ما ذكره القـرآن عنهم: أنَّهم ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٤٢].

وهل يُعقل أن يحمل المنافقون الأصنام وهـم يصلُّون مع الصحابة الكرام، خلف رسول الله ﷺ؟! وكيف يمكن ذلك وهم يدعون الإسلام ويتظاهرون به أمام المسلمين؟!

ثم ما علاقة ذلك برفع اليدين؟ لم أفهم حقًّا وجه الارتباط بين هذه الدعوى الزائفة وبين رفع اليدين؟

أمَّا بالنسـبة إلى تكبيرة الإحرام؛ فما أظن قائل هذا الكلام الغريب ينكرها، لأنَّها ثابتة بالسـنة القولية والعملية المستفيضة عن النبيِّ ﷺ، وعن أصحابه وخلفائه الراشدين، وتناقلتها الأمة جيلًا بعد جيل.

فقد روى ذلك عن النبيِّ ﷺ نحو خمسـين رجلًا من الصحابة منهم العشرة المبشَّرون بالجنة، ورواه كثير من الأئمَّة عن جميع الصحابة من غير استثناء. وقال الشافعي: روى الرفع جمع من الصحابة. لعلَّه لم يرد

= وقال: حديث حسن. كلاهما في الصلاة، والنسائي في التطبيق (١٠٥٨)، وأوله: ألَا أصلي بكم صلاة رسول الله ﷺ.

(١) بداية المجتهد (١٤٢/١)، نشر دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

قط حديث بعدد أكثر منهم[١]. وقال ابن المنذر: لم يختلف أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان يرفع يديه[٢]. وقال البخاري في جزء رفع اليدين: روى الرفع سبعة عشر نفسًا من الصحابة[٣]. وسرد البيهقي في «السنن» وفي «الخلافيات» أسماء من روى الرفع نحوا من ثلاثين صحابيًّا. وقال الحسن وحميد بن هلال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أيديهم، ولم يستثنِ أحدًا منهم. كذا في التلخيص[٤]. وقال النووي في شرح مسلم: أجمعت الأمة على ذلك عند تكبيرة الإحرام، وإنَّما اختلفوا فيما عدا ذلك وقد ذهب إلى وجوبه داود الظاهري وأبو الحسن أحمد بن سيار والنيسابوري والأوزاعي والحميدي وابن خزيمة[٥].

وأمَّا الرفع عند الركوع وعند الاعتدال منه، فقد رواه زيادة على عشرين رجلًا من الصحابة عن النبيِّ ﷺ. وقال محمَّد بن نصر المروزي: إنَّه أجمع علماء الأمصار على ذلك، إلَّا أهل الكوفة.

وأمَّا الرفع عند القيام إلى الركعة الثالثة، فهو ثابت في الصحيح من حديث ابن عمر[٦]، وأخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه

---

(١) نيل الأوطار للشوكاني (٢٠٧/٢)، تحقيق عصام الدين الصبابطي، نشر دار الحديث، مصر، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

(٢) الإشراف على مذاهب العلماء لابن المنذر (٦/٢)، تحقيق صغير أحمد الأنصاري، نشر مكتبة مكة الثقافية، رأس الخيمة، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

(٣) رفع اليدين للبخاري (٧)، تحقيق أحمد الشريف، نشر دار الأرقم، الكويت، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.

(٤) التلخيص الحبير لابن حجر (٣٩٨/١).

(٥) وهو ظاهر كلام الشافعي في الأم، في كتاب اختلاف مالك والشافعي. وسيذكره الشارح نقلاً عن ابن الجوزي في آخر المسألة.

(٦) رواه البخاري في الأذان (٧٣٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والتِّرْمِذيّ وصحَّحه[١]، وصحَّحه أيضًا أحمد بن حنبل من حديث علي بن أبي طالب[٢]، عن النبيِّ ﷺ[٣].

وفي «حجة الله البالغة»: «فإذا أراد أن يركع رفع يديه حذو منكبيه، وكذلك إذا رفع رأسه من الركوع، ولا يفعل ذلك في السُّجود، وهو من الهيئات الَّتي فعلها النَّبيُّ ﷺ مرَّة، وتركها أخرى، والكلُّ سُنَّة، وأخذ بكلِّ واحدٍ جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وهذا أحد المواضع الَّتي اختلف فيها الفريقان: أهل المدينة وأهل الكوفة، ولكلِّ واحدٍ أصل أصيل؛ والحق عندي في مثل ذلك أنَّ الكل سُنَّة، ونظيره الوتر بركعة واحدة أو بثلاث. والَّذي يرفع أحبُّ إليَّ ممَّن لا يرفع، فإنَّ أحاديث الرفع أكثر وأثبت، غير أنَّه لا ينبغي لإنسان في مثل هذه الصور أن يثير على نفسه فتنة عوام بلده، وهو قوله ﷺ: «**لولا حِدْثانُ قومِكِ بالكُفر، لنقضتُ الكعبة**»[٤].

ولا يبعد أن يكون ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ظنَّ أنَّ السُّنة المتقرِّرة آخرًا هو تركه؛ لما تلقَّن من أنَّ مبنى الصلاة على سكون الأطراف، ولم يظهر له أن الرفع فعلٌ تعظيمي، ولذلك ابتدئ به في الصلاة، أو لما تلقَّن من أنه فعل يُنبئ عن الترك، فلا يناسب كونه في أثناء الصلاة، ولم يظهر له أن تجديد التنبُّه لترك ما سوى الله تعالى عند كلِّ فعلٍ أصلي من الصلاة مطلوبٌ، والله تعالى أعلم»[٥]. انتهى.

---

(١) رواه أحمد (٢٣٥٩٩)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود (٧٣٠)، والترمذي (٣٠٤)، وقال: حسن صحيح. كلاهما في الصلاة، والنسائي في الافتتاح (٨٨٩)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (٨٦٢)، عن أبي حميد الساعدي.

(٢) رواه أحمد (٧١٧)، وقال مخرجوه: إسناده حسن.

(٣) شرح مسلم للنووي (٩٥/٤).

(٤) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري (١٥٨٣)، ومسلم (١٣٣٣)، كلاهما في الحج، عن عائشة.

(٥) حجة الله البالغة لولي الله الدهلوي (١٦/٢، ١٧)، تحقيق السيد سابق، نشر دار الجيل، بيروت. ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

QaradawiBooks.com

وهذا كلام إمام مجدِّد مصلح حكيم، يجب الاعتناء به، وخصوصًا قوله: لا ينبغي لإنسان في مثل هذه الصور أن يُثير على نفسه عوامَّ بلده.

وأذكر أنَّ الداعية الإسلامي الكبير الشيخ أبا الحسن النَّدْوي في أوائل اتِّصاله بالعالم الإسلامي خارج الهند، وهو في شَرْخ الشباب، كان قد اقتنع بأنَّ رفع اليدين عند الركوع وعند الرفع منه سُنَّة، وبعد عودته إلى بلده شرع يطبِّق ذلك ويحرص عليه، وهو يؤم النَّاس في الصلاة، فلم يلبث أن انصرف النَّاس عنه، وأساؤوا الظنَّ به، ولهذا قرَّر الشيخ أن يعمل بنصيحة الحكيم الدَّهْلوي، ويتجنَّب فتنة إثارة العوامِّ، حتَّى يجنِّدهم لما هو أهم من هذا الأمر، الَّذي ليس أكثر من مستحب عند من قال به.

وفي «التكميل» للشيخ رفيع الدين الدهلوي ولد صاحب «الحجَّة البالغة»: اختلفوا في سنيَّة رفع اليدين في الصلاة بعد التحريمة، مع اتفاقهم على أنه لم يصح فيه أمر باستحباب، ولا بيان فضيلة، ولا نهي عن الصحابة عنه قط، وعلى أنه ثبت عنه ﷺ فعله مدَّة، إلَّا أنه زاد ابن مسعود فقال: ألَا أصلي بكم صلاة رسول الله ﷺ، فلم يرفع يديه إلَّا في أوَّل مرة[1]. وظاهرٌ أنه لم يرد تركه أبدًا، وإنَّما أراد تركه آخرًا، كما يشعر به بعض ما ينقل عنه: أنَّ آخر الأمرين ترك الرفع. ولا يُدرى مدَّة الترك، فيحتمل أنه تركه في أيام المرض للضعف، فظنَّ قوم أن سنيَّته كانت بمجرد الفعل، فبطلت بالتَّرك. وقوم أن الترك بعذر وبغير نهي لا ينفي السُّنِّيَّة، كترك القيام للفرض بالعذر، فهي إذا باقية.

فلا مناقشة للمجتهدين في أصل سنِّيته في الجملة، ولا في بقاء جوازه، وإن منعه بعض المتعصبة؛ إذ ليس ممَّا يخالف أفعال الصلاة لبقائه في التحريمة والقنوت والعيدين، فلا نكير على فاعله لأحد، بل

(١) سبق تخريجه صـ ٥٨٣.

QaradawiBooks.com

في بقاء سـنيَّته بناء على الظنِّ، فلا نزاع إلَّا فـي المواظبة والرجحان، وحيث واظـب عليه جمع بلغـوا حد الاسـتفاضة فوق الشـهرة، ولم يتعرض ﷺ لفعلهم، كما تعرض لرفع اليد في السّلام حيث قال: «**ما بال أيديكم، كأنَّها أذنابُ خيلٍ شُمُس؟**»[1]. وهو ﷺ كان يرى خلفه كما يرى أمامه، فثبت بقاء سنِّيته، وتركه ﷺ أحيانا، كما رواه ابن مسعود والبراء بن عازب، وعـدم التعـرض لتاركه يقضـي بسـقوط تأكيده، ولـم يبلغ أبا حنيفة رحمه الله خبر هذا الجمع، إنَّما روى له الأوزاعي، عن ابن شهاب، عن سالم، عن ابن عمر رضي الله عنهما، فرجح عليه أبو حنيفة حمادًا، عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسـعود، بكثرة الفقه لا بكثرة الحفظ، فكأنَّه ظنَّ أنَّه تفطن ابن مسعود للنسخ دون ابن عمر، حيث لم يرفع إلَّا في التحريمة، بناء على أن السُّـكوت في معرض البيان يفيد الحصـر، وما يُذكر عن الشافعي من عدم الرفع عند قبره مشعر بعدم التأكيد. انتهى.

وفي «تنوير العينين» للشيخ محمَّد إسـماعيل الشهيد الدهلوي حفيد صاحب «حجة الله البالغة»: أنَّ رفع اليدين عند الافتتاح والركوع والقيام منه والقيام إلى الثالثة سـنَّة غير مؤكدة من سُـنَن الهَدْي، فيُثـاب فاعله بقدر ما فعل، إنْ دائمًا فبحسـبه، وإنْ مرَّة فبمثله، ولا يُلام تاركه وإن تركه مدَّةَ عُمُره، وأما الطاعن العالم بالحديث ـ أي من ثبت عنده الأحاديث المتعلقة بهذه المسألة ـ فلا إخاله إلَّا فيمن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى.

ونريد بسُنَّة الهَدْي هاهنا: فعل غير فرض، وغير مختص بالنَّبيِّ ﷺ؛ فعله هو والخلفاء الراشـدون رضي الله عنهم، أو أمروا به وأقـرُّوا عليه قربة، ولم ينسخ ولم يترك بالإجماع.

---

(١) رواه مسلم في الصلاة (٤٣٠)، وأحمد (٢٠٩٥٨)، عن جابر بن سمرة.

QaradawiBooks.com

وبغير المؤكَّدة: ما فعلوه مرَّة وتركوه أخرى، فبقولنا: فعل خرج به عدم الرفع؛ فإن العدم ليس بفعل؛ نعم إذا كان العدم مستمرًّا في زمان النَّبيّ ﷺ والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، فقطعه يكون بدعة. وليس في مفهوم البدعة إزالة السُّنَّة، حتَّى يلزم كون العدم سُنَّة، بل مفهومها فعل لم يفهم في زمنهم.

وبقولنا: غير فرض، خرجت الفرائض كلِّها.

وبقولنا: غير مختصٍّ، خرجت النوافل المختصة بالنَّبيِّ ﷺ، كالوصال في الصوم.

وبقولنا: لم ينسخ، خرجت السُّنن المنسوخة، كالقيام للجنازة.

وبقولنا: لم يُترك بالإجماع، خرجت السّنن المتروكة به كالرفع بين السّجدتين. انتهى. وفيما لا بدَّ منه أن رفع اليدين عند الإمام الأعظم ليس بسنة، ولكن أكثر الفقهاء والمحدثين يثبتونه انتهى.

وفي «سفر السَّعادة» أنَّ الأخبار والآثار الَّتي رويت في هذا الباب تبلغ إلى أربعمائة انتهى. قال شارحه الشيخ عبد الحقِّ الدهلوي: إنَّ الرفع وعدم الرفع كلاهما سُنَّة انتهى. وقد مرَّ الجواب عنه، وفي «سفر السَّعادة» ـ العربي ـ: وقد ثبت رفع اليدين في هذه المواضع الثلاثة؛ ولكثرة رواته شَابَه المتواتر، فقد صحَّ في هذا الباب أربعمائة خبر وأثر. رواه العشرة المبشَّرة، ولم يزل على هذه الكيفية حتَّى رحل عن هذا العالم ولم يثبت غير هذا. انتهى بعبارته.

ونقل ابن الجوزي في «نزهة الناظر للمقيم والمسافر» عن المُزَنِيِّ أنَّه قال: سمعتُ الشافعيَّ يقول: لا يحلُّ لأحدٍ سمع حديثَ رسول الله ﷺ في رفع اليدين في افتتاح الصلاة، وعند الركوع والرفع من الركوع، أن يترك الاقتداء بفعله ﷺ. وهذا صريح في أنَّه يوجب ذلك انتهى.

QaradawiBooks.com

وبالجملة فقد ثبت رفع اليدين في المواضع الأربعة المذكورة بروايات صحيحة ثابتة، وآثار مرضية راجحة، ومذاهب حقة صادقة عن النبيِّ ﷺ، وعن كبراء الصحابة وعظماء العلماء والمجتهدين، بحيث لا يشوبها نسخ ولا تعارض، حتَّى ادعى بعضهم التواتر، ولا أقلّ من أن تكون مشهورة. كذا في «التنوير»[١].

٣ ـ نصاب ما أخرجت الأرض:

ذهب بعض أئمَّة السَّلف إلى أنَّ العُشر أو الزكاة فيما أخرجت الأرض ليس له نصاب، فيجب في قليل ما أخرجت الأرض وكثيره.

رُوِيَ ذلك عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وإليه ذهب الإمام أبو حنيفة، وداود الظاهري.

وخالف أبا حنيفة صاحباه أبو يوسف ومحمد، واتفقا مع ما ذهب إليه الجمهور، وهو أنَّ العشر لا يجب فيما دون خمسة أوسق[٢]، مستدلِّين بالحديث الصحيح «**ليس فيما دونَ خمسةِ أوسُقٍ صدقة**»[٣].

وقد رجَّحنا هذا المذهب في كتابنا: «فقه الزكاة»[٤].

وإذا كنَّا رجَّحنا قول أبي حنيفة في إيجاب الزكاة في كلِّ ما أخرجت الأرض، فإنَّنا نخالفه في عدم اعتبار النصاب، وإيجابه العشر في القليل والكثير من الزرع والثمر، فإن هذا مخالف للحديث الصحيح الَّذي نفى

---

(١) الروضة الندية للقِنَّوجي (٩٣/١ ـ ٩٧).

(٢) انظر: حاشية ابن عابدين (٤٩/٢)، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير (٤٤٧/١)، نشر دار الفكر، بيروت، والمغني لابن قدامة (٣/٣ ـ ٧).

(٣) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري (١٤٤٧)، ومسلم (٩٧٩)، كلاهما في الزكاة، عن أبي سعيد الخدري.

(٤) انظر كتابنا: فقه الزكاة (٣١٤/١)، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢٥، ٢٠٠٦م.

QaradawiBooks.com

وجوب الزكاة عمَّا دون خمسة أوسق، ومخالف لنظرية الشَّريعة ـ بصفة عامَّة ـ في إيجاب الزكاة على الأغنياء وحدهم، والنصاب هو الحد الأدنى للغِنَى، ولهذا اعتبر النصاب في سائر الأموال الزكوية.

ولا يجوز معارضة حديث: «**ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة**». بحديث: «**فيما سقت السَّماء العشر...**» بدعوى أن هذا عام، وقد عارضه ذلك الخاص، ودلالة العام قطعيَّة كالخاص، وإذا تعارض قدّم الأحوط، وهو الوجوب.

نعم، لا يقال ذلك، بل يقال ما قاله ابن القيِّم في هذا الموضوع:

«يجب العمل بكلا الحديثين، ولا يجوز معارضة أحدهما بالآخر ولا إلغاء أحدهما بالكلية؛ فإنَّ طاعة الرسول فرض في هذا وفي هذا. ولا تعارض بينهما بحمد الله بوجه من الوجوه؛ فإن قوله: «**فيما سقت السَّماء العُشْر**» إنَّما أريد به التمييز بين ما يجب فيه العشر وما يجب فيه نصفه، فذكر النوعين؛ مفرقًا بينهما في مقدار الواجب، وأمَّا مقدار النصاب فسكت عنه في هذا الحديث، وبيَّنه نصًّا في الحديث الآخر، فكيف يجوز العدول عن النَّصّ الصحيح الصريح المحكم، الَّذي لا يحتمل غير ما دلَّ عليه البتَّة إلى المجمل المتشابه، الَّذي غايته أن يتعلق فيه بعموم لم يُقْصَد. وبيانه بالخاص المحكم المبين كبيان سائر العمومات بما يخصها من النُّصوص؟»[1].

وقال ابن قدامة: لنا قول النَّبيّ ﷺ: «**ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة**». متفق عليه. وهذا خاص يجب تقديمه، وتخصيص عموم ما رووه به، كما خصصنا قوله: «**في كلّ سائمة من الإبل الزكاة**»، بقوله:

(١) إعلام الموقِّعين (٣/٢٥١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

«**ليس فيما دون خمس ذُود صدقة**». وقوله: «**في الرقة ربع العشر**»، بقوله: «**ليس فيما دون خمس أواق صدقة**». ولأنَّه مـــال تجب فيه الصدقة، فلم تجب في يسيره، كسائر الأموال الزكوية.

«وإنَّما لـــم يعتبر الحول؛ لأنَّـــه يكمل نماؤه باســـتحصاده لا ببقائه، واعتبر الحول فـــي غيره، لأنَّه مظنـــة لكمال النماء في ســـائر الأموال، والنصاب اعتبر ليبلغ حدا يحتمل المواساة منه، فلهذا اعتبر فيه».

«يحققه: أن الصدقة إنَّما تجب على الأغنياء، ولا يحصل الغِنَى بدون النصاب كسائر الأموال الزكوية»[1].

(١) المغني (٦/٣ ـ ٧)، وانظر كتابنا: فقه الزكاة (٣٦٧/١، ٣٦٨).

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

المسجد الَّذي أسس على التقوى

س: قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة: ١٠٨].

ما المراد بهذا المسجد الَّذي أسس على التقوى من أوَّل يوم؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

المراد بهذا المسجد، إمَّا مسجد قباء الَّذي بناه رسول الله ﷺ في طريق هجرته إلى المدينة، فقد نزل هناك وأسس هذا المسجد وكان هذا أوَّل مسجد أسس في الإسلام، وإما هو مسجد رسول الله ﷺ نفسه، فهو أيضًا أسس على التقوى من أوَّل يوم، وقد ورد بهذين الأمرين أحاديث صحيحة، أنّ المسجد المقصود بالآية هو مسجد قباء، وأنَّه هو مسجد الرسول ﷺ، ولا تنافي بين القولين ولا بين الروايتين، فكلا المسجدين أسس على التقوى من أوَّل يوم، وكلاهما من المساجد العظيمة المباركة في الإسلام:

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أمَّا مسجدُ النَّبيِّ ﷺ فهو ثاني الحرمين للمسلمين.

وأمَّا مسجد قباء فقد قال فيه النَّبيّ ﷺ: «**صلاة في مسجد قباء كعمرة**»[1] وقد جاءت هذه الآية تنهي النَّبيَّ ﷺ أن يقوم في المسجد الَّذي بني ضِرارًا، مضارة ومناوأة لمسجد قباء.. بناه جماعة من المنافقين يتخذونه وكرًا للفتن والفساد، وتفريق كلمة المؤمنين، ولهذا نهى الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يقوم فيه، أو أن يصلي فيه وقال: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ وذلك ليفسد على المنافقين أمرهم، ويحبط مكرهم، وإنَّما أمره بالقيام والصلاة في مسجده، وفي مسجد قباء، الَّذي أسس على التقوى من أوَّل يوم؛ فهو أحق أن يقوم فيه.

(١) رواه الترمذي في الصلاة (٣٢٤)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٤١١)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٨٦٩)، عن أسيد بن ظهير الأنصاري.

QaradawiBooks.com

تعدد زوجات النَّبيِّ ﷺ

س: لماذا جمع النَّبي ﷺ بين تسع زوجات؛ في حين حرم على المسلمين الزواج بأكثر من أربع؟ أرجو إيضاح الحكمة في هذه القضية، فقد علمتم ما يروجه المبشرون والمستشرقون حولها من شبهات وأكاذيب.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

(وبعد)

جاء الإسلام والزواج بأكثر من واحدة ليس له ضابط ولا قيد ولا شرط، فللرجل أن يتزوج من النساء ما شاء، وكان ذلك في الأمم قديمًا. حتَّى يُروى في أسفار العهد القديم: أن داود كان له مائة امرأة، وسليمان كان عنده سبعمائة امرأة، وثلاثمائة سرية.

فلما جاء الإسلام أبطل الزواج بأكثر من أربعة، وكان الرجل إذا أسلم وعنده أكثر من أربع نسوة، قال له النَّبيُّ ﷺ: «**اختر منهنَّ أربعًا**»[1]

(١) رواه أحمد (٤٦٠٩)، وقال مخرِّجوه: صحيح بطرقه وشواهده. ورواه الترمذي (١١٢٨)، وقال: العمل عليه عند أصحابنا، منهم الشافعي وأحمد وإسحاق. وابن ماجه (١٩٥٣)، وابن حبان (٤١٥٦)، ثلاثتهم في النكاح، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٢٢٦)، عن ابن عمر.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فلا يبقى في ذمته أكثر من أربع نسوة، فالعدد محدود بأربع نسوة لا يزيد.

والشرط الَّذي لا بدَّ من توفره في التعدد هو العدل بين نسائه، وإلا اقتصر على الواحدة كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣].

هذا ما جاء به الإسلام.

ولكن الله ﷻ خصَّ النَّبيّ ﷺ بشيء دون المؤمنين، وهو أن أباح له ما عنده من الزوجات اللاتي تزوجهن، ولم يوجب عليه أن يطلقهن ولا أن يستبدل بهن من أزواج يبقين في ذمته، ولا يزيد عليهن، ولا يبدل واحدة بأخرى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ [الأحزاب: ٥٢].

والسرُّ في ذلك أنَّ زوجات النَّبيّ ﷺ لهن مكانة خاصة، وحرمة متميزة فقد اعتبرهن القرآن «أمهات» للمؤمنين جميعًا. وقال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

ومن فروع هذه الأمومة الروحيَّة للمؤمنين أن الله حرم عليهن الزواج بعد رسول الله ﷺ فقال: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٥٣]. ومعنى هذا أن الَّتي يطلقها النَّبيّ ﷺ ستظل محرومة طول حياتها من الزواج بغيره، مع حرمانها من الانتساب إلى بيت النبوة. وهذا يعتبر عقوبة لها على ذنب لم تجنه يداها.

ثم لو تصورنا أنَّه أمر باختيار أربع من نسائه التسع، وتطليق الباقي، لكان اختيار الأربع منهنَّ لأمومة المؤمنين، وحرمت الخمس الأخريات من هذا الشرف، أمرًا في غاية الصعوبة والحرج. فمن من هؤلاء الفضليات يحكم عليها بالإبعاد من الأسرة النبوية، ويسحب منها هذا الشرف الَّذي اكتسبته؟

QaradawiBooks.com

لهذا اقتضت الحكمة الإلهية أن يبقين جميعًا زوجات له، خصوصية للرسول الكريم، واستثناء من القاعدة: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٣].

أمّا الزواج من هؤلاء التسع من الأصل، لماذا كان؟ فسر ذلك معلوم، وحكمته لم تعد خافية. فإن هذه الزيجات الَّتي أتمها النَّبيّ ﷺ كلها ليست لأي غرض ممَّا يتقول المتقولون، ويروج المستشرقون والمبشرون؛ من إفك وكذب على هذا النَّبيّ العظيم؛ فلم تكن الشهوة ولا الناحية الجنسية هي الَّتي دفعت النَّبيّ عليه الصلاة والسلام أن يتزوج واحدة من هؤلاء.

ولو كان عند هذا النَّبيِّ العظيم ما يُقال، وما يفتري الأفاكون الدجالون عليه، لما رأيناه وهو في شرخ شبابه، وفي عنفوان حياته ومقتبل عمره: يتزوج امرأة تكبره بخمسة عشر عامًا. فقد كان في الخامسة والعشرين وتزوج خديجة في سن الأربعين. وقد تزوجت من قبله مرَّتين، ولها أولاد من غيره!

وعاش مع هذه المرأة الكبيرة شبابه كله أسعد ما يكون الأزواج، حتَّى سمى العام الَّذي ماتت فيه «عام الحزن»، وظل يثني عليها حتَّى بعد موتها، ويذكرها بكلّ حب وتقدير، حتَّى غارت منها ـ وهي في قبرها ـ عائشة رضي الله عنها.

وبعد الثالثة والخمسين من عمره عليه الصلاة والسلام أي بعد أن توفيت خديجة وبعد الهجرة بدأ النَّبيّ ﷺ يتزوج نساءه الأخريات، فتزوج سودة بنت زمعة وهي امرأة كبيرة، لتكون ربة بيته.

ثم أراد أن يوثق الصلة بينه وبين صديقه ورفيقه أبي بكر: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]. فتزوج عائشة، وكانت صغيرة لا تُشتهَى ولكن تطييبًا لنفس أبي بكر.

QaradawiBooks.com

ثم رأى أنَّ أبا بكر وعمر وزيرا رسول الله ﷺ ينبغي أن يكون لديه بمنزلة واحدة في ذلك، فتزوج حفصة بنت عمر، كما كان من قبل قد زوج علي بن أبي طالب ابنته فاطمة، وعثمان بن عفان ابنته رقية، ثم أم كلثوم.

وحفصة ابنة عمر كانت ثيبًا، ولم تكن على نصيب من الجمال أو الحسن. وكذلك أم سلمة، تزوجها ثيبًا، حيث مات زوجها أبو سلمة؛ وكانت تظن أنَّه ليس هناك من هو أفضل من أبي سلمة؛ إذ هاجرت معه، وأوذي كلاهما من أجل الإسلام، وأصابها ما أصابها. وكان زوجها قد علمها ممَّا سمع من النَّبيِّ ﷺ أن تقول حين تصيبها مصيبة: «**إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهمَّ أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرًا منها**»[1].

وحين قالت ذلك بعد وفاة زوجها، تساءلت في نفسها: من يكون من النَّاس خيرًا من أبي سلمة؟! ولكن الله ﷻ عوضها خيرًا منه، وهو محمَّد رسول الله ﷺ. خطبها ليجبر مصيبتها ويجبر كسرها، ويعوضها عن زوجها بعد أن هاجرت وتركت أهلها، وعادتهم من أجل الإسلام!

وكذلك تزوج النَّبيّ ﷺ جويرية بنت الحارث ليسلم قومها، ويرغبهم في دين الله. وذلك أن الصحابة بعد أن أخذوا السّبايا في غزوة بني المصطلق، وجويرية منهم، علموا أنَّ النَّبيَّ ﷺ قد تزوج منها، فأعتقوا من عندهم من إماء ومن سبايا؛ لأنَّهم أصبحوا أصهار النَّبيّ عليه الصلاة والسلام، ومثلهم لا يسترقون. فكل واحدة من تلك الزوجات لها حكمة.

وهذه أم حبيبة بنت أبي سفيان هاجرت مع زوجها إلى الحبشة، وكتب الله الشقاء على هذا الرجل فارتد هناك. هذه المرأة وهي ابنة أبي

(١) رواه مسلم في الجنائز (٩١٨)، وأحمد (١٦٣٤٤)، عن أم سلمة.

QaradawiBooks.com

سفيان، الَّذي كان يناوئ المسلمين على رأس المشركين.. تركت أباها وآثرت الهجرة مع زوجها فرارًا بدينها، ثم يكون من أمر زوجها ما يكون، وتجد نفسها وحيدة في الغربة.. فماذا يفعل النَّبيّ ﷺ هل يتركها دون رعاية وعناية؟ لا.. بل قام بنفسه ليجبر خاطرها ويهدئ من روعها، فأرسل إلى النجاشي يوكله عن نفسه في زواجها ويصدقها عنه، وتزوجها وبينه وبينها بحار وقفار؛ جبرًا لحالتها في مثل تلك الغربة.

وحكمة أخرى نذكرها، وهي: أنَّ زواج النَّبيّ ﷺ من ابنة أبي سفيان يرجى أن يكون له أثر طيِّب في نفس أبي سفيان، فقد يكفكف من عداوته، ويخفف من غلوائه في محاربة النَّبيّ ﷺ بعد أن ربطت بينهما هذه المصاهرة الجديدة.

كلُّ نسائه، لو بحثنا وراء زواجه منهن، لوجدنا أن هناك حكمة هدف إليها النَّبيّ ﷺ من زواجه بكلّ واحدة منهنَّ جميعًا. فلم يتزوج لشهوة، ولا للذة، ولا لرغبة دنيوية، ولكن لحكم ولمصالح، وليربط النَّاس بهذا الدين. وبخاصَّة أن للمصاهرة وللعصبية قيمة كبيرة في بلاد العرب، ولها تأثير وأهمية. ولذا أراد عليه الصلاة والسلام أن يجمع هؤلاء ويرغبهم في الإسلام، ويربطهم بهذا الدين، ويحل مشكلات اجتماعيَّة وإنسانية كثيرة بهذا الزواج.

ثم لتكون نساؤه عليه الصلاة والسلام أمهات المؤمنين، ومعلمات الأمة في الأمور الأسرية والنسائية من بعده.. يروين عنه حياته البيتية للناس، حتَّى أخص الخصائص؛ إذ إنَّه ليس في حياته أسرار تخفى عن النَّاس.

ليس في التاريخ واحد إلَّا له أسرار يخفيها، ولكنَّ النَّبيَّ عليه صلاة الله وسلامه يقول: «**حدِّثوا عنِّي**»[1] تعليمًا للأمة وإرشادًا لها.

(١) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٣٠٠٤)، وأحمد (١١٣٤٤)، عن أبي سعيد الخدري.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وهنـــاك حكم لا يتســـع المقام لشـــرحها وتفصيلها، مـــن أبرزها وأهمها: أنَّه عليه الصلاة والسلام قدوة حسنة للمسلمين في كلِّ ما يتصل بهذه الحياة، ســـواء كان من أمور الدين أو الدنيا.. ومن جملة ذلك معاملة الرجل لزوجه وأهل بيته.

فالمســـلم يرى قدوتَه الصالحة في رسول الله ﷺ إذا كان زوجًا لامرأة ثيـــب، أو بكر، أو تَكْبُره في السِّـــن أو تصغره، أو كانـــت جميلة أو غير جميلة، أو كانت عربية أو غير عربية، أو كانت بنت صديقه أو بنت عدوه.

كلُّ هذه الصور من العلائق الزوجية يجدها الإنســـان في حياة النَّبيّ محمَّد ﷺ، على أكمل وأفضل وأجمل صورة.

فهو قدوةٌ لكلِّ زوج، في حســـن العشـــرة، والتعامل بالمعروف، مع زوجته الواحدة، أو مع أكثر من واحدة.. ومهما كانت تلك الزوجة، فلن يعدم زوجها الإرشـــاد القويم إلى حســـن معاشـــرتها في حياة النَّبيّ ﷺ الزوجية.

ولعلَّ هذه الحكمة من أجَـــلِّ الحكم، الَّتي تتجلَّى في تعدد زوجات نبينا محمَّد صلوات الله وسلامه عليه.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

الفهارس العامة

- فهـرس الآيات القرآنيـة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـريفة.
- فهرس الموضوعات.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾	٢ ـ ٤	٢٠٨
سورة البقرة		
﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	٣٢	٧، ٦٥
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ﴾	٦٢	١٣١
﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ ﴾	٨٧	٨١
﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾	١٠٢	٣٠٩، ٤٣٩، ٥٦٢، ٥٦٤
﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم ﴾	١٠٩	١٣٠
﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾	١١١	١٤
﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾	١٢٠	١٢٤، ١٣٢
﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ ﴾	١٢٧	٢٣٢
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾	١٤٣	٣٣، ٤٨٤
﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ ﴾	١٤٥	١٣٢
﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾	١٤٨	٣٣٥
﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ﴾	١٦٤	٢٤٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾	١٧٦	٤٠٩
﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾	١٧٧	١٥٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾	١٨٣	٢٢
﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖ﴾	١٨٤	١٥٣
﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾	١٨٥	١٦، ٣٤٤
﴿هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّ﴾	١٨٧	١٣٤، ٤١٥، ٤١٦
﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ﴾	١٨٩	٢٢٧، ٢٢٨
﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾	١٩٠	١٥١، ٣٧٤
﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ﴾	١٩١	٣٧٤
﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾	١٩٢	٣٧٤
﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾	١٩٣	٣٧٤
﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ﴾	٢٠١	٤٨٣
﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾	٢١٤	٣٨٧
﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى﴾	٢٢٢	٢٢، ٤١٠، ٤١٥، ٤١٧، ٤١٨، ٤٢٠، ٤٥١
﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَاتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾	٢٣٨	١٧٠
﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ﴾	٢٤٧	٧٧
﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾	٢٥١	٧٧
﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾	٢٥٥	٥٥١
﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾	٢٥٦	١٢٠، ١٦٥، ٣٦٠
﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ﴾	٢٥٨	٧٨
﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾	٢٦٨	٣٤٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾	٢٨٥	٢٤
﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾	٢٨٦	٢٩٢، ٢٩٨
سورة آل عمران		
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾	٧	٢٤، ١٤٦، ١٤٩، ٣٩٩
﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾	٨	٧، ٦٦
﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾	٢٠	٣٧٣
﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾	٣٠	٢٥٣
﴿يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾	٣٧	٣٨
﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا﴾	٦١	١٣٨
﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾	٧٣	٥٩٧
﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾	١٠٣	٣٩٦، ٤٠٩
﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾	١٠٥	٣٩٧
﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾	١١٣	١٣١
﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾	١١٤	١٣١، ٣٣٥
﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾	١١٥	١٣١
﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾	١٣٣	٢٧٥، ٢٧٦، ٣٣٥
﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾	١٥٩	٣٣٧
﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾	١٨٠	٤٥٥
﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾	١٨٧	٦٥
﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾	١٩٠، ١٩١	٤٤٥
﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ﴾	١٩٥	٤٤٥

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النساء		
﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾	١	١٣٣
﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً﴾	٣	٥٩٦
﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾	١٩	٤٣٨
﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾	٢٨	١٦
﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾	٣١	٣١٤
﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾	٣٤	٤٣٩، ٤٤١
﴿ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾	٤٠	٣١٥
﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾	٤٣	١٤٢، ١٤٣
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾	٦٤	١٥٣
﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾	٦٩	١٩٠
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا﴾	٨٢	١٤٧، ٢٦٣
﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾	٨٣	٤، ٥٣٤، ٥٣٩
﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾	٩٥ ـ ٩٦	٣١٧، ٤٧٦
﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾	١١٥	١٣٢
﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾	١٤٢	٥٨٤
سورة المائدة		
﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾	٢	٢١٠
﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾	٥	١٢٨
﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾	٦	١٦، ٤٠٠، ٤١١، ٤٢٤، ٤٢٥
﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾	١٣	١٣١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾	١٤	٣٩٦
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾	١٨	٢٣٩
﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا﴾	٢٤	١٩٢
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾	٢٥	١٩٢
﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾	٢٦	١٩١، ١٩٣
﴿نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	٣٨	٤٢
﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾	٤٤	١٩٦
﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾	٤٨	١٣٠
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾	٥٠	٤٣
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾	٥١	١٢٤، ١٢٧
﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾	٥٢، ٥٣	١٢٧
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ﴾	٥٤	١٢٨
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا﴾	٥٧، ٥٨	١٢٨
﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾	٦٤	٣٩٥
﴿أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾	٦٦	١٠٤
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ﴾	٦٩	١٣٢
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ﴾	٨٢	١٢٩
سورة الأنعام		
﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾	٣٨	٢٢٥، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٦١
﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾	٦٥	٣٩٥
﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾	٧٨ ـ ٧٩	١٢١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾	٩٣	٤٥٦
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾	١١٥	١٤٧
﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾	١٤٥	٢٤٧
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾	١٥٣	٥٣٠
﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	١٦٢ ـ ١٦٣	١١٨
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾	١٦٤	٣٢٢، ٣٢٨، ٣٢٨
سورة الأعراف		
﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾	٣	١٥٣
﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾	٢٢	٢٣٢
﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا﴾	٢٦	٢٥٨
﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾	٣١	٤٨٢
﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾	٣٢	٤٠٩، ٤٨٢
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾	٥٤	٧٤، ٢٦٦
﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	٥٦	٣١٣
﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ﴾	٩٦	١٠٤
﴿قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾	١١٦	٥٦١، ٥٦٤
﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ﴾	١٥٥ـ ١٥٦	٣١٢، ٣١٣
﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾	١٥٦	٣١٣
﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا﴾	١٥٧	٣١٣، ٤٨٣، ٥٧٩
﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾	١٥٨	٥٨٠
﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ﴾	١٦٧	٨٥
﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	١٦٨	٨٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾	١٧٩	٨٧، ٤٤٦
﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾	١٨٧	٥٥٠
سورة الأنفال		
﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾	٤٦	٣٩٧
﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾	٦١	١٥١، ١٥٦
سورة التوبة		
﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾	١	١٥٩، ١٦٨، ٢٢٠
﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾	٢	١٥٩
﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾	٣	١٥٩
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾	٤	١٥٩، ١٦٢
﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾	٥	١٥١، ١٥٦، ١٥٩، ١٦١، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٩
﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾	٦	١٦٠، ١٦١، ١٦٤
﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ﴾	٧	١٦٣
﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾	١٩ ـ ٢٢	٤٧٦
﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾	٢٨	٢٠٧
﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾	٢٩	١٥٦
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾	٣٣	٣٧٣
﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾	٣٦	١٥٦، ١٦٩، ٣٣٨
﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾	٤٠	٥٩٧
﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ﴾	٤٣	١١٧
﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾	١٠٣	٢٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾	١٠٨	٤٥١، ٥٩٣، ٥٩٤
﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾	١١٣	٦٨، ٦٩
﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ﴾	١١٤	٦٩
﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾	١٢٨، ١٢٩	٣٧٣
سورة يونس		
﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾	١٨	١١٩
﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ﴾	٣٥	٤٦٠
﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾	٣٩	٢٣٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ﴾	٥٧	١٧٨، ٣٧٣
﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾	٥٨	٣٥٠
﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا﴾	٥٩	٣٢، ٣٣، ٤٦
﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾	٦١	٢٤٣
﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾	٨١	٣٠٩
﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ﴾	٩٩	١٦٥
سورة هود		
﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾	١	١٤٧
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾	٧	٧١
﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾	٣٧	٢٣٢
﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾	٤٥ ـ ٤٦	٧٠
﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾	٦١	٤٨٢
﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ﴾	٧٢، ٧٣	١٣٨، ١٣٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة يوسف		
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾	٢	٢٠١، ٢٠٧
﴿ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ ﴾	٣٨	٥٧
﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾	٣٩ ـ ٤٠	٣١٨
﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾	٤٤	٢٧
﴿ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾	٥١ ـ ٥٣	٢٨٦
﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ﴾	٥٤	٣١٩
﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾	٩١	١٨٦
﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ ﴾	٩٢	١٨٦، ١٨٧، ١٨٨
﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴾	٩٧، ٩٨	١٨٨
﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾	١٠٨	٤٨، ٧٨، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨
﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾	١١١	٩١
سورة الرعد		
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾	٢	٢٦١
﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾	٦	٣١١
﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾	١٧	٢٧٢
﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ ﴾	١٩، ٢٠	٤٤٦
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ ﴾	٢٢، ٢٣	٤٤٦
﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ ﴾	٣٤	٣٥١
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾	٣٧	٢٠١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾	٣٩	٣٤٢
﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ﴾	٤١	٢٤٤
سورة إبراهيم		
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ﴾	٤	٢٠، ٢٣٧
﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾	٤٠، ٤١	٦٩
سورة الحجر		
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾	٩	١٤٦، ١٧٢، ١٨٥، ١٩٦، ١٩٩، ٢٠٢، ٤١٣
﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾	١٥	٥٦١
﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ﴾	٤٩، ٥٠	٣١١
سورة النحل		
﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾	٤٠	٢٦٧
﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	٤٣	١٧٨، ٥٣٤، ٤٩٢
﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾	٤٤	٤١٣، ٤١٩
﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾	٤٩	٢٥٠
﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾	٦٨	٢٤٥
﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ﴾	٦٩	١٧٧، ٢٤٥
﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾	٧٨	٨٧
﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ﴾	٨٩	٢٠٧، ٢٣٤، ٣٧٣
﴿كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾	٩٢	٢٣٢
﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾	٩٨	٢٢٠
﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾	١١٦	٣٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ ﴾	١٢٥	١٥١
﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾	١٢٧	١٥١
سورة الإسراء		
﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾	٢	٨٣
﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾	٤ ـ ٨	٨٠، ٨٣، ٨٤، ٨٥
﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٩	٢٠٧
﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾	١٤	٣١٥
﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾	٣٢	٢٥٤
﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ ﴾	٣٦	٨٦، ٨٨
﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ ﴾	٣٧	٨٦، ٨٨
﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾	٤٧	٥٧٢
﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾	٥٧	٣١٢
﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٨٢	١٧٤
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾	٨٥	٧٥، ٢٢٧
﴿ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ﴾	٩٣	١١٠
﴿ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾	١٠٤	١١٠
سورة الكهف		
﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾	١٣	٤٠٥
﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾	٤٦	٣٥٠
﴿ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ﴾	٤٩	٢٥٣
﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾	٧٩	٧٩، ٢٣٢

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ۞ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾	٨٤، ٨٥	٧٨
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾	٨٦	٩٠، ٩١
﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾	٨٧، ٨٨	٩١
﴿مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ﴾	٩٥	٧٨
﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾	٩٦	٢٣٢
﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾	٩٨	٧٨، ٩١
سورة مريم		
﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾	٢٨	٩٣
﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾	٤٧، ٤٨	٦٩
سورة طه		
﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾	٥	٤٣
﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۞ قَالَ هِىَ عَصَاىَ﴾	١٧ ـ ٢١	٣٠١
﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۞ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ۞ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى﴾	٢٥ ـ ٢٨	٦، ٦٦
﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾	٤٩	٧٥
﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾	٥٠ ـ ٥٢	٧٥
﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾	٦٦	٥٦١
﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ﴾	٦٩	٣٠٩
﴿قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾	٨٤	٣٣٦
﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾	١١٤	٥٥٦
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾	١٢٤	٣١٠
﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾	١٢٦	٢٩٥
﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾	١٣١	٣٥٠

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأنبياء		
﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾	٥	٩٧
﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	٧	٤، ٤٩٢
﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾	٢٦	٢٣٩
﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾	٣٠	٢٤٨، ٢٥٨
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾	٣٣	٢٦٨
﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ﴾	٤٤	٢٤٤
﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾	٤٧	٣١٥
﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾	٩٥	٩٥، ٩٦
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾	١٠٧	٣٧٢
سورة الحج		
﴿ كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ ﴾	١٥	٢٧٢
﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ ﴾	٢٨	٢٢
﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ﴾	٣٩، ٤٠	٣٧٤
﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾	٤٧	٢٦٧
﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾	٧٨	٩، ١٦
سورة المؤمنون		
﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾	١، ٢	٣٨٩
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾	١٢	٢٣٩، ٢٥٧
﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾	١٣	٢٣٩
﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾	١٤	٢٣٩
﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	١٨	٢٤٦، ٢٧٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾	٦١	٣٣٥
﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾	٧١	٤٦٠
سورة النور		
﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ﴾	٣٢	٤٨١
﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ ﴾	٥٤	٣٧٣
سورة الفرقان		
﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾	٢	٢٤٦
﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ ﴾	٨، ٩	٥٧٢
﴿ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴾	١٧	٨٣
﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾	٣٠	٢٩٣
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾	٥٣	٢٥٠
﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾	٥٩	٥٣٤
﴿ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾	٦٣	٨٨
سورة الشعراء		
﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾	٨٠	٢٣١
﴿ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾	٨٦	٦٩
﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾	٩١	١٠٧
﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۞ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾	١٩٢ ـ ١٩٥	٢٠١، ٢٠٧
﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ۞ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾	٢١٠ ـ ٢١٢	٩٨
﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ۞ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾	٢٢١ ـ ٢٢٣	٩٨
﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾	٢٢٤ ـ ٢٢٧	٩٧، ٩٨، ٩٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النمل		
﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾	٢٣	٧٦
﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾	٣٠، ٣١	٧٦
﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ۞ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ﴾	٣٢ ـ ٣٤	٧٧
﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾	٣٤	٧٦، ٧٧
﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾	٨٢	٢٤٢
سورة القصص		
﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾	٢٩	١٣٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾	٣٨	٧٩، ٢٣٢
﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾	٥٠	٣٣٠، ٥٥٨
﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾	٥٦	٦٩
سورة العنكبوت		
﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾	٣٨	٣٠٠، ٣٠١
﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾	٤٥	٢٢
﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾	٤٨	٥٨٠
﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾	٦١	١١٩
﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾	٦٣	١١٩
﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	٦٩	٤٧٧
سورة الروم		
﴿الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾	١ ـ ٥	١٢٩، ١٣٠
﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾	٦، ٧	٤٤٨
﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾	٢١	١٢٥، ١٢٦، ٤٨١

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾	٣٠	٤٠٣
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾	٥٤	١٨٢، ١٨٤
سورة لقمان		
﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾	١٠	٢٤٦
﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾	١٨	٨٩
﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾	٢٩	٢٦٨
﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾	٣٤	٥٥٠
سورة السجدة		
﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾	٥	٢٣٩
﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾	٦ ـ ٩	٢٥٧
﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾	١٧	٣٤٩
سورة الأحزاب		
﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾	٥	٢٩٨
﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾	٦	١٣٣، ١٤١، ٥٩٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾	٢٨ ـ ٣٢	١٣٥
﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾	٣٣	١٣٤، ١٣٥، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠
﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾	٣٤	١٣٥
﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾	٣٧	١١٧
﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾	٣٩	٦٥
﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾	٥٢	١٤١، ٥٩٦
﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ﴾	٥٣	٥٩٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة سبأ		
﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ﴾	٣٩	٣٤٩
سورة فاطر		
﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾	١	٢٥٠
﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾	١٤	١٧٨، ٥٣٣
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ ﴾	٢٧، ٢٨	٢٦٤
سورة يس		
﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ﴾	١١	٣١٢
﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ ﴾	٣٦	٢٥١
﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾	٣٨	٢٦٨
﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾	٦٩ ـ ٧٠	٩٨
سورة الصافات		
﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴾	٨٣	٧٠
﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾	١٣٧ ـ ١٣٨	٣٠٠
سورة ص		
﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾	٢٩	٢٩١
﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾	٣٥	٧٨
سورة الزمر		
﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾	٣	١١٩
﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾	٦	٢٥٨، ٢٧٤
﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾	٩	٢٣٦، ٣١٢
﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾	١٠	٤٩٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾	١٧، ١٨	٣١٦، ٤٤٦
﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾	٢٣	١٤٧
﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾	٢٨	٢٠١
﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾	٥٣	٨٣
﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾	٦٤ ـ ٦٦	١١٦، ١٢٠
سورة غافر		
﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾	٣	٣١١
﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾	١٧	٣١٥
﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ﴾	٣٤	٣١٩
﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾	٤٦	٤٥٧
سورة فصلت		
﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	٣	٢٠١، ٢٠٧
﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾	٩ ـ ١٢	٧٢، ٧٤، ٢٦٧
﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾	٤٤	١٧٤
﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ﴾	٥٣	٢٥٩
سورة الشورى		
﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾	١٣	٤٠٨
﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾	٢٠	٣٥٠
﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾	٢١	٣٤٤
﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾	٢٩	٢٤٩
سورة الزخرف		
﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	٣	٢٠١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾	٢٦ ـ ٢٨	١٢١
﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾	٥١	٧٩
﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾	٨٧	١١٩
سورة الدخان		
﴿حمٓ ۞ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۞ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾	١ ـ ٤	٣٤٣
سورة الجاثية		
﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا﴾	١٨	٥٥٨
سورة محمد		
﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ﴾	٤	١٦١، ١٦٦
سورة الفتح		
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾	٢٨	٣٧٣
سورة ق		
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾	١٦ ـ ١٨	٣٨٠
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾	٣٨	٧١
سورة الذاريات		
﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۞ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۞ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا﴾	١ ـ ٤	٣٠٥
﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۞ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ﴾	٥ ـ ٦	٣٠٥
﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾	٤٩	٢٥١، ٢٥٨
﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	٤٨٢
سورة الطور		
﴿وَٱلطُّورِ ۞ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۞ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۞ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾	١ ـ ٤	٣٠٥
﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۞ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾	٥ ـ ٦	٣٠٥
﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۞ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾	٧ ـ ٨	٣٠٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النجم		
﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۞ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾	١ ـ ٤	٣٠٥، ٥٤٨
﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ۞ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ﴾	٥٠ ـ ٥١	٣٠١
سورة القمر		
﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۞ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ﴾	١ ـ ٣	٣٠٥
﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾	١٧	٢٩٢
﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾	٤٩	٢٤٦
سورة الرحمن		
﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۞ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۞ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾	١ ـ ٩	٣٣، ٣٠٤، ٣٠٥
﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ۞ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ﴾	١٠ ـ ١١	٣٠٤
﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ﴾	١٧	٣٠٥
﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ۞ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ۞ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾	١٩ ـ ٢٢	٢٣٩، ٢٥٠
﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾	٣٣	٢٤١، ٢٤٢
سورة الواقعة		
﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ۞ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۞ خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ﴾	١ ـ ٣	٣٠٦
﴿فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ﴾	٢٨	٥٢٢
﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ۞ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ﴾	٨٣ ـ ٨٧	١٠٩
سورة الحديد		
﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾	١ ـ ٣	٣٠٦
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ﴾	١٩	١٨٧، ١٨٩
﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾	٢١	١٩٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾	٢٥	٢٥٨، ٢٧٤
﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾	٢٧	٤٨٤
سورة المجادلة		
﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ﴾	٢٢	١٢٤، ١٢٥، ١٢٦
سورة الحشر		
﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾	٧	٢٢
سورة الممتحنة		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾	١	١٢٤، ١٢٥، ١٢٦
﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾	٤	٧٠، ١٢١
﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾	٧	١٢٦
﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾	٨، ٩	١٢٦
سورة الجمعة		
﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾	٢	٢٣٣، ٢٣٥، ٥٨٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾	٩، ١٠	٤٨٢
سورة الطلاق		
﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾	٢، ٣	١٠٤
﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾	٨ ـ ١٠	٩٥
سورة التحريم		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾	٦	٣٢٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	٧	١١٨

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الملك		
﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	٢	٣١٦
﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۞ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ﴾	١٠، ١١	٤٤٦
سورة القلم		
﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾	١	٢٣٦
سورة الحاقة		
﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۞ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ﴾	٦ ـ ٨	٣٠٠
سورة المعارج		
﴿كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾	٤	٢٦٧
﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾	٥	١٥١
سورة الجن		
﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۞ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾	١، ٢	١٠٣
﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾	١٤، ١٦	١٠٣، ١٠٤
سورة المدثر		
﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۞ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ۞ وَبَنِينَ شُهُودًا﴾	١١ ـ ٣١	١٠٥، ١٠٦
سورة القيامة		
﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۞ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾	٣، ٤	٢٤٦
﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾	٢٠	١١٠
﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ۞ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ۞ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ۞ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾	٢٦ ـ ٣٥	١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢
سورة الإنسان		
﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾	٢	٢٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النبأ		
﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾	٧	٢٣٩، ٢٤٦
سورة النازعات		
﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۞ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾	٢٣، ٢٤	٧٩
﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ۞ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾	٢٧ ـ ٣١	٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤
سورة عبس		
﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۞ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾	١ ـ ٢	١١٧
سورة التكوير		
﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾	٤	٢٦٢
سورة الانفطار		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۞ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾	٦ ـ ٨	٢٣١
﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۞ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾	١٣ ـ ١٤	٣١٣
سورة الأعلى		
﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۞ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾	٦، ٧	٢٩٥
﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾	١٧	٣٥٠
سورة الغاشية		
﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾	١٧	٢٤٧، ٢٧٠
﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾	١٨	٢٧٠
سورة الفجر		
﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾	٦ ـ ١٤	٣٠١
سورة الليل		
﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۞ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾	٥ ـ ١٠	٣٥١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة العلق		
﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۞ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾	١ ـ ٥	٢٣٥، ٤٤٢
سورة القدر		
﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾	١	٣٤٤
سورة الزلزلة		
﴿ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾	٦	٢٥٣
﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴾	٧ ـ ٨	٣١٥
سورة الكافرون		
﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۞ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾	١، ٢	١١٣، ١١٥، ١١٧، ١١٨، ١١٩
﴿ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾	٣	١١٣، ١١٨، ١١٩
﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴾	٤	١١٩، ١٢٠
﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾	٦	١١٤، ١٢٠
سورة الفلق		
﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ﴾	٤	٣٠٩

❊ ❊ ❊

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

غير مصرح بطباعة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
أبغض الحلال إلى الله الطلاق	٤٣٦، ٤٣٧
أتاني جبريل بهَرِيسة من الجنَّة، فأكلتها، فأعطيتُ قوة أربعين رجلًا في الجِمَاع	٥٤٩
اتقوا اللَّاعنَيْن: الَّذي يتخلَّى في طريق النَّاس، وفي ظلهم	٤٥٣
اتَّقوا الملاعنَ الثلاث: البَراز في الموارد، وقارعةِ الطريق، والظلِّ	٤٥٣
أثقلُ شيءٍ في الميزان يوم القيامة خُلُق حَسَن	٤٩٥
اجتنبوا السَّبع الموبقات. قالوا: يا رسول الله، وما هنَّ؟	٣٠٨
أجرؤكم على الفُتْيا أجرؤكم على النار	٤٦
أحبُّ العملِ إلى الله ما داوم عليه صاحبُه وإن قلَّ	٣٥
الإحسانُ أن تعبدَ اللهَ كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك	٤٩٤
أحضروا موائدَكم البَقْل، فإنَّه مَطْردة للشيطان	٥٤٥
اختر منهنَّ أربعًا	٥٩٥
اختلاف أمتي رحمة، أو اختلاف أصحابي رحمة	٤٠٨
اخرُجْ فأذِّنْ في النَّاس (أي أعلمهم) من الله لا من رسوله: لعن الله قاطع السّدر	٥٢٣
إذا سألتم الله، فاسألوه الفردوس؛ فإنَّه أوسط الجنَّة، وأعلى الجنَّة	٣١٧
إذا عَطِسَ الرجلُ عند الحديث، فهو دليل صدقه	٥٤٤

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إذا غضب الله تعالى أنزل الوحيَ بالفارسية، وإذا رضي أنزله بالعربية	٥٤٧
إذا نمتم فأطفِئوا المصباح، وأغلقوا الأبواب، وأوكِئوا الأسقية	٤٥٤
إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمِسْه، فإنَّ في أحدِ جَناحيه داءٌ	٣٥٢
اذكروا محاسنَ موتاكم، وكفُّوا عن مساوئهم	٤٨٥، ٤٨٦
أذن في أذنَي الحسن حين ولدته فاطمة بالصلاة	١٢٢
اذهبوا إلى الحارث بن كِلْدَةَ الثَّقَفي	١٧٤
أرأيتَ لو تمضمضتَ ثم مَجَجْتَه، أكان يضر شيئًا؟	٢٣
أرأيتَ الليلَ ما لبس كلَّ شيءٍ فأين النَّهَارُ؟. قال: حيث شاء الله	٢٧٦
أربع لا تشبع من أربع: أنثى من ذكر، وأرض من مطر، وعين من نظر	٥٥٠
أرحم أمتي بأُمَّتي أبو بكر	٥٠٢، ٥٠٥
ارحمْ نفسَك وارحمْ عباده يرحمْك ربُّك يوم القيامة	٤٩٤
ارضَ بما قسم الله لك؛ تكنْ أغنى النَّاس	٤٩٤
استرْ عيوبَ إخوتِك؛ يسترْك ربُّك يوم القيامة	٤٩٥
أسوأ النَّاسِ سرقةً: الَّذي يسرق من صلاته!	٣٨٨
اشربوا على الطعام تشبعوا	٥٤٥
أصدقُ كلمة قالها شاعرٌ، كلمةُ لبيد: ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلُ	١٠٢
أصليت يا فلان؟ قال: لا. قال: قم فاركع ركعتين	٤٥
اصنعوا كلّ شيء إلَّا النكاح	٤٢٠
أعمال العباد تُعرض على أقربائه من موتاهم	٣٢٣
أعيذُك بكلماتِ الله التامَّة، من كلِّ شيطانٍ وهَامَّة، ومن كلِّ عينٍ لامَّة	١٧٧، ٥٨٣
اغتسلْ من الجنابة متطهِّرًا، تلقَ اللهَ نقيًّا من الذنوب	٤٩٥
أغلقوا أبوابكم، وخمِّروا آنيتَكم ـ غطُّوها ـ وأطفئوا سُرُجَكم	٤٥٤

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
أُغمي على عبد الله بن رَواحة	٣٢٥
أفَتَّانٌ أنت يا معاذ	٣٤
افترقت اليهود على إحدى ـ أو اثنتين ـ وسبعين فرقة	٣٩١
أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر	٥٠٤
اقرأْ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ثم نمْ على خاتمتها؛ فإنَّها براءةٌ من الشِّرْك	١١٤
اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبُكم	٢١٨
اكتب، بسم الله الرحمن الرحيم. قال سُهَيْل بن عمرو: أَمَّا باسم الله	١١٦، ١١٧
أكثر أهل الجنة البُلْه	٤٤٢
أكذب النَّاسِ الصبَّاغون والصوَّاغون	٥٤٥
أكل السَّمك يُوهن الجسد	٥٤٩
أكمل المؤمنين إيمانًا: أحسنُهم خُلُقًا	٤٩٤
ألا أخبرتهم أنَّهم كانوا يسمُّون بالأنبياء والصالحين قبلهم؟	٩٤
ألا أدلك على رأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ رأس الأمر الإسلام	٤٧٦
ألَا أصلي بكم صلاة رسول الله ﷺ	٥٨٣، ٥٨٧
ألَا من ظلم معاهدًا، أو انتقصه، أو كلَّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا	٥٢٦
اللهمَّ آتِ نفسي تقواها، وزكِّها أنت خير من زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها	٣٠٦
اللهمَّ اجعلِ القرآنَ ربيعَ قلبي، ونور صدري، وجلاء حُزني	١٧٩
اللهمَّ أصلحْ لي ديني الَّذي هو عِصمة أمري، وأصلحْ لي دنياي	٤٨٣
اللهمَّ أعطِ مُمسكًا تلفًا	٣٥٠
اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من الجوع؛ فإنَّه بئس الضجيع	٣٠٦
اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من غلبة الدَّيْن وقهرِ الرجال	٤٧٢
اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من الهمِّ والحزن	٤٧٢

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
اللهمَّ رب النَّاس أذهب البأس، اشف أنتَ الشافي، لا شفاء إلَّا شفاؤك	١٧٦
اللهمَّ ربنا لك الحمد ملء السّماوات وملء الأرض	٢٧٥
أمَّا أنا فقد شفاني الله	٥٦٨
الأمَا كان يجد هذا ما يُسكِّن به شعره؟	٤٥٢
إماطة الأذى عن الطريق صدقة	٤٥٣
أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله، لا إله إلَّا الله	١٢٢
إن إبليس ينصب عرشه على البحر، ويبعث سراياه، فأقربهم إليه منزلةً	٤٣٩
أن ابن عمر، كان إذا دخل في الصلاة كبر ورفع يديه	٥٨٥
إنَّ الله أبدلنا بالرهبانيَّة: الحنيفيَّة السّمحة	٤٧٩
إن الله خلق السَّماوات والأرض يوم عاشوراء	٥٤٥
إن الله طيِّب يحبُّ الطيب، نظيف يحبُّ النَّظافة، فنظِّفوا أفنيتكم	٤٥٣
إنَّ الله فَرَض فرائض فلا تضيعوها، وحدَّ حدودًا فلا تعتدوها	٤٧٠
إنَّ الله قد تجاوز لأُمَّتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه	٢٩٩
إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من صدور الناس	٤٧
إن الله لم يُحِلَّ لكم أن تدخلوا بيوتَ أهل الكتاب إلَّا بإذن	٥٢٧
إنَّ الله لما اختار الأرواح، اختار روح أبي بكر	٥٥٢
إنَّ اللهَ ليزيد الكافر عذابًا، ببكاء أهله عليه	٣٢٨
إنَّ الله يتجلَّى للنَّاس عامَّة يوم القيامة، ولأبي بكر خاصَّة	٥٥٢
إن الله يحبّ إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه	٢٠٠
إنَّ الشملة الَّتي غلَّها تشتعل عليه نارًا	٤٨٨
إنَّ لبدنكَ عليكَ حقًّا، ولأهلكَ عليكَ حقًّا، ولزوجِكَ عليك حقًّا	١٧
إن لجسدك عليك حقًّا، ولعينك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا	٤٨٠

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إنَّ لله ملكًا من حجارة، يقال له: عمارة، ينزل على حمار من حجارة	٥٥١
إنَّ لي على قريش حقًّا، وإنَّ لقريش عليكم حقًّا، ما حكموا فعدلوا	٥١٨
إنَّ المختلِعات هنَّ المنافقات	٤٣٩
إنَّ ممَّا أدرك النَّاس من كلام النُّبوَّة الأولى: إذا لم تستحِ فاصنعْ ما شئتَ	٤٧
إنَّ من البيان سِحْرًا، وإنَّ من الشِّعْرِ حُكْمًا	١٠١، ٥٦١
إنَّ منكم منفِّرين	٣٤
إنَّ المؤمنَ يجاهدُ بسيفِه ولسانِه	٩٩
إنَّ الميِّت ليعذَّب ببكاء أهله عليه	٣٢٢، ٣٢٣
أنا أعلمكم بصلاة رسول الله ﷺ	٥٨٦
إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهمَّ أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرًا منها	٥٩٨
أنا مدينة العلم، وأبو بكر أساسها، وعمر حيطانها، وعثمان سقفها	٥٠٣
أنا مدينة العلم، وعليٌّ بابها، فمن أراد المدينة فليأتِ الباب	٤٩٧، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٨، ٥١٠
أنا مدينة العلم، وعليٌّ بابها، ومعاويةُ حَلْقتها	٥٠٣
أنا ميزان العلم، وعليٌّ كِفَّتاه، والحسنُ والحسين خيوطه...	٥٠٣
أنا وأبو بكر كفَرَسَيْ رِهان	٥٥٢
أَنفِقْ أُنفِقْ عليك	٣٤٩
إنكنَّ إذا فعلتُنَّ ذلك قطعتُنَّ أرحامَكنَّ	٢٣
إنَّما أنا رحمةٌ مهداة	٣٧٢
إنما بُعثْتُ بحنيفيَّة سَمْحة	١٧
إنما بُعثتم ميسِّرين، ولم تبعثوا معسِّرين	١٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إنَّما الشفاء في ثلاث: في شربة عسل، أو شرطة محجم، أو لذعة بنار	١٧٤
إنَّما مَثَل صاحب القرآن كمَثَل صاحب الإبل المعقَّلة	٢٩٦
إنَّه شهرٌ يَغْفُل النَّاس عنه بين رجبٍ ورمضانَ	٣٣٩
أنه كان ﷺ إذا قام إلى الصلاة المكتوبة كبر	٥٨٦
إنَّه ليُعذَّب بخطيئته أو بذنبه، وإنَّ أهله ليبكُون عليه الآن	٣٢٨
إنَّهم ليبكُون عليها، وإنَّها لتُعَذَّب في قبرها	٣٢٨
إنَّهما ليُعَذَّبان، وما يُعذَّبان في كبير	٤٥٧
إني أخشاكم لله وأتقاكم له، ولكنِّي أقوم وأنام، وأصوم وأفطر	٤٨٠
اهجُهم ـ أو هاجِهم ـ وجبريلُ معك	١٠٠
أو ممَّن يعلم أنَّه يتَّخذه خمرًا	٤٦٥
أوصيك بتقوى الله تعالى، فإنَّه رأس كلّ شيء، وعليك بالجهاد	٤٧٩
أيْ عمّ، قل: لا إله إلَّا الله. كلمة أحاجُّ لك بها عند الله	٦٨
إيَّاكم والزَّنجْي فإنَّه خلق مشوَّه	٥٥١
إياكم والوصال قيل: إنك تواصل. قال: إني أبيت يطعمني ربي ويسقين	٣٥
أيسرُّك أن يكونوا لك في البرِّ سواءً؟. قال: نعم	٢٣
أيغلب أحدكم أن يصاحب صويحبه في الدُّنْيا معروفًا	٣٢٤
أيُّكما أطبُّ؟	١٧٥
أيُّما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس	٤٤٠
الإيمان إقرار بالقول، وعمل بالجوارح...	٥٠٩
الأئمَّة من قريش	٥١٦، ٥١٧
أين الليلُ إذا جاء النَّهار؟	٢٧٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ب	
الباذنجان شفاءٌ من كلِّ داء	٥٤٤
الباذنجان لِمَا أُكِلَ له	٥٤٤
باسم الله أرقيك، والله يشفيك	١٧٦
بُعثتُ بالسَّيف، حتَّى يُعبد الله وحده لا شريك له	٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٤، ٣٦٨، ٣٧٤، ٣٧١، ٣٧٥
بئست البقلةُ الجرجير، من أكل منها ليلًا بات ونفسُه تنازعه	٥٤٦
ت	
التأنِّي من الله تعالى، والعجلة من الشيطان	٣٣٣
تركتُ فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله وسنتي	٤٢٨
تزوَّجوا، فإنِّي مكاثر بكم الأمم، ولا تكونوا كرهبانية النَّصارى	٤٧٩
تعاهدوا القرآن، فوالَّذي نفسي بيده، لهو أشد تفصِّيًا ـ أي تَفَلُّتًا ـ	٢٩٠، ٢٩٦
تعوَّذوا بالله من جهْد البلاء، ودَرَك الشقاء، وسُوء القضاء	٣٠٦
تفترق هذه الأُمَّة على بضع وسبعين فرقة، كلها في النَّار حاشا واحدة	٣٩٤
تقاتلون اليهود، فتسلطون عليهم، حتَّى يختبئ أحدهم وراء الحجر	٣٨٢
تنظَّفوا؛ فإنَّ الإسلام نظيف	٤٦٤
التُّؤدة في كلِّ شيءٍ خير، إلَّا في عمل الآخرة	٣٣٥
ث	
ثلاثٌ يا علي لا تؤخِّرهن: الصلاةُ إذا أتت، والجِنازة إذا حضرت	٣٣٦
ثلاثةٌ تزيد في البصر: النَّظر إلى الخُضْرة، والماء الجاري، والوجه الحسن	٥٤٨

غير مرخصة للبيع
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ج	
جعل رزقي تحت ظلِّ رمحي، وجعل الذُّلُّ والصَّغار على من خالف أمري	٣٦٢
الجَوْز دواء، والجبنُ داء، فإذا صار في الجوف صار شفاء	٥٤٥
ح	
حتى كان يرى أنه يأتي النساءَ	٥٦٦
حدِّثوا عنِّي	٥٩٩
حُسن الخُلُق والتواضع والصبر على البلاء	٤٩٥
حسِّن خُلقك يكملُ إيمانُك	٤٩٤
حقٌّ لله على كلّ مسلم في كلّ سبعة أيام: يومٌ يغسل فيه رأسه وجسده	٤٥٢
خ	
خذْها من عمِّك	٤١١
خذوا شطرَ دينِكم عن الحميراء	٣٣٠، ٣٣١
خرج النَّبيُّ ﷺ غداةً، وعليه مِرْطٌ مرحَّل	١٣٩
خلِّ عنه، فوالَّذي نفسي بيده، لكلامُه أشدُّ عليهم من وقْعِ النَّبْلِ	١٠٠
خمس صلوات في اليوم والليلة. فقال: هل عليَّ غيرهن؟	٣١٤
خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه	٢٨٨، ٢٩٦
خيركم من قرأ القرآن وأقرأه	٢٨٨
خير النَّاس أنفعهم للناس	٤٩٤
د	
دعوني من السُّودان، إنَّما الأسود لبطنه وفرجه	٥٥١
دُمْ على الطهارة يوسِّع الله عليك في الرِّزْق	٤٩٥

غير مرخصة للطبعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ر	
الراحمون يرحمهم الرحمن	٤٩٤
رأيت ليلة أسري بي مكتوبًا على باب الجنة: الصدقة بعشر أمثالها	٥٨٢
ربِّ أعنِّي ولا تعِنْ عليَّ، وانصرني ولا تنصرْ عليَّ، وامكرْ لي ولا تمكرْ عليَّ	٣٠٦
رجبٌ شهر الله، وشعبانُ شهري، ورمضان شهر أُمَّتي	٣٣٩
رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر: جهاد النفس	٤٣٠، ٤٣٣، ٤٧٤
رحم الله امرأً قال خيرًا فغنم، أو سكت فسلم	٣٧٨
رحمه الله، لقد أذكرني كذا وكذا آية، أسقطتهنَّ من سورة كذا وكذا	٢٩٦
رُخِّص لنا في البكاء عند المصيبة في غير نوح	٣٢٦
ردَّ رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أذن له لاختصينا	٣٤، ٤٨١
ركعتا الفجرِ خيرٌ من الدُّنْيا وما فيها	٣٥٠
ز	
الزَّنْجي إذا شبع زنى، وإذا جاع سرق	٥٥١
س	
سدِّدوا، وقاربوا، واغْدوا ورُوحوا، وشيء من الدُّلْجة	٣٤
سلْ عمَّا بدا لك. قال: أريد أن أكون أعلم الناس	٤٨٩
السِّوَاك مطهرةٌ للفمِ مرضاةٌ للرب	٤٥٢
ش	
شتمني ابنُ آدم، وما ينبغي له أن يشتمني...	٦٤
شرُّ المال في آخر الزمان: المماليك	٥٥١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ص	
صلاة في مسجد قباء كعمرة	٥٩٤
الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان	٣١٥
ط	
الطُّهور شطر الإيمـان	٤٥١
ع	
العجلة من الشيطان	٣٣٥
عُرِضَتْ عليَّ أجورُ أُمَّتي، حتَّى القذاةُ يُخرجها الرجلُ من المسجد	٢٩٤
عليٌّ بابُ علمي، ومبيِّنٌ لأُمَّتي ما أُرسلتُ به من بعدي، حبُّه إيمان	٥٠٣
عليُّ بن أبي طالب بابُ حِطَّة، فمن دخل فيه كان مؤمنًا	٥٠٣
عليٌّ منِّي، وأنا من عليٍّ، لا يؤدِّي عني إلَّا أنا أو عليٌّ	٥٠٣
عليكم بالعَدس، فإنَّه مبارك يرقِّق القلب، ويكثر الدَّمعة	٥٤٤
عليكم بالوجوه المِلاح، والحدق السُّود	٥٤٨
عليكم من العمل ما تُطيقون، فإنَّ اللهَ لا يملُّ حتَّى تملُّوا	٣٤
غ	
غسل يوم الجمعة واجب على كلّ محتلم	٤٥٢
ف	
فأنا حجيجه يوم القيامة	٥٢٧
فضل دهن البنفسج على الأدهان، كفضل أهل البيت على سائر الخلْق	٥٤٦
فكرهت أن أثير على النَّاس فيه شرًّا	٥٦٩
في الرقة ربع العشر	٥٩٢

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
في كلّ سائمة من الإبل الزكاة	٥٩١
فيما سقت السَّماء العُشْر	٥٩١
ق	
قاطع السِّدر يصوِّب الله رأسه في النَّار	٥٢٢
قتلوه قتلهم الله! ألا سألوا إذ لم يعلموا؟! فإنَّما شفاء العِيِّ السُّؤال	٥
القدرية والمرجئة مجوس هذه الأمة	٣٩٣
قدمتم من خير مَقدَم، وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر	٤٣٤، ٤٧٥
قريش ولاة النَّاس في الخير والشرِّ إلى يوم القيامة	٥١٨
قل خيرًا أو اصمت	٣٧٨
ك	
كان إذا اشتاق إلى الجنَّة قبَّل شَيْبة أبي بكر	٥٥٢
كان النَّبيُّ يأمرني فأتزر	٤١٠، ٤١٥
كل كلام أو أمر ذي بال لا يُفتح بذكر الله، فهو أبتر أو قال: أقطع	٢٢٠، ٢٢١
كلُّ لهوٍ يلهو به المسلم فهو باطل، إلَّا ثلاثة: رميُه بسهمه	٥١٥
كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته	٣٢٦
كلها في النَّار إلَّا واحدة	٣٩٢
كلها هالكة إلَّا واحدة	٣٩٣
كنا نخيِّر بين الناس في زمن النبي ﷺ	٥٠٤
كُنْ قانعًا تكنْ أغنى النَّاس	٤٩٣
كنْ نافعًا للنَّاس تكنْ خير الناس	٤٩٤

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ل	
لا أجدُه. قال: هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك	٤٧٦
لا تبيعوا القَيْنات ولا تشتروهنَّ ولا تعلِّموهنَّ، ولا خير في تجارة فيهنَّ	٤٦٥
لا تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين	٤٨٧
لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا	٣٩٧
لا تذكروا هَلْكَاكم إلَّا بخير	٤٨٦
لا تسبُّوا الأموات؛ فإنَّهم أفضَوْا إلى ما قدَّموا	٤٨٥
لا تسبُّوا الأموات، فتؤذوا الأحياء	٤٨٥، ٤٨٧
لا تسبُّوا الدهْرَ	٤٨٦
لا تسبُّوا الدِّيك	٤٨٦
لا تسبُّوا الرِّيح	٤٨٦
لا تسبوا الموتى فإنَّهم أفضوا إلى ما قدَّموا	٤٨٧
لا تسبِّي الحُمَّى	٤٨٦
لا تشدِّدوا على أنفسكم، فإنَّما هلك من كان قبلكم بتشديدهم	٤٨٤
لا تقتل نفس ظلمًا، إلَّا كان على ابن آدم الأوَّل كِفْل من دمها	٣٢٦
لا تقل: تعس الشيطان	٤٨٦
لا تقوم السَّاعة حتَّى تأخذ أُمَّتي أخْذ القرون قبلها، شبرًا بشبر	٣٨٦
لا تقوم السَّاعة حتَّى تطلُع الشمسُ من مغربها	٣٨٧
لا تقوم السَّاعة حتَّى تقاتلوا التُّرك	٣٨٦
لا تقوم السَّاعة حتَّى تقاتلوا اليهود، حتَّى يقول الحجر وراءه اليهودي	٣٨١، ٣٨٢
لا تقوم السَّاعة حتَّى يتباهى النَّاس في المساجد	٣٨٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لا رهبانية في الإسلام	٤٧٨
لا سبق إلَّا في خفٍّ أو حافر أو نصْل	٥١٢
لا صرورة في الإسلام	٤٧٩
لا ضرر ولا ضرار	٤٤٠
لا، وأنتِ على خير!	١٤٠
لا يبولنَّ أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل فيه	٤٥٤
لا يتحدَّث النَّاس أن محمدًا يقتل أصحابه	٥٧٠
لا يحتكر إلَّا خاطئ	٤٧١
لا يحلُّ دم امرئ مسلم إلَّا بإحدى ثلاث	٥١٥
لا يزال هذا الأمر في قريشٍ ما بقي في النَّاس اثنان	٥١٧، ٥١٨
لا يُصَلِّيَنَّ أحد العصر إلَّا في بني قريظة	٣٩٨
لا يعلم متى تقوم السَّاعة إلَّا الله	٥٥٠
لا يقبل الله صلاة بغير طُهور	٤٥١
لا يُلدغ المؤمن من جُحْر مرَّتين	٤٣٠، ٤٣١، ٤٤٧
لعن رسول الله ﷺ المتشبِّهين	٤٠٢
لعن رسول الله ﷺ المخنَّثين من الرجال	٤٠٢
لعن النَّبيُّ ﷺ الرجل يلبس لِبْسة المرأة	٤٠٢
لغَدْوَةٌ في سبيل الله أو رَوْحة خيرٌ من الدُّنْيا وما فيها	٣٥٠
لقد كان رسول الله ﷺ ينام مع المرأة من نسائه وإنَّها حائض	٤٢٠
لقِّنوا موتاكم لا إله إلَّا الله	١٢٢
لكلِّ أُمَّة رهبانية، ورهبانيَّة هذه الأُمَّة الجهاد في سبيل الله	٤٧٩

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لمن هذا؟. قال العباس: للحبشة أطعمهم	٥٥١
لن يُفلح قوم ولَّوا أمرهم امرأة	٣٣٠
لو توكَّلْتم على الله حقَّ التوكُّل لرزقكم كما يرزقُ الطير	٤٣٠، ٤٣٤
لو حدثتكم بفضائلِ عُمَرَ عُمْرَ نوحٍ في قومه، ما فنيت	٥٥٢
لو علم الله في الخصيان خيرًا لأخرج من أصلابهم ذريَّة يعبدون الله	٥٥١
لولا أن أشُقَّ على أُمَّتي لأمرتهم بالسِّواك عند كلِّ صلاة	٤٥٢
لولا حِدْثانُ قومِكِ بالكُفر، لنقضتُ الكعبة	٥٨٦
ليس الإيمان بالتمنِّي ولا بالتحلِّي، ولكن هو ما وقر في القلب وصدَّقه العمل	٤٣٠، ٤٣٢، ٤٣٣
ليس الخبرُ كالعِيَان	٤٣٠، ٤٣٢
ليس فيما دونَ خمسةِ أوسُقٍ صدقة	٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢
ليومٌ من إمامٍ عادلٍ خيرٌ من عبادةِ ستِّين سنة	٧٨
م	
ما أحلَّ الله شيئًا أبغض إليه من الطلاق	٤٣٨
ما أحلَّ اللهُ فهو حلالٌ، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفْوٌ	٤٧١
ما أنزل الله داء إلَّا أنزل له شفاء، علمه من علمه وجهله من جهله	١٧٥
ما بال أيديكم، كأنَّها أذنابُ خيلٍ شُمُس؟	٥٨٨
ما بعث الله من نبي إلَّا كان حقًّا عليه أن يدلَّ أُمَّته على خير ما يَعْلَمه	٤٠
ما حملك على هذا؟	٥٧٠
ما سبقكم أبو بكرٍ بكثرة صوم ولا صلاة، وإنَّما سبقكم بشيءٍ وقر في صدره	٥٥٢
ما صبَّ اللهُ في صدري شيئًا، إلَّا صببتُه في صدر أبي بكر	٥٥٢
ما من مسلم يقتل عصفورًا فما فوقها، بغير حقها، إلَّا سأله الله ﷻ عنها	٤٦٧

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ما من ميِّت يموت، فتقوم نادبتُه فتقول: واجبلاه! واسنداه!	٣٢٥
ما من ورقةِ هَنْدُباء إلَّا وعليها قطرةٌ من ماء الجنَّة	٥٤٥
ما من يوم طلعت شمسُه إلَّا وملكان يناديان: اللهمَّ أعطِ منفقًا خلفًا	٣٤٨
ما هي؟ قالوا: تعبد آلهتنا سنة، اللات والعزى، ونعبد إلهك سنة	١١٦
ما وراءه من عذاب الله أشـد	٥٧٠
ما وسعني أرضي ولا سمائي، ولكن وسعني قلبُ عبدي المؤمن	٤٣٠، ٤٣١
المجاهد من جاهد هواه	٤٧٧
المجرَّة الَّتي في السَّماء من عَرَق الأفعى الَّتي تحت العرش	٥٤٧
ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا	١٧١
من آتاه الله مالًا، فلم يؤدِّ زكاتَه مُثِّل له يوم القيامة شُجَاعًا أقرع	٤٥٥
من آذى ذميًّا فقد آذاني	٥٢٥، ٥٢٧
من احتكر طعامًا أربعين يومًا فقد برئ من الله، وبرئ الله منه	٤٧١
من أُفتي بغير علمٍ، كان إثمُه على من أفتاه	٥
من تشبَّه بقومٍ فهو منهم	٣٦٢، ٣٦٤
من تعظَّم في نفسه، واختال في مشيته؛ لقي الله وهو عليه غضبانُ	٨٩
من حبس العِنب أيامَ القِطاف، حتَّى يبيعه من يهودي أو نصراني	٤٦٤
من حدَّث بحديثٍ يرى أنَّه كذب، فهو أحد الكاذبين	٣٤٠
من حفظ عشر آيات من أوَّل سورة الكهف عُصِم من الدَّجَّال	٢٨٤
من دعا بهذه الأسماء: اللهمَّ أنت حيٌّ لا تموت، وغالب لا تُغلب	٥٤٢
من سُئل عن علمٍ فكتمه، ألجمه الله يوم القيامة بلجامٍ من نارٍ	٥، ٦٥
من ستر مسلمًا ستره الله في الدُّنْيا والآخرة	٤٩٥
من صلَّى الضحى كذا وكذا ركعة؛ أعطي ثواب سبعين نبيًّا	٥٤٣

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
من عقد عُقدة ثم نفث فيها، فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك	٣٠٩
من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم، فليتبوَّأ مقعده من النَّار	٤١٧
من قال في كتاب الله برأيه فأصاب فقد أخطأ	٤١٨
من قال لا إله إلَّا الله: خلق الله من تلك الكلمة طائرًا له سبعون ألف	٥٤٣
من قتل عصفورًا عبثًا، عجَّ إلى الله يوم القيامة، يقول: يا ربِّ	٤٦٧، ٥٢٤
من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها	٢١٩، ٢٨٥، ٢٩٣
من قرأ سورة الكهف كما أنزلت: كانت له نورًا من مقامه إلى مكَّة	٢٨٣
من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة، أضاء له من النور ما بين الجمعتين	٢٨٤
من قطع سِدْرة صَوَّبَ على رأسه في النار	٥٢١
من كان له شَعر فليكرمْه	٤٥٢
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمُتْ	٣٧٨
من نِيح عليه يُعذَّب بما نيح عليه	٣٢٣
من وسع على عياله في يوم عاشوراء وسع الله عليه السنة كلها	٥٢٨
من ولي القضاء فقد ذُبِحَ بغير سِكِّين	٤٦٨
المنار المنيف في الصحيح والضعيف	٥٢٥
المؤمن أخو المؤمن، يَكُفُّ عليه ضيعته (أي يجمع عليه معيشته)	٤٣٤
المؤمن حُلو يحبُّ الحلاوة	٥٤٩
الْمُؤْمِنُ كَيِّسٌ فَطِنٌ حَذِرٌ	٤٤٧
المؤمن مرآة أخيه	٤٣٠، ٤٣٤
المؤمن مرآة المؤمن	٤٣٤
الميِّت يُعذَّب ببكاء الحيِّ: إذا قالت النائحة: واعضداه! واناصراه!	٣٢٥
الميِّت يعذَّب في قبره ما نيح عليه	٣٢٣

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ن	
نحن أُمَّة أُمِّيَّة، لا نكتُب ولا نحسُب	٢٣٣
النظر إلى الوجْه الحسنِ يجلو البصر	٥٤٨
نِعْمَ المالُ الصالحُ للمرءِ الصالحِ	٧٩
هـ	
هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلَّا كبَّه الله على وجهه ما أقاموا الدِّين	٥١٨
هذا ما قاضى عليه محمَّد بن عبد الله	٥٨٢
الهريسة تشدُّ الظهر	٥٤٩
هو الطَّهُور ماؤه، الحِلُّ مَيْتته	٤٥
هؤلاء أهل بيتي، فأذهبْ عنهم الرجْسَ وطهِّرْهم تطهيرًا	١٣٤، ١٤٠
هي من قدر الله	١٧٥
هِيهِ يا خُنَيْس	١٠٢
و	
وإذا حاصرت حصنًا، فسألوك أن تُنزلهم على حُكم الله ورسوله	٣٢
وأنا أتزوَّج النِّساء، فمن رغب عن سُنَّتي فليس مِنِّي	٤٨١
وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النَّار، إلَّا واحدة	٣٩٥
وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ ممَّا افترضتُ عليه	٣١٦
ومن رغب عن سُنَّتي فليس منِّي	١٧
ي	
يا أبا ذرٍّ، لأن تغدو فتَعلَّمَ آيةً من كتاب الله: خيرٌ مِن أن تصلِّي مائةَ ركعة	٢٨٨
يا ابن آدم، إنك أن تبذل الفضل خير لك، وأن تمسكه شرٌّ لك	٣٤٩

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
يا عائشة، أشعرتِ أنَّ الله أفتاني فيما اسفتيتُه فيه؟	٥٦٠، ٥٦١
يا عبدَ الله، يا مسلم، هذا يهوديٌّ خلفي فتعالَ فاقتله!	٣٨٤
يا عثمان، إنَّ الرهبانيَّة لم تكتب علينا، أفما لك في أسوة؟	٤٨٠
يا عمّ، واللهِ لو وضعوا الشمسَ في يميني، والقمرَ في يساري	١١٥
يُتعتع به، ويُقال: أنت كذلك؟	٣٢٥
يُستجاب للعبدِ ما لم يستعجلْ	٣٣٤
يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا	١٦، ٥٤
يطَّلعُ اللهُ ﷻ إلى خلقه ليلةَ النِّصْف من شعبان، فيغفرُ لعبادِه إلا لاثنين	٣٤١
يقاتل المسلمون فيها اليهود، فيقتلهم المسلمون	٣٨٣
ينزل ربُّنا كلَّ ليلة...	٤٣

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

فهرس الموضوعات

❖ **من الدستور الإلهي للبشرية** ٤

❖ **من مشكاة النبوة الخاتمة** ٥

• **مقدمة** ٧

نهجي في الإفتاء ١٤

أولًا: لا عصبيَّة ولا تقليد ١٤

ثانيًا: يسِّروا ولا تُعسِّروا ١٦

ثالثًا: مخاطبة النَّاس بلغة العصر ٢٠

رابعًا: الإعراض عمَّا لا ينفع الناس ٢٤

خامسًا: الاعتدال بين المتحلِّلين والمتزمِّتين ٢٨

عبيد التطوُّر ٢٨

المتزمِّتون في الفتوى ٣١

نهْجي الوسطيَّة في الإفتاء ٣٣

سادسًا: إعطاء الفتوى حقها من الشرح والإيضاح ٣٦

منزلة الإفتاء ٤٦

الفتوى لونٌ من الدعوة ٤٨

دور الدين في الحياة ٤٩

عالم الدين وجمهور الشعب ٥٢

الحملة الضارية ضدي ٥٣

تصدَّقت بعِرْضي على كلِّ مسلم يؤذيني ما لم يكنْ عميلًا ٥٥

أسوتي في علماء الأُمَّة وأئمَّتها ٥٦

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

عبارة الشَّاطبيِّ في موقفه من أهل زمانه وموقفهم منه ٥٧
غربة الشَّاطبيّ في زمنه ٥٨
تشنيعات المخالفين على الإمام الشَّاطبي ٦٠
الإمام ابن بُطَّة وموقف أهل زمانه منه ٦٢
فكيف بزماننا وأهله؟! ٦٤
على أهل العلم بيان أمور الدين ٦٥

• **تفسير القرآن** **٦٧**

• **في القرآن الكريم وعلومه** **٦٧**

❖ **تفسير قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾** **٦٨**

❖ **الأيام السِّتَّة الَّتي خلق الله فيها الأرض** **٧١**
مراحل خلق الكون ٧٢
الخوض في أمور الغيب ٧٤

❖ **تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا﴾** **٧٦**

❖ **تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ﴾** **٨٠**

❖ **تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ﴾** **٨٦**

❖ **تفسير قوله تعالى: ﴿فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ﴾** **٩٠**

❖ **تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾** **٩٣**

❖ **تفسير قوله تعالى: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ﴾** **٩٥**

❖ **موقف القرآن من الشعر والشعراء** **٩٧**
من شعراء الرسول الله ﷺ ٩٩
مجالات الشعر المباحة ١٠٠

❖ **تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ﴾** **١٠٣**

QaradawiBooks.com

❖ **تفسير قوله تعالى: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾** **١٠٥**

❖ **تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾** **١٠٨**

❖ **سورة الكافرون براءة من الشرك** **١١٣**

سبب نزول سورة «الكافرون» ١١٥

أكبر دليل على أن القرآن ليس من عند محمَّد ١١٧

لا بدَّ مع الإيمان البراءة من الشرك ١٢١

قراءة سورة «الكافرون» قبل النوم ١٢٢

• **آيات أسيء فهمها** **١٢٣**

❖ **آيات التعامل مع أهل الكتاب** **١٢٤**

❖ **هل تدخل السّيدة عائشة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ ؟** **١٣٤**

❖ **الحكمة من ذكر النساء بعد ذكر الغائط** **١٤٢**

• **علوم القرآن وأحكامه** **١٤٥**

❖ **المُحكَم والمتشابِه في القرآن** **١٤٦**

سرُّ وجود المتشابِه في القرآن ١٤٨

❖ **النَّسْخ في القرآن وآية السَّيف** **١٥١**

التضييق في دعاوى النَّسخ ١٥٥

من شروط قبول النسخ ١٥٦

كيف يعرف النسخ؟ ١٥٧

بحث في تعيين آية السَّيف ١٥٨

❖ **ترك البسملة في سورة التَّوبة** **١٦٨**

❖ **مصاحف الصحابة** **١٧٠**

❖ **العلاج بالقرآن** **١٧٣**

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

• **القراءات والوقف والابتداء** ١٨١
❖ **القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾** ١٨٢
❖ **حول بعض «الوقوف» في سورتي يوسف والحديد** ١٨٦
❖ **وقف مفسد للمعنى عند قوله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾** ١٩١
فماذا كان جواب موسى؟ ١٩٢

• **رسم المصحف** ١٩٥
❖ **كتابة المصحف بالطريقة الإملائيَّة الحديثة** ١٩٦
❖ **لا يجوز التهاون في كتابة الآيات القرآنية** ١٩٩
❖ **كتابة بعض آيات القرآن بالحرف اللاتيني** ٢٠١
❖ **هل يجوز كتابة القرآن للأجانب بالحروف اللاتينية؟** ٢٠٦
❖ **علامات التَّرقيم للمصحف** ٢١٣
❖ **تمييز الآيات المنسوخة في المصحف** ٢١٦
❖ **قراءة البسملة في أثناء السُّورة** ٢١٩

• **القرآن والحقائق العلمية الحديثة** ٢٢٣
❖ **التفسير العلمي للقرآن** ٢٢٤
بين المعارضين والمؤيِّدين من المعاصرين ٢٢٥
معارضة الشيخ شلتوت ٢٢٥
معارضة الشيخ أمين الخولي وآخرين ٢٢٧
معارضة سيد قطب ٢٢٨
الإمام الغزالي والتفسير العلمي ٢٣١
ابن أبي الفضل المرسي والسُّيوطي ٢٣٢
أبو إسحاق الشَّاطبيّ والتفسير العلمي ٢٣٣

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

الموقف الَّذي نختاره ٢٣٦
١ ـ ضرورة المعرفة بأوَّليَّات هذه العلوم ٢٣٧
٢ ـ انتباه المتخصص في العلوم إلى ما لم ينتبه له غيره ٢٣٨
٣ ـ شروط استخدام العلوم في التفسير ٢٤٠
أولًا: التعويل على الحقائق لا الفرضيات ٢٤٠
ثانيًا: تجنب التكلف في فهم النص ٢٤٠
ثالثًا: تجنب اتهام الأمة كلها بالجهل ٢٤١
تجاوزات مرفوضة عند علماء الشرع وعلماء الكون ٢٤٢
مجالات لاستخدام العلوم الكونية في التفسير لا ينبغي الخلاف عليها ٢٤٥
أ ـ تعميق مدلول النص ٢٤٥
ب ـ تصحيح معلومات بعض المفسرين القدامى ٢٤٩
ج ـ تقريب الحقائق الدينية لعقول البشر ٢٥٢
كلمة منصفة للعقاد ٢٥٦
بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي للقرآن ٢٥٧
الإعجاز العلمي في حقيقته إعجاز بياني ٢٥٩
تحفُّظ المعتدلين من العلميِّين ٢٦٠
تكوين العقليَّة العلمية في القرآن ٢٦٥
❖ خلق السّماوات والأرض في ستَّة أيام ٢٦٦
❖ جريان الشمس بين العلم والقرآن ٢٦٨
❖ تأويل السَّماء ٢٧٠
❖ نزول المطر من السَّماء ٢٧٢
❖ أين النار؟ ٢٧٥
• مباحث قرآنية ٢٧٩
❖ الأحاديث الواردة في فضائل بعض السّور ٢٨٠
مبالغات في فضل سورة يس ٢٨١

QaradawiBooks.com

❖ طباعة بعض السّور في مطبوعات خاصة ٢٨٣
❖ زواج يوسف عليه السلام من امرأة العزيز ٢٨٦
❖ أفضل الطرق لحفظ القرآن الكريم ٢٨٨
تثبيت الحفظ بفهم الآيات ٢٨٩
تثبيت الحفظ بالمراجعة ٢٩٠
❖ حفظ القرآن الكريم ٢٩٢
❖ حكم نسيان القرآن ٢٩٤
❖ الحكم إذا وقع المصحف من الإنسان ٢٩٨
❖ تكرار القصص في القرآن ٣٠٠
❖ السجع في القرآن ٣٠٤
السجع في السُّنَّة ٣٠٦
❖ قراءة القرآن بالمقلوب لسحر النَّاس ٣٠٨
❖ الجمع بين الرجاء والخوف ٣١١
رحمة الله ليست مطلقة ٣١٢
الاتِّكال على رحمة الله مع قلَّة العمل ٣١٥
المؤمن يترقى بنفسه ٣١٦
المؤمن يطلب الأفضل ٣١٧
❖ دعوة يوسف عليه السلام ٣١٨
• الجمع بين الأحاديث ٣٢١
• في الحديث الشريف وعلومه ٣٢١
❖ عذاب الميت ببكاء أهله عليه ٣٢٢
❖ «لن يفلح قوم ولَّوْا أمرهم امرأة» ٣٣٠

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

❖ «العجلة من الشيطان» ٣٣٣
❖ شهر رجب ٣٣٨
❖ دعاء نصف شعبان ٣٤١
• أحاديث أسيء فهمها ٣٤٧
❖ حديث: «اللهمَّ أَعْطِ منفقًا خَلَفًا» ٣٤٨
❖ حول حديث الذباب ٣٥٢
❖ حديث: «بعثت بين يدي السَّاعة بالسيف» ٣٦٠
نظرة في الحديث من جهة إسناده ٣٦١
تخريج الشيخ أحمد شاكر ٣٦٢
تخريج الألباني ٣٦٤
تخريج الشيخ شعيب ٣٦٦
ما قاله رجال الجرح والتعديل عن ابن ثوبان ٣٦٨
ما نقله المِزِّي في تهذيب الكمال ٣٦٩
نظرة أخرى في الحديث من جهة متنه ومضمونه ٣٧٢
• شروح الأحاديث ٣٧٧
❖ قُل خيرًا أو اصمُت ٣٧٨
❖ حديث: «لا تقوم السَّاعة حتَّى تقاتلوا اليهود» ٣٨١
❖ حديث: «الذي يسرق من صلاته» ٣٨٨
❖ الفرقة النَّاجية وحديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة ٣٩٠
رأيي في حديث الفرقة النَّاجية ٣٩٢
افتراق الأمة ليس لازمًا ولا مؤبَّدًا ٣٩٥
الجماعات العاملة للإسلام ليست من الفرق ٣٩٧
قاعدة المنار الذهبية ٣٩٨
❖ تشبُّه أحد الجنسين بالآخر ٤٠٢

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

• **دفاع عن السُّنَّة** ٤٠٧
❖ **دفاع عن صحيح البخاري** ٤٠٨
• **الحكم على الأحاديث** ٤٢٩
❖ **حول صحَّة بعض الأحاديث** ٤٣٠
❖ **حديث: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق»** ٤٣٦
❖ **هل حديث: «أكثر أهل الجنة البُلْه» صحيح؟** ٤٤٢
❖ **عبارة: «النظافة من الإيمان»** ٤٥٠
❖ **المبالغة في التخويف** ٤٥٥
التَّخويف الزائد ليس من شأن الداعية المصلح ٤٥٦
عذاب القبر ثابت بالقرآن والسُّنَّة ٤٥٦
❖ **حول أحاديث كتاب الحلال والحرام** ٤٥٨
منهجي في الكتاب ٤٥٩
تخريج أحاديث الكتاب تكريم له ٤٦٢
بعض الأحاديث يُذكر للاستئناس لا للاحتجاج ٤٦٣
مرحلة التقليد للمتقدِّمين ٤٦٤
تضعيف الشيخ قابل للمناقشة ٤٦٧
تضعيف حديثٍ ما لا يُسقط القضيَّة كلَّها ٤٧٠
تضعيف حديث بسندٍ ما أو لفظٍ ما لا يعني تضعيف المتن ٤٧٢
عمل المُحَدِّث وعمل الفقيه ٤٧٣
❖ **حديث: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر: جهاد النفس»** ٤٧٤
❖ **حديث: «لا رهبانية في الإسلام»** ٤٧٨
❖ **حديث: «اذكروا محاسن موتاكم»** ٤٨٥
❖ **الحديث المزعوم أنَّه جمع فأوعى** ٤٨٩

نسخة غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

❖ **حديث: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها»** **٤٩٧**
حقائق مسَلَّمة ٤٩٨
دفاع الحافظ العَلَائي عن الحديث ٥٠٢
مناقشة الحافظ العَلائي في تصحيح الحديث ٥٠٤
أقوال أهل الجرح والتعديل في أبي الصَّلْت ٥٠٦
بين المتقدِّمين والمتأخِّرين ٥١٠

❖ **حديث: «لا سبْقَ إلَّا في خفٍّ»** **٥١٢**
نظرة في سند الحديث ٥١٣
نظرة في دلالة الحديث **٥١٤**

❖ **حديث: «الأئمَّة من قريش»** **٥١٦**
ألفاظ الحديث وطرقه ومدى صحته ٥١٧
الموقف من الحديث ٥١٨

❖ **حديث: قاطع السِّدر في النار** **٥٢١**

❖ **حديث: «من آذى ذميًّا فقد آذاني»** **٥٢٥**

❖ **أحاديث: الاكتحال والتوسعة على العيال في عاشوراء** **٥٢٨**

• **نقد الحديث** **٥٣١**

❖ **نقد الحديث بين السَّند والمتن أو بين الشكل والمضمون** **٥٣٢**
ابن القيِّم يربط بين السّند والمتن ٥٤١
١ ـ المجازفات والمبالغات **٥٤٣**
٢ ـ تكذيب الحس والمشاهدة للحديث **٥٤٤**
٣ ـ كونه ممَّا يسخر منه **٥٤٥**
٤ ـ مناقضة الحديث للصحيح الثابت من السُّنة **٥٤٦**
٥ ـ تكذيب الشواهد له **٥٤٧**
٦ ـ بطلانه في نفسه لمناقضته العقل **٥٤٧**
٧ ـ ألَّا يشبه كلام النبوَّة وهدايتها **٥٤٨**

QaradawiBooks.com

٨ ـ ومنها: أن يكون الحديث بوصف الأطباء والطرقية أشبه وأليق ٥٤٨
٩ ـ اشتماله على تحديد تواريخ معينة ٥٤٩
١٠ ـ مخالفته لصريح القرآن ٥٥٠
١١ ـ سماجه المعاني ومناقضتها لمبادئ الإسلام ٥٥٠
❖ الإمام رشيد رضا وحديث سحر النَّبيِّ ﷺ ٥٥٥
نصُّ الحديث وكلام الشراح عليه ٥٦٠
كلام العلامة الشيخ رشيد رضا ٥٧١
تقييم قول السَّيد رشيد رضا ٥٧٥
• السيرة النبوية ٥٧٥
❖ أيُّ الرأيين أصحُّ في أُمِّيَّة النَّبيِّ ورفع اليدين في الصلاة ونصاب الزروع والثمار؟ ... ٥٧٨
١ ـ أمية النَّبيِّ ﷺ ٥٧٩
٢ ـ رفع اليدين في الصلاة ٥٨٣
٣ ـ نصاب ما أخرجت الأرض ٥٩٠
❖ المسجد الَّذي أسس على التقوى ٥٩٣
❖ تعدد زوجات النَّبيِّ ﷺ ٥٩٥
❖ فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٦٠٣
❖ فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٦٢٧
❖ فهرس الموضوعات ٦٤٥

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com